

السيرة النبوية

المجلد الثاني

د. مكي
نجار د. هادي



السِّيَرَةُ النَّبَوِيَّةُ

السيرة النبوية

الجزء الثاني

تأليف
نجل الطائي

بسم الله الرحمن الرحيم

السيرة النبوية / ج ٢

المفكر الإسلامي الدكتور نجاح الطائي

الطبعة ١/١٤٢٦ هـ ق، ١/١٣٨٤ هـ ش

١ / ٢ / ٢٠٠٥ م، الرابعة

الكمية: ١٠٠٠ عدد

دار الهدى لإحياء التراث لندن - بيروت

بيروت، - ساحة الحمراء، البناية المركزية، قم - مجمع قدس ١٧.

BEIRUT_LONDON

WWW.ALTAEI.COM

الفصل الرابع
طلع الحديبية



التوجه للحديبية

الحديبية قرية متوسطة، سميت بئر هناك عند مسجد الشجرة التي بايع الناس رسول الله ﷺ تحتها، وبعض الحديبية في الحل وبعضها في الحرم، وقيل كلها في الحرم، وأهلها ألف وخمسمائة.^(١)

وكان النبي ﷺ رأى في المنام أنه دخل البيت وحلق رأسه وأخذ المفتاح وسميت هذه السنة بسنة الاستئناس، وخلف على المدينة ابن أم مكتوم. وأحرم ﷺ من ذي الحليفة^(٢)، وأجمعت قريش على صدّه عن البيت الحرام.

ولاختلاط المسلمين مع كافرين قريش لأول مرة وقربهم من مكة وكثرة المشركين وقلة المسلمين وضعف عدتهم فقد ظهر المنافقون من المهاجرين بأوضح صورة.

وفي صلح الحديبية جاء الرسول ﷺ مع سبعمائة رجل وسبعين بدنة كل بدنة عن عشرة نفر فيهم مثنى فارس إلى منطقة الحديبية^(٣). وذلك في شهر ذي القعدة في السنة السادسة للهجرة، وهدفه ﷺ العمرة فساق معه الهدى، ولم يخرج بسلاح إلا سلاح المسافرين السيوف في القرب^(٤)، ولضعف العدد والعدة فقد رغبت قريش

(١) معجم البلدان ٢ / ٢٦٥.

(٢) تاريخ يعقوبي ١ / ٥٠، التنبيه والإشراف ٢٢٠، تاريخ ابن خلدون ٢ / ٤٤٧، مناقبي الواقدي ١ / ٥٧٢.

تاريخ الخميس ٢ / ١٦.

(٣) وهي بئر أو شجرة أو قرية على بعد تسعة أميال من مكة أكثر أراضيها في الحرم.

(٤) مناقبي الواقدي ١ / ٦١٤، تاريخ الخميس ٢ / ١٦، السيرة الحلبية ٣ / ٨، تاريخ الطبري ٢ / ٢٧١.

وجواسيسها الموجودين في الجيش الإسلامي في الحرب.

وكان اللواء بيد علي بن أبي طالب^(١).

وقال رسول الله ﷺ: كان علي لي كالعصا السحرية لموسى عليه السلام وقال ﷺ: يا علي لو قاتلك أهل الشرق والغرب لقتلتهم أجمعين^(٢).

ولما خرج رسول الله ﷺ في عمرة الخديبية نزل الجحفة فلم يجد بها ماءً، فبعث سعد بن مالك (سعد بن أبي وقاص) بالروايا حتى إذا كان غير بعيد رجع بالروايا فقال: يا رسول الله ﷺ ما استطع أن أمضي لقد وقفت قدماي رُعباً من القوم. فقال له النبي ﷺ: اجلس.

ثم بعث رجلاً آخر^(٣) فخرج بالروايا حتى إذا كان بالمكان الذي انتهى إليه الأول رجع فقال له النبي ﷺ: لم رجعت؟

فقال: والذي بعثك بالحق ما استطعت أن أمضي رُعباً.

فدعا رسول الله ﷺ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فأرسله بالروايا وخرج السقاة وهم لا يشكون في رجوعه لما رأوا من رجوع من تقدمه. وجاءت الأحابيش وثقيف مع قريش. فخرج علي عليه السلام بالروايا حتى ورد الحرار فاستقى ثم أقبل بها إلى النبي ﷺ ولها زجل (صوت) فكبر النبي ﷺ ودعا له بخير^(٤).

١- تاريخ خليفة ٣٦، وقال ابن اسحاق عددهم سبعمائة رجل يسعين بدنة فكل بدنة من عشرة نفر، وقيل عددهم ١٣٠٠ رجل، وقيل ١٤٠٠ رجل قاله الزهري وابن سعد، وقيل عددهم ١٥٠٠ رجل عن جابر الانصاري وقيل عددهم ١٦٠٠.

حيون الأثر ٢ / ١١٣، ١١٤، تاريخ ابن الأثير ٢ / ٢٠٠، مفازي الواقدي ١ / ٥٧٤.

(١) الأرشاد، المفيد ١ / ١١٩.

(٢) تفسير القمي ٢ / ٢٦٨.

(٣) تعبير رجل موضوع خاصة لابي بكر او عمر.

(٤) الإصابة ٣ / ١٩٩، مناقب آل أبي طالب ٢ / ٨٨، البحار ٢٠ / ٣٥٩، مفازي الواقدي ١ / ٥٧٨، السيرة

الحلبية ٢ / ١٠.

رغبة قريش في الحرب

فلما كان النبي ﷺ بذى الحليفة قلّد الهدى، وأحرم هو وأصحابه منها، ليأمن الناس حربه. ولما وصل جيشه إلى قرب جيش خالد بن الوليد أمر خيله بالوقوف في إزاء جيش خالد. وشاهد المسلمون غلظة وخشونة من قبل المشركين، فأبدوا لهم مثل ذلك، كما قال الله سبحانه:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِّنَ الْكُفَّارِ وَلَيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً﴾^(١)

ولما خرج عكرمة بن أبي جهل في خيله، ناوشه المسلمون، ورموهم بالحجارة، حتى أدخلوهم مكة... وعلى اثر ذلك ازداد الرعب في صفوف المشركين، وانخلعت اقتدتهم خوفاً من جيش المسلمين الرابض على أبواب مكة.

وقال ﷺ: يا ويح قريش، نهكتهم الحرب، فإذا عليهم لو دخلوا بيني وبين العرب، فإن هم أصابوني كان الذي أرادوا، وإن أظهرني الله عليهم دخلوا في الإسلام وافرين، وإن أبوا قاتلوني وبهم قوة؟ فما تظن قريش، فوالله الذي لا إله إلا هو، لا أزال أجاهد على الذي بعثني به ربي، حتى يظهره الله أو تنفرد هذه السالفة (وهي صفحة العنق كناية عن قتله).

وقال ﷺ: والذي نفس محمد بيده، لا تدعوني اليوم قريش إلى خطبة يسألوني فيها صلة رحم إلا أعطيتهم بإياها.

ويظهر من قول الرسول ﷺ، رغبته في الصلح مع قريش، للانفراد بسائر العرب في الجزيرة، فيسهل عليه نشر الإسلام بينهم.

وحاول الرسول ﷺ عدم الاصطدام بجيش الكفار فسلك ارضاً جرداء ليس فيها ماء.

وكانت قريش تعرف بمسير رسول الله ﷺ وجيشه إلى مكة فأرسلوا له خالد بن الوليد في جيش فحاول إثارة جيش المسلمين فصدّوه دون قتال. وتقدم خالد لاستقبال جيش المسلمين في ذي طوس، فسلك رسول الله ﷺ غير الطريق التي هم بها وسلك ذات اليمى على مهبط الحديبية فبركت به ناقته وقال ﷺ: حبسها حابس القيل^(١).

ممثلو قريش

وقال رسول الله ﷺ لبديل بن ورقاء الخزاعي لم نأت لقتال أحد ولكننا معتمرين فأخبر قريشاً بذلك.

ثم أرسلوا له مكرز بن حفص بن الاحنف من بني عامر بن لؤي. فقال النبي ﷺ: هذا رجل غادر فلما انتهى إلى رسول الله ﷺ رفض أن يكلمه وقال هذا رجل فاجر، فرجع إلى قريش وأخبرهم بذلك.

فبعثوا له الحليس بن علقمة الكناني وهو يؤمن بـ سيد الاحاييش، فما ان رآه رسول الله ﷺ حتى قال: إن هذا من قوم يتأهلون فابعثوا الهدي في وجهه، فلما رأى الهدي في قلائده قد أكل أوباره من طول الحبس رجع إلى قريش فقال: يا معشر قريش قد رأيت ما لا يحل صده الهدي في قلائده قد أكل أوباره من طول الحبس عن محله. لتخلن بين محمد وما جاء له أو لأنفرن بالأحاييش نفرة رجل واحد. فقالوا: كف عنا حتى نأخذ لأنفسنا ما نرضى به.

ثم بعثوا له عروة بن مسعود الثقفي فلما رأى المغيرة قال: أي غادر.

ثم بعث رسول الله ﷺ خراش بن أمية الخزاعي إلى مكة.

(١) تاريخ الخميس ٢/ ٣٩٠، السيرة العلية ٣/ ١٠ - ١٤، سيرة ابن حبان ١/ ٢٨١ - ٢٨٢، تاريخ ابن الأثير

٢/ ٢٠٠، تاريخ الجعفي ٢/ ٥٤.

وكانت خزاعة عيبة رسول الله ﷺ مسلمها ومشرکہا لا يخفون عليه شيئاً كان بمكة وكان بدیل بن ورقاء سيد خزاعة.
ثم بعثت قريش سهيل بن عمرو وأحد بني عامر بن لؤي وقالوا: انت محمدًا وصالحه، ولا نكن في صلحه إلا أن يرجع عنا عامه هذا، فوالله لا تتحدث العرب أنه دخلها علينا عنوة أبدًا، فأقى سهيل بن عمرو فلما رآه النبي ﷺ قال: قد أراد القوم الصلح فبعثوا هذا الرجل^(١).

الآيات الباهرة

وفي السنة السادسة للهجرة أجذب الناس فاستسقى رسول الله ﷺ في شهر رمضان فسقاه الله تعالى^(٢).
وعطش المسلمون في الحديبية ورسول الله ﷺ بين يديه ركوة يتوضأ فيها فأقبل الناس نحوه فقال ﷺ: ما لكم ما لكم.
قالوا: ليس عندنا ماء نشرب ولا نتوضأ منه إلا ما في ركوتك.
فوضع رسول الله ﷺ يده في الركوة^(٣) فجعل الماء يفور بين أصابعه أمثال العيون.

قال: فشرينا وتوضأنا ولو كنّا مائة ألف لكفانا، كنّا خمس عشرة مائة^(٤).
وهجم خمسون مشركاً على أطراف المسلمين ليصيبوا لهم من اصحابهم أحداً فأخذهم المسلمون وعفا عنهم رسول الله ﷺ وأطلق سراحهم^(٥).

(١) تاريخ الخميس ٢ / ٣٩٠، السيرة الحلبية ٣ / ١٠ - ١٤، سيرة ابن حبان ١ / ٢٨١ - ٢٨٢، تاريخ ابن الأثير ٢ / ٢٠٠، تاريخ اليعقوبي ٢ / ٥٤.

(٢) التنبيه والاشراف ٢٢٦، مروج الذهب ٢ / ٢٨٩.

(٣) اناء صغير يشرب فيه الماء.

(٤) عيون الأثر ٢ / ١١٤.

(٥) عيون الأثر ٢ / ١١٨، تاريخ ابن خلدون ٢ / ٤٤٧.

وقضية الحرب على الماء قضية قديمة، فقد حاول الكافرون دائماً السيطرة على الماء ومنع المسلمين منه لقتلهم عطشاً^(١). فقد منع المشركون الماء عن عبد المطلب بن هاشم وصحبه لقتلهم عطشاً في صحراء الجزيرة ولما نبع الماء تحت قدميه لم يمنعه عبد المطلب من قريش.

ومنع المشركون الماء عن المسلمين في بدر بعد سيطرتهم على آبارها، ولما سيطر رسول الله ﷺ على الماء لم يمنعه منه^(٢). وسيطر الكافرون على الماء في غزوة الحديبية لقتل النبي ﷺ والمسلمين عطشاً، فجاءهم علي رضي الله عنه بالماء في منطقة الجحفة وبارك لهم الله تعالى في عين الحديبية بدعاء رسول الله ﷺ^(٣).

ومنع طلحة بن عبد الله الماء عن عثمان بن عفان وصحبه وأهله أثناء الثورة على عثمان وردّ شفاعته الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه في إعطاء الماء لهم^(٤). ومنع معاوية ابن أبي سفيان الماء عن أمير المؤمنين علي رضي الله عنه وجيشه في معركة صفين ولما سيطر الإمام علي رضي الله عنه على الماء سمح لمعاوية وجيشه بالشرب منه^(٥). وسقى الإمام الحسين رضي الله عنه جيش يزيد بن معاوية الماء في صحراء كربلاء، ولما سيطروا هم على الماء منعوا الحسين رضي الله عنه وأهله وصحبه منه فقتلوه عطشاً^(٦).

سبببيعة الرضوان

اعتقد زعماء قريش بأنّ الصلح مع رسول الله ﷺ في غير صالحهم. وهذا المبدأ قديم التزمّت به قريش قبل وبعد هجرة رسول الله ﷺ إلى المدينة لأنّ الصلح يمكن

(١) راجع موضوع الماء كسلاح في الحروب.

(٢) البحار ٤٤٧/٣٢.

(٣) البحار ٦٨/٤١.

(٤) بحار الانوار ٢٨٧/٣١.

(٥) صفين ١٦٠-١٦٦. تاريخ أبي مخنف ١٥٩/١-١٦٢.

(٦) الاخبار الطوال ٢٤٨. تاريخ ابن عساکر في ترجمة الامام الحسين ٤٤٧.

المسلمين من نشر الإسلام بسهولة في مدن وأراضي شبه جزيرة العرب. بل يساعدهم على نشر الدين خارج البلاد أيضاً.

ويعني الصلح الاعتراف برسالة النبي محمد ﷺ ودولته في المدينة مما يسهل على المسلمين إقامة العلاقات المحترمة مع سائر القوى القبلية والمدينة في المنطقة.

والصلح مع رسول الله ﷺ سيمكن المسلمين من الانتصار على باقي القوى المحالفة لقريش من الأحزاب مثل خيبر وخطفان وبني سليم وغيرها. وفعلًا حدث ذلك إذ فتح رسول الله ﷺ خيبر وحارب بني سليم. وأرسل جيشاً إلى مؤتة في الشام.

وفي مدة سنتين عظمت شوكة المسلمين وضعت منزلة المشركين فأقبلت الناس على دخول الإسلام رغبة في الدين من البعض ورغبة في المغنم من البعض الآخر فدخل عمرو بن العاص وأبو موسى الأشعري وأبو هريرة وخالد بن الوليد في الإسلام في تلك الفترة.

ودخلت قبيلة خزاعة في حلف مع المسلمين فتضاعفت جيوش رسول الله ﷺ وأدرك عمر بن الخطاب ما أدركته قريش أيضاً وشاركه في ذلك عثمان بن عفان وأبو بكر والمغيرة. وذهب عثمان إلى مكة للعمرة بدعوة من أبي سفيان في حين رفض الدعوة عبدالله بن أبي زعيم المنافقين الذي قال له ابنه: كيف تطوف الكعبة ورسول الله ﷺ ممنوع من الطواف بها!

واعتقد القرشيون أن جيش المسلمين في الحديبية لقمة سائغة فهم في عددهم قليل بلا عدة حربية.

وأدرك رسول الله ﷺ نوايا قريش من رفضهم الصلح ومحاولة قتلهم ستفيرة خراش بن أمية الخزاعي وهجمة جيشهم على المسلمين بقيادة عكرمة بن أبي جهل، والمهجوم الغادر عليهم من قبل خمسين آخرين ومحاولة خالد قتل المسلمين في

الصلاة فنزلت آية:

﴿وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة فلتقم طائفة منهم معك﴾^(١).

ولخطورة الوضع ردّ عليهم رسول الله ﷺ بالوسائل التالية:

اجراء بيعة الرضوان التي بايع فيها المسلمون على الموت وعدم الفرار لتخويف المشركين الداعين للحرب.

والبيعة وسيلة جماهيرية تبين مكانة الزعيم في صفوف الناس وتعود المسلمين على أتباع هذه الطريقة دائماً، وتزيد من المحبة بين القائد وشعبه لذلك يخاف هذه البيعة المستبدون الظالمون.

فأدرك زعماء مكة أنّ هذه الحرب ستكون كبدراً لا كأحد وعندها تتحطم رؤوسهم كما تحطم رأس عتبة وشيبة والوليد وأبي جهل وأمّية بن خلف وعتبة بن أبي معيط في بدر.

فتلك البيعة على الموت أخافت المشركين وخلعت افئدتهم وسلبتهم نومهم. وهددهم رسول الله ﷺ بأمر المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام^(٢) الذي قتل زعماءهم وابطأهم في بدر واحد والخنديق واي جولة اخرى له ستمكنه من قتل رموزهم الآخرين مثل أبي سفيان وحكيم بن حزام وصفوان بن أمّية وخالد بن الوليد وعكرمة بن أبي جهل.

وهذا التهديد النبوي لهم يثبط عزائمهم ونشر الخوف في اوصالهم كيف لا وعلي عليه السلام لا يقف امامه احد فهو منصور بالعناية الإلهية وبلغت سمعته حداً اجازت لأبطال العرب كشف عوراتهم أمامه للهروب من سيفه، بينما كان العرب يهتمون بسمعتهم أكثر من أي شيء آخر.

(١) النساء ١-٢، البداية والنهاية ٤ / ١٩٠ - ١٩٥، تاريخ الطبري ٢ / ١٧٥ - ١٨٥، سيرة ابن دحلان ١ / ٤٨٣.

(٢) المستدرك للحاكم ٤ / ٢٩٨.

واطلق رسول الله ﷺ سراح الاسرى القرشيين الخمسين المهاجرين للمسلمين تعبيراً عن حسن النية^(١).

إنّ ذهاب عثمان بن عفان الى مكة للعمرة بدعوة أبي سفيان كان من الأسباب الداعية لببيعة الرضوان لانه ذهب الى مكة عناداً للنبي ﷺ وإرضاءً للحزب القرشي فاعتقد المشركون إنّ المسلمين مثل عثمان فأراد رسول الله ﷺ أن يبيّن هوية الموحّدين بببيعة الرضوان على الموت فخافت قريش وتراجعت.

كما كسب النبي ﷺ ودّ القرشيين في محادثاته ورسائله لقريش قائلاً:

لا تدعوني قريش اليوم إلى خطة يسألوني فيها صلة الرحم وهي من حرمات الله إلا أعطيتهم إياها، وإن كان فيها تحمل المشقة^(٢).

كسب النبي ﷺ زعماء القبائل الحليفة والقريبة من قريش مثل ثقيف وخزاعة والاحابيش في حديثه مع عروة بن مسعود الثقفي (سيد ثقيف) تكلم بكل لطف لكسبه إلى جانبه ونجح في ذلك رغم اعمال أبي بكر والمغيرة إذ اهاناه أبو بكر قائلاً له: امصص بظر اللات^(٣) وضربه المغيرة بن شعبه على يده بالحديدة^(٤).

فقال عروة لقريش: إني والله ما رأيت ملكاً في قومه قط مثل محمد في اصحابه، ولقد رأيت قوماً لا يسلمونه لشيء أبداً فروا رأيكم^(٥).

لقد عمل عروة بن مسعود عمليّن رائدين لرسول الله ﷺ مرة في اقناع قريش بالصلح من منطلق منزلته الاجتماعية العالية لكونه رئيس قبيلة ثقيف وزعيم

(١) عيون الأثر ٢ / ١٢٣ / ١٢٧، تاريخ الطبري ٢ / ٢٧٩ - ٢٨٣، سيرة ابن دحلان ١ / ٤٩٠ - ٤٩٥، البداية والنهاية ٤ / ١٩٠ - ١٩٤.

(٢) سيرة ابن دحلان ١ / ٤٨٤.

(٣) البداية والنهاية ٤ / ١٩٠، سيرة ابن دحلان ١ / ٤٩٠ - ٤٩٥، عيون الأثر ٢ / ١٢٣ - ١٢٧، تاريخ الطبري ٢ / ٢٨٠ /

(٤) المصادر السابقة.

(٥) المصادر السابقة.

الطائف ومرة في محاولته اقناع قومه في دخول الإسلام فنجح في الاولى واستشهد في الثانية على يد قومه^(١).

فقال رسول الله ﷺ: إن مثل عروة مثل صاحب آل ياسين^(٢) فحقد الكافرون وبعض المسلمين على عروة لمحبه رسول الله ﷺ.

وانا أعجب من جرأة ذلك العبد^(٣) الفادر (المغيرة) على الأشراف والزعماء إذ قتل أسباده من ثقيف غدرأ وهم ثلاثة عشر شخصاً^(٤) وضرب عروة بن مسعود الثقفي بالحديدة على يده^(٥).

وضرب فاطمة بنت محمد ﷺ سيدة نساء العالمين^(٦).
وأول من دعا لترك مراسم جهنم النبي ﷺ والذهاب للسقيفة^(٧).
ولعن المغيرة أمير المؤمنين علياً عليه السلام في مسجد الكوفة^(٨).
ولا ادري لماذا أحبه عمر وولآه البحرين ثم البصرة ثم الكوفة^(٩)؟ وهو يعلم أنه فاسق.

وورث ذلك الحب معاوية فجعله والياً على الكوفة إلى اللحظات الأخيرة من حياته وقد قال عمر: من استعمل فاجراً وهو يعلم أنه فاجر فهو مثله^(١٠).

(١) تاريخ المدينة المنورة ١ / ٤٧٠، أسد الغابة ٣ / ٤٠٦، مغازي الواقدي ٣ / ٩٦١، الإصابة ٢ / ٤٧٠، سيرة ابن هشام ٤ / ٩٦٤.

(٢) تاريخ المدينة المنورة ١ / ٤٧٠، مغازي الواقدي ٣ / ٩٦١، الإستهباب ٣ / ١١٢، سيرة ابن هشام ٤ / ٩٦٥.

(٣) شرح النهج ٢ / ٣١ - ٣٤، تاريخ المدينة، ١ / ٥٠٢.

(٤) سهر اعلام النبلاء، الذهبي ٢ / ١٢٠، السيرة العلوية ٣ / ١٥، شرح النهج ٤ / ٨.

(٥) البداية والنهاية ٤ / ١٩٠، هيون الأثر ٢ / ١٢٣ - ١٢٧.

(٦) شرح النهج ٦ / ٣٠.

(٧) البدء والتاريخ ١٣٩، شرح النهج ٦ / ٤٣.

(٨) البعار ٢٠ / ٣٥٣.

(٩) مبقرية عمر، المقاد ٤٢.

(١٠) تاريخ عمر، ابن الجوزي ٥٦.

وأحب المغيرة أبا بكر وعمر فهو أول من بايع أبا بكر في السقيفة^(١) وأول من سَمَّى عمر بأمير المؤمنين^(٢).

وأحب يزيد بن معاوية فهو أول من دعا لبيته^(٣).

وكانت قريش تحب المكر والغدر وكانت دار الندوة مقراً لانعقاد جلسات قريش في يوم السبت فسمي يوم مكر وخديعة^(٤).

وفي يوم السبت قرّروا اغتيال رسول الله ﷺ.

وقال الإمام علي عليه السلام عن بيعة عثمان: «خدعة وأيما خدعة»^(٥).

ولما أرسل عثمان المغيرة إلى ثوار العراق ومصر لإرضائهم قالوا له: يا أعور وراءك يا فاجر وراءك يا فاسق وراءك^(٦).

ولما سأل المحجاج رجلاً عن عبد الملك بن مروان قال: ما أقول في رجل أنت سيئة من سيئاته^(٧) ومعرفة الأمراء بمعركة أعوانهم أسهل طريقة منطقية عقلية.

وكان حليس بن علقمة سيد الاحابيش من قوم يتألهون، فقدم رسول الله ﷺ الهدى امامه في قلاته قد أكل اوباره من طول الحبس فتأثر تأثراً كبيراً فأصبح في جانب رسول الله ﷺ قائلاً:

يا معشر قريش والله ما على هذا حالناكم ولا على هذا عاهدناكم، أيصد عن بيت الله من جاءه معظماً له؟ والذي نفس حليس بيده لتخلن عن محمد وبين ما جاء

(١) تاريخ يعقوبي ٢ / ١٢٣ الإصابة، ابن حجر ١ / ٣٢٥.

(٢) مختصر تاريخ دمشق ١٨ / ٢٦١.

(٣) تاريخ ابن الأثير ٣ / ٢١٤ - ٢١٥، تاريخ الطبري ٦ / ١٦٩ - ١٧٠.

(٤) سيرة ابن دحلان ١ / ٢٥٦.

(٥) تاريخ الطبري ٣ / ٣٠٢.

(٦) أنساب الاشراف ٥ / ١١١، ١١٢.

(٧) السيرة الحلبية ١ / ١٨٠.

له أو لأنقرن بالاحاييش نفرة رجل واحد^(١) فخافت قريش وتنازلت عن تصميمها على الحرب وقالت له: مه كف عنا نأخذ لأنفسنا ما نرضى به^(٢).

وتحدث رسول الله ﷺ مع بديل بن ورقاء سيد خزاعة وصحبه عن سبب مجيئه وعن الإسلام فكسبهم إلى جانبه.

فجاءوا قريشاً قاتلين لهم: إنه لم يأت يريد حرباً وإنما جاء زائراً للبيت ومعظماً لحرمة فاتهمهم قريش وجبهتهم^(٣) وأصبحت خزاعة في صف رسول الله ﷺ ولما وقّع ﷺ وثيقة الصلح أعلنت خزاعة عن حلفها مع المسلمين دون أي تأخير.

وتأثر سهيل وصحبه برسول الله ﷺ وبيعة الرضوان إذ رجع حويطب بن عبد المزئ وسهيل بن عمرو ومكرز بن حفص إلى قريش فأخبروهم نبأ اقدام أصحاب رسول الله ﷺ على البيعة، فدعى أهل الرأي منهم إلى مصالحة محمد ﷺ^(٤)

وتجاوب رسول الله ﷺ مع سهيل بن عمرو أفضل تجاوب ممكن فحبا عبارة رسول الله ﷺ من وثيقة الصلح رغم معارضة المسلمين ذلك.

ولما هرب أبو جندل بن سهيل بن عمرو ردّه رسول الله ﷺ إلى المشركين عملاً بشروط الصلح رغم معارضة المسلمين ذلك.

بطلب من ذهب عثمان إلى مكة ؟

وكانت قريش قد دعت بعض المسلمين للطواف في الكعبة وزيارة مكة عنادا للنبي فلبى ذلك عبدالله بن أبي وعثمان بن عفان، فتدخل عبدالله بن عبدالله بن أبي

(١) البداية والنهاية ٤ / ١٩٠، سيرة ابن دحلان ١ / ٤٩٠ - ٤٩٥، ميون الأثر ٢ / ١٢٣ - ١٢٧، تاريخ الطبري ٢ / ٢٨٠، مغازي الذهبي ٣٧٠ - ٣٧٦، السيرة العلية ٢ / ١٠ - ١٥، سنن البخاري، كتاب المغازي، الأرشاد ١ / ١٢٠ - ١٢٣، تاريخ ابن الأثير ٢ / ٢٠٤ - ٢٠٨، سيرة ابن حبان ١ / ٢٨٠ - ٢٨٧.

(٢) المصادر السابقة.

(٣) المصادر السابقة.

(٤) مغازي الواقدي ١ / ٦٠٥.

فنع أباه، قائلاً: لا تفضحننا بكل موطن أتطوف ولم يطف رسول الله ﷺ؟
 قُرَويّ زيفاً أنّ عثمان كان موفداً مع عشرة مسلمين إلى مكة.
 فقال الحلبي: لم أقف على أسانهم^(١) ولم يقف على أسانهم سائر رجال الحديث
 والسيرة!

ولم يبايع رسول الله ﷺ بدلاً عنهم لزيف الموضوع!
 ان عثمان لم يكن موفداً من قبل رسول الله ﷺ، بل ذهب بنفسه إلى مكة بدعوة
 قرشية، في حين ردّ عبد الله بن أبي زعيم المنافقين دعوة قريش قائلاً:
 لا أطوف حتى يطوف رسول الله ﷺ^(٢).
 وكان عبد الله بن عبد الله بن أبي قد قال: يا رسول الله ﷺ أقتل أبي؟ فقال ﷺ:
 لا تقتل أباك^(٣).

إنّ العلاقة بين رسول الله ﷺ وعثمان قد ساءت بعد فرار عثمان عن معركتي بدر
 واحد ثم اخفائه جاسوس المشركين والممثل بحجة حمزة معاوية بن المغيرة بن أبي
 العاص، وقتله رقية ربيبة رسول الله ﷺ^(٤).

من جانب آخر توثقت علاقة عثمان بقريش لأفعاله السابقة.
 وتواترت أخبار غياب عثمان عن بيعة الرضوان في العصر الإسلامي الأول لذا
 قال الطبري لإخفاء الحقيقة: «إنّ الذي كان من أمر عثمان باطل»^(٥).
 ويعني بذلك ذهاب عثمان إلى مكة دون إذن رسول الله ﷺ وامتناعه عن بيعة
 الرضوان.

(١) السيرة الحلبيّة ١٦ / ٣.

(٢) سيرة ابن دحلان ١ / ٤٩٢.

(٣) تاريخ المدينة، ابن شبة ١ / ٣٦٥.

(٤) اقرأ هذا الموضوع في هذا الكتاب.

(٥) تاريخ الطبري ٢ / ٢٨٠.

وقال رجل لعبد الله بن عمر: انشدك بحرمة هذا البيت أتعلم أن عثمان تخلف عن بيعة الرضوان؟^(١) وهذا الأمر يبين فرار عثمان إلى مكة وانتشار هذا النبأ بين المسلمين ولكن الأمويين حاولوا طمس ذلك بالكاذب.

ومن الأكاذيب اشاعة مقتل عثمان ولا أدري من يقتله هناك أبو سفيان أم معاوية أم الحكم بن أبي العاص أم الوليد بن عقبة بن أبي معيط وهم قادة المشركين وجميعهم من بني أمية؟ وكيف يقتلوه وقد لبى دعوتهم عنادا لرسول الله ﷺ والمسلمين! لذا قال ابن عباس: اتقرن يا معاوية رجلاً غاب عن بدر ولم يشهد بيعة الرضوان وفر يوم التقي الجمعان، ابن مخنف قريش الذي لم يسلم سيفاً، ولم يدفع عن نفسه ضياءً إلى قريع العرب وفارسها وسيف النبوة وحارسها أكثرها علماً وأقدمها سلماً^(٢). وعيّر عبدالله بن مسعود عثمان بن عفان قبل مقتله قائلاً:

لستُ كذلك، ولكن صاحب رسول الله ﷺ يوم بدر ويوم بيعة الرضوان^(٣). مشيراً إلى غيابه في بدر والرضوان.

وأقدم عبد الرحمن بن عوف الزهري على تعيينه بذلك أمام الناس وانتشر الخبر في الآفاق وفي كتب المسلمين إذ قال لعثمان في المسجد النبوي أمام المسلمين: والله ما شهدت بدرًا، ولا بايعت تحت الشجرة، وفررت يوم حنين^(٤).

وقال رسول الله ﷺ: ولا تفرق يوم الزحف فإنه من فر يوم الزحف فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير^(٥).

(١) تفسير السيوطي ٢ / ٨٦، لسان العرب ١٣ / ٨٢، سنن البخاري ٤ / ٢٠٣، تفسير القرطبي ٤ / ٢٤٥.

البداية والنهاية ٤ / ٣٦، النهاية ١ / ١٩١.

(٢) أخبار الدولة العباسية ٤٩.

(٣) أنساب الأشراف ٥ / ٣٦، والقدير ٩ / ٣، المترشد، ابن جرير الطبري ١٦٤، المستدرک ٣ / ١٠٥.

(٤) البحار ٣١ / ٢٨٨، تاريخ المدينة المنورة ٣ / ١٠٣٦.

(٥) المستدرک الحاكم ٤ / ٤٤.

وقال المقداد بن عمرو في يوم الشورى أمام الناس جميعاً عن عثمان: لا تباعوا رجلاً لم يشهد بدرًا، ولم يبايع بيعة الرضوان وانهزم يوم أحد يوم التقى الجمعان. ويقصد به عثمان.

فقال عثمان: أم والله لن وليتها لأردنك إلى ربك الأول^(١)

وفعلًا وفي عثمان بقسمه وقتل المقداد في زمن حكمه!

وقال سالم بن عبد الله بن عمر: إنَّ عثمان لم يشهد البيعتين كليهما بيعة الرضوان وبيعة الفتح^(٢).

وبذلك يكون الصحابة عبد الله بن مسعود والمقداد بن عمرو وعبد الرحمن بن عوف وابن عباس قد عيَّروا عثمان أمام المسلمين بفراره في بدر واحد وبيعة الرضوان وبيعة فتح مكة، وايدهم الصحابة في هذا الموضوع.

وقال عبد الله بن مسعود: كنا نتذكر في أمر الدجال فقال رسول الله ﷺ: إنَّ في البيت لمن هو أشد على أمتي من الدجال، وقد مضى من كان في البيت يومئذٍ غيري وغير عثمان^(٣).

ولا يعقل عاقل أن يكون فرار عثمان من معارك بدر واحد وخيبر وحنين وبيعة الرضوان وبيعة الفتح قد حدث صدفة.

لذلك أحببت قريش عثمان أكثر من عمر، فهو الذي اخفى طاعيتي المشركين معاوية بن المغيرة بن أبي العاص وعبد الله بن أبي سرح^(٤). رغم ما في ذلك من خطورة على حياته وسمعته.

وقد يسأل القارئ اللبيب عن سبب طمس الحقائق وتغيير الوقائع في التاريخ

(١) الامالي، المنيد ١١٤، مسند أحمد ١٠١/٢، الصراط المستقيم ٣/٣٤، كتاب الاربعين، القمي الشيرازي ٥٨٧.

(٢) الفدير ١٠ / ٧١، الرياض النضرة ٢ / ٩٤.

(٣) البحار ٣١ / ٢٨٢.

(٤) المستدرک، الحاكم ٣ / ٤٨.

الإسلامي فنحيل جوابه هذه المرة إلى أبي هريرة الذي يجيب قائلاً:
 حفظت من رسول الله ﷺ وعاءين فأماً أحدهما فبشته وأماً الآخر فلو بشته
 قُطع هذا البلعوم^(١)!

ولطمس الحقيقة فقد نشر الامويون الكاذب منها:
 لقد وردت اشاعة قوية بمقتل عثمان بن عفان في مكة فصمم رسول الله ﷺ على
 حرب المشركين فاجرى بيعة الرضوان والراوي جراح بن المنهال أبو العطف
 الجزري وقد كذبه البخاري ومسلم وابن المديني والدارقطني والنسائي وابن حبان
 هذا اولاً، وكان شارباً للخمر ثانياً^(٢).

وفي رواية كاذبة اخرى أنّ رسول الله ﷺ ضرب بيسراه على يمينه بدل بيعة
 عثمان، وأنّ الكفار أخذوا عثمان وعشرة مسلمين رهناً وأخذ المسلمون سهيل بن
 عمرو رهناً^(٣)، الجواب: لم يبايع النبي ﷺ للمسلمين العشرة المراققين لعثمان ولم
 يذكر اهل التاريخ أسماءهم؟

بينما كانت علاقة عثمان بيني أمية متينة فهو من قبيلتهم اولاً، وابن عم أبي سفيان
 ثانياً، وثالثاً دفاع عثمان عنهم واخلاصه لهم بوقوفه إلى جانب معاوية بن المغيرة بن
 أبي العاص الممثل بمجد حمزة وجاسوس قريش في معركة احد باخفائه له في
 بيته^(٤).

والاسباب التي دعت إلى هذه الروايات الاموية الكاذبة هو ذهاب عثمان الى

(١) سنن البخاري ١ / ١٢٢ باب حفظ العلم ١١٨. والحلقوم مجرى النفس خروجاً ودخولاً والمرىء معر
 الطعام والشراب وهو تحت الحلقوم، والبلعوم تحت الحلقوم. أراد أبو هريرة بالوعاء الأول ما حفظه من
 احاديث عامة واما الثاني فما حفظه من اخبار الفتن واشراط الساعة وما أخبر به الرسول من فساد الدين
 على يد الأمويين وافعال الظلمة بحق أهل البيت ﷺ فقال أبو هريرة: لو شئت ان أسهم بأسمائهم.

(٢) لسان الميزان ٢ / ١٠٠.

(٣) البداية والنهاية ٤ / ٢٠٠ - ٢٠٣، تاريخ ابن خلدون ٢ / ٤٤٧، عيون الأثر ٢ / ١٢٣ - ١٢٦.

(٤) السيرة الحلبية ٢ / ٢٦٠، أنساب الاشراف ١ / ٣٣٧.

مكة للعمرة .

وقد بين الصحابة كذب الامويين يوم عدوا ذهاب عثمان الى مكة وفراره من بيعة الرضوان مثلبة من مثالبه وايد عثمان عصيانه بسكوته على اقوال الصحابة فيه.

بيعة الرضوان

ولما كان الرسول ﷺ يحمل راية الصلح والسلام في يد، ويحمل السيف في اليد الاخرى، تخويفاً وتهديداً لقريش نراه جمع أصحابه للبيعة تحت شجرة، فكانت بيعة الرضوان. فبايعوه بأجمعهم على الموت في نصرته وعلى أن لا يفترؤا، (وفيهم كهف المنافقين ابن سلول) لم يتخلف منهم إلا رجل يدعى الجعد بن قيس الانصاري وعثمان ابن عفان.^(١)

وأقام رسول الله ﷺ والمسلمون في الحديبية بضعة عشر يوماً^(٢) ومن شدة حب المسلمين لبيعة الرضوان كانوا يصلون عند تلك الشجرة عند ما يمرون بها فأمر عمر بقطعها^(٣) وبعد بيعة الرجال جرت بيعة النساء، وكانت بيعة النساء لرسول الله ﷺ تتمثل في أمره أمير المؤمنين علياً عليه السلام في طرح ثوب للنساء ثم مسح به، فكانت مبايعتهن للنبي ﷺ بمسح الثوب^(٤).

ومثلما تمهد الرسول ﷺ بالصلح مع قريش، فقد وافق على شروطهم للسلام لحكمة إلهية. ولأجل اعتقاد المسلمين بنبوة محمد ﷺ، وحكمته، وأفعاله المسددة

(١) راجع البداية والنهاية ٤ / ٣١، ٣٢، السيرة الحلبيّة ٢ / ٩، السيرة النبوية، دحلان المرفقة بسيرة العلي

١٦٥ - ١٨٣.

(٢) صيون الأثر ٢ / ١٢٥.

(٣) صيون الأثر ٢ / ١٢٥.

(٤) الأرشاد، ١ / ١١٩.

من الله تعالى فقد سكتوا، ورضوا بشروط الهدنة^(١).

إعتراض علي بنود صلح الحديبية

لقد فرح رسول الله ﷺ بقدوم سهيل بن عمرو ممثلاً لقريش لمعرفة برغبة سهيل في الصلح وفعلاً كان سهيل مخولاً في إمضاء عقد الصلح وعرف عمر بن الخطاب بذلك أيضاً فغضب ورغب في اغتيال سهيل وستلاحظ في الموضوع القادم أنه أغرى ابنه بقتله لماذا؟

الجواب: إن عمر أحب قريشاً ولا يرغب بانتصار أحد عليها لذا رفض سفارة سهيل ورغب في سفارة رجل متشدد من قريش يقف أمام طموحات المسلمين في فتح مكة عنوة.

واستمر عمر في كرهه لسهيل بن عمرو رغم موقفه الشريف في الحديبية وبعد مقتل رسول الله ﷺ إذ ارتد القرشيون وثبت سهيل ودعاهم للإسلام.

لذلك لم يعين عمر في زمن حكمه سهيلاً في أي منصب ولم يهتم به وأخرجه إلى الشام جندياً عادياً مات فيها في ظروف غامضة فقتل وقيل مات بالطاعون^(٢).

وكان الطرف الإسلامي يؤد الصلح وكذلك بعض القرشيين وخزاعة والأحباش وزعيم ثقيف. وهذه الجبهة هي التي أجبرت قريشاً على الصلح.

وكان قادة قريش وجواسيسهم يؤدون الحرب لاعتقادهم بأن الخاسر فيها هم المسلمون!

وبعد الصلح خالف عمر بن الخطاب تلك الشروط إذ جاء في تفسير عبد الرحمن السيوطي في تفسير سورة الفتح: فقال عمر بن الخطاب:

ما شككت منذ أسلمت إلّا يومئذ، فأتيت النبي ﷺ فقلت: ألسنت نبي الله؟

(١) راجع تاريخ اليعقوبي ٥٥/٢ والسيرة العلية ١٩/٢.

(٢) اسد الغابة ٤٨٠/٢.

قال: بلى.

قلت: ألسنا على الحق، وعدونا على الباطل؟

قال: بلى.

قلت: فلم نعطي الدنية في ديننا إذن؟

قال: إني رسول الله ولست أعصيه وهو ناصري.

قلت: أو ليس كنت تعدّتنا: أنا سنأتي البيت ونطوف به.

قال: بلى، أفاخبرت أنك تأتیه العام؟

قلت: لا.

قال ﷺ: إنك آتیه ومطوف به^(١).

أما عمر فقد غفل عن كل هذا، وأخذ يعامل الرسول ﷺ كرجل عادي، وهو غافل عن كونه رسول الله ﷺ إذ أخذته الحمية في هذا الجبال وغضب، فقال: يا أبا بكر: أليس هو رسول الله؟

قال: بلى.

قال أولسنا بالمسلمين؟ قال: بلى.

قال: أليسوا بالمشرّكين؟ قال: بلى.

قال: فعلى مّ نعطي الدنية في ديننا.

فقال له أبو بكر: أيها الرجل إنّه رسول الله، وليس يعصي ربه، وهو ناصره استمسك بغرزه (أي استمسك بطاعته) حتّى تموت فأني أشهد إنّه رسول الله^(٢).

وأخرج البخاري - في آخر كتاب الشروط من صحيحه - حديثاً جاء فيه، أنه قال: فقلت ألسنت نبی الله حقاً؟ قال: بلى. قلت: ألسنا على الحق وعدونا على الباطل.

قال: بلى. قلت: فلم نعطي الدنية في ديننا إذا؟

(١) المغازي، الواقدي ١/٦٠٧.

(٢) السيرة الحلبية، ج ٢/١٩٠ السيرة النبوية، دحلان، المرفقة بسيرة الحلبي ١٦٥/٢ - ١٨٣.

قال ﷺ: إني رسول الله ولست أعصيه وهو ناصري.

قلت: أوليس كنت تحدثنا أننا سنأتي البيت فنطوف به.

قال ﷺ: بلى! أفأخبرتك أننا نأتيه العام؟

قلت: لا.

قال ﷺ: فإنك آتية ومطوف به^(١).

قال عمر: فأتيت أبا بكر فقلت: يا أبا بكر أليس هذا نبي الله حقاً؟

قال: بلى!

قلت: ألسنا على الحق وعدونا على الباطل؟

قال: بلى. قلت: فلم نمطي الدينية في ديننا إذا؟

قال: أيها الرجل إنه لرسول الله، وليس يعصي ربّه، وهو ناصره، فاستمسك

بفرزه، فوالله إنه لعلى الحق.

فقلت: أليس كان يحدثنا أننا سنأتي البيت ونطوف به؟ قال: بلى. أفأخبرك أنك

تأتيه العام؟ قلت: لا. قال: فإنك آتية ومطوف به.

قال عمر: فعملت لذلك أهمالاً^(٢) (ضد صلح الحديبية) فغضب رسول

الله ﷺ إذ قال البخاري: إن رسول الله كان يسير في بعض أسفاره في العودة من

الحديبية، وكان عمر بن الخطاب يسير معه ليلاً، فسأله عمر بن الخطاب عن شيء،

فلم يجبه رسول الله ﷺ، ثم سأله فلم يجبه، ثم سأله فلم يجبه.

فقال عمر بن الخطاب: ثكلتك أمك يا عمر نزلت رسول الله ﷺ ثلاث مرّات

كل ذلك ولا يجيبك.

(١) فلما كان عام الفتح وأخذ المفتاح قال ﷺ: - كما في السيرة العلية - ادعوا لي عمر بن الخطاب فلما أتاه

قال: يا عمر هذا الذي قلت لكم، ولما كان في حجة الوداع ووقف ﷺ بعرفة استدعى عمر أيضاً فقال له:

هذا الذي قلت لكم، صحيح البخاري، آخر كتاب الشروط.

(٢) سيرة الحلي في غزوة الحديبية، البداية والنهاية، ابن كثير ٢٠٠/٤.

قال عمر: فحركت بعيري ثم تقدمت أمام المسلمين، وخشيت أن ينزل في قرآن..^(١) وكانت هذه الحادثة عند نزول سورة الفتح بعد عودة النبي ﷺ والمسلمين من الحديبية^(٢).

وقد بلغ غضب النبي ﷺ على عمر وأعماله أنه ﷺ لم يكلم عمر، وترك اسئلته ثلاث مرّات.

وقال الشعبي في قوله تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾^(٣) هو فتح الحديبية، لقد أصاب فيها مالم يهبط في غزوة^(٤) كذلك قال الترمذي وابن مسعود والفرء والضحاك ومجاهد^(٥).

والأعمال التي قام بها عمر لاحقاً ضد صلح الحديبية المتضمنة لبيعة الرضوان وتبين حقه على هذه المعاهدة! هي:

قطع شجرة الرضوان التي بايع المسلمون تحتها رسول الله ﷺ^(٦) وهدّد كل من صلّى عندها! فلاحظ اتفاق وجهة نظر عثمان وعمر في قضية الحديبية فعثمان لم يبايع فيها، وعمر منع الناس من الصلاة تحت الشجرة ثمّ قطعها لما رأى عدم الكفّ عن الصلاة تحتها. والسبب يكمن في عدم رغبة عمر في فتح مكة عنوةً ورغب الكافرون والمنافقون يومها في الحرب لقلّة عدد وعدّة المسلمين. ولأنّ الفتح يقلل من احترام قريش بين قبائل العرب. وهو منطق زعماء مكة.

ودعا عمر أبا جندل لقتل أبيه سهيل بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ود

(١) البداية والنهاية، ابن كثير الدمشقي ٢٠٢/٤، دار احياء التراث العربي - بيروت، تفسير ابن كثير، سورة الفتح ٢٩٦/٤، ورواه الترمذي والنسائي، دار احياء التراث العربي، بيروت.

(٢) تفسير الكشاف، الزمخشري ٣٣١/٤، سورة الفتح.

(٣) الفتح: ١.

(٤) تفسير القرطبي ٢٦٠/١٦.

(٥) المصدر السابق.

(٦) شرح نهج البلاغة ٥٩/١.

العامري^(١). وقال ما شككت إلا يومئذ^(٢). وقال عمر في خلافته لابن عباس عن صلح الحديبية: ارتبت ارتياباً لم أرتبه منذ أسلمتُ إلا يومئذ، ولو وجدت ذلك اليوم شيعةً تخرج عنهم رغبة عن القضية لخرجت^(٣).
أي إن عمر لو وجد انصاراً لثار بهم على النبي محمد ﷺ وعلى الإسلام! لأنه ارتاب في ذلك اليوم وشكك في صحة رسالة النبي ﷺ! كما قال^(٤).
فخاف عمر من أن يفضحه الله تعالى فقال: خشيت أن ينزل في قرآن^(٥).
ولما جعل عمر يردُّ على رسول الله ﷺ الكلام قال له أبو عبيدة بن الجراح: ألا تسمع يا ابن الخطاب رسول الله ﷺ ما يقول، نعوذ بالله من الشيطان الرجيم.
فقال الرسول ﷺ يومئذ: يا عمر إنِّي رضيت وتأبى؟^(٦)

شروط الصلح

ولما اتفق رسول الله ﷺ وسهيل بن عمرو على وثيقة الصلح دعا رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب ﷺ فقال: اكتب بسم الله الرحمن الرحيم فقال سهيل: لا أعرف هذا ولكن اكتب باسمك اللهم.
وقال رسول الله ﷺ: اكتب باسمك اللهم هذا ما صالح عليه محمد رسول الله ﷺ وسهيل بن عمرو.
فقال سهيل: لو شهدت إنك رسول الله ﷺ لم أقاتلك، ولكن اكتب محمد بن عبد الله. ولم يحها علي ﷺ فحأها رسول الله ﷺ بيده وقال لعلي: تدعى لمثلها فتجيب.

(١) السيرة الدحلانية ١/٤٨٨-٤٩٤.

(٢) تفسير السيوطي سورة الفتح.

(٣) مغازي الواقدي ٦٠٧/١، موضوع غزوة الحديبية.

(٤) تاريخ الغميس ٢/٢٠، البداية والنهاية ٤/٢٠١-٢٠٣.

(٥) البداية والنهاية، ابن كثير ٢/٢٠٢.

(٦) النص والاجتهاد ١٧٤.

فكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله وسهيل بن عمرو^(١). وكان الصلح على أن يرجع رسول الله ﷺ بأصحابه من الحديبية فإذا كان العام القابل، تخرج قريش من مكة، فيدخلها رسول الله ﷺ بأصحابه، فيقيم بها ثلاثاً، وليس معه من السلاح سوى السيوف في القرب والقوس. وأن توضع الحرب بينه وبينهم ثلاث سنين^(٢)، يأمن فيها الناس، ويكف فيها بعضهم عن بعض.

وأنه من أحب من العرب أن يدخل في عقد محمد وعهده دخل فيه، ومن أحب أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فيه. وأن يكون بين الفريقين عيبة مكفوفة (أي صدور منطوية على ما فيها لا تبدي عداوة) وإنه لا إسلال ولا إغلال (أي لا سرقة ولا خيانة). وأنه من أتى محمداً من قريش ممن هو على دين محمد بغير إذن وليه رد إليه، ومن أتى قريشاً ممن مع محمد فارتد عن الإسلام لا ترده قريش إليه، فقال المسلمون: سبحان الله كيف نرد للمشركين من جاءنا منهم مسلماً، وعظم عليهم هذا الشرط.

فقالوا يا رسول الله: اتكتب هذا على نفسك؟ قال: نعم إنّه من ذهب منّا مرتداً أبعد الله، ومن جاءنا مسلماً فرددناه إليهم سيجعل الله له فرجاً ومخرجاً^(٣).

وطالب سهيل بشرط صعب الا وهو إرجاع العبيد الفارين إلى مالكيهم مثل بلال الحبشي وعمار بن ياسر قائلًا: يا محمد إن أرقاءنا لحقوا بك فارددهم علينا.

(١) الأرشاد ١ / ١٢٠ - ١٢٢، سيرة ابن حبان ١ / ٢٨١ - ٢٨٤.

(٢) قال البقوي ثلاث سنين ١ / ٥٤، وقال موسى بن هبة سنتين، حيون الأثر ٢ / ١٢٨، وقالوا حشر سنين السيرة الحلبية ٣ / ١٢ - ٢٠.

(٣) تاريخ ابن الأثير ٢ / ٢٠٥، التنبيه والإشراف ٢٢١، حيون الأثر ٢ / ١٢٠، البداية والنهاية ٢٠١ - ٢٠٥.

فغضب رسول الله ﷺ حتى تبين الغضب في وجهه ثم التفت إلى أبي بكر وعمر فقال لهما: ما تقولان؟

قالا: صدق الرجل.

فتغير وجه رسول الله ﷺ والتفت إلى الوفد وقال ﷺ:

لنتنهنّ أو لبيعث الله عليكم رجلاً امتحن الله قلبه للايمان يضرب رقابكم على الدين.

فقال بعض من حضر: يا رسول الله ﷺ أبو بكر ذلك الرجل؟

قال ﷺ: لا.

قيل: فعمر.

قال ﷺ: لا ولكنه خاصف النمل في الحجرة فتبادر الناس ينظرون من الرجل؟ فاذا هو أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب عليه السلام^(١).

ولو عاد بلال وعمار وصحبهم لقتلهم المشركون بمن قتلوا في بدر واحداً وبينما رسول الله ﷺ هو وسهيل بن عمرو بن عبد ود العامري يكتبان الكتاب بالشروط المذكورة، إذ جاء أبو جندل - واسمه العاص - بن عمرو بن عبد ود العامري الى المسلمين، يرسف في قيوده.

وكان أسلم بمكة قبل ذلك، فنمعه أبوه من الهجرة وحبسه موثوقاً، وحين سمع أن النبي ﷺ وأصحابه في المدينة، احتال حتى خرج من السجن.

وتنكب الطريق في الجبال حتى هبط على المسلمين ففرحوا به وتلقّوه، لكن أخذ أبوه بتلابيبه يضرب وجهه ضرباً شديداً (والمسلمون ييكون رحمة له) وهو يقول: يا محمد هذا أول ما أقاضيك عليه، أن ترده إليّ.

(١) اعلام الوري ١٩١، الأرشاد ١/ ١٢٣، المستدرک، الحاكم ٤/ ٢٩٨، تاريخ بغداد ١/ ١٣٣، البحار ٢٠/ ٣٦٠، مصباح الانوار ١٢١، سنن الترمذي ج ٢، كنز العمال ٦/ ٤٠٧، خصائص النسائي ١١، فضائل الخمسة في الصحاح الستة ٢/ ٣٣٧.

فقال له النبي ﷺ: إنا حتى الآن لم نفرغ من كتابة الكتاب. قال سهيل: إذا لا أصالحك على شيء. فقال له النبي ﷺ: فأجره لي.

قال: ما أنا بمجير لك.

قال: بلى فافعل.

قال: ما أنا بفاعل.

فقال مكرز بن حفص وحويطب بن عبد العزى، وهما من وجوه قريش. قد أجرناه لك يا محمد، فاخذاه وأدخلاه فسطاطاً وكفأ أباه عنه.

ثم قال سهيل: يا محمد: قد تمت القضية ووجبت بيني وبينك قبل ان يأتي ابني اليك.

قال: صدقت. وحينئذ قال ﷺ لابي جندل: اصبر واحتسب فقد تم الصلح قبل أن تأتي، ونحن لا نندر وقد تطفنا بأبيك فأبى، وإن الله جاعل لك ولن معك من المستضعفين فرجاً ومخرجاً^(١).

فدخلت قبيلة خزاعة في عهد محمد رسول الله ﷺ ودخلت بنو بكر في عهد قريش، فأمن الناس لمدة سنتين ودخل في الدين في تينك السنتين ما دخل فيه قبل ذلك واكثر^(٢).

وكان رسول الله ﷺ والمسلمون قد أحرموا من ذي الحليفة فقلد ﷺ الهدى وأشعره وبعد إمضاء العقد قال رسول الله ﷺ: يا أيها الناس اجعلوها عمرة فانعمروا واحلقوا فحمر رسول الله ﷺ هديه ثم حلق فقام الناس ينحرون ويحلقون^(٣).

وكان عثمان بن عفان وأبو قتادة الانصاري ممن لم يحلقا عناداً لأمر رسول

(١) السيرة الدحلانية، الكامل في التاريخ، ابن الأثير ٢/ ٢٠٥.

(٢) ابن الأثير ٢/ ٢٠٥.

(٣) عيون الأثر ١/ ١٢٢.

الله ﷺ^(١).

وقد اعتمر رسول الله ﷺ من المدينة أربع مرات: عمرة من الحديبية في ذي القعدة في السنة السادسة وعمرة في السنة السابعة في ذي القعدة، وعمرة من الجعرانة في ذي القعدة بعد تقسيم غنائم حنين في السنة الثامنة، وعمرة مع حجته في السنة العاشرة.

والمعجب في رواية البخاري التي أورد فيها محاولة رسول الله ﷺ المجهوم على نساء واطفال قريش في الحديبية ونصيحة أبي بكر باجتناّب ذلك^(٢) ولا أدري لماذا يكره البخاري رسول الله ﷺ إلى هذا الحد؟

والحزب القرشي أراد دائماً اتهام النبي ﷺ بعدم الوفاء والغدر ففشل ودحر ومن الحوادث المهمة تعجب الناس من بئر الحديبية التي كانت تقطر فأصبحت تجري بالماء فقال عبد الله بن أبي: ما رأيت مثلها.

وقال أبو سفيان متعجباً: ما رأينا كالיום قط وهذا من سحر محمد^(٣) وقال عمر: ما شككت إلا يومئذ واستنكر عمر قول النبي ﷺ بالجيء للبيت والطواف به^(٤).

من حرض على قتل سفير قريش؟

ولما تمّ الصلح وقال النبي ﷺ: نحن لا نخدر، وبشّر أبا جندل بالفرج له ولأصحابه، وثب عمر بن الخطاب إلى أبي جندل يخبره بقتل أبيه، ويدني إليه السيف.

(١) ميون الأثر ٢ / ١٢٢ سيرة ابن حبان ١ / ٢٨٣ - ٢٨٥، التنبيه والاضراف ٢٢١.

(٢) سنن البخاري، كتاب المغازي، البداية والنهاية ٤ / ١٩٨.

(٣) السيرة الحلبيّة ٣ / ١٢.

(٤) سنن البخاري، آخر كتاب الشروط، مغازي الواقدي ١ / ٦٠٧، غزوة الحديبية، مغازي الذهبي ٣٧١.

قال عمر - كما في السيرة الدحلانية وغيرها - رجوت أن يأخذ السيف فيضرب به أباه، وجعل يقول له: إن الرجل يقتل أباه، والله لو أدركنا آباءنا لقتلناهم. لكنّ أبا جندل لم يجبه إلى قتل أبيه خشية الفتنة، وعملاً بما أمره به رسول الله ﷺ من الصبر والاحتساب.

وقال لعمر: مالك لا تقتله أنت؟

قال عمر: نهانا رسول الله عن قتله وقتل غيره.

فقال أبو جندل: ما أنت أحق بطاعة رسول الله مني^(١).

فلاحظ من ذلك أنّ حلم أبي جندل أكثر من حلم عمر، وأنّ عمر تصرف تصرفاً شخصياً وهو يعرف عاقبة الأمور. إذ لو أقدم أبو جندل على قتل أبيه لحدث فتنة بين الفريقين تطول مدتها، والنبي ﷺ يريد فتح مكة بأسهل الطرق واقصرها مدةً.

واعتقد أبو جندل بأن عمر أراد الفتنة لمنع فتح مكة هنوء إذ كيف تمرّ حادثة مقتل سهيل بن عمرو بن هب ود العامري بسهولة. وكيف لا تفهمها قريش غدراً من النبي ﷺ وأصحابه.

وسهيل سفير قريش، والسفير لا يقتل، لذلك لم يقتل كسرى الفرس الكافر سفير النبي محمد ﷺ، بل قال: لو كان السفير يقتل لقتلته...؟! فهل يكون النبي ﷺ دون كسرى في الوفاء بالعهود والأعراف والعياذ بالله!!

وقد رفض عمر بنود صلح الحديبية، وقال ما شككت إلّا يومئذ وعملت لذلك أعمالاً، فكان طلبه قتل سفير قريش نابعاً من رغبته في تحطيم معاهدة الحديبية؟ وبينما قال تعالى عن فتح الحديبية: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾^(٢) قال عمر عن

(١) السيرة الدحلانية المرفقة بسيرة العلوي ١٦٥/٢ - ١٨٣، تاريخ ابن الأثير ٢/٥٠٥.

(٢) دلائل النبوة، البيهقي ١٥١/٤.

فتح الحديبية: ما هذا بفتح^(١).

ومن خلال ترغيبه ومساعدته على قتل سفير قريش، ورئيس وفداه، وأحد وجوهها البارزين، نتذكر ما صمَّم عليه عمر في مكة قبل إعلان إسلامه من نية وعزمه على قتل النبي ﷺ، ونتذكر طلبه من أبي بكر الأقدام على قتل علي عليه السلام بعد حادثة السقيفة، وطلبه من جماعته قتل سعد بن عباد (رئيس الانصار)^(٢).

إنَّ سبب امتناع عمر عن قتل سفير قريش بنفسه، وطلبه من أبي جندل الأقدام على ذلك، يعود إلى معرفة عمر بمقتل القاتل حتماً.

وأي معاهدة صلح تصوّرُها عمر، تبدأ بقتل أحد الموقعين عليها، وفي داخل سقيفة المفاوضات وقبل جفاف حبر الوثيقة؟

وكما توقع النبي ﷺ فقد أصبح الصلح مفتاحاً لنشر الإسلام وتعاليمه في مكة، على أثر زيارة المسلمين لها وزيارة الكفار للمدينة... فبعد هذه الزيارات سقطت أغشية الحقد والكراهية، وبسقوطها سقط هبل واللات والعزى، فاطلع الكفار على خلق النبي ﷺ الكريم، وعظم صفاته، وكال شريعته، وأنهبوا ببركة الاسلام، وأمنه، واحكامه الغراء، وما فتحة الله عليهم من مدن وارضى واسعة. وهذه الأسباب هي التي ساعدت على فتح مكة بعد سنتين من صلح الحديبية، ففتحتها الرسول ﷺ مظفراً عزيزاً، بعد ان زارها للعمرة مع صحبه في السنة السابعة للهجرة!؟

ولا يعني هذا عدم قدرة الرسول ﷺ على فتح مكة في السنة السادسة للهجرة، بل أراد الله سبحانه أن يبين أن الحرب ليست المفتاح الوحيد لنشر الإسلام وفتح الدول. وأراد تعالى فتح مكة للمسلمين عنوة ودون اراقة دماء.

(١) تفسير القرطبي ١٢/٢٦٠ الدر المنثور ٦/٦٨ النص والاجتهاد.

(٢) الإمامة والسياسة ٧/٢-١٥.

وقد بين الله سبحانه قدرة المسلمين على فتح البلدان قائلاً:

﴿وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّوْا الْأَذْيَارَ ثُمَّ لَا يَعِدُّونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾^(١)

ولما رجعوا من وقعة الحديبية نزلت عليهم سورة الفتح:

﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾^(٢).

وإن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم فمن نكث فإنما

ينكث على نفسه ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجراً عظيماً^(٣).

إذ وعد الله تعالى رسوله بفتح مكة وفعلًا تم ذلك وفتحت مكة وعظمت

أصنامها.

وكانت يبعثهم على الموت في سبيل الله على أن لهم الجنة:

﴿سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انْطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ﴾^(٤)

لذا لم يسمع رسول الله ﷺ للمتخلفين عن غزوة الحديبية المجيء معه إلى غزوة

خير وقالوا عن فتح الحديبية: ما فتح الله فتحاً قبله كان أعظم منه، إذ انتشرت

الدعوة الإسلامية في أراضٍ شبه جزيرة العرب بسهولة^(٥).

حصول فوج للمستضعفين

وكان في المستضعفين المعذبين في مكة رجل من أبطال المسلمين يدعى أبا

بصير (عتبة بن أسد بن جارية)، احتال حتى خرج من السجن، ففر هارباً إلى

رسول الله ﷺ، وهو في المدينة بعد رجوعه ﷺ من الحديبية، فكتب قريش في

(١) الفتح، ٢٢.

(٢) الفتح: ١.

(٣) الفتح: ١٠.

(٤) الفتح: ١٥.

(٥) سنن مسلم ١٤١٢/٣ - ١٤١٦، مغازي الذهبي ٣٩٤ - ٤٠٠.

ردّه كتاباً بعثت به رجلاً من بني عامر، يقال له خنيس، ومعه مولى يهديه الطريق، فقدم ما على رسول الله ﷺ بالكتاب فإذا فيه:

«قد عرفت ما شارطناك عليه من ردّ من قدم عليك من أبنائنا، فابعث إلينا أبا بصير» فقال النبي ﷺ: يا أبا بصير، إنا قد أعطينا هؤلاء القوم ما قد علمت، ولا يصح القدر، فإنّ الله تعالى جاعل لك ومن معك من المستضعفين فرجاً ومخرجاً، فانطلق راشداً.

قال: يا رسول الله إنهم يفتنونني عن ديني.

قال ﷺ: يا أبا بصير إنطلق؛ فإنّ الله سيجعل لك ولمن حولك من المستضعفين فرجاً ومخرجاً، فودّع الرجل رسول الله ﷺ وانطلق معها، حتّى إذا كانوا بذى الحليفة جلس إلى الجدار ومعه صاحبا.

فقال لاحدهما: أصارم سيفك هذا يا أخا بني عامر؟ قال: نعم.

قال أبو بصير: أرنيه فنأوله إياه فاستله أبو بصير ثم علاه فإذا هو يتشحّط بدمه. ثم همّ بالثاني فهرب منه، حتّى أتى رسول الله ﷺ.

فلما رآه النبي ﷺ والحصى يطير من تحت قدميه من شدة عدوه، وأبو بصير في أثره قال ﷺ: قد رأى هذا دُعراً فلما انتهى إلى النبي قال له ﷺ: ويحك مالك؟ قال: إنّ صاحبك قتل صاحبي، وأقلت منه ولم أكّد، وأني لمقتول فأعثنى يا محمد، فأمنه رسول الله، وإذا بأبي بصير يدخل متوشحاً سيفه يقول: بأبي أنت وأُمّي يا رسول الله وفيت ذمتك أسلمتني بيد القوم، وقد أمتعت منهم ديني، أن أفتن فيه أو يفتن بي.

فقال ﷺ له: إذهب حيث شئت. فقال: يا رسول الله ﷺ هذا سلب العامري الذي قتلته، رحله وسيفه فخّمسه.

فقال له رسول الله ﷺ: إذا خُستَ رأوفي لم أوف لهم بالذي عاهدتهم عليه، ولكن شأنك بسلب صاحبك، وعند ذلك ذهب أبو بصير إلى محلي من طريق تمر به عيرات قريش، واجتمع إليه جمع من المسلمين المستضعفين، الذين كانوا قد احتبسوا بمكة إذ بلغهم خبره.

وإن رسول الله ﷺ قال في حقّه «إنّه مسعر حرب لو كان معه رجال، فتسلّلوا حينئذ إليه، وانقلت أبو جندل بن سهل بن عمرو، وخرج من مكة في سبعين فارساً أسلموا، فلاحقوا بأبي بصير، وكرهوا أن يقدموا على رسول الله في تلك المدة -مدة المهادنة- وانضم إليهم ناس من غفار وجهينة وأسلم، وطوائف آخر من العرب حتّى بلغوا ثلاثمائة مقاتل فقطعوا مائة قريش، لا يظفرون بأحد منها إلّا قتلوه، ولا مرّ بهم غير إلّا أخذوها، ومنعوا الدخول إلى مكة والخروج منها.

فاضطرت قريش أن تكتب لرسول الله تسألّه بالأرحام التي بينه وبينها، ألا آوهم، وأرسلت أبا سفيان بن حرب في ذلك، فأبلغه أبو سفيان: أنّا أسقطنا هذا الشرط من شروط الهدنة، فن جاءك منهم فامسكه من غير حرج.

وحينئذ كتب رسول الله ﷺ إلى أبي جندل وأبي بصير أن يقدموا عليه، وأن يلحق من معها من المسلمين بأهلهم، ولا يتعرضوا لأحد مرّ بهم من قريش، ولا لعيراتهم، فقدم كتاب رسول الله ﷺ عليهما وأبو بصير يموت فأتى بالكتاب في يده، فدفنه أبو جندل مكانه، وجعل عند قبره مسجداً.

وقدم أبو جندل على رسول الله ﷺ مع ناس من أصحابه، ورجع باقيهم إلى أهلهم، وأمنت قريش على عيراتهم.

وبعد سنة على صلح الحديبية جاء رسول الله والمسلمون إلى مكة للعمرة، فاخلتها قريش ثلاثة أيّام^(١).

وحينئذ عرف الصحابة الذين عظم عليهم ردُّ أبي جندل إلى قريش مع أبيه أن طاعة رسول الله ﷺ خير مما أحبه، وعلموا أنَّ الحكمة كانت في الحديبية، وأنه لا ينطق عن الهوى^(١).

ونفهم من ذلك حكمة النبي ﷺ في أفكاره وأقواله وأعماله، وإنَّ الله سبحانه ناصر المسلمين، ومخالفة البعض للنبي ﷺ نابعة من قصر نظرهم، وضعف حكمتهم. ولكن بالرغم من تلك الانتصارات وفتح مكة استمر البعض في معارضة رسول الله ﷺ!

غضب الحزب القرشي لمديح النبي ﷺ في الحديبية

غضبت عصابة قريش في الحديبية لقول النبي ﷺ في علي ﷺ: هذا أمير البررة، قاتل الفجرة منصور من نصره، مخذول من خذله^(٢). وأمره ﷺ في بيعة الرضوان الناس بالسلام على علي ﷺ بإمرة المؤمنين^(٣).

وكان رسول الله ﷺ قد قال: النظر إلى علي عبادة^(٤).

فعارض الحزب القرشي ذلك وحزنوا وغضبوا، فحاول عمر نقض معاهدة الحديبية بطلبه قتل سفير قريش سهيل بن عمرو بن عبد ود العامري.

وفرَّ عثمان من بيعة الحديبية (الرضوان)^(٥)، فلم يبايع النبي ﷺ، مما حدا بعبد

(١) النص والإجماع لعبد الحسين شرف الدين الموسوي ١٩٤، الكامل في التاريخ، ابن الأثير ٢٠٤/٢ -

٢٠٦، المغازي، الواقدي ٦٨/١.

(٢) مختصر تاريخ دمشق، ابن عساكر ١٧/٣٥٦.

(٣) الأُمالي المفيد: ٣٣١.

(٤) مستدرك الحاكم ٣/١٥٢.

(٥) السيرة الحلبية ٢/١٩، السيرة النبوية، دحلان المرفقة بسيرة الحلبي ٢/١٦٥ - ١٨٣، البداية والنهاية، ابن

كثير ٤/٢٠٠، تفسير ابن كثير ١/٦٥٢.

الرحمن بن عوف إلى فضحه في أيام حكمه^(١).

وفي الطائف بعد معركة حنين لما أطال الرسول ﷺ مناجاة علي عليه السلام رأى الكراهية في وجوه رجال، فقالوا: قد أطال مناجاته منذ اليوم^(٢). فقال النبي ﷺ: ما أنا بالذي انتجيته بل الله انتجاه^(٣).

وأخطر شيء رفضه الحزب القرشي هو الخلافة لعلي عليه السلام لذلك أرادوا قتل النبي ﷺ في حملة تبوك لقوله ﷺ علي مني مثل هارون من موسى^(٤) وثاروا في حجة الوداع لأنه ذكر حديث الثقلين وخلافة علي وأولاده الخلفاء الأحد عشر من قريش^(٥).

الدلائل والعبر

انتشرت رؤيا رسول الله ﷺ في زيارته والمسلمين بيت الله الحرام قبل صلح الحديبية في شبه جزيرة العرب، وكان المسلمون في شوق لزيارة البيت الحرام بعد صد عنه دام ست سنوات. فخرج المسلمون إلى مكة واحرموا من المحففة. فحاول زعماء مكة منعه والمسلمين من ذلك وقرروا الدخول معه في حرب فخرج عكرمة بن أبي جهل في خمسمائة رجل. وخرج خالد بن الوليد في مئتي رجل. فانحرف عنهم رسول الله ﷺ والمسلمون وسلكوا ارضاً صعبة وجرداء. فخاف المشركون على مكة فرجعوا للدفاع عنها.

(١) السيرة الحلبيه ١٩/٢، السيرة النبوية، دحلان العرفقة بسيرة الحلبي ١٦٥/٢ - ١٨٣، البداية والنهاية، ابن كثير ٢٠٠/٤، تفسير ابن كثير ٦٥٧/١.

(٢) مختصر تاريخ دمشق، ابن عساكر ٣٧٨/١٧، ٣٧٩.

(٣) راجع موضوع اغتيال النبي ﷺ في نهاية الكتاب.

(٤) راجع غزوة تبوك.

(٥) ستقرأ، في موضوع حجة الوداع في هذا الكتاب.

واستمر الرسول ﷺ في تصميمه على الصلح، وقبل توقيع عقد السلام حاول عمر بن الخطاب قتل سفير قريش بتقديمه سيفه إلى أبي جندل فامتنع هذا بالناية الإلهية.

فالإصرار النبوي على السلام ودعاؤه ﷺ في هذا السبيل هو الذي مكّنه من الحصول على النصر الإلهي فنزلت ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾^(١). واثبت رسول الله ﷺ أن الحرب ليست الطريق الوحيد للوصول إلى الأهداف بل قد يكون السلام أفضل وأسهل.

فقال عمر لرسول الله ﷺ: أين الرؤيا؟ في محاولة منه لإحراج رسول الله ﷺ. فقال تعالى: ﴿لَقَدْ صَدَّقَ اللَّهُ رَسُولَهُ بِالرُّؤْيَا بِالْحَقِّ...﴾^(٢). وكان السلام في صالح الإسلام والمسلمين فانتشر التبليغ الإسلامي في كل مكان ودخل الناس في الدين الجديد.

وفي أيام السلم توجهت قريش إلى التجارة للحصول على الأموال فتحركت قوافلها إلى الشام ولكن المسلمين القارين من مكة بقيادة أبي جندل وأبي بصير سرعان ما قتلوا رجالها وسلبوا امتعتها واستمر ذلك الوضع إلى شهور عديدة.

في حين توجه المسلمون لنشر الإسلام بروح عالية وأخلاق سامية فنجحوا في ذلك نجاحاً باهراً. أي توجهت قريش نحو المال وتوجه الرسول ﷺ نحو الإنسان. وكان المسلمون الحاضرون في الحديبية سبعائة رجل، وبعد سنتين على بيعة الحديبية أي في السنة الثامنة للهجرة جاء المسلمون بعشرة آلاف مقاتل لفتح مكة فلم تتمكن قريش من الوقوف في طريقهم.

ومن المظاهر الأخلاقية لرسول الله ﷺ أنه لم يجرح أحداً بكلمة نابية بينما أهان

(١) الفتح ١.

(٢) الفتح ٢٧.

أبو بكر عروة بن مسعود الثقفي قائلاً: امصص بظر اللات^(١).

وعروة سيد ثقيف وقد أسلم فحسن اسلامه فقتله قومه فراح شهيداً واحترم عروة رسول الله ﷺ فلم يرد على أبي بكر. وكان في مفاوضات منصفاً للمسلمين. فكان عروة على المنهج التربوي للنبي ﷺ وكان ابو بكر على المنهج التربوي لابي سفيان .

وبين رسول الله ﷺ اهمية البيعة الشعبية فأولاها عناية خاصة تبعاً للآيات القرآنية التي رفعت منزلة بيعة الشجرة فانزل تعالى فيها سورة الفتح. وكثرة البيعات الإسلامية لرسول الله ﷺ تبين الاهمية الخاصة للشعب في الإسلام إذ عقد رسول الله ﷺ بيعتي العقبة الاولى والثانية واجرى بيعة الرضوان (الحديبية) وعقد بيعة فتح مكة ، وختم ذلك في حياته ببيعة الغدير حيث نصب علياً عليه السلام خليفة واماماً للمسلمين قائلاً:

من كنت مولاه فهذا علي مولاه اللهم والي من والاه، وعاد من عاداه، وانصر من نصره وأخذل من خذله^(٢).

وكان رسول الله ﷺ يعرف اين يطلب السلام ومتى ومع من وطلب ﷺ الصلح مع المشركين واليهود ليتمكن من نشر رسالته، ولم يفدر ابداً فكان مثلاً للوفاء والاخلاص.

وأدرك رسول الله ﷺ منزلة صلح الحديبية فبذل للمصلح كل ما يستحق. وابقن عمر بن الخطاب بنتائجها فبذل ما في وسعه لمنع الصلح ، فخاف

(١) سيرة ابن دحلان ٤٨٧/١، البداية والنهاية ٣١/٤ - ٣٥، عيون الأثر ١١٤/٢ - ١١٦، تاريخ الخميس ٢٠/٢ - ٢٥.

(٢) تاريخ الاسلام، الخطيب ٢٣٢، مسند أحمد ٤ / ٢٨١، الرياض النظرة، محب الدين الطبري ٢ / ١٦٩، الفصول المهمة، ابن الصباغ المالكي ٢٥، تفسير الفخر الرازي ٣ / ٦٣٦، الصواعق المعرقة ٢٦، التبيين والاشراف، المسعودي ٢٢١.

نزول قرآن في حقه واستمر في كرهه لبيعة الرضوان إذ قال في حكمه:
لا أتي منذ اليوم بأحد صلى تحت الشجرة إلا قتلته بالسيف كما يقتل المرتد ثم أمر
بها فقطعت^(١).

واختفت الحقائق عن المسلمين وجاءتهم الأكاذيب فقال الطبراني: الحديث
الصحيح في الحديث الكاذب مثل الشعرة البيضاء في جلد الثور الأسود^(٢).
وقال سلمان الفارسي: لو حدثت الناس بكل ما أعلم لقالوا: رحم الله قاتل
سلمان^(٣).

ونلاحظ أيضاً أن أعمال عمر وأبي بكر وعثمان والمغيرة بن شعبة تصب في هدف
واحد وأنّ تخطيطهم المشترك كان قديماً. وعمر من أجرأ الناس على النبي^(٤).
ونفهم أيضاً أنّ عمر بن الخطاب أكثر الناس تشدداً من رجال الحزب القرشي
ومن قراءة الموضوع نفهم انخفاض نسبة العداء القبلي في المنطقة لرسول الله ﷺ
وهو ما يلحظ منه نجاح المنهجية النبوية في الدعوة إلى الخير والعدالة الاجتماعية
والسلام.

(١) شرح النهج ١ / ٥٩ - ٦٠.

(٢) تفسير العياشي ٢ / ٢٣٣.

(٣) تاريخ ابن حساكر ١٠ / ٤٥.

(٤) المنتظم، ابن الجوزي ٢ / ٢٧٣.

الفصل الخامس

معركة خيبر



حركة النبي ﷺ إلى خيبر

خيبر واحدة في طريق الشام بينها وبين المدينة اثنان وثلاثون فرسخاً أي ستة وتسعون ميلاً^(١)، ومشى ثلاثة أيام إلى جهة الشام^(٢)، وخيبر بلسان اليهود الحصن، وقيل سميت بإسم خيبر بن قانية^(٣) وفيها مزارع واريعون ألف نخلة .

وكان الله تعالى قد وعد النبي ﷺ إياها وهو في الحديبية، في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّا بَهُمْ فَتَحًا قَرِيبًا﴾^(٤)، «وَأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا»^(٥) فارس والروم^(٦)، فبعد اتفاق رسول الله ﷺ مع قريش على صلح الحديبية تفرغ لحرب يهود خيبر الذين جهزوا جيوش الأحزاب ضده واستمروا في حربه منذ وصوله المدينة.

ولقد عاد رسول الله ﷺ من الحديبية في شهر ذي الحجة سنة ست فأقام فيها ذا الحجة والمحرم ثم ذهب إلى حرب يهود خيبر في محرم سنة سبع^(٧) وأخذ معهم سلمة

(١) التنبية والاشراف ٢٢٢، السيرة الحلبيه ٣ / ٣٠.

(٢) تاريخ الخميس ٢ / ٤٣.

(٣) معجم البلدان ٢ / ٤٦٧.

(٤) عيون الأثر ٢ / ١٣٣، ١٤١، الفتح: ١٨.

(٥) الفتح: ٢١.

(٦) عيون الأثر ٢ / ١٣٣، ١٤١.

(٧) مغازي الواقدي ٢ / ٦٣٤ تاريخ الطبري ٢ / ٥٦، وقال ابن اسحاق خرج رسول الله ﷺ في محرم سنة ابن هشام ٣ / ٣٤٢، تاريخ خليفة ٣٧، مغازي الذهبي ٤٠٣، عيون الأثر ٢ / ١٣٣، وقال مالك وابن حزم: إن معركة خيبر في سنة ست للهجرة وقال أبو حامد في سنة خمس للهجرة، السيرة الحلبيه ٣ / ٣١.

واستخلف على المدينة سباع بن عرفطة^(١).

ولما أمر الرسول ﷺ أصحابه بالتهيؤ للغزو جاء المخلفون رجاء الغنيمة وقد تخلفوا عن المدينة قائلين: نخرج معك إلى خير إنا ريف الحجاز طعماً وودكاً وأموالاً^(٢) فقال الرسول ﷺ: لا تخرجوا معي إلا راغبين في الجهاد فأما الغنيمة فلا. فشق ذلك على يهود المدينة المودعين للرسول ﷺ لأنهم خافوا هلاك خير فلم يبق لأحد من اليهود حق على أحد من المسلمين إلا لزمه.

وأرسل عبد الله بن أبي إلى يهود خير أن خذوا حذرهم وأدخلوا أموالكم حصونكم واخرجوا إلى قتاله ولا تخافوا منه إن عددكم كثير وقوم محمد شرذمة قليلون عزل لا سلاح معهم الا قليل^(٣).

وقطع النبي ﷺ المسافة بين المدينة وخيبر بثلاثة أيام ولما دنا رسول الله ﷺ من خير قال للناس: قفوا فوقف الناس فرفع يديه إلى السماء وقال: اللهم رب السماوات السبع وما أظللن ورب الارضين السبع وما أقللن ورب الشياطين وما أضللن، أسألك خير هذه القرية وخير ما فيها، واعوذ بك من شرها وشر ما فيها^(٤) ولم تكن خير مختصة بأهل المدينة^(٥) فقط بل الشرط في الغزوة أن يكون الهدف الجهاد في سبيل الله تعالى وليس الغنائم.

وكان النبي ﷺ إذا غزا قوماً لم يُفرز عليهم حتى يُصبح فإن سمع أذاناً أمسك وإن لم يسمع أذاناً أغار^(٦).

(١) معاذي الواقدي ٢ / ٦٣٦، سيرة أبي حاتم ١ / ٣٠٠.

(٢) الودك دسم اللحم ودهنه، النهاية ٤ / ٢٠٢.

(٣) السيرة الحلبية ٣ / ٣٣، تاريخ الخميس ٢ / ٤٣.

(٤) الأرشاد، المفيد ١ / ١٢٤، سيرة ابن هشام ٣ / ٣٤٣، مجمع البيان ٩ / ١١٩، البحار ٢١ / ١٤.

(٥) معاذي الواقدي ٢ / ٦٨٤.

(٦) الروض الأنف ٦ / ٥٠١، عيون الأثر ٢ / ١٣٤.

وكان يهود خيبر لا يظنون أن رسول الله ﷺ يغزوهم لمنعتهم في حصونهم وسلاحهم وعددهم، فكانوا يخرجون كل يوم عشرة آلاف مقاتل صفوفاً ثم يقولون: محمد يغزونا؟ هيهات، هيهات.

وقال يهود المدينة للمسلمين: ما أمنع والله خير منكم! لو رأيتم خيبر وحصونها ورجالها لرجعتم قبل أن تصلوا إليهم، حصون شائعات في دُرى الجبال، والماء فيها واتن^(١). وكانت خيبر أرضاً وخيمة شديدة الحر فجهد المسلمون جهداً شديداً^(٢).

وخرج الرسول ﷺ في ألف وستائة من المسلمين، وأعطى الراية لحاملها في حروبه كلها علي بن أبي طالب^(٣). ومعه مائتا فارس، ونزل عليهم ليلاً وفي الصباح شاهدهم الرسول ﷺ، فقالوا: محمد والخميس اي الجيش.

فقال النبي ﷺ: الله أكبر إنا إذا نزلنا بساحة قوم «هساء صباح المنذرين»^(٤). وقال رسول الله ﷺ للمسلمين لا يحل إتيان الحبالى من السبايا، ولا يحل لا مرىء يؤمن بالله واليوم الآخر أن يصيب امرأة من السبي حتى يستبرئها، ولا يحل لا مرىء أن يبيع مغنماً حتى يقسم^(٥).

قال اليهود: إنَّ بخيبر لألف دارع ما كانت أسدٌ وغطفان يتمتعون من العرب قاطبة إلا بهم، فأنتم تطيقون خيبر؟

قال المسلمون لهم: وعد الله تعالى نبيّه أن يُغنمه إياها.

(١) وتن الماء أي دائم ولم ينقطع، الصحاح ٢ / ٢٢١.

(٢) تاريخ الخميس ٢ / ٤٧.

(٣) سيرة ابن هشام ٣ / ٣٤٢ - ٣٥٠، ذخائر العقبى ٧٥، تاريخ الخميس ١ / ٤٣٤، المنتظم، ٣ / ٢٩٣، الروض

الأنف ٦ / ٤٩٩، هيون الأثر ٢ / ١٤٤.

(٤) سورة الصافات ١٧٧، هيون الأثر ٢ / ١٣٥.

(٥) الروض الأنف ٦ / ٥٠٤، هيون الأثر ٢ / ١٣٧.

استعداد اليهود للحرب

واختلف اليهود في طريقة محاربة المسلمين فقال الحارث أبو زينب اليهودي: نعسكر خارج الحصون ونحاربهم.

وقال آخرون: نحاربهم من داخل الحصون^(١).

وكان يهود خيبر مرعوبين وجلين من المسلمين وقريش مسرورة بهذه الحرب لمعرفتها بقدرة وعظمة حصون خيبر وكثرة مقاتليها وقالوا: إن ظفر محمد فهو ذلّ الدهر.

ودعا كنانة بن أبي الحقيق غطفان لنصرهم ولهم نصف تمر خيبر سنة. فلما سمعت قبيلة غطفان بمجيء رسول الله ﷺ خيبر جمعوا له ثم خرجوا ليعاونوا اليهود عليه، حتى إذا ساروا مرحلة سمعوا خلفهم في أموالهم وأهلهم حساً، فظنّوا أن القوم قد خالفوا إليهم، فرجعوا على أعقابهم فأقاموا في أهلهم وأموالهم، وخلّوا بين رسول الله ﷺ وبين خيبر^(٢).

والظاهر أن رسول الله ﷺ افتعل عملية عسكرية أخافت قبيلة غطفان وأرجعتهم من خيبر، تتمثل في مسيره في طريق يصل إلى مساكن غطفان ونزل بالرجيع فارتفعت الأصوات والصياح في مساكنهم، فخافت هذه القبيلة وفضلت أولادها ونساءها على تمر خيبر^(٣).

ولما وصل رسول الله ﷺ خيبر قال: الله أكبر خربت خيبر وابتنى مسجداً هناك، وشعار المسلمين: يامنصور أميت^(٤).

وادخل اليهود نساءهم وذرايرهم وأموالهم حصن الوطيع والسلام، وادخلوا

(١) مفازي الواقدي ٦٣٦/٢، البداية والنهاية ٢٠٦/٤، ٢٠٧، تاريخ الطبري ٢٩٨/٢.

(٢) سيرة ابن هشام ٣٤٤/٣.

(٣) تاريخ ابن الأثير ٢١٦/٢.

(٤) راجع مفازي الواقدي ٦٥٠/٢ - ٦٥٤، تاريخ الطبري ٢٩٨/٢، مفازي الذهبي ٤٠٦، تاريخ الخميس ٣٤ / ٢.

ذخائرهم حصن ناعم، ودخلت المقاتلة حصن نطاة وكان حصن القموص أمنيح
حصون خيبر وأشدّها وهو الحصن الذي كان فيه ملكهم مرحب وحفر اليهود
خندقاً حول حصونهم مثل خندق المدينة والحصون في قم الجبال ولكل حصن باب
عظيم من حجارة طوله أربع أذرع في عرض ذراعين في سمك ذراع.

وجاء راعي لرجل من اليهود إلى رسول الله ﷺ ليعرفه على الإسلام فعرفه
عليه فأسلم فقال: إني كنت أجيراً لصاحب هذه الغنم وهي أمانة عندي فكيف أصنع
بها؟

قال اضرب في وجهها فإنها سترجع إلى ربها، فضرب في وجهها بحفنة من
الحصباء فخرجت مجتمعة كأن سائقاً يسوقها حتى دخلت الحصن. ثم تقدم إلى ذلك
الحصن فقاتل مع المسلمين فأصابه حجر فقتله^(١).

وقائع المعركة

وابتدأ رسول الله ﷺ حربه بحصن المقاتلة وكانوا في منطقة مرتفعة على جيش
رسول الله ﷺ فالتبل يسرع اليهم^(٢) وحاصروهم رسول الله ﷺ بضع عشرة ليلة.
فقد أخرج علي بن أبي بكر الهيثمي عن ابن عباس أنه قال: بعث رسول الله ﷺ إلى
خيبر أحسبه قال: أبا بكر فرجع منهزماً ومن معه. فلما كان الفد بعث عمر فرجع
منهزماً يجيئ أصحابه ويجيئ أصحابه^(٣).

فقال النبي ﷺ: لا عطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحب الله ورسوله،
يفتح الله على يديه، كرار ليس بفرار، فبات الناس يخوضون ليلتهم أيهم يعطاها فلما

(١) عيون الأثر ٣ / ١٤٨.

(٢) السيرة العلية ٣ / ٣٣.

(٣) مجمع الزوائد ٩ / ١٢٤، تلخيص المستدرک ٣ / ٣٧، مستدرک الحاكم ٣٧ / ٢، صحيح البخاري ٤ / ٤٦٥.

أصبح أرسل إلى علي بن أبي طالب عليه السلام، وهو أرمَد فقال عليه السلام: ما أبصر سهلاً ولا جبلاً، فقال عليه السلام: افتح عينيك، ففتحتها، فتفل فيها.

قال علي عليه السلام: فما رمدت عيناى ولا صدعت حتى الساعة^(١). ثم دفع إليه اللواء، ودعا له ومن معه من أصحابه بالنصر، فكان أول من خرج إليهم الحارث أخو مرحب في عاديته، فانكشف المسلمون وثبت علي عليه السلام، فاضطربا فقتله علي عليه السلام، وخرج أخوه ياسر للمبارزة فقتله علي عليه السلام ورجع أصحاب الحارث إلى الحصن فدخلوه وأغلقوا الباب عليهم وخرج مرحب وهو ملكهم؛ طويل القامة عظيم الهامة^(٢) والظاهر أنه أصبح ملكاً عليهم بعد مقتل حبي بن أخطب^(٣) وهو يقول:

قد علمت خبيرٌ أنني مرحبٌ شاكي السلاح بطل مجربٌ
أطعنُ أحياناً وحيناً أضربُ

فقال علي عليه السلام:

أنا الذي سمّنتني أمسي حيدرُه أكيلكم بالسيف كيل السندره
ليثٌ بغابات شديدٌ قسوره

فاختلفا ضربتين فبدره علي عليه السلام فضربه بسيفه ذي الفقار، فقدّ المحجر والمغفر ورأسه، حتّى وقع في الأضراس، وسمع أهل العسكر صوت ضربته وأخذ المدينة، وقد قتل علي عليه السلام الأخوة الثلاثة مرحباً والحارث وياسراً الذين طلبوا المبارزة على التوالي^(٤).

وكان للجو النفسي الذي وضعه اليهود حول قوة جيشهم في خير وما عرف به مرحب وأخواه من شجاعة؛ الأثر القوي في فرار أبي بكر وعمر...

(١) مغازي الذهبي ٤١٣.

(٢) أمالي المفيد ٣، السيرة الحلبية ٣ / ٣٢.

(٣) مغازي الواقدي ٦٠٦ / ٢.

(٤) عيون الأثر ٢ / ١٤٠ مغازي الذهبي ٤١١ أمالي الطوسي ٣، المتظم ٢٩٦ / ٣، مغازي الواقدي ٦٥٤ / ٢.

سيرة ابن هشام ٣٤٩ / ٣، تاريخ الطبري ٢ / ٣٠٠، السيرة الحلبية ٣٧ / ٣٨.

وذكر الذهبي رواية البكافي عن ابن اسحاق، وهى رواية جابر بن عبد الله الأنصاري: أن علياً حمل باب خيبر، حتى صعد المسلمون عليه، فافتحوها، وأنه خرب بعد ذلك فلم يحمله اربعون رجلاً^(١)، وقيل حمل الباب على ظهره حتى صعد المسلمون عليه ودخلوا الحصن.

وكان الباب من حجارة طوله أربع أذرع في عرض ذراعين في سمك ذراع فاقتله علي بن أبي طالب عليه السلام ورماه خلفه ودخل الحصن ودخله المسلمون^(٢) وكان اليهود قد حفروا خندقاً حول الحصن فجعل علي عليه السلام الباب الذي رفعه قطرة على الخندق واجتاز المسلمون عليه إلى أبنية الحصن بعد ان قتل قائدهم الحارث بن أبي زينب.

وقال علي عليه السلام: ما قلعت باب خيبر بقوة جسمانية ولكن بقوة الهية^(٣). وقد وصف الأستاذ عبدالرحمن الشرقاوي في (كتابه محمد رسول الحرية) معركة خيبر ومواقف علي فيها والإنصارات الحاسمة التي حققها خلال ساعات قلائل بعد محاولات استمرت عدة أيام من قبل المسلمين لم تنجح عندهم شيئاً. ورأى محمد عليه السلام أن يحشد كل قواه الضاربة لفتح هذا الحصن فاجتاع اليهود فيه يجعلهم أقدر على الفتك بالمسلمين.

وجمع محمد عليه السلام جيشه وأمرهم أن يقتحموا الحصن وسلم أبا بكر راية الجيش، ولكن أبا بكر لم يستطع أن يصنع شيئاً ولا أن يقتحم الحصن، وفي اليوم التالي جعل القيادة لعمر ابن الخطاب، وحارب عمر يومه كله ولكنه لم يستطع أن يقتحم الحصن

(١) تاريخ الذهبي، المغازي ص ٤١٢، تاريخ ابن الوردي ١/ ١٢٠، الأرشاد ١٢٦١، دلائل النبوة، البيهقي

٢١٢/٤، مجمع البيان ١٢١/٩، مناقب ابن شهر آشوب ٢/ ٢٩٣، تاريخ الطبري ٣/ ١٣، تاريخ اليعقوبي

٥٦/٢، الروض الأوفى ٦/ ٥٠٨، تاريخ الغميس ٢/ ٥١، سيرة ابن دحلان ١١/٢.

(٢) تاريخ اليعقوبي ٢/ ٥٦.

(٣) تاريخ الغميس ٢/ ٥١.

وظلّ اليهود على مواقفهم المنيعّة يسدّدون ضرباتهم دون أن يخرج منهم رجل واحد للقتال في السهل المكشوف^(١).

وكانت هذه الحصون والأعداد العسكرية الهائلة يسندها المال والسلاح والشهرة القتالية والمكر اليهودي. وبسبب ذلك فقد فرّ جيش المسلمين في الحملتين الأولى والثانية على خيبر، والقائدان المهزومان هما أبو بكر وعمر.

فلم تقتصر هزيمة عمر على فراره في أحد، ودعره من منازلة عمرو بن عبد ود العامري في الخندق، بل فرّ أمام اليهود في خيبر.

وكانت كتائب اليهود قد خرجت يتقدمهم يأسر فكشف الانصار حتى انتهت إلى رسول الله ﷺ في موقفه فاشتد ذلك على رسول الله ﷺ وامسى مهموماً^(٢).

فدعا محمد ﷺ علي بن أبي طالب ﷺ وقال له خذ هذه الراية، فتح الله عليك وخلع علي عنه الدرع ليكون خفيف الحركة وطالب رجاله أن يتخفّفوا من الدروع التي تنقلهم ليكونوا خفافاً، وانصرف وفي ذهنه وصيّة محمد: إنفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم، ثم ادعهم إلى الإسلام فإن لم يطيعوا فقاتلهم فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً خيراً لك من حمر النعم.

وكان النبي ﷺ حين وصف علياً ﷺ قائلاً كرار ليس بفرار^(٣) يعرض بأبي بكر وعمر الذين فرّوا من اليهود،

وكانا قد فرّوا في حرب المشركين في أحد! ثم فرّوا في حرب حنين! وقال رسول الله ﷺ لعلي ﷺ: قاتلهم حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأنّ محمداً

(١) أقول من اخلاق رسول الله ﷺ وعلي ﷺ انهما لا يدعوان أحداً للمبارزة ولكنهما لا يردان أحداً يظليها.

(٢) السيرة الحلبية ٢ / ٣٤.

(٣) مغازي الذهبي ٤٠٧، سنن البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب دعاء النبي ﷺ إلى الاسلام، وكتاب

المنافي، باب غزوة خيبر ٥ / ٧٦، ٧٧، سنن مسلم، باب فضائل علي بن أبي طالب ﷺ، طبقات ابن سعد

٢ / ١١٠، ١١١، سيرة ابن هشام ٤ / ٤٢، نهاية الأرب ١٧ / ٢٥٣.

رسول الله ﷺ فإذا فعلوا ذلك فقد منعوا منك دماءهم وأموالهم إلا بحقها. وتقدم علي فدعاهم إلى الإسلام ولكنهم سخروا منه فطالبهم أن يحاربوا المسلمين رجلاً لرجل ويبعثوا إليه شجعانهم ليبارزهم هو بنفسه الواحد تلو الآخر وخرج إليه الحارث أحد شجعانهم فصرعه علي عليه السلام، وخرج إليه رجل آخر فصرعه أيضاً.

وإذ ذاك تعالت من المسلمين صيحات السخرية بقوة شجعانهم، وسأل علي عليه السلام شجعان خيبر أن يبعثوا إليه برجل يثبت في المعركة^(١)، فخرج إليه زعيمهم مرحب وكان هو حقاً سيّد فرسان خيبر، ولكنه خرج إلى علي بطيناً في كبرياء وثقة مطمئنة مهيباً ضخماً بيده حربة ذات ثلاثة رؤوس وكلّ جسده الفارع الشاهق في الزرد، والحديد يغطّي رأسه وساقيه وليس في كلّ بدنه ثغرة ينفذ منها سيف.

وتقدم إليه علي بقامته المعتدلة بلا درع وفي يده السيف وحده وتوقع المسلمون واليهود جميعاً أنها نهاية علي عليه السلام، ولكنّ علياً استطاع أن يحسن الاستفادة من تخفّفه من الدرع والزرد، وترك مرحباً يتقدم بدرعه وزرده وحربته حتّى إذا أوشك سنّ الحربة أن يمسّ صدر علي عليه السلام تراجع علي فجأة ثمّ قفز في الهواء متفادياً حربة مرحب، ثمّ اقتحم وأهوى بكلّ قوّته على رأس مرحب بالسيف، فانطلق الحديد من على رأس مرحب وسقط سيف علي عليه السلام على الجمجمة فشقّها نصفين، وهوى مرحب وسط ذعر اليهود وعجبهم وصيحات النصر ترتفع من معسكر المسلمين.

واندفع علي إلى باب الحصن هو ورجاله يدكّونه بكلّ طاقاتهم حتّى اقتحموه، واليهود الذين أذهلهم موت مرحب يفرون فزعين إلى حصن آخر.

وروى السيّد مرتضى الفيروزآبادي في كتابه فضائل الخمسة في المجلّد الثاني حديث الراية في خيبر بكامله عن صحيح البخاري ومسلم، وعن أحمد بن حنبل

(١) أقول من أخلاق رسول الله ﷺ وعلي عليه السلام أنّهما لا يدعوان أحداً للمبارزة ولكنهما لا يردان أحداً يطلبها.

والنسائي والإستيعاب وكنز العمال والرياض النظرة والترمذي وابن ماجه وغيرهم.

وفي معركة خيبر اختلفت الأحداث عن حرب بدر، إذ واجه المسلمون حصوناً منيعه، وكثرة محاربيين ملحوظة، فقد ذكرت الروايات وجود عشرة آلاف مقاتل يهودي في خيبر. وذكر بريدة الأسلمي: أن رسول الله ﷺ أعطى اللواء عمر بن الخطاب (فنهض معه من نهض من الناس)^(١). فلقوا أهل خيبر، فانكشف عمر وأصحابه، فرجعوا إلى رسول الله ﷺ يُحِبُّهُ أصحابه وَيُحِبُّهُمْ.

فقال رسول الله ﷺ: لأعطين اللواء غداً رجلاً يحب الله ورسوله، ويحب الله ورسوله فلما كان الغد تصدر لها أبو بكر وعمر، فدعا علياً وهو أرمد، فقتل في عينه، وأعطاه اللواء^(٢).

ثم قال ﷺ: اللهم اكفني الحرَّ والبرد، فما وجد بعد ذلك حرّاً ولا برداً^(٣).

وذكر البيهقي الرواية في قتل علي عليه السلام لمرحب قاتلاً؛ فاختلفا ضربتين، فبدره علي بضربة فقد الحجر والمغفر ورأسه، ووقع في الأضراس، وأخذ المدينة. وبه جزم مسلم وابن الأثير وسائر رجال السيرة^(٤).

وحصن ناعم هو أول حصن فتح من حصون النطا على يد علي كرم الله وجهه، ثم فتح علي كرم الله وجهه حصن القموص، وكان منيعاً حاصره المسلمون عشرين ليلة، ومنه سببت صفة.

وفي رواية حذف الناشر اسمي المنتهزمين من معركة خيبر أبي بكر وعمر، ووضع

(١) بين القوسين رواية النسائي للحديث أمّا في الأصل فقد ورد ونهض معه شيء من الناس.

(٢) مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر ٣٢٨/١٠.

(٣) تاريخ الإسلام للذهبي ٤١٢/٢.

(٤) دلائل البيهقي ٢١٠/٤-٢١٢، البداية والنهاية، ابن كثير ٢١٣/٤، ورواه مسلم عن أسحاق بن إبراهيم.

كتاب الجهاد باب غزوة ذي قرد ١٤٣٩، السيرة الحلبية ٣ / ٣٨.

بدلها فلاناً ورجلاً إذ جاء: أن رسول الله ﷺ أخذ الراية، فهزّها، ثم قال: من يأخذها بحقّها؟

فجاء فلان فقال: أنا، فقال امض، ثم جاء رجل آخر، فقال: امض ثم قال النبي ﷺ: والذي كرم وجهه محمد لا أعطيّها رجلاً لا يقر، فقال: هاك يا علي، فانطلق حتى فتح الله عليه خيبر وفدك وجاء بعجوتها وقديدها^(١).

فالناس لم يرض بذكر اسمي أبي بكر وعمر كمنهزمين في معركة خيبر فقال جاء فلان وجاء رجل ليثبت قدرته على تغيير الحقائق والروايات مثلها يحب ويهوى! ولم يحاول الرواة والنسّاخ والناشرون حذف أسماء الفارين من قيادات الحزب القرشي فقط، بل حاولوا سلب مناقب علي بن أبي طالب ﷺ لصالح هؤلاء! خيانة لله ورسوله لتنطبق عليهم صفة المنافقين.

قال ابن عرفة: إن أكثر الأحاديث الموضوعة في فضائل الصحابة، إفتعلت في أيام بني أميّة، تقرّياً إليهم، بما يظنون أنّهم يرغبون به أنوف بني هاشم^(٢). ومن هذا التحريف: روى الزهري الأموي^(٣) أنّ الذي قتل مرحباً هو محمد بن مسلمة حسداً لعلي ﷺ. وسبب تفضيل محمد بن مسلمة أنّه يهودي الأصل ومن المتشددين في محاربة أهل البيت ﷺ والأنصار فقد اشترك في الهجوم على بيت فاطمة^(٤)، وقتل سعد ابن عباد زعيم الانصار^(٥).

لذلك أحبه الامويون كثيراً وكيف لا يحبونه وهو يشترك معهم في كره أهل

(١) البداية والنهاية، ابن كثير ٢١٢/٤، مستد أحمد بن حنبل.

(٢) فجر الإسلام، أحمد أمين ص ٢١٣.

(٣) قضى هشام بن عبد الملك عن الزهري سبعة آلاف دينار، تاريخ أبي زرعة الدمشقي ص ١٨٧. وقالت رقية اخت الزهري لشخص لا تروي عن الزهري فانه أخذ جوائز بني أمية وكنم فضائل آل محمد. وشكك الإمام علي السجاد في نسه لابييه.

(٤) شرح النهج ٤٨/٦، السقيفة وفدك ٥١، البداية والنهاية ٤٩٦/٤.

(٥) أنساب الاشراف ١/٥٨٩، العقد الفريد ٤/٢٤٧.

البيت ﷺ والانصار فلم يبايع لأمر المؤمنين ﷺ في خلافته^(١).
 والمدهش أن محمد بن مسلمة اخو مرحب فأراد الأمويون طمس ذلك واخفائه
 فجعلوه قاتله. إذ قال علي ابن أبي طالب ﷺ في سبب عدم مبايعة محمد بن مسلمة له:
 وذنبني إلى محمد بن مسلمة اني قتلت أخاه يوم خيبر مرحب اليهودي^(٢).
 وبقيت في قلوب المشركين حسرة عدم انتصار اليهود على المسلمين فحاولوا
 تمجيد اليهود ودعمهم مثل كعب الأحبار ومحمد بن مسلمة وعبد الله بن سلام وزيد
 بن ثابت «ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين».
 واعطى الأمويون دوراً لكعب بن مالك لأنه تخلف عن رسول الله ﷺ في معركة
 تبوك وناصر عثمان ولم يبايع علياً ﷺ في خلافته^(٣).
 وهكذا روى ابن كثير الأموي: أن محمداً قطع رجلي مرحب فقال له اجهز علي،
 فقال: ذق الموت كما ذاقه محمود بن مسلمة، فمُرَّ به علي وقطع رأسه، فاخصما في سلبه
 إلى رسول الله ﷺ، فأعطى رسول الله ﷺ محمد بن مسلمة سيفه ورمحه ومغفره
 وبيضته^(٤).
 فلم يكف الأمويون وانصارهم بسلب منقبة علي بن أبي طالب ﷺ،
 بل حوّلوا إلى مذمة له بتصويره رجلاً يطالب بسلب قتيل غيره! فيحكم
 النبي ﷺ لغير صالحه!
 والحق أن علياً ﷺ قتل مرحب اليهودي وكانت عادة علي ﷺ أن لا يسلب
 قتيله^(٥) مثلما فعل مع عمرو بن عبد ود العامري وحملة لواء قريش في بدر واحد

(١) الامامة والياسة ١ / ٧٣.

(٢) الامامة والياسة ١ / ٧٢.

(٣) الروض الأنف ٦ / ١٣٨.

(٤) البداية والنهاية، ابن كثير ٤ / ٢١٥.

(٥) تاريخ الخميس ١ / ٤٨٨.

وَتُحَدَّثُنَا السِّيرَةَ، بِأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ (عميد أهل البيت عليه السلام) رَفَضَ تَسَلُّمَ اثْنَيْ عَشَرَ أَلْفَ دِرْهَمٍ ثَمَنًا لَجْثَةِ نَوْفَلِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْخَزَوْمِيِّ، الَّذِي قَتَلَهُ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام فِي مَعْرَكَةِ الْخَنْدَقِ، قَائِلًا: لَا خَيْرَ فِي جَسَدِهِ وَلَا فِي ثَمَنِهِ^(١).

فَلَمَّا قَتَلَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام عَمْرُو بْنَ عَبْدِ وَدِ الْعَامِرِيِّ فِي مَعْرَكَةِ الْخَنْدَقِ قَالَ لَهُ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ: هَلَّا اسْتَلَبْتَهُ دَرْعَهُ، فَإِنَّهُ لَيْسَ لِلْعَرَبِ دَرْعٌ خَيْرَ مِنْهَا؟ قَالَ عليه السلام: ضَرَبْتُهُ فَاتَّقَانِي بِسُوءِ تَهٍ، فَاسْتَحْيَيْتَ أَنْ أُسَلِّبَهُ^(٢). وَجَاءَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ رَفَضَ أَيْضًا تَسَلُّمَ اثْنَيْ عَشَرَ أَلْفَ دِرْهَمٍ ثَمَنًا لَجْثَةِ عَمْرُو بْنِ عَبْدِ وَدِ الْعَامِرِيِّ الْمَقْتُولِ بِيَدِ عَلِيِّ عليه السلام.

لَقَدْ قَتَلَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام أَبْطَالَ وَفِرْسَانَ الْأَعْدَاءِ فِي بَدْرٍ وَاحِدٍ وَالْخَنْدَقِ وَخَيْبَرَ وَحَنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ مِنْ أَعْدَاءِ أَهْلِ الْبَيْتِ حَافِلُوا تَحْرِيفِ تِلْكَ الْأَخْبَارِ، وَأَعْطَاءِ تِلْكَ الْمُنَاقِبِ لِرِجَالٍ آخَرِينَ حَسَدًا مِنْهُمْ لَوْلِي الْمُسْلِمِينَ وَسَيِّدِ الْعَرَبِ وَوَصِيِّ الْمُصْطَفَى عليه السلام وَكَانَ مِنْ طَبِيعَةِ عَلِيِّ عليه السلام أَنْ لَا يَسْلُبَ قَتِيلَهُ^(٣). وَلَا يَقْتُلُ جَرِيحًا وَلَا يُلْحِقُ فَارًّا.

قَالَ عُمَرُ: لَقَدْ أُعْطِيَ عَلِيُّ عليه السلام مِنْ أَبِي طَالِبٍ ثَلَاثَ خِصَالٍ لِأَنْ تَكُونَ لِي خِصْلَةٌ مِنْهَا أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أُعْطِيَ حُمْرَ النَّعَمِ تَزُوجُهُ بِفَاطِمَةَ عليها السلام وَسَكَنَاهُ الْمَسْجِدَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَحِلُّ لَهُ مَا يَحِلُّ لَهُ وَالرَّايَةَ يَوْمَ خَيْبَرَ^(٤).

وَقَالَ الْحَلَبِيُّ: كَانَتْ حِصُونُ الْيَهُودِ: النَّطَاةُ وَالشَّقْ وَالصَّعْبُ وَالْقَمُوصُ وَالْوَطِيحُ وَالسَّلَامُ، وَالْحِصُونُ الْأَرْبَعَةُ الْأُولَى فَتَحَتْ عُنُودَ الْخَامِسِ وَالسَّادِسِ فَتَحَا صَلْحًا.

(١) مسند أحمد ٢٤٨/١، دلائل النبوة، البيهقي ٤٤٠/٣، البداية والنهاية، ابن كثير ١٢٢/٤، ١٢٣.

(٢) البداية والنهاية، ابن كثير ١٢٢/٤، دلائل النبوة، البيهقي ٤٣٢/٣، باب ما أسأب النبي ﷺ والمسلمين من محاصرة المشركين بإيهاهم من البلاد، السيرة النبوية ابن كثير ٢٠٦، ٢٠٥/٣.

(٣) تاريخ الخميس، الديار بكرى ٤٨٨/١، دلائل النبوة، البيهقي ٤٣٢/٣.

(٤) مستدرک الحاكم ١٣٥ / ٢.

ولقد تزوج النبي ﷺ بصفية في الصبء المكان الذي ردت فيه الشمس لعلي عليه السلام بعدما غربت^(١). فحدثت لعلي عليه السلام في خير كرامتان :

الاولى قتل ملك اليهود وابطاهم وسحق جيشهم خارج الحصون ثم رفع بابهم العظيمة وجعلها جسرا فوق خندقهم لدخول حصنهم وفتحته وفتح الحصون الاخرى .

والثانية ردت الشمس اليه بعدما غربت^(٢).

نتيجة المعركة

وبعد فراغ المسلمين من خير قدم جعفر بن أبي طالب وصحبه من الحبشة فقال النبي ﷺ: والله ما أدري بأي الأمرين أنا أشد فرحاً بفتح خير أو قدوم جعفر ثم قام اليه فقبل ما بين عينيه^(٣)، وكان معه ستة عشر رجلاً^(٤) والظاهر بأن جعفرا قد بقي هذه المدة الطويلة في الحبشة لنشر الاسلام في افريقيا بعد ان عاد معظم المهاجرين الى المدينة اثر وصول النبي ﷺ اليها .

لقد فتح رسول الله ﷺ بعض الحصون عنوة، وبعضها جنح أهلها إلى الصلح اي الوطيع والسلام فصالح رسول الله ﷺ اليهود على أن تحقن دماؤهم ولهم ما حملت ركابهم وللنبي ﷺ الصفراء والبيضاء والسلاح ويخرجهم وشرطوا أن لا يكتموا شيئا فإن فعلوا لا ذمة لهم ولا عهد. فلما وجد المال الذي غيبوه في مسك الجمل^(٥) غلبهم على الأرض والنخل. وقسم رسول الله ﷺ خير على ألف وثمانمائة سهم

(١) السيرة الحلبية، الحلبي الشافعي ٣/ ٣٩، ٤٠، ٤١، ٤٤.

(٢) السيرة الحلبية، الحلبي الشافعي ٣/ ٣٩، ٤٠، ٤١، ٤٤.

(٣) المنظم ٣ / ٢٩٤.

(٤) عيون الأثر ٢ / ١٤٥.

(٥) اي جلدأ وضع فيه الحلبي.

وكان الرجال بها ألف واربعمائة والفرسان مائتي فارس، فقسم للفارس ثلاثة أسهم سهمين لفرسه وسهماً له وللراجل سهماً. وقسم رسول الله ﷺ خيبر على من شهد الحديبية فاعطى جابر بن عبد الله الانصاري رغم غيابه عن خيبر^(١) وأعطى النسوة اللاتي رافقته لمداواة الجرحى من القمىء.

وأخذ النبي ﷺ صفية بنت حيي بن أخطب في سهمه وأعتقها وتزوجها^(٢). وجعل رسول الله ﷺ وليمة صفية التمر والأط والسمن^(٣). وكانت قد روت لزوجها ابن أبي الحقيق أنها رأت الشمس سقطت على صدرها فضر بها على وجهها قائلاً: تمنى ملك العرب وأعرس بها رسول الله ﷺ بعد أن طهرت من الحيض^(٤). وحصل المسلمون على كنز حيي بن أخطب وقتلوا ابن أبي الحقيق الذي غيبه فذله الله تعالى عليه^(٥) وكان كنانة بن الربيع قد غيَّب كنز بني النضير في خربة فقال له رسول الله ﷺ: أرايت إن وجدناه عندك أأقتلك؟ قال: نعم

فلما وجد المسلمون الكنز قتلوه^(٦).

ثم دفع لهم الأرض يعملون فيها على الشطر قائلاً: أقركم ما أقركم الله^(٧). ولم يطلب رسول الله ﷺ اخراج اليهود إلى الشام لذلك لم يخرجهم في أيام حكمه الممتدة أربع سنوات بعد فتح خيبر. ولم يخرجهم أبو بكر عن خيبر بل سار على النهج النبوي ولم يخرجهم عمر في

(١) الروض الأنف ٦ / ٥٢٤، السيرة العلية ٣ / ٣١.

(٢) وقيل بقيت في ملكه.

(٣) المنتظم ٣ / ٢٩٧.

(٤) السيرة العلية ٣ / ٤٤، تاريخ الطبري ٢ / ٣٠٢.

(٥) المنتظم ٣ / ٢٩٤.

(٦) الروض الأنف ٦ / ٥١٠، تاريخ الخميس ٢ / ٤٧.

(٧) المنتظم، ابن الجوزي ٣ / ٢٩٤. جمل من أنساب الاشراف ١ / ٤٤٣، التنبيه والاشراف ٢٢٢.

السنوات الأولى لحكمه والممتدة أربع سنوات، وبعد إسلام كعب الأخبار طلب من عمر إعادة اليهود إلى فلسطين التي أخرجوا منها، فوافق عمر.

ولأن القضية خطيرة ولا يوافق عليها المسلمون، فقد صنعوا حديثاً على لسان رسول الله ﷺ مفاده توصيته باخراج اليهود إلى الشام وذكر ذلك الحديث الزهري الأثوري الميول والهوى^(١).

وقُتل من اليهود ثلاثة وتسعون رجلاً، وقُتل من المسلمين ستة عشر شخصاً^(٢) وقيل أربعة وعشرون رجلاً^(٣).

وروا كذباً أن رسول الله ﷺ حرّم المتعة وحرّم أكل لحوم الحمر الأهلية في خير^(٤).

واستغل الحجاج بن علاط السلمي الذي أسلم جديداً وشارك في خير هذه الحادثة فاستأذن رسول الله ﷺ في الذهاب لمكة لجمع ماله من زوجته المشركة ومن الناس. ولأن المشركين يحبون انتصار اليهود على المسلمين فنقد قال لهم الحجاج:

هزم محمد هزيمة لم تسمعوا بمنزلها قط وقُتل أصحابه قتلاً لم تسمعوا بمنزلها قط وأسر محمد وقالوا: لا تقتله حتى نبعث به إلى مكة فيقتلوه بين أظهرهم بمن كان أصاب من رجالهم.

فجمع المشركون له ماله من شدة فرحهم بذلك الخبر وواسى أبو سفيان العباس بالمصيبة التي وقعت على بني هاشم.

ثم انفرد الحجاج بالعباس بن عبد المطلب فقال له: لقد تركت ابن أخيك عروساً

(١) الروض الأثف ٦ / ٥٢٨، تاريخ الخميس ٢ / ٥٦.

(٢) المنتظم ٣ / ٢٩٤.

(٣) مغازي الذهبي ٤٣٠، الروض الأثف ٦ / ٥١٩.

(٤) سنن البخاري ٢ / ٦٠٤، ٦٠٦، سيرة أبي حاتم ١ / ٣٠٤.

على بنت ملكهم يعني صفية بنت حبي ولقد افتتح خيبر، فإذا مضت ثلاث فأظهر أمرك، فأخبر العباس الناس في مكة بذلك فحزن الكافرون وفرح المسلمون^(١). وبعد انتصار المسلمين على الجبهة القرشية بالصلح وعلى الجبهة اليهودية بالحرب وتوسعت الدولة الإسلامية رغب المتزلفون إلى المصالح الدنيوية في اغتنام الفرصة فدخلوا في الاسلام زيفا مثل عمرو بن العاص وأبي موسى الأشعري وأبي هريرة وخالد بن الوليد.

رد الشمس بين الحقيقة والخيال

ردّت الشمس للإمام علي عليه السلام في موطنين أحدهما في حياة النبي صلى الله عليه وآله في غزوة خيبر والثاني بعد رجوعه من معركة النهروان^(٢). وحديث رد الشمس يكاد يكون متواتراً، وألف فيه الكثير من العلماء كتباً خاصة وعلى رأس هؤلاء السيوطي. وقال الديار بكري: وفي هذه السنة طلعت الشمس بعد ما غربت لعلي عليه السلام على ما أورده الطحاوي في مشكلات الحديث عن أسماء بنت عميس من طريقين: أن النبي صلى الله عليه وآله كان يوحى إليه ورأسه في حجر علي عليه السلام ولم يصل العصر حتى غربت الشمس فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: أصليت يا علي؟

قال: لا

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: اللهم إنيّ كان في طاعتك وطاعة رسولك فاردد عليه الشمس.

قالت أسماء: فرأيتها غربت ثم رأيتها طلعت بعدما غربت ووقعت على الجبل وذلك في الصبأ في خيبر^(٣).

(١) الروض الأنف ٦ / ٥٢١، تاريخ الخميس ٢ / ٥٤.

(٢) الذريعة ٣ / ١٧٣، مصنف أبي بكر الوراق.

(٣) تاريخ الخميس ٢ / ٥٨، مشكل الآثار ١١ / ٢.

وفي المنتقى قال أحمد بن صالح: لا ينبغي لمن سبيله العلم التخلف عن حفظ حديث أسماؤه لأنه من علامات النبوة^(١).

وبحث هذا الموضوع العلامة الأميني في كتابه القدير بشكل رائع^(٢).
والمؤيدون لصحة الحديث من علماء السنة: أبو بكر الوراق^(٣) والمحافظ الخطيب البغدادي المترجم ذكره في تلخيص المتشابه^(٤). والمحافظ أبو زكريا الاصبهاني الشهير بابن مندة في كتابه المعرفة والمحافظ القاضي عياض في كتابه الشفا بتعريف حقوق المصطفى^(٥) ١ / ٥٤٨. وخطب خوارزم في كتابه المناقب^(٦). والمحافظ أبو الفتح النطنزي في كتابه الخصائص العلوية والمحافظ أبو القاسم الطبراني في معجمه^(٧) والمحاكم ابن شاهين في مسنده الكبير والمحاكم النيسابوري والمحافظ ابن مردويه الاصبهاني وأبو اسحاق^(٨) البغدادي الشهير بالماوردي في كتابه اعلام النبوة^(٩) والمحافظ أبو بكر البيهقي في كتابه الدلائل^(١٠). والمحافظ محمد الطحاوي في كتابه مشكل الآثار قائلاً: هذان الحديثان ثابتان ورواتهما ثقات^(١١).

وذكر الحديث وصححه العلامة سبط بن الجوزي في كتابه تذكرة الخواص^(١٢).

وصححه المحافظ أحمد زيني دحلان في كتابه السيرة النبوية^(١٣).

(١) تاريخ الخميس ٢ / ٥٨، الكافي ٤ / ٥٦٢، من لا يحضره الفقيه ١ / ٢٠٣.

(٢) كتاب القدير ٣ / ١٢٧، ١٨٤.

(٣) مناقب آل أبي طالب ٢ / ٣٥٣.

(٤) الشفا بتعريف حقوق المصطفى ١ / ٥٤٨.

(٥) المناقب ٣٠٦ ح ٣٠١.

(٦) المعجم الكبير ٢٤ / ١٤٥ ح ٣٨٢.

(٧) التلمبي في تفسيره هرائس المجالس: ٢٤٩، والفقيه.

(٨) اعلام النبوة ١٣٢.

(٩) ذكر في كتاب فيض القدير للسناوي.

(١٠) مشكل الآثار ٢ / ١١.

(١١) تذكرة الخواص ٥٣.

(١٢) السيرة النبوية ١ / ٢٠١.

وأورد الحديث المحافظ الكنجي الشافعي في كتابه كفاية الطالب^(١).
 وصحح الحديث شيخ الإسلام الحموني في كتابه فرائد السطيين^(٢) والمحافظ أبو
 زرعة العراقي في كتاب الطبراني الكبير^(٣).
 وصحح الحديث الإمام السبتي في كتابه شفاء الصدور والمحافظ ابن حجر
 العسقلاني في كتابه فتح الباري^(٤) والإمام العيني في عمدة القاري في شرح صحيح
 البخاري^(٥).
 والمحافظ السيوطي رواه في جمع الجوامع كما في ترتيبه^(٦) عن علي عليه السلام في عدد
 معجزات النبي صلى الله عليه وآله وقال في الخصائص الكبرى^(٧) أتى يوشع حبس الشمس حين
 قاتل الجبارين وقد حبست لنبينا صلى الله عليه وآله في الإسراء، وأعجب من ذلك رد الشمس
 حين فات عصر علي عليه السلام ورواه السيوطي في اللآلئ المصنوعة^(٨) عن أمير المؤمنين
 وأبي هريرة وجابر الانصاري واسماء بنت عميس من طريق ابن مندة والطحاوي
 والطبراني وابن أبي شيبة والخطيب والعقيلي والدولابي وابن شاهين وابن عقدة.
 وايد صحة الحديث المحافظ السهمودي في وفاء الوفاقال: كان ذلك بالصهبا في
 خيبر^(٩).

وايد صحة الحديث المحافظ القسطلاني في المواهب اللدنية^(١٠).

(١) كفاية الطالب ٣٨١، ٣٨٨.

(٢) فرائد السطيين ١ / ١٨٣ ح ١٤٦.

(٣) معجم الطبراني الكبير ٢٤ / ١٤٥.

(٤) فتح الباري ٦ / ٢٢٢.

(٥) عمدة القاري ١٥ / ٤٣.

(٦) كنز العمال ١٢ / ٣٤٨ ح ٥٣ ٣٥٣.

(٧) الخصائص الكبرى ٢ / ٣١٠.

(٨) اللآلئ المصنوعة ١ / ٣٣٦ - ٣٤١.

(٩) وفاء الوفاء ٣ / ٨٢٢.

(١٠) المواهب اللدنية ٢ / ٥٢٨.

والمحافظ ابن حجر الهيثمي إذ عده في الصواعق المحرقة كرامة باهرة لأمر المؤمنين ﷺ^(١). والحلي الشافعي في السيرة الحلبية^(٢).

وجاء في الأحاديث الصحيحة أنّ الشمس لم ترجع إلّا ليوشع بن نون وعلي ﷺ أفضل من يوشع إذ ورد أنّه لم ترد الشمس لأحد من خلق الله تعالى إلّا ليوشع بن نون وصي موسى ﷺ ولأمر المؤمنين ﷺ وكان آخر قتالهم له يوم الجمعة إلى أن غربت الشمس وقد ظهر على المنافقين أصحاب يوشع ﷺ، وقال قاتلوهم فقد غلبتموهم بإذن الله.

فقالوا: لا نقاتل وقد دخل السبت.

فانفرد يوشع ﷺ فتلا أسفاراً من صحف إبراهيم ﷺ ومن التوراة، وسأل الله عز وجل يرّد الشمس عليهم حتى لا يحتج المارقون، فقال يوشع ﷺ: قاتلوا. قالوا: لا نقاتل لأنّ السبت قد دخل، قال: هذا لا من السبت ولا من الجمعة، وإنّي سألت الله عز وجل ردّ الشمس لتظهروا على أعدائكم ولا يظهروا عليكم. فقاتلوهم فغلبوهم وملكوهم وغربت الشمس.

وكانت صفراء ابنة شعيب النبي ﷺ زوجة موسى بن عمران ﷺ تقاتل يوشع بن نون ﷺ مع المارقين من بني إسرائيل على زرافة كما قاتلت عائشة ابنة أبي بكر زوجة رسول الله ﷺ وصيه أمير المؤمنين ﷺ مع المارقين من أمته على جمل^(٣). وقد ردت ليوشع مرّة وقد ردت لأمر المؤمنين ﷺ ثلاث مرات وسلمت عليه بالبقيع^(٤).

(١) الصواعق المحرقة ١٢٨.

(٢) السيرة الحلبية ١ / ٣٨٦.

(٣) كمال الدين، الصدوق ٢٧، الهداية الكبرى، الخصيبي ١٢٣.

(٤) الهداية الكبرى ١٢٣.

وبعد ان انتهى علي عليه السلام من قتل الخوارج وقطع أرض بابل^(١). حضرت صلاة العصر فنزل أمير المؤمنين عليه السلام ونزل الناس، قال علي عليه السلام: أيها الناس إن هذه الأرض ملعونة قد عذبت في الدهر ثلاث مرات وهي إحدى المؤتفكات^(٢) وأول أرض عبد فيها وثن، وإنه لا يحل لنبي ولا لوصي نبي أن يصلي فيها، فمن أراد منكم أن يصلي فليصل، قال الناس عن جنبي الطريق يصلون.

وركب هو عليه السلام بغلة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومضى، قال جويرية فقلت: والله لا تبعن أمير المؤمنين عليه السلام ولا تقلدنه صلاتي اليوم، فضيت خلفه فوالله ما جزنا جسر سورا^(٣) حتى غابت الشمس فشككت، فالتفت إلي علي عليه السلام وقال: يا جويرية أشككت؟

فقلت: نعم يا أمير المؤمنين.

فنزل عليه السلام ناحية فتوضأ ثم نطق بكلام لا أحسنه كأنه بالعبراني، ثم نادى الصلاة فنظرت والله إلى الشمس قد خرجت من جبلين لها صرير^(٤) فصلى العصر وصليت معه، فلما فرغنا من صلاتنا عاد الليل كما كان فالتفت إلي علي عليه السلام وقال: يا جويرية بن مسهر الله عز وجل يقول: ﴿فسبح باسم ربك العظيم﴾ واني سألت الله عز وجل باسمه العظيم فرد علي الشمس.

فقال جويرية لما رأى ذلك: أنت وصي نبي ورب الكعبة^(٥).

وجاء أيضاً أن الشمس كانت قد ردت لعلي بن أبي طالب عليه السلام في وقعة بني النضير حيث صلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ست ليال بأيامها في مسجد هناك يعرف بمسجد الفضيج^(٦).

(١) اسم موضع بالعراق قرب الحلة الزيدية اليوم وبالتقرب منه مسجد الشمس.

(٢) مدائن قوم لوط أهلكتها الله تعالى بالخسف.

(٣) سورى وسوراء بلدة بارض بابل وبها نهر يقال له نهر سورا وفي القاموس سورى موضع بالعراق من بلد السريانيين وموضع من اصحاب بغداد.

(٤) صرير: صوت.

(٥) من لا يحضره الفقيه ١/ ٢٠٤، وسائل الشريعة، الحر العاملي ٣/ ٤٦٩.

(٦) من لا يحضره الفقيه ١/ ٢٠٣، أي أنها ردت لعلي عليه السلام ثلاث مرّات.

وهذا نبي الله سليمان بن داود عليه السلام أمر بأن تعرض عليه خيله حتى اعجب بها وفتنته إلى أن غربت الشمس، وفاتته صلاة العصر، فذكر أنه لم يصل صلاة العصر فأمر برد خيله واعتاقها كفارة لما فوتته صلاة العصر ولم ترد الشمس له، كما ردت لأمير المؤمنين عليه السلام والفضل لرسول الله صلى الله عليه وآله ولأمير المؤمنين لأنه أفضل الوصيين والأئمة الراشدين. وقد قص الله خبر سليمان عليه السلام فقال تعالى:

﴿إِذْ عَرَضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافَاتُ الْجِيَادُ فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَ الْخَيْرِ مِنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ رَدَّهَا عَلَيَّ فَنُفِثَ مَسْحًا بِالسَّوقِ وَالْأَعْنَاقِ﴾^(١).

والمخالفون للحديث هم ابن كثير، ابن تيمية وابن الجوزي وابن حزم^(٢) وقد رد سبط ابن الجوزي قول جدّه في تضعيف الحديث لمكانة ابن عقدة لانه رافضي فقال: وابن عقدة مشهور بالعدالة^(٣).

محاولة يهود خيبر قتل النبي صلى الله عليه وآله

الصحابة: لم يأكل النبي طعام خيبر المسموم

غالبًا ما يحاول القاتل القاء تهمة القتل على غيره لينقذ نفسه من التهمة مثلما فعل قتلة النبي صلى الله عليه وآله بالقاء التهمة على زينب اليهودية . ولم يتصف النبي صلى الله عليه وآله بالغدر وكذلك كان عبد المطلب من أتباع العدل فقد أجبر حرب بن أمية على دفع دية يهودي قتلته^(٤). في حين استمر اليهود في محاولاتهم لقتل الرسول صلى الله عليه وآله ففشلوا وحاول رجال

(١) سورة ص ٣٦-٣٣، الهداية الكبرى ١٢٢.

(٢) كتاب القدير ٣ / ١٢٧، ١٨٤.

(٣) تذكرة الخواص ٥٤.

(٤) أنساب الاشراف ١ / ٨٣.

الحزب القرشي كراراً قتل رسول الله ﷺ ففشلوا اولاً ونجحوا اخيراً ، وحاول القتل اختلاق روايات في مقتل رسول الله ﷺ بسم خير، في حين لم يأكل النبي ﷺ الطعام المذكور.

وإليك الروايات الصحيحة الدالة على عدم أكل رسول الله ﷺ طعام خيبر المسموم عن جابر بن عبد الله الأنصاري وعبد الله بن مسعود :

١- «وفي السنة السابعة وبعد معركة خيبر أهدت زينب بنت الحارث امرأة سلام بن مشكم^(١) للنبي ﷺ شاة مصلية وكانت قد سألت أي عضو من الشاة أحب إلى رسول الله ﷺ فقيل لها الذراع فاكثرت فيها السم، وسُت سائر الشاة ثم جاءت بها.

فلما وضعتها بين يدي رسول الله ﷺ تناول الذراع فاخذها فلاك منها مضغة فلم يُسغها، ومعه بشر بن البراء بن معرور، وقد أخذ منها كما أخذ رسول الله ﷺ فأما بشر فأساغها، وأما رسول الله ﷺ فلم يأكل وقال: **إِنَّ هَذَا الْعَظْمَ لِيُخْبِرُنِي أَنَّهُ مَسْمُومٌ**»^(٢).

ثم دعا بها فاعترفت... فأت بشر بن البراء من أكلته التي أكل في ذلك الزمن. أي أنَّ بشرأ أكل السم. ولم يأكل رسول الله ﷺ من ذلك السم شيئاً.

ومقتل بشر بالسم من كذب السلطة الحاكمة التي قتلت رسول الله ﷺ إذ كيف يقدم مسلم على الأكل قبل زعيمه رسول الله ﷺ؟! فهذا مستحيل في العرف الإسلامي والقبلي.

(١) وكانت زينب بنت الحارث (أخي مرحب) قد عمدت إلى سم لا يلحق، وقد شاورت يهود في سُموم، فأجبروا لها على هذا السم بعينه فسُت الشاة * الطبقات ٢/ ٢٠١، ٢٠٢. والمتخصص بالسموم كان لبيد بن الأعصم اليهودي، فهو أعلمهم بالسموم وبالسموم * الطبقات ٢/ ١٩٧. وكانت الجمادات تسلم على النبي ﷺ ومنها الشجر، أنساب الاشراف ١/ ١١٥.

(٢) تاريخ الطبري ٢/ ٣٠٣، طبعة الأعلمي - بيروت.

٢- وقال البيهقي عن أبي هريرة: «لما فتحت خيبر أهديت لرسول الله ﷺ شاة فيها سمٌ».

فقال رسول الله ﷺ: اجمعوا من كان ها هنا من اليهود، فجمعوا له.
فقال لهم رسول الله ﷺ: إني سأتلّكم عن شيء هل أنتم صادقون عنه؟ قالوا: نعم.
يا أبا القاسم.

فقال لهم رسول الله ﷺ من أبوكم؟
قالوا: أبونا فلان، قال: كذبتُم بل أبوكم فلان. قالوا: صدقت وبررت.
قال النبي ﷺ لهم: هل أنتم صادقون عن شيء أن سألتكم عنه قالوا: نعم يا أبا القاسم وان كذبتك عرفت كذبنا كما عرفته في آبائنا.

فقال رسول الله ﷺ: من أهل النار؟
فقالوا نكون فيها يسيراً ثم تخلفوننا فيها.
فقال لهم رسول الله ﷺ: اخسأوا فيها أبداً.
ثم قال النبي ﷺ: هل أنتم صادقون عن شيء أن سألتكم عنه؟
قالوا: نعم.

قال: أجمعتم في هذه الشاة سمّاً؟
قالوا: نعم.

قال: فما حملكم على ذلك؟
قالوا: أردنا إن كنت كاذباً أن نستريح منك، وإن كنت نبياً لم يضُرْك^(١).

(١) تاريخ ابن الأثير ٢/٢٢١، مناقبي الذهبي ٤٢٦، طبقات ابن سعد ٢/١١٥ سيرة الحفاظ أبي حاتم ١/٣٠٥، تاريخ ابن دحلان ٢/١٧، سيرة ابن هشام ٢/٣٥٢، فتح الباري (٧: ٤٩٧) مختصراً «لما فتحت خيبر أهديت لرسول الله ﷺ شاة فيها سمٌ» كما أخرجه البخاري مطولاً في: ٥٨ - كتاب الجزية (٧) باب إذا غدر المشركون بالمسلمين هل يغني عنهم، فتح الباري (٦: ٢٧٢)، من حديث أبي هريرة، تاريخ ابن كثير ٤/٢٠٩.

٣- وأخبرنا أبو عبد الله الحافظ، قال: حدثنا أبو العباس: محمد بن يعقوب، قال: حدثنا العباس بن محمد، قال: حدثنا سعيد بن سليمان، قال: حدثنا عباد ابن العوام، عن سفيان يعني ابن حسين، عن الزهري، عن سعيد بن المسيب، وأبي سلمة بن عبد الرحمن، عن أبي هريرة أن امرأة من اليهود أهدت إلى رسول الله ﷺ شاة مسمومة.

فقال النبي ﷺ لأصحابه: أُمِسِّكُوا فَإِنَّهَا مَسْمُومَةٌ، فقال ﷺ: ما حملك على ما صنعت؟ قالت: أردت أن أعلم أن كنت نبياً فسيطلعك الله عليه، وإن كنت كاذباً أريح الناس منك.

قال: فما عرض لها رسول الله ﷺ^(١).

٤- وحدثنا الإمام أبو الطيب سهل بن محمد بن سليمان - رحمه الله، قال: أخبرنا أبو حامد أحمد بن الحسين الهمداني، قال: حدثنا محمد بن رزام المروزي، قال: حدثنا خلف بن عبد العزيز، قال: أخبرني أبي عبد العزيز بن عثمان، عن جدي: عثمان بن أبي جبلة، قال: كما أخبرني عبد الملك بن أبي نضرة، عن أبيه، عن جابر بن عبد الله الأنصاري، أن يهودية أهدت إلى رسول الله ﷺ إمّا شاة مسمومة، وإمّا بَرَقاً مسموطاً مَسْمُوماً، فلما قُرِبَتْهُ إِلَيْهِ وبسط القوم أيديهم، قال النبي ﷺ:

→ قال البدر البيني: قوله «أهديت للنبي ﷺ شاة» وكان الذي اتى بها امرأة يهودية صرح بذلك في صحيح مسلم وقال النووي في شرح مسلم وهذه المرأة اليهودية الفاعلة للسم، اسمها زينب بنت الحارث اخت مرحب اليهودي قلت كذا رواه الواقدي عن الزهري، وأنه ﷺ قال لها ما حملك على هذا؟ قالت: قتلت أبي وعمي وزوجي وأخي، قال محمد: فسألت إبراهيم بن جعفر عن هذا فقال أبوها الحارث وعمها بشار وكان أجبن الناس وهو الذي أنزل من الرف وأخوها زبير وزوجها سلام بن مشكم.

قال القاضي عياض: واختلفت الآثار والعلماء هل قتلها النبي ﷺ أم لا فوقع في مسلم أنهم قالوا ألا تقتلها؟ قال ﷺ لا ومثله عن أبي هريرة وجابر، والنبي ﷺ لم يقتلها لأنها لم تقتل أحداً وهذا قال أبو هريرة وجابر بن عبد الله الأنصاري والزهري والسهيلي.

(١) نقله ابن كثير في تاريخه ٢/٩٠٤.

أمسكوا، فَإِنَّ عَضْوًا مِنْ أَعْضَائِهَا يُخْبِرُنِي أَنَّهَا مَسْمُومَةٌ لَدَعَا صَاحِبَتَهَا^(١).

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: أَسَمِعْتَ هَذَا؟

قَالَتْ: نَعَمْ.

قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: مَا حَمَلَكَ عَلَيْهِ؟

قَالَتْ: أَحْبَبْتُ إِنْ كُنْتُ كَاذِبًا أَنْ أَرْجِي النَّاسَ مِنْكَ، وَإِنْ كُنْتُ رَسُولًا أَنْكَ سَتُطْلَعُ عَلَيْهِ، فَلَمْ يَعْاقِبْهَا^(٢).

٥ - وجاء عن عبد الله بن مسعود قوله: لقد كنّا نسمع تسبيح الطعام - يعني بين يدي رسول الله ﷺ - وكلمه ذراع الشاة المسمومة، واحلمه بما فيه من السم^(٣).

إِذْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَعْلَمُ بِالطَّعَامِ الْمَسْمُومِ مِنْ قَبْلِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مِثْلُهَا كَلِمَةُ الذَّرَاعِ الْمَسْمُومِ، فَلَمْ يَأْكُلْ مِنْهُ، وَلَمْ يُمْضِغْهُ، وَهَذَا مِنْ دَلَائِلِ النُّبُوَّةِ. وَأَخْبَارُ اللَّهِ سُبْحَانَهُ لِنَبِيِّهِ ﷺ يَسْتَوْجِبُ عَدَمَ أَكْلِهِ مِنْ ذَلِكَ الطَّعَامِ.

هَذِهِ الرِّوَايَاتُ تَثْبِتُ أَنَّ الرَّسُولَ ﷺ لَمْ يَأْكُلْ مِنْ ذَلِكَ الطَّعَامِ الْمَسْمُومِ، وَكَانَ الْحَادِثُ فِي سَنَةِ ٧ هَجْرِيَّةٍ، وَالرَّسُولُ ﷺ قُتِلَ فِي سَنَةِ ١١ هَجْرِيَّةٍ، إِذْ لَمْ يَمِتِ الرَّسُولُ ﷺ بِفَعْلِ سَمِ خَيْبَرَ قَطْعًا. وَحَاوَلَتِ الْقَوَى الَّتِي قَتَلَتْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ اتِّهَامَ زَيْنَبِ الْيَهُودِيَّةِ بِذَلِكَ لِلْفَرَارِ مِنَ الْقِصَاصِ الَّذِي سَيَحِلُّ بِهِمْ، وَقَدْ اثْبَتَتِ الرِّوَايَاتُ الصَّحِيحَةُ عَدَمَ أَقْدَامِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَصَحْبِهِ الْمُسْلِمِينَ عَلَى الْأَكْلِ مِنْ تِلْكَ الشَّاةِ. وَنَطَقَ الشَّاةُ الْمَشْوِيَّةُ كَانَ مِنْ عِلَامَاتِ النُّبُوَّةِ فَذَكَرَهُ الْعُلَمَاءُ فِي كُتُبِ دَلَائِلِ النُّبُوَّةِ.

وَبَشَّرَ بِنِ الْبِرَاءِ بِنَ مَعْرُورٍ قَتَلَ فِي مَعْرَكَةِ خَيْبَرَ فِي الْحَرْبِ، وَمَا لَفَقُوهُ عَلَيْهِ مِنْ أَكْلِهِ الطَّعَامِ قَبْلَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ زَيْفٍ قَتَلَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، مِثْلًا زَيْفُوا

(١) شرح النووي على مسلم ١٤ / ١٧٩.

(٢) نقله الصالحى في السيرة الشامية (٥ : ٢٠٨).

(٣) البداية والنهاية، ابن كثير ٦ / ٣١٧، ٣٢٢.

أحداث السقيفة بأن سعد بن عبادَةَ الانصاري أراد اغتصاب السلطة في السقيفة وهو برىء من هذه التهمة^(١).

إذ جاء في رواية مختلفة إنَّ رسول الله ﷺ دفع ابن أبي الحقيق إلى ولاية بشر بن البراء فقتل به^(٢)، بينما جاء في رواية: إنَّ بشر بن البراء مات بعد ذلك بسنة^(٣). وفي رواية مات في زمن خلافة عمر^(٤).

وفهم علماء السوء المطلب فالخوا في الافتراء لأنبات مقتل رسول الله ﷺ من جراء ذلك السم لتبرئة القتل من التهمة وإبطال الكرامة الإلهية التي وهبها الله تعالى لرسوله والمتمثلة في نطق الشاة المشوية.

ولقد جاءت عدَّة روايات محرّفة في مسمومية رسول الله ﷺ منها: أحبُّ العراق إلى رسول الله ﷺ الذراع، ذراع الشاة، وقد كان سم فيها وكان يُروى أنَّ اليهود سموه^(٥)، وأضاف المحرّفون للرواية الصحيحة عبارة: فأخذ رسول الله ﷺ منها مضغة فلم يسفنها^(٦).

والصحيح كما اثبتناه في الروايات ان النبي ﷺ والمسلمين لم يأكلوا من تلك الشاة المسمومة.

والذين قتلوا رسول الله ﷺ هم الذين أشاعوا مقتله بسم خيبر وأشاعوا مقتل بشر بن البراء بن معرور بالسم، وكانت عائشة على رأس القاتلين بذلك^(٧).

(١) راجع كتاب السقيفة للمؤلف ١٩٦.

(٢) مغازي الواقدي ٦٧٣/٢.

(٣) مغازي الواقدي ٦٧٨/٢، الشفاء، القاضي عياض ١٠٧/١.

(٤) كتاب من له رواية في مسند أحمد، محمد بن علي بن حمزة.

(٥) أخرجه أبو داود ص ٣٧٨١، في الاطعمة باب في أكل اللحم، شمائل الترمذي ص ١٦٣، باب ما جاء في صفة إدام رسول الله ﷺ، المصنف لابن أبي شيبة ص ١٣ رقم ١٥٣٨٢، وطبقات خليفة ص ٩٦، وتاريخه ص ٧١، ١٩٨، ٢٢٩، ٢٧١، ومسند أحمد ٢/٣، والمعبر ص ٢٩١، ٤٢٩.

(٦) تاريخ ابن الأثير ٢/٢٢١.

(٧) راجع كتاب المستدرک، للحاكم ٢/٦٠.

لقد انقسمت الروايات الى قسمين القسم الأكثر قال بأن الشاة أخبرت رسول الله قبل أكله منها فلم يأكل ﷺ.

والقسم الثاني المحرف قال: إن رسول الله ﷺ لأك منها مضغة فلم يسغها فلفظها. والادلة التالية تثبت عدم مقتل النبي ﷺ بسم خبير

١- لم يأكل رسول الله ﷺ من الشاة المسمومة. والعقل يحتم أن يكون نطق الشاة قبل الإقدام على المضغ لا بعده.

ولأن رواية نطق الشاة من الروايات المتواترة لم يتمكن الأمويون وأتباعهم من حذفها.

٢- ولأن الطعام المسموم لزينب اليهودية لم يقتل أحداً فقد عفا عنها رسول الله ﷺ كما في الروايات الصحيحة^(١). ولو تسبب ذلك السم في قتل بشر لقتلها خاتم الأنبياء به.

٣- ولا علاقة لموت النبي ﷺ في سنة ١١ هجرية بسم خبير في سنة ٧ هجرية، إذ الفارق الزمني كان طويلاً، هذا أولاً وثانياً أن النبي ﷺ لم يأكل الطعام المسموم. لأن الذراع المسمومة أخبرته بذلك.

بينما حاول اعلام السلطة القاء المسؤولية في شهادة الرسول ﷺ على أكلة خبير. إذ رووا عن النبي ﷺ حديثاً كاذباً هو: ما زالت أكلة خبير تعاودني كل عام^(٢). ومن طبيعة السموم قتلها للضحايا في أيام معدودة ولا تعطي فرصة أكثر من ذلك، وهذا مأخوذ من تجارب السموم في التاريخ، والعلم الحديث يؤيد ذلك.

فنفهم أن الرواية الصحيحة لعبد الله بن مسعود تقول إنه ﷺ لم يأكل طعام خبير المسموم، وأيد البخاري الرواية الصحيحة في عدم أكل النبي ﷺ من طعام خبير^(٣).

(١) فتح الباري ٧/ ٤٩٧، تاريخ ابن كثير ٤ / ٢٠٩.

(٢) كنز العمال ١١/ ٣٢١٨٩.

(٣) صحيح البخاري ٤/ ٦٦ دار الفكر - بيروت.

وفي أيامنا كثيراً ما تقتل الحكومات أعداءها وتضع التهمة على الأبرياء فتقتلهم!

إذن من قتل النبي ﷺ في السنة الحادية عشرة؟!

سيأتي الجواب في فصل قادم.

٤ - ولم يسمع الله تعالى بقتل النبي ﷺ قبل اكماله القرآن الكريم ورسالة الاسلام ولما اكمل رسالته وابلغ الناس بولاية علي عليه السلام نزل قوله تعالى :
اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام ديناً .
وعندها سمح الله تعالى لأعداء النبي ﷺ بقتله فقتلوه .

فدك

كان رجال فدك اليهود قد شاركوا مع رجال خيبر في حرب الأحزاب فحاصروا المدينة واخلأوا أهلها ورموها بالنبل .

ولما دنا رسول الله ﷺ من خيبر بعث محبصة بن مسعود إلى فدك يدعوهم إلى الإسلام ويخوفهم أن يغزوهم كما غزا أهل خيبر ويحل بساحتهم فجاءهم محبصة وأقام عندهم يومين فقالوا: بالنظاة عامر وياسر وأسير والمخارث وسيد اليهود مرحب ما نرى محمداً يقرب حراهم^(١)، إن بها عشرة آلاف مقاتل.

قال محبصة: فلما رأيت خبثهم أردت أرحل راجعاً فقالوا نحن نرسل معك رجالاً يأخذون لنا الصلح، ويظنون أن اليهود تمتنع:

فلم يزالوا كذلك حتى جاءهم خبر قتل أهل حصن ناعم وأهل النجدة منهم. ففتت ذلك أعظادهم وقالوا لمحبصة: أكنم عنا ما قلنا لك ولك هذا الحلي وكان كثيراً فقال محبصة: بل أخبر رسول الله بالذي سمعت منكم. فأخبر النبي ﷺ عما قالوا.

(١) جناب الرجل يقال إذهب فلا أراك بحري، النهاية ٢٢ / ١ .

وقدم معه رجل من رؤسائهم يقال له نون بن يوشع في نفر من اليهود، صالحوا رسول الله ﷺ أن يحقن دماءهم ولرسول الله ﷺ نصف الأرض وبقوا يعملون في النصف الثاني من الأرض على نصف الحاصل^(١).

والرواية الأصح: لما سمع يهود فدك بهزيمة يهود خيبر أمام المسلمين بعثوا إلى النبي ﷺ من يفاوضه على تنازلهم عن الأرض وما يملكون مقابل حقه ﷺ دمائهم، واتفقوا معه على بقائهم في الأرض يعملون فيها بنصف الناتج^(٢).

فأصبحت خيبر المفتوحة عنوة للمسلمين، وأضحت فدكاً للرسول ﷺ لأنها أخذت دون حرب. فأعطاها الرسول ﷺ ابنته فاطمة^(٣).

وقال علي عليه السلام في خلافته: بلى كانت في أيدينا فدك من كل ما أظلمته السماء فشخت عليها نفوس قوم، وسخت عنها نفوس قوم آخرين ونعم الحكم الله تعالى^(٤).

ولما جاء أبو بكر إلى السلطة انتزع فدك من فاطمة^(٥) بحديث انكره صحابة رسول الله ﷺ ومفاده قوله: نحن معاشر الأنبياء لا نورث^(٥).

والقرآن يكذب هذا الحديث بقوله تعالى ﴿وورث سليمان داود﴾^(٦).

ورغم ذلك الحديث الكاذب فقد كتب أبو بكر كتاباً في إرجاع فدك لفاطمة^(٧) فرفض عمر ومزق ذلك الكتاب.

واعطى عثمان فدكاً لمروان بن الحكم^(٧).

(١) مغازي الواقدي ٢ / ٧٠٦.

(٢) شرح النووي على مسلم ١٢ / ٨٢.

(٣) فضائل الخمسة في الصحاح الستة ٣ / ١٣٦، شرح التهج، المعتزلي ٤ / ٣٧.

(٤) شرح التهج، المعتزلي ٤ / ٣٧.

(٥) سنن البيهقي ٦ / ٣٠١.

(٦) النمل: ١٦.

(٧) سنن البيهقي ٦ / ١٠١، القدير ٧ / ١٩٥.

واعطاها مروان لابنه عبدالعزيز ووهبها عبد العزيز لابنه عمر ولما وصل عمر بن عبد العزيز إلى الخلافة ردها إلى أهلها الشرعيين فسلمها للامام علي بن الحسين عليه السلام الذي وزع ناتجها على ذرية فاطمة عليها السلام.

ثم اغتصبها يزيد بن عبد الملك وبقيت بيد الدولة إلى ان ردها أبو العباس السفاح.

ثم اغتصبها المنصور بعد ثورة عبد الله بن الحسن، ثم ارجعها المهدي العباسي لأهل البيت وأخذها منهم موسى بن المهدي العباسي ثم أعادها المأمون ثم اغتصبها المتوكل ^(١).

غزوة وادي القرى

وتقع وادي القرى خارج الحجاز وهي الحدود الشمالية لجزيرة العرب. وخيّر رسول الله ﷺ يهود وادي القرى بين الإسلام أو الجزية فإن أسلموا أحرزوا أموالهم ودماءهم، لكنهم رفضوا الإسلام وأصرّوا على الحرب. فحاصروهم أربعة أيام.

وحاربهم رسول الله ﷺ وانتصر عليهم ولما هزموا أعلنوا الإستسلام فأخذ المسلمون أموالهم وأرضهم، وأبقاهم النبي ﷺ في أرضهم يعملون فيها بنصف حاصلها؛ مثلما فعل مع أهل خيبر.

فكانت سيرة النبي ﷺ مع اليهود تتمثل في قبوله بجزيتهم وإبقائهم في مناطقهم يعملون فيها مقابل نصف ثمرها. وفي الحصار قُتل مولى رسول الله ﷺ مدغم. ولم يستسلم هؤلاء اليهود إلا بعد قتلى كثيرين أعطوهم في ساحة الحرب قد

(١) السقيفة، أبو بكر الجوهري ١٠٤، شرح النهج ٦ / ٢١٠، فتوح البلدان ٣٦، تاريخ الطبري ٢ / ٤٤٨، السيرة الحلبية ٢ / ٣٦٣.

قتلوا في مبارزات فردية مع المسلمين^(١).

وسبب ابقاء رسول الله ﷺ هؤلاء في أرضهم يعملون بها هو اعتراف الإسلام بدينهم المساوي. والنبي ﷺ لا يريد إعادة اليهود إلى الشام ثانية ليؤسسوا دولة إسرائيل مرة أخرى. كما ان احترامه لبني البشرية وأصحاب الديانات الاخرى فرض عليه ابقاءهم في اراضيهم يعملون فيها.

ولما قتل اليهود مسلماً بعد فتح خيبر لم يكن عند المسلمين دليل فوداه رسول الله ﷺ ولم يخرج اليهود من خيبر^(٢). الأخبار يرغب في إعادة تأسيس دولة إسرائيل في فلسطين.

ولما جاء عمر بن الخطاب إلى الرئاسة خالف سيرة النبي ﷺ في يهود الحجاز وأخذ بطلب كعب الأخبار المتمثل في إرسالهم إلى الشام موطنهم الأصلي حيث أمانة معاوية بن أبي سفيان، فاعطاهم معاوية الأراضي هناك فقوي أمرهم واشتد مكرهم^(٣). وفي وادي القرى كان الأعراب قد غدروا بسلطان الفارسي المسافرين معهم في بداية الهجرة النبوية إلى المدينة فباعوه فيها إلى يهودي ثم باعها ذلك اليهودي إلى يهودي آخر من بني قريظة فقدم به المدينة. ثم أسلم وعاش مائتين وخمسين سنة^(٤).

ولما عرض النبي ﷺ الإسلام أو الجزية على يهود تيماء قبلوا بالأمر الثاني فلم يقع هناك قتال^(٥). وتيماء على بعد ثمانية مراحل من الشام ووادي القرى بينها وبين المدينة.

(١) مغازي الذهبي ٤٤٢. تاريخ الطبري ١٦ / ٣، نهاية الإرب ١٧ / ٢٦٨، عيون الأثر ٢ / ١٤٤، تاريخ ابن الأثير ٢ / ٢٢٢، سنن البخاري ٧ / ٢٣٥، المستدرک، الحاكم ٣ / ٤٠.

(٢) مغازي الواقدي ٢ / ٧١٥.

(٣) راجع نظريات الخليفتين ٣٨٧ / ٢ للمؤلف.

(٤) تحفة الأحوف في شرح الترمذي ١ / ٢٠٢، المعجم الكبير، الطبراني ٦ / ٢٢٤، دلائل النبوة،

الاصهاني ٤٢.

(٥) مغازي الواقدي ٢ / ٧١٠، ٧١١.

الدلائل والعبر

بعد مراجعة موضوع غزوة خيبر الذي كتبناه نلاحظ نتائج وحكماء ودلالات مؤثرة منها:

إن رسول الله ﷺ كان يحارب الاطراف كل واحد على حدة وينتقم من القدرة الذين حاربوه في معركة الخندق الذين هددوا أمن المدينة المنورة باستمرار. ونجد السرعة الفائقة في الوصول إلى خيبر فلم يستقر المسلمون في المدينة بعد عودتهم من الحديبية الا شهراً واحداً حتى تجهزوا للحرب خيبر. فرسول الله ﷺ ليس من أهل الرخاء والترف بل هو من أهل الجد والاجتهاد والجهاد.

فقد حاول النبي ﷺ الإستفادة من صلحه مع قريش إلى أقصى حد وهو عارف بغدر قريش وجبروتها، واقصائه يهود خيبر من قائمة الأعداء يضعف قريش ويزيد في قوة المسلمين في خيبر المال والسلاح والرجال ووقوع المسلمين بين مكة وخيبر يضعف: أمنهم واستقرارهم.

فنجحت خطة الرسول الاعظم ﷺ إذ حاصر خيبر عشرين يوماً فلم تستدخل قريش في المعركة.

واسقرار الجيش الإسلامي بين قبيلة غطفان وخيبر منع غطفان من تقديم العون لليهود.

ومن الأمور المهمة الاخرى في خيبر ارسال النبي ﷺ لثلاثة قيادات للمعركة متمثلة في أبي بكر وعمر وعلي ﷺ.

والشخصيتان الاولى والثانية تمثلان مشروع القيادة الحائقة والضعيفة الموصوفة في الكتب: بالجهن، فالواحد منهم مع جيشه يجبنهم ويجبنونه^(١).

(١) مجمع الزوائد، ابن حجر ٩ / ١٢٤، تلخيص المستدرک ٢ / ٣٧٦، المستدرک، الحاكم ٣ / ٣٧، سنن البخاري ٤ / ٤٦٥ ح ١١٥٥، مغازي الذهبي ١٢٢.

وكانت معركة خيبر أكبر فضيحة لمشروع القيادة الفاشلة فانتشرت الاخبار في صفوف المسلمين واليهود والمناطق المجاورة بهزيمة المسلمين في يومين متوالين بزعامة أبي بكر وعمر.

فضعفت معنويات المسلمين وقويت معنويات اليهود وكادت الحرب تنتهي بهزيمة الموحدين.

وترقب اليهود مجيء قائد جبان ثالت إلى ارض المعركة ليهزموه وعلت معنويات الجيش الخيري إلى درجة خروجهم من حصنهم وإحاقهم الهزيمة بالأنصار. وبلغوا خيمة النبي ﷺ .

وعندها نادى خاتم الأنبياء: لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله يفتح الله على يديه كرار ليس يفرار فلما أصبح أرسل علي بن أبي طالب ﷺ فخرج أمير المؤمنين علي ﷺ بروحيته العالية وتوكله على القدرة الأحدية فقتل بطل اليهود وقائدها الحارث أخا مرحب ثم قتل القائد الثاني ياسراً.

فاضطرب ملك اليهود وبطلهم الأكبر مرحب اليهودي للنزول إلى ارض المعركة متعنياً لحاق الهزيمة بالمسلمين كما الحقوها بالقائدين السابقين أبي بكر وعمر.

وما أن جال مرحب في ميدان الحرب حتى طلع اليه بطل المسلمين وقائد الفر الميامين يوم القيامة علي بن أبي طالب ﷺ فضربه ضربة قاصمة حطم فيها خوذته الحديدية والحجر وجمجمته فاستقر ذو الفقار في أسنانه^(١)!

فكبر المسلمون وانهمز اليهود إلى حصونهم خائفين ومصرين على عدم الخروج لحرب المسلمين.

وعندها هجم عليهم الإمام علي ﷺ واقتلع باب حصنهم المنيع وقتلهم في اوكارهم وأمنهم فاستسلموا خائفين مرعوبين مدحورين فتحقق النصر للمسلمين.

فبينت هذه المعركة فائدة القيادة الشجاعة وأهميتها، في القتال تلك القيادة المعتمدة على الله تعالى كما قال علي عليه السلام: بعد قلعه باب خيبر: ما قلعت باب خيبر بقوة جسمانية ولكن بقوة الهية^(١).

فعرف المسلمون أن القيادة الذائبة في الله تعالى هي المنتصرة والقيادة الأخرى هي الفاشلة والخائبة.

فارتفع نجم علي عليه السلام وانخفضت منزلة أبي بكر وعمر في نظر المسلمين إلى درجة ملحوظة خاصة وانهما تعرضا لانتكاستين مرّتين في فترة زمنية مستقاربة مرّة في الحديبية ومرّة في خيبر.

وكانت نتيجة المعارك عدم اقدام أبي بكر وعمر وعثمان على قتل اي مشركه قرشي ويهودي، وهذا الأمر كان من دواعي حقد قريش واليهود على محمد صلى الله عليه وآله وعلي عليه السلام وحبّهم لأبي بكر وعمر.

وبالاضافة إلى حديث المنزلة الإلهية الذي قاله رسول الله صلى الله عليه وآله في علي عليه السلام فقد تحققت معجزة لعلي عليه السلام بهرت العقول تمثلت في رد الشمس كرامة من الله تعالى لوصي المصطفى.

فقد وقفت الشمس ليوشع عليه السلام وصي موسى عليه السلام وارتدت لوصي محمد صلى الله عليه وآله علي عليه السلام. فكانت قضية رد الشمس أعظم معجزة نبوية تحققت باسم علي عليه السلام لم يذكر لها التاريخ من نظير. فتأثر العلماء الأكابر بها وألف السيوطي كتاباً خاصاً في هذا المجال.

ويُثبت معركة خيبر هزيمة الغدر وانتصار الحق ولكن بشروط:

ألا وهي حب المسلم لله ورسوله وحب الله ورسوله له.

والاندفاع في سبيل الله تعالى دون خوف من الموت وجعل الإسلام فوق القومية والقبلية وغيرها.

ومن القضايا الاخلاقية استمرار رسول الله ﷺ في الاعتراف بهم كأصحاب
بين سماوي رغم ما فعله اليهود من موبقات إذ ابقاهم في اراضيهم يزرعون على
النصف بناءً على طلبهم. أي أخذ النبي ﷺ أموالهم وأرضهم ولم يأخذ نساءهم
وأطفالهم.

وما أوجدوه لاحقاً من وصية رسول الله ﷺ باخراج اليهود إلى الشام ما هو
الآ رواية زائفة اوجدها زعيم اليهود كعب الأحبار^(١).

واظهرت معركة خيبر فرح قريش بانتصار اليهود المزعوم وهزيمة المسلمين؛
وتكررت هذه الواقعة في معركة حنين، رغم اسلام قريش الظاهري فإنهم كانوا
يتعمّنون انتصار هوازن على المسلمين إذ قال أبو سفيان: لا تنتهي هزيمتهم دون
البحر^(٢).

(١) راجع كتاب، ظريات الخليفتين، للمؤلف ج ٢ باب اليهود.

(٢) تاريخ يعقوبي ٤٧ / ٢.

الباب الثالث:

مرحلة الانتشار

الفصل الاول

احداث ما قبل فتح مكة



معاهدة النبي ﷺ للنصارى

وقد نصارى نجران

جاء نصارى نجران إلى المدينة لمحااجة رسول الله ﷺ بمعتقداتهم من بنوة نبيهم عيسى عليه السلام (والعياذ بالله تعالى)، فردَّهم رسول الله ﷺ في كتابه بهاتين الآيتين: ﴿إِنْ مَثَلٌ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ، الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ، فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾^(١)

ووفد نصارى نجران ستون راكباً، فيهم أربعة عشر رجلاً من اشرافهم يؤول أمرهم إليهم والعاقب عبدالمسيح رئيسهم والسيد الأيهم عالمهم وأبو حارثة أسقفهم.

فقالوا: إِنَّ عِيسَى ابْنُ اللَّهِ وَثَالَتْ ثَلَاثَةٌ، وَإِلَّا فَن أَبُوهَ يَا مُحَمَّد؟
فزلت سورة آل عمران وأمر الله سبحانه نبيه بملاعنتهم^(٢). وبعد يوم من المدارس والمناقشة مع رسول الله ﷺ رضوا بالمباهلة مع رسول الله ﷺ.

(١) آل عمران ٥٩ - ٦١.

(٢) تفسير ابن كثير ٥٧٩/١، ٥٨١.

قال اليعقوبي: «فلما أصبحوا قال أبو حارثة: انظروا من جاء معه، وغدا رسول الله آخذاً بيد الحسن والحسين تتبعه فاطمة وعلي بن أبي طالب بين يديه وغدا العاقب والسيد بائنين لها عليهما الدر والحلي وقد حقوا بأبي حارثة.

فقال أبو حارثة: مَنْ هؤلاء معه؟

قالوا: هذا ابن عمه وهذه ابنته، وهذان ابناها.

فجثا رسول الله ﷺ على ركبتيه ثم ركع.

فقال أبو حارثة: جثا والله كما يجثو النبيون للمباهلة.

فقال له السيد: أدُنْ يا أبا حارثة للمباهلة.

فقال أبو حارثة: إني أرى رجلاً حرياً على المباهلة وأني أخاف أن يكون صادقاً، فإن كان صادقاً لم يَحُلْ الحول وفي الدنيا نصراني يطعم الطعام.

وقال أبو حارثة: يا معشر النصاري إني لأرى وجوهاً لو سألوها الله أن يزيل جبلاً من مكانه لأزاله، فلا تبتهلوا فتهلكوا. والمباهلة حدثت في ٢٤ ذى الحجة.

فقال أبو حارثة: يا أبا القاسم لا نباهلك ولكننا نعطيك الجزية.

فصالحهم رسول الله ﷺ على ألني حُلَّة من حُلل الاواق، قيمة كل حلة اربعون درهماً، وثلاث وثلاثين درعاً عادية وثلاث وثلاثين بعيراً وأربع وثلاثين فرساً غازية.

وكتب لهم رسول الله ﷺ كتاباً جاء فيه:

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا كتاب من النبي محمد ﷺ لنجران وحاشيتها إذ كان له عليهم حكمه في كل بيضاء وصفراء وثمرة ورقيق كان أفضل ذلك كله لهم غير ألني حُلَّة من حُلل الاواق قيمة كل حلة اربعون درهماً، فما زاد أو نقص فعلى هذا الحساب ألف في صفر وألف في رجب، وعليهم ثلاثون ديناراً مئوا رسلي شهراً فما فوق.

وعليهم في كل حرب كانت باليمن دروع عارية مضمونه لهم بذلك جوار الله و ذمة محمد، فن أكل الربا منهم بعد عامهم هذا فذمتي منه بريئة.
فقال العاقب: يا رسول الله إنا نخاف أن تأخذنا بجنابة غيرنا.
فكتب النبي ﷺ: ولا يؤخذ أحد بجنابة غيره.

شهد على ذلك عمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة، وكتب علي بن أبي طالب.
فلما قدموا نجران أسلم الأيمن وأقبل مسلماً^(١).

قال الفخر الرازي: هذه الآية ﴿ندعُ أبناءنا وابناءكم ونساءنا ونساءكم و
انفُسنا و انفسكم﴾ دالة على أن الحسن والحسين ابنا رسول الله ﷺ، ويؤكد هذا
قوله تعالى: ﴿ومن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وسليمانَ... وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى﴾^(٢).

ومعلوم أن عيسى ﷺ إنما ينتسب إلى إبراهيم ﷺ بالأُم لا بالأب، فثبت أن ابن
البت قد يسمى ابناً، والحسن والحسين ﷺ ينتسبان إلى النبي ﷺ من الأُم^(٣).
قال الشعبي: أراد الحجاج قتل فقيه خراسان يحيى بن يعمر لزعمه أن الحسن
والحسين ﷺ من ذرية رسول الله ﷺ قائلًا:

لنأتيني بها واضحة بينة من كتاب الله أو لأقطعنك عضواً عضواً.

فقال: أتيك بها واضحة بينة من كتاب الله يا حجاج، فقال الآية السابقة.
فقال الحجاج: كافي لم أقرأ هذه الآية من كتاب الله^(٤).

ورغم هذا القول القرآني الفصل والكلام الساموي المحكم في فضل أهل البيت ﷺ
لم يذكر البعض أهل البيت في شرحهم على حادثة المباحلة حسداً لهم وذكروا بدلاً
عنهم زيفاً لا أصل له يتمثل في ارساله ﷺ أبا عبيدة بن الجراح مع النصاري

(١) تاريخ يعقوبي ٨٢/٢، ٨٣

(٢) الانعام ٨٤

(٣) الأنعام ٨٤، تفسير الرمخسري ٤٣٤/١، تفسير الفخر الرازي ٨٠/٨ - ٨١، الدر المستور ٣/٣١١.

تفسير الخازن ٢٤٣/١، دلائل النبوة، أبو نعيم ٢٩٨، ٢٩٩، نور الابصار، السنجي ١١١.

(٤) المصدر السابق.

ووصفه ﷺ له القوي الأمين^(١). والصحيح ان الأمين من صفات رسول الله ﷺ؛
والنصارى لم يسلموا، فلماذا يرسل معهم ﷺ شخصاً يفقههم في الدين، وقد
اتفقوا مع النبي ﷺ على اعطاء الجزية واشترط ابقائه ﷺ لهم على النصرانية^(٢).
لقد أراد الأمويون إبعاد الأنظار عن أهل البيت ﷺ في قضية المباحلة وحرفها
إلى ابن الجراح حفار قبور المهاجرين الذي امتنع عن حفر قبر رسول الله ﷺ بعد
موته ﷺ^(٣). فهل هو أمين؟
وأهل البيت ﷺ ذرية الرسول ﷺ وإبراهيم عليه السلام، وقال الله تعالى في ذرية
إبراهيم:

﴿وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب﴾^(٤)

وقال تعالى: ﴿ولقد أرسلنا نوحاً وإبراهيم وجعلنا في ذريتهما النبوة
والكتاب﴾^(٥)

ونقض زعماء نجران لاحقاً اتفاقهم مع النبي ﷺ فكاتبوا الأسود العنسي
وسلموه خالد بن سعيد بن العاص (والي النبي ﷺ على اليمن) وعمر بن حزم^(٦).

غزوة ذات السلاسل

لقد تجمعت عدة قبائل من شمال جزيرة العرب للهجوم على المدينة المنورة لقتل
رسول الله والمسلمين. ويقال لواديهم الوادي اليابس او وادي الرمل وبينه وبين
المدينة عشرة ايام وفيها قبيلة قضاة. وقال خليفة في تاريخه عن أرضهم هي عين

(١) تفسير ابن كثير ٥٧٩/١، ٥٨١.

(٢) تفسير ابن كثير ٥٧٨/١.

(٣) تاريخ الطبري ٤٥٢/٢.

(٤) العنكبوت ٢٧.

(٥) الحديد ٢٦.

(٦) تاريخ ابن الوردي ١ / ١٣٣.

بأرض جذام^(١).

واستخدم الروم بني قضاة على بادية العرب وكان لهم ملك ما بين الشام والحجاز^(٢). وفي تلك المنطقة ناس من بني عذرة وبلي وقبائل من اليمن^(٣).

وكانت تلك الحادثة في السنة الثامنة للهجرة في شهر صفر وسميت المعركة بذات السلاسل لان الامام عليا عليه السلام جاء بالاسرى مربطين بالحبال والسلاسل. واستخلف النبي صلى الله عليه وآله وسلم على المدينة سعد بن عباد^(٤).

فمن الامام أبي عبد الله عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحاً فَالْمُورِيَاتِ قَدْحاً﴾، قال هذه السورة نزلت في أهل وادي الياصب. قلت له وما كان حالهم وقصتهم؟

قال ان اهل وادي الياصب اجتمعوا اثني عشر الف فارس وراجل وتعاهدوا وتعاهدوا وتوثقوا على ان لا يتخلف رجل عن رجل ولا يخذل احد أحداً ولا يفر رجل عن صاحبه حتى يموتوا كلهم على حلف واحد او يقتلوا محمدًا صلى الله عليه وآله وسلم وعلي بن ابي طالب صلى الله عليه وآله وسلم.

فنزل جبرئيل صلى الله عليه وآله وسلم على محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأخبره بقصتهم وما تعاهدوا عليه وتوثقوا، وأمره ان يبعث ابا بكر اليهم في اربعة آلاف فارس من المهاجرين والأنصار:

فصعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: «يا معشر المهاجرين والانصار ان جبرئيل أخبرني أن أهل وادي الياصب أثنأ عشر ألف فارس وراجل قد استعدوا وتعاهدوا وتعاهدوا ان لا يندرج رجل بصاحبه ولا يفر عنه ولا يخذله حتى يقتلوني وأخي علي بن أبي طالب وأمرني أن أسير إليهم ابا بكر في أربعة آلاف

(١) طبقات ابن سعد ١٣١ / ٢، تاريخ خليفة ٥١، البحار ٢١ / ٧٥.

(٢) معجم قبائل العرب، عمر كحالة ٩٥٨ / ٣.

(٣) تاريخ اليعقوبي ٧٥ / ٢.

(٤) السقيفة، ابو بكر الجوهري ٤٨.

فارس فخذوا في أمركم واستعدوا لعدوكم وانهمضوا إليهم على اسم الله وبركته في يوم الاثنين إن شاء الله تعالى».

فأخذ المسلمون عدتهم وتجهّزوا وأرسل رسول الله ﷺ أبا بكر بأمره وكان فيما أمره به أنه إذا رآهم أن يعرض عليهم الإسلام فإن تابعوه وإلا واقمهم فيقتل مقاتلتهم ويسبي ذراريهم ويستبيح أموالهم ويغرب ضياعهم وديارهم، فمضى أبو بكر ومن معه من المهاجرين والانصار في أحسن عدة وأحسن هيئة يسير بهم سيراً رقيقاً حتى أتوها إلى وادي اليابس، فلما بلغ القوم نزول أبي بكر وأصحابه قريباً منهم، خرج إليهم من أهل وادي اليابس مائتا رجل مدججين بالسلاح، فلما صادفهم قالوا لهم:

من أنتم ومن أين أقبلتم وإلى أين تريدون؟ ليخرج إلينا صاحبكم حتى نكلمه. فخرج إليهم أبو بكر في نفر من أصحابه المسلمين فقال لهم: أنا أبو بكر صاحب رسول الله.

قالوا ما أقدمك علينا؟

قال أمرني رسول الله ﷺ أن أعرض عليكم الأسلام فإن تدخلوا فيما فيه المسلمون لكم مالهم وعليكم ما عليهم وإلا فالحرب بيننا وبينكم.

قالوا له: واللات والعزى لولا رحم بيننا وقرابة قريبة لقتلناك وجميع أصحابك قتلة تكون حديثاً لمن يكون بعدكم فارجع أنت ومن معك وأربحوا العافية فإننا إنما نريد صاحبكم بعينه وأخاه علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

فقال أبو بكر لأصحابه: يا قوم! القوم أكثر منكم أضعافاً وأعد منكم وقد ناءت داركم عن اخوانكم من المسلمين فارجعوا نعليهم رسول الله ﷺ بحال القوم.

فقالوا له جميعاً خالفت يا أبا بكر قول رسول الله ﷺ وما أمرك به فاتق الله وواقع القوم ولا تحالف رسول الله ﷺ.

فقال اني اعلم ما لا تعلمون الشاهد يرى ما لا يرى الغائب فانصرف وانصرفوا اجمعون، فأخبر رسول الله بمقالة القوم وما رد عليهم ابو بكر.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا ابا بكر خالفت أمري ولم تفعل ما أمرتك به وكنت لي والله عاصياً فيما أمرتك به فقام النبي ﷺ وصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: يا معشر المسلمين أمرت ابا بكر أن يسير الى أهل وادي الياض وأن يعرض عليهم الإسلام ويدعوهم الى الله فان أجابوه وإلا واقمهم، وإنه سار اليهم فخرج منهم مائتا رجل فلما سمع كلامهم وما استقبلوه به انتفخ صدره ودخله الرعب منهم وترك قولي ولم يطع أمري، وإن جبرئيل أمرني عن الله أن ابعث اليهم عمر مكانه في أصحابه في أربعة آلاف فارس فسر يا عمر على اسم الله ولا تعمل كما عمل أخوك فانه قد عصى الله وعصاني وأمره بما أمر به الاول.

فخرج وخرج معه المهاجرون والانصار الذين كانوا مع الاول يقتصد بهم في سيرهم حتى شارف القوم وكان قريباً منهم بحيث يراهم ويرونه وخرج اليهم مائتا رجل فقالوا له ولأصحابه مثل مقاتلهم للاول فانصرف الناس معه وكاد أن يطير قلبه مما رأى من عدة القوم وجمعهم ورجع هارباً منهم.

فنزل جبرئيل ﷺ فأخبر محمد ﷺ بما صنع هذا وإنه قد انصرف وانصرف المسلمون معه.

فصعد النبي ﷺ المنبر فحمد الله وأثنى عليه وأخبر بما صنع هذا وما كان منه وإنه قد أنصرف وأنصرف المسلمون معه مخالفاً لأمرى عاصياً لقولي، فقدم عليه فأخبره مثل ما أخبره به صاحبه .

فقال له يا عمر عصيت الله في عرشه وعصيتني وخالفت قولي وعملت برأيك ألا قبح الله رأيك^(١).

(١) تفسير القمي ٢ / ٣٤٣، تفسير فرائد الكوفي ٥٩٢، بحار الانوار ٢١ / ٧٦، الاستغاثة، ابو القاسم

وقال معظم المؤرخين: وفي السنة الثامنة للهجرة في شهر صفر كان قد أسلم عمرو بن العاص وخالد بن الوليد وعثمان بن طلحة^(١). والصحيح أسلم عثمان بن طلحة في فتح مكة.

وقد خلط العلماء بين عثمان بن أبي طلحة الذي قتله الإمام علي عليه السلام في معركة بدر وابن أخيه عثمان بن طلحة حاجب الكعبة عند فتح مكة^(٢).

ولما سيطر المسلمون على خيبر وأصبحت دولتهم غنية وكبيرة رغب الإنتهازيون في دخول الإسلام. إذ قال عمرو: لما انصرفنا مع الأحزاب (الحندق) قلت لأصحابي: إني أرى أمر محمد يعلو علواً منكراً^(٣). وبسبب ذلك العلو والإنتصار الإلهي على يهود قريظة وخيبر وتشكيل دولة إسلامية قوية، وتراجع قريش المتوالي فقد قرّر البعض دخول الإسلام، فكان دخولهم طمعاً في المغنم^(٤).

وفي هذه السنة أرسل النبي ﷺ عمرو بن العاص قائداً ورئيساً لأبي بكر وعمر وأبن عوف في حملة ذات السلاسل^(٥) بعد فشلها في الحملتين السابقتين.

إذ أرسل النبي ﷺ جيشاً مدداً لجيش عمرو بن العاص بقيادة ابن الجراح فيه أبو بكر وعمر. وعندها رفض هؤلاء الثلاثة الإنضمام تحت قيادة ابن العاص الداخل في الإسلام جديداً، لكن ابن العاص حكهم بأنهم مدد له ليس إلا فرضخوا لقوله.

(١) تاريخ ابن الأثير ٢/٢٣٠، وذكر إسلام عثمان بن طلحة معهم لكثرة من أكاذيب الحزب القرشي لأنه كان لهي فتح مكة كافراً. البحار ٢١/١١٦، تاريخ الخميس ٢/٨٧.

(٢) المستدرک ٣/٤٢٨، تفسير القمي ١/١١٣.

(٣) المصدر السابق.

(٤) وكان عمرو بن العاص دميماً قصيراً شيئاً بأبي سفيان، شرح النهج، المعتزلي ٦/٢٨٣ محارباً عنيداً ثم ورسوله لاحقاً خلف الدنيا إلى يوم مصرعه بيد معاوية بن أبي سفيان سنة ٤٣ هجرية، أثناء صراعهما على السلطة.

(٥) تاريخ ابن الأثير ٢/٢٣٢.

ومنزلتهم في هذه الحملة تبين منزلتهم الاجتماعية، والسياسية في ذلك الوقت والصراع على السلطة بين هؤلاء الأربعة وغيرهم من قريش كان واضحاً منذ ذلك الوقت لذا أوصى النبي ﷺ عمرو بن العاص وأبن الجراح ألا يختلفا.

لكنهم اختلفوا مرة بين ابن العاص وابن الجراح ومرة بين ابن العاص وعمر بن الخطاب. إذ أشعل عمر بن الخطاب النار لئلا قاتلوه ابن العاص^(١) ورد عليه عمر تعبيراً عن رفض قيادته، وأسرع أبو بكر إلى تهدئة الحال بينهما^(٢). وقد قيل هؤلاء الأربعة بيد بعضهم البعض لاحقاً أثناء صراع الحزب القرشي على السلطة^(٣).

وفي تلك الحملة كان عمرو بن العاص اماماً للصلاة يصلي خلفه أبو بكر وعمر وأبو عبيدة وآخرون، وكان يصلي بهم جنباً^(٤). وبعد وصول عمرو بن العاص بالمسلمين إلى أرض المعركة انهزم من الأعداء وفرّ فراراً منكراً^(٥).

ومن دلائل النبوة للرسول أن عمرو بن العاص افتخر بلوائه المذكور في معركة صفين قائلاً: هذا لواء عقده رسول الله ﷺ.

فقال علي عليه السلام عندما عقد رسول الله ﷺ لواءه لابن العاص قال له: لا تغر من كافر. ولا تقاتل به مسلماً. فقد فرّ به من الكافرين في حياة رسول الله ﷺ (ذات السلاسل)، وقد قاتل به المسلمون اليوم^(٦).

(١) متهما إياه بتنبية الأعداء.

(٢) أخرجه الذهبي في التلخيص.

(٣) راجع كتاب إفتيال الخليفة أبي بكر والسيدة عائشة للمؤلف.

(٤) التنبيه والإشراف ٢٢١، عيون الأثر ١٧٤ / ٢، دلائل النبوة، البيهقي ٤ / ٢٠٢، البدايات والنهاية ٤ / ٣١٣.

(٥) بحار الأنوار ٧٦ / ٢١، تفسير القمي ٢ / ٤٣٥.

(٦) الأخبار الطوال، أبو حنيفة الدينوري، ١٧٤.

فقال رسول الله ﷺ: ان جبرئيل ﷺ قد أمرني ان أبعث علي بن أبي طالب في هؤلاء المسلمين واخبرني ان الله يفتح عليه وعلى أصحابه.

فدعا علياً وأوصاه بما أوصى به الأول والثاني وأصحابه الأربعة آلاف فارس وأخبره ان الله سيفتح عليه وعلى أصحابه^(١). وتعصب علي ﷺ بعصاة وكانت لملي ﷺ عصاة لا يتعصب بها حتى يبعثه النبي ﷺ في وجه شديد^(٢).

فخرج علي ﷺ ومعه المهاجرون والانصار فسار بهم سيراً غير سير أبي بكر وعمر وذلك انه اعنف بهم في السير حتى خافوا ان ينقطعوا من التعب وتعق^(٣) دوابهم فقال لهم: لا تخافوا ان رسول الله ﷺ قد أمرني بأمر وأخبرني ان الله سيفتح عليّ وعليكم فابشروا فانكم على خير وإلى خير، فطابت نفوسهم وقلوبهم وساروا على ذلك السير والتعب حتى إذا كانوا قريباً منهم حيث يرونهم ويراهم أمر أصحابه ان ينزلوا.

وسمع أهل وادي اليباس بقدوم علي بن أبي طالب وأصحابه فخرجوا اليه منهم مائتا رجل شاكين بالسلاح، فلما رأهم علي ﷺ خرج إليهم في نفر من أصحابه فقالوا له من اين انتم ومن اين أقبلتم واين تريدون؟

قال: أنا علي بن أبي طالب ابن عم رسول الله ﷺ وأخوه ورسوله اليكم، أَدْعُوكُمْ إِلَى شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَإِنْ مُحَمَّدًا رَسُولَ اللَّهِ وَلَكُمْ إِنْ آمَنْتُمْ مَا لِلْمُسْلِمِينَ وَعَلَيْكُمْ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍ.

فقالوا له إياك أردنا وانت طلبتنا قد سمعنا مقالتك وما عرضت علينا، هذا ما لا يوافقنا فخذ حذرک واستعد للحرب العوان^(٤) واعلم إنا قاتلوك وقاتلوا أصحابك

(١) الإستبانات ٢ / ٢٨، تفسير القمي ٢ / ٤٣٥.

(٢) بحار الأنوار ٢١ / ٨١.

(٣) حفي القرس انقشر حافره.

(٤) الحرب العوان: الحرب التي قوتل فيها مرة بعد أخرى.

والموعد فيما بيننا وبينك غداً ضحوة، وقد أعذرنا فيما بيننا وبينكم.
فقال لهم: عليه السلام: ويلكم! تهددوني بكثرتكم وجمعكم! فأنا أستعين بالله وملائكته والمسلمين عليكم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.
فانصرفوا إلى مراكزهم وانصرف علي عليه السلام إلى مركزه فلما جنه الليل أمر أصحابه أن يحسنوا إلى داوهم ويقضوا ويسرجوا^(١) فلما انشق عمود الصبح جاء بالناس بفلس^(٢) ثم أغار عليهم بأصحابه فلم يعلموا حتى وطأهم الخيل فيما أدرك آخر أصحابه حتى قتل مقاتليهم وسبى ذراريهم واستباح أموالهم وخرب ديارهم وأقبل بالأسارى والأموال معه وجاء جبرئيل فأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بما فتح الله لعلي عليه السلام وجماعة المسلمين فصعد رسول الله صلى الله عليه وسلم المنبر فحمد الله وأثنى عليه وأخبر الناس بما فتح الله عليه للمسلمين وأعلمهم أنه لم يصب منهم إلا رجلين ونزل.
فخرج يستقبل علياً عليه السلام في جميع أهل المدينة من المسلمين حتى لقيه على ثلاثة أميال من المدينة.

فلما رآه علي عليه السلام مقبلاً نزل عن دابته ونزل النبي صلى الله عليه وسلم حتى التزمه وقبّل ما بين عينيه، فنزل جماعة المسلمين إلى علي عليه السلام حين نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقبل بالغنيمة والأسارى^(٣).

فأقام المسلمون له صفين وقال له الرسول صلى الله عليه وسلم: يا علي لولا أني اشفق أن تقول فيك طوائف ما قالت النصارى في عيسى بن مريم لقلت فيك اليوم مقالاً لا تمر ببلادهم إلا أخذوا التراب من تحت قدميك^(٤).

(١) القضم: الأكل بأطراف الأسنان شيئاً بآسأ، والمعنى أن يقضوا ليهم في رعاية الدواب وأكل الطعام اليابس ليكون له صوت عند الأكل لكي لا يهجم عليهم العدو غيلة. ويسرجوا أي يسرجوا السراج.

(٢) الفلس بالتحريك: ظلمة آخر الليل.

(٣) تفسير القمي ٢ / ٣٧، تفسير البرهان ٤ / ٤٩٨، تأويل الآيات، الحسيني ٢ / ٨٤٤، بحار الأنوار

٢١ / ٦٨ - ٧٤، شجرة طوين، عباس القمي ٢ / ٢٩٥.

(٤) بحار الأنوار ٢١ / ٨٢

والظاهر ان النبي ﷺ خرج في الحملة وتركز في منطقة ثم أرسل أبا بكر وعمر وعمر بن العاص على التوالي ثم أرسل علياً عليه السلام وعاد هو إلى المدينة لمعرفته بفتح المنطقة على يديه.

فلما نظر رسول الله ﷺ إلى الاسرى موثقين بالحبال والسلاسل التفت إلى علي عليه السلام قائلاً: يا أبا الحسن اقطع الحبال والسلاسل فاني لا استطيع ان أراهم موثقين وان كانوا مشركين^(١).

وقتل علي عليه السلام منهم مائة وعشرين رجلاً وكان رئيس الأعداء الحارث بن بشر وسبى منهم مائة وعشرين ناهداً^(٢).

وقد سمى رجال الحزب القرشي إلى حذف الشطر الأول والاخير من رواية الغزوة والابقاء على حملة ابن العاص!

بحيث اعطوا منقبة الفتح لابن العاص المهزوم في المعركة رغم ان الآية القرآنية فضحته في قوله تعالى ﴿ان الانسان لربه لكنود﴾^(٣).
فالكنود هو الخسود وهو عمرو بن العاص^(٤).

غزوة مؤتة

وهي أول غزوة اسلامية للشام جاءت بعد مقتل سفير النبي ﷺ الحارث بن عمير الازدي إلى ملك بصرى جبيل بن عمرو الفسافي بيد جبيل. وكان جيش مؤتة ثلاثة آلاف مسلم، والروم في مائة ألف رجل.

قال اليعقوبي: ووجه جعفر بن أبي طالب أي أميراً وزيد بن حارثة وعبدالله بن

(١) شجرة طوى ٢ / ٢٩٧.

(٢) تفسير فرات ٢٢١، ٢٢٢.

(٣) المعاديات ٦.

(٤) بحار الانوار ٢١ / ٧٧.

رواحه في جيش إلى الشام لقتال الروم سنة ٨ هجرية^(١) وروى بعضهم أنه قال: أمير الجيش زيد بن حارثة، فإن قُتل زيد بن حارثة فجعفر بن أبي طالب، فإن قتل جعفر بن أبي طالب فعبداؤه بن رواحة، فإن قتل عبداؤه بن رواحة فليترضى المسلمون من أحبوا. والصحيح كان جعفر المقدم ثم زيد بن حارثة ثم عبداؤه بن رواحة. وصار جعفر إلى موضع يقال له مؤتة في فلسطين على مرحلتين من بيت المقدس. وقيل بانه وادي من الشام من البلقاء من أرض دمشق.

فأخذ الراية جعفر فحارب فقطعت يده اليمنى فقاتل باليسرى فقطعت يده اليسرى ثم ضرب وسطه، ثم أخذ زيد الراية فقاتل حتى قُتل، ثم أخذها عبداؤه بن رواحة فقتل.

فرفع لرسول الله كلّ خفض، وخفض له كلّ رفع حتى رأى مصارعهم؛ ونعاهم رسول الله فقال: أنبت الله لجعفر جناحين من زبرجد يطير بهما في الجنة حيث يشاء. ولقب بذي الجناحين لقطع يديه في معركة مؤتة^(٢).

وانكر بعضهم حديث طيران جعفر مع الملائكة في الجنة وقال: الروح عرض لا يجوز ان يتنعم.

وهذا لا يصح لان الروح جسم رقيق هوائي مأخوذ من الريح، ويدل على ذلك أنه يخرج من البدن ويرد اليه وهي الحساسة الفعالة دون البدن^(٣).

وجعفر ابن احدى واربعين سنة فهو أسن من أمير المؤمنين علي عليه السلام بعشر سنين^(٤) وكان غاية في الجود.

فقال شاعر من المسلمين رجع من معركة مؤتة سالماً:

(١) تاريخ يعقوبي ٦٥/٢.

(٢) الجوهرة، التاهستاني ٢٠.

(٣) تفسير الطبرسي ٤٤٢/٢.

(٤) الدرجات الرفيعة ٧٥.

كفى حزناً أني رجعت وجعفر وزيد وعبدالله في رسم أقبر
 قضوا نحبهم لما مضوا لسبيلهم وخلفت للبلوى مع المتغبر^(١).
 وقال ﷺ: على جعفر فلتبك البواكي؛ وتأمر خالد بن الوليد على الجيش^(٢).
 قالت أسماء بنت عميس الخثعمية، وكانت امرأة جعفر وأمّ ولده جميعاً: دخل عليّ
 رسول الله، ويدي في عجين، فقال: يا أسماء أين ولدك؟
 فأتيته بعبدالله ومحمّد وعون، فأجلسهم جميعاً في حجره وضمتهم إليه ومسح على
 رؤوسهم ودमعت عيناه.
 فقلت: بأبي وأمي أنت يا رسول الله! لم تفعل بولدي كما تفعل بالأيّام؟ لعله بلغك
 عن جعفر شيء؟

فغلبته العبرة وقال ﷺ: رحم الله جعفرًا!
 فصحت: وا ويلاه واسيداه! فقال: لا تدعي بويل ولا حرب، وكلّ ما قلت فأنت
 صادقة. فصحت: واجعفراه! وسمعت صوتي فاطمة بنت رسول الله، فجاءت
 وصاحت: وابن عمّاه فخرج رسول الله يجرّ رداءه ما يملك عبرته، وهو يقول على
 جعفر فلتبك البواكي.
 ثمّ قال يا فاطمة اصنعي لعيال جعفر طعاماً فإنّهم في شغل، فصنعت لهم طعاماً
 ثلاثة أيّام، فصارت سنّة في بني هاشم^(٣).

وقال موسى بن عقبة في مغازيه: ثم اصطلح المسلمون على خالد بن الوليد فهزم
 الله العدو وأظهر المسلمين فقال العماد بن كثير: ويمكن الجمع بان خالدًا حاز
 المسلمين وبات ثم أصبح وقد غير حياة العسكر فجعل الميمنة ميسرة والميسرة ميمنة

(١) سيرة ابن هشام ٣ / ٨٣٩.

(٢) تاريخ اليعقوبي ٢ / ٦٥ / ٦٦، مغازي الواقدي ٢ / ٧٥٥، الدرجات الرفيعة ٧٥، ينابيع المودة ٣ / ١٥٠،
 مغازي الذهبي ٤٧٩، نهاية الإرب ١٧ / ٢٧٧.(٣) تاريخ الطبري ٢ / ٣١٨ - ٣٢٢، تاريخ اليعقوبي ٢ / ٦٥، ٦٦، تاريخ ابن الأثير ٢ / ٢٣٤ - ٢٣٨، مغازي
 الواقدي ٢ / ٧٥٥ - ٧٦٩.

ليتهم العدو أن مدداً قد جاء المسلمين فحمل عليهم خالد فولوا فلم يتبعهم ورأى الرجوع بالمسلمين هي الغنيمة الكبرى^(١) ولما دنوا من المدينة تلقاهم رسول الله ﷺ ولقيهم الصبيان يسرعون فقال ﷺ: خذوا الصبيان فاحملوهم وأعطوني ابن جعفر، فأتي بعد الله فاخذه فحمله بين يديه. وجعل الناس يصيحون بالجيش: يا فرار فررتم في سبيل الله.. فيقول رسول الله ﷺ ليسوا بالفرار ولكنهم الكرار إن شاء الله تعالى وكان الفارق العددي بين الجيشين كثيراً جداً^(٢).

أراد رسول الله ﷺ بعد إنتصاراته المتكررة أمام عرب الجاهلية واليهود فتح جبهة جديدة للمسلمين ألا وهي جبهة الروم، قبل أن تفتح الروم نفسها هذه الجبهة فيكون أقوى لمعنويات المسلمين.

وثانياً بيان الحكم الشرعي في امكانية محاربة أهل الكتاب واجبارهم على دخول الإسلام أو دفع الجزية. اما الكفار فقد بين رسول الله ﷺ امكانية حربهم واجبارهم على دخول الإسلام وعدم القبول بالجزية.

وكانت العرب تخاف خوفاً شديداً من دولة الروم لقدرتها العظيمة في العدة والعدد وقدرتها الاقتصادية الهائلة.

وعرب الحجاز كانوا أضعف من عرب الشام التابعين للروم بينما أقدم رسول الله ﷺ على غزو الروم وتابعيهم من العرب!

وهذا لم يكن ليأتي في ذهن هؤلاء فبتّ الرعب في قلوبهم وقلوب القرشيين وزلزل الأرض تحت أقدامهم. وكان نتيجة ذلك نجاح رسول الله ﷺ في فتح مكة بعد شهرين من هذه الحادثة دون حرب ولا دماء!

وَبُثِّتَ النَّبِيُّ ﷺ بِمَعْمَلِهِ هَذَا نَظْرِيَةَ الْفَتْوحَاتِ الْخَارِجِيَّةِ وَأَعْقَبَهَا بِحَمْلَةِ تَبُوكَ الَّتِي

(١) فتح الباري ٧ / ٣٦١، ٣٦٢.

(٢) سيرة ابن هشام ٢ / ٣٧٥، طبقات ابن سعد ٣ / ١٧٥.

قادها بنفسه إلى الشام.

ثم أمر بحملة أسامة بن زيد إلى الشام أيضاً إلى الأرض التي قُتل فيها أبوه وجعفر بن أبي طالب للانتقام من الروم ومن عرب الشام فقتل النبي ﷺ قبل تحرك قواته من المدينة.

لقد سيطر رسول الله ﷺ في حدود عشر سنوات على جزيرة العرب ثم ذهب إلى الشام غازياً مما يبين القدرة الفذة له ﷺ في إدارة البلاد عسكرياً وإدارياً واقتصادياً واجتماعياً.

الدلائل والعبر

أود أن أحرر هذه الأسطر في هذا الموضوع:

غزوة مؤتة فيها دلالات وعبر كثيرة منها توكل النبي ﷺ على الله تعالى وعدم خوفه من القوى العظمى.

والروم في ذلك الوقت إحدى القوتين العظميين في العالم والقوة الثانية هي دولة الفرس.

وقد انهبرت عقول قريش من غزو رسول الله ﷺ للروم لأنه فوق تصوراتهم واعتقاداتهم. ولولا النظرية النبوية في غزو بلاد الروم وفتحها لتأخر المسلمون كثيراً عن هذا المقصد.

ومنذ ذلك اليوم ونحن نعتقد بإمكانية غزو بلاد القوى العظمى بالتوكل على الله تعالى أولاً والاستناد إلى دولة إسلامية قوية ثانياً.

والقضية الثانية في هذا الموضوع هي إرسال النبي محمد ﷺ لابن عمه جعفر بن أبي طالب رغم المخاطر الجسيمة لتلك الحملة والفارق الكبير في العدد والعدة بين المسلمين والروم. ورغم معرفة النبي ﷺ بمقتله إذ قال إن قُتل جعفر فزيد وإن قُتل

زيد فعبده الله بن رواحة امير الجيش.

وهذا نابع من الاعتقاد النبوي والاسلامي الصارم بالآخرة، واعتبار الدنيا مرحلة موصلة لها.

فتلما كانت دماء أبي عبيدة بن الحارث أول دماء هاشمية روت ارض القتال في بدر كانت دماء حمزة من الدماء التي روت ارض احد.

وفي معركة مؤتة سالت دماء أول هاشمي في تلك البلاد الفلسطينية القريبة من القدس.

وتوالى حركة الشهادة الهاشمية في سوح القتال العالمية لتثبت الاعتقاد الهاشمي الاكيد بالمبادئ الإسلامية وعدم اقتصار ذلك على الكلام وهذا هو سر الانتصار. وقد فشلت حركات كثيرة في التاريخ لتوكلها على الخطب الرنانة وامتناعها عن الجهاد والشهادة.

فكان بإمكان رسول الله ﷺ ارسال شخص آخر بدل جعفر إلى ارض مؤتة وليس في ذلك حرج، لكنه أراد ان يثبت بعرق جبين جعفر ودمائه ان الآخرة حق وهي ارض الخلود.

كما ان حملة مؤتة إلى فلسطين لم تكن من باب الصدفة بل هي حركة نبوية لبيان أهمية القدس في قاموس المسلمين. فرغب النبي ﷺ في فتحها وقدمها على باقي بلدان الدنيا، وسيفتحها النبي عيسى عليه السلام في دولة الإمام المهدي عليه السلام.

فقد حاول النبي ﷺ تحرير القدس قبل اليمين وعثمان لاهميتها الخاصة عند الموحدين باعتبارها قبلة المسلمين الاولى.

ونبيننا اسوة وقدوة في افعاله واقواله فالأجدد بنا ان نخذوا حذوه.

ولقد كان جعفر بن أبي طالب من المسلمين القدماء من بني هاشم الذين اسلموا قبل الصحابة، وهو أمير المسلمين في الحبشة، وامير المسلمين في مؤتة ولأنه اخو علي عليه السلام فقد حسدوا امارته!

الفصل الثاني

فتح مكة عنوة



عقد رسول الله ﷺ صلح الحديبية مع قريش في سنة ست للهجرة على أن يزور البيت الحرام العام المقبل فأخلى له أهالي مكة المدينة، وازاحوا الأصنام عن الصفا والمروة..

وفي السنة الثانية زار النبي ﷺ والمسلمون مكة وبقوا هناك ثلاثة أيام، وساق معه سبعين بدنة، واجروا مراسم العمرة. وتزوج في مكة بميمونة بنت الحارث الهلالية^(١).

فتنت عمرة رسول الله ﷺ المفردة بسلام وأمان طبقاً لعهد الحديبية فهو أهل الوفاء. وفي جمادى الأولى من سنة ثمان حدثت معركة مؤتة مع الروم التي خسر فيها المسلمون وقُتل جعفر بن أبي طالب وزيد بن حارثة وعبدالله بن أبي رباحة. فشجع هذا الأمر المشركين على الغدر بمعااهدة صلح الحديبية، وفعلاً اعتدت قريش وقبيلة كنانة على قبيلة خزاعة المتحالفة مع رسول الله ﷺ بعد شهر ونصف من حادثة مؤتة^(٢).

العداء بين خزاعة وبني بكر

كانت خزاعة في الجاهلية قد أصابوا رجلاً من بني بكر أخذوا ماله؛ فر رجل من خزاعة على بني الذيل بعد ذلك فقتلوه، فوقع الحرب بينهم، فر بنو الأسود بن رزن

(١) تاريخ يعقوبي ٥٤/٢، تاريخ ابن الأثير ٢٢٧/٢، وهي خالة خالد بن الوليد.

(٢) مغازي الذهبي ٥٢٨، مغازي الواقدي ٧٨٨/٢.

- ذئيب، وسلمى، وكلثوم - على خزاعة فقتلوهم بعزقة عند أنصاب الحرم. وكان قوم الأسود يؤدون في الجاهلية ديتين بفضلهم في بني بكر، فتجاوزوا وكف بعضهم بعض من أجل الإسلام وهم على ما هم عليه من العداوة في أنفسهم، فلما كان صلح الحديبية دخلت خزاعة في عقد رسول الله ﷺ وعهده، وكانت خزاعة حلفاء لعبد المطلب، وكان رسول الله ﷺ عارفاً بذلك، ولقد جاءته يومئذ خزاعة بكتاب عبد المطلب فقراء عليه أبي بن كعب وهو «باسمك اللهم، هذا حلف عبد المطلب بن هاشم لخزاعة، إذ قدم عليه سراتهم وأهل الرأي، غائبهم مقرر بما قضى عليه شاهدهم. إن بيننا وبينكم عهد الله وعقوده، ما لا ينسى أبداً، ولا يأتي لداً^(١)، اليد واحدة والنصر واحد، ما أشرف نبي، وثبت جراء، وما بل بحر صوفة^(٢)، لا يزداد فيما بيننا وبينكم إلا تجدداً أبداً أبداً، الدهر سمرداً».

فقال ﷺ ما أعرفني بحلفكم وأنتم على ما أسلمتم عليه من الحلف! فكل حلف كان في الجاهلية فلا يزيده الإسلام إلا شدة، ولا حلف في الإسلام. وآخر ما كان بين خزاعة وبين كنانة أن أنس بن زعيم الديلي هجا رسول الله ﷺ، فسمعه غلام من خزاعة فوقع به فشجّه، فخرج إلى قومه فأراهم شجته فثار الشر مع ما كان بينهم، وما تطلب بنو بكر من خزاعة من دمانها. فلما دخل شعبان على رأس اثنين وعشرين شهراً من صلح الحديبية تكلمت بنو ثقاتة من بني بكر أشراف قريش - واعتزلت بنو مدلج فلم ينقضوا العهد - أن يعينوا بالرجال والسلاح على عدوهم من خزاعة؛ وذكروهم القتل الذين أصابت خزاعة لهم، وضربوهم بأرحامهم، وأخبروهم بدخولهم معهم في عقدهم وعهدهم، وذهب خزاعة إلى محمد في عقده وعهده. فوجدوا القوم إلى ذلك سراعاً.

(١) اللد: الخصومة الشديدة. النهاية، ج ٤، ص ٥٨.

(٢) شرح على المواهب اللدنية، ج ٢، ص ٣٤٥. وثبير وحراء جيلان بمكة. معجم البلدان ج ٢، ص ٢٣٩.

وجعلت بنو ثفاعة وبكر يقولون: إنما نحن! فأعانوهم بالسلاح والكرّاع والرجال ودسوا ذلك سرّاً لئلاً تحذر خزاعة، فهم آمنون غارون بحال المودعة وما حجز الإسلام بينهم. ثم اتعدت قريش الوتير موضعاً بمن معها، فوافوا للسميعة، فبينهم رجال من قريش من كبارهم متشكرون منتقبون: صفوان بن أمية، ومكسر بن حفص بن الأخيف، وحويطب بن عبد العزى وأجلبوا معهم أرقائهم، ورأس بني بكر نوفل بن معاوية الدبلي؛ فبيتوا خزاعة ليلاً وهم غارون آمنون من عدوهم، ولو كانوا يخافون هذا لكانوا على حذر وعُدّة، فلم يزالوا يقتلونهم حتى انتهوا بهم إلى أنصاب الحرم.

فقالوا: يا نوفل، إلهك، إلهك! قد دخلت الحرم! قال: لا إله لي اليوم، يا بني بكر! قد كنتم تسرقون الحاج، أفلا تدركون تأركم من عدوكم؟ لا يريد أحدكم يأتي امرأته من خزاعة، وانتهوا بهم في عماية الصبح ودخلت رؤساء قريش في منازلهم وهم يظنون ألا يعرفوا، وألا يبلغ هذا محمد ﷺ.

فقتلوا منهم عشرين رجلاً، وحضرت خزاعة في دار رافع وبديل، وأصبحت خزاعة مقتلين على باب بديل ورافع مولى لخزاعة. وتنحت قريش ونديموا على ما صنعوا، وعرفوا أن هذا الذي صنعوا نقض للمدة والعهد الذي بينهم وبين رسول الله ﷺ.

وجاء الحارث بن هشام وابن أبي ربيعة إلى صفوان بن أمية، وإلى سهيل بن عمرو، وعكرمة بن أبي جهل، فلاموهم فيما صنعوا من عونهم بني بكر، وأن يبينكم وبين محمد مدة، وهذا نقض لها. وانصرف القوم ودسوا إلى نوفل بن معاوية، وكان الذي ولى كلامه سهيل ابن عمرو، فقال: قد رأيت الذي صنعنا بك وأصحابك وما قتلت من القوم، وأنت قد حضرتهم تريد قتل من بقي منهم، وهذا ما لا نطاولك عليه فاتركهم لنا. قال: نعم فتركهم فخرجوا. فقال ابن قيس الرقيات يذكر سهيل

بن عمرو:

خالط أخواله خزاعة لما كثرتهم بمكة الأحياء
وقال في ذلك ابن لُطَيْبٍ:

ألا هل أتى قصوى المشيرة أننا ردّدنا بني كعب بأفوق ناضل
فجاء بديل بن ورقاء في ركب خزاعة إلى رسول الله ﷺ شاكياً فعرف
النبي ﷺ بغدر قريش وبني بكر بقيادة نوفل بن معاوية الضفائي.

فقال النبي ﷺ لا نصرت إن لم أنصر بني كعب مما أنصر به نفسي^(١).

قال اليعقوبي: «وكانت خزاعة في عقد رسول الله ﷺ وكنانة في عقد قريش، فأعانت
قريش كنانة فأرسلوا مواليمهم فوثبوا على خزاعة فقتلوا فيهم. فجاءت خزاعة إلى
رسول الله ﷺ فشكوا إليه ذلك فأحلّ الله ﷻ لنيّته قطع المدة التي بينه وبينهم، وعزم على
غزو مكة وقال: اللهم أعمّ الأخبار عنهم، يعني قريشاً^(٢)».

والقرشيون الذين شاركوا في الهجوم على خزاعة هم:

سهيل بن عمرو وعكرمة بن أبي جهل وصفوان بن أمية وآخرون فأرسل لهم
رسول الله ﷺ ضمرة يخبرهم بين ثلاث خصال:

الاولى: ان يدوا خزاعة.

والثانية ان يبرأوا من حلف نفائثة وهي الجماعة التي غدرت من بني بكر.

والثالثة الحرب.

فاختلف القرشيون فيما بينهم ودعا أبو سفيان إلى جحد الأمر بانكار مشاركة
قريش في غزو خزاعة^(٣). وكان صفوان بن أمية وعكرمة بن أبي جهل وسهيل بن
عمرو قد دعوا إلى قتال رسول الله ﷺ.

(١) مغازي الذهبي ٥٢٨ وهو كعب هم خزاعة.

(٢) تاريخ اليعقوبي ٥٨/٢.

(٣) مغازي الواقدي ٧٨٨ / ٢.

ومن دلائل النبوة قول النبي ﷺ: كأنكم بأبي سفيان قد جاء يقول: جدد العهد وزد في الهدنة. وفعلاً جاء أبو سفيان إلى المدينة طالباً تحكيم العهد وزيادة المدة فردّه رسول الله ﷺ والمسلمون.

وتأخر أبو سفيان في المدينة فاتهموه لطول غيابه بدخوله الإسلام. ولما عاد إلى مكة أخبر زوجته هند بذلك فضربت برجلها في صدره قائلة: قُبِّحت من رسول قوم^(١)

ولما أصبح حلق رأسه عند الصنمين إساف ونائلة وذبح لها وجعل يمسح بالدم رؤوسها قائلاً: لا أفارق عبادتكما حتى أموت على ما مات عليه أبي أبرأ لقريش مما اتهموني^(٢).

خيانة حاطب

فكتب حاطب بن أبي بلتعة مع سارة مولاة أبي لهب إلى قريش يخبر رسول الله وما اعترم عليه.

فنزل جبرئيل فأخبره بما فعل حاطب؛ فوجّه بعلي بن أبي طالب عليه السلام والمقداد بن عمرو وقال: خُذَا الكتاب منها، فلاحقاها وكانت تنكّبت الطريق، فوجد الكتاب في شعرها، وقيل في فرجها. فأتيا به إلى رسول الله ﷺ فدعا رسول الله ﷺ حاطباً فقال له: ما حملك على هذا؟

فقال: يا رسول الله ﷺ إني لمؤمن بالله ورسوله ما غيرت ولا بدّلت ولكفي كنت امرأة ليس لي في القوم أصل ولا عشيرة، وكان لي بين أظهرهم أهل وولد فصانعتهم^(٣).

(١) مغازي الواقدي ٢ / ٧٨٨.

(٢) مغازي الواقدي ٢ / ٧٨٨.

(٣) مغازي الواقدي، طبقات ابن سعد ٢ / ١٣٤، مغازي الذهبي ٥٢٧، ٢ / ٧٩٨.

فلم يقتل النبي ﷺ حاطب بن أبي بلتعة رغم خيائته للإسلام، وكذلك لم يقتل عثمان بن عفان الخائن في قضية معاوية بن المغيرة بن أبي العاص الأموي حيث أخفاه في بيته رغم تمثيله بمجد حمزة وقدمه المدينة للتجسس على المسلمين^(١).
واجاب النبي ﷺ عن سبب ذلك في واقعة تبوك حيث امتنع عن قتل المتأمرين على اغتياله قائلاً: أكره أن يتحدث الناس ويقولوا: إنَّ محمداً قتل أصحابه^(٢).

خروج النبي ﷺ إلى مكة

وخرج رسول الله يوم الجمعة حين صلى العصر لليلتين خلتا من شهر رمضان سنة ٨ هـ^(٣)؛ واستخلف على المدينة أبا لبابة بن عبد المنذر.
واراد الرسول ان تكون الغزوة سرية فأسّر ﷺ إلى كلّ رئيس منهم بما أراد وأمره أن يلقاه بموضع سبأ له، وأن يكتّم ما قال له. فأسّر إلى خزاعي أن يلقاه بمزينة بالروحاء وإلى عبدالله بن مالك أن يلقاه بخفار بالسُّقيا وإلى قدامة بن ثمامة أن يلقاه ببني سليم بقديد وإلى الصعب بن جثامة أن يلقاه ببني ليث بالكديد.
ولقيته القبائل في المواضع التي سبّاها لهم، وأمر الناس فأفطروا؛ وسمّى الذين لم يفطروا الثّصاة. ودعا بماء فشربه، وتلقّاه العباس بن عبد المطلب في بعض الطريق.
وكان المسلمون عشرة آلاف رجل^(٤).

وكانت الخيل يوم الفتح أربعائة فرس، ونزلت عليه سورة: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾، فقال النبي ﷺ: نُصِيتُ إِلَيَّ نَفْسِي وَأَقَامَ فِي مَكَّةَ تِسْعَةَ عَشَرَ يَوْماً. وطاف

(١) اسد الغابة ٥/ ٥٦٢، صيون الأثر ٦/ ٢.

(٢) السيرة الحلبية ٣/ ١٤٣، سنن مسلم في كتاب صفات المنافقين وأحكامهم.

(٣) وقيل لعشر مضي من رمضان.

(٤) وقيل في اثنتي عشر ألفاً.

بالكعبة وصلى خلف مقام إبراهيم عليه السلام وأمر ﷺ بالمتعة ثم لم تحرم مطلقاً^(١). فلما صار بمنزلة الظهران خرج أبو سفيان بن حرب يتجسس الأخبار ومعه حكيم بن حزام، وهو يقول لحكيم: ما هذه النيران؟ فقال حكيم: خزاعة أححشتها الحرب. فقال أبو سفيان: خزاعة أقل وأذل. وسمع صوته العباس فناداه: يا أبا حنظلة! فأجابه، وكان رسول الله ﷺ قد أمر بقتل أبي سفيان مع العشرة الذين أفتى بقتلهم ومنهم زوجته هند بنت عتبة ولكن حذف الأمويون واتباعهم اسمه. لذا انذره عمر قائلاً: لا تدن من رسول الله ﷺ حتى تموت!^(٢). ولو لا نصيحة عمر لقتل أبو سفيان.

وعندما أدرك أبو سفيان الخطر المهدق به استغاث بالعباس قائلاً: إني مقتول فنعه العباس من الناس المصرين على قتله^(٣).

فأبو سفيان مدين لعمر وللعباس في استمرار حياته، فدامت العلاقة جيدة بين أبي سفيان وعمر في أيام حكمه. ودعم معاوية وعثمان عمر في قضية السقيفة، وردَّ عمر لبني أمية الفضل فعين عثمان وزيراً ووصياً له وجعل معاوية والياً على الشام. واستمر عمر في منهجه محباً لأبي سفيان مسمياً أياه بسيد قريش وبقي أبو سفيان معروفاً بالقدر فبعد اسلام أبي سفيان قال العباس للرسول ﷺ: إني لا آمن أبا سفيان ان يرجع عن اسلامه^(٤).

قال أبو سفيان: يا أبا الفضل ما هذا الجمع؟ قال: هذا رسول الله. فأردفه العباس على بغلته ليلاً وجاء به.

(١) راجع تاريخ اليعقوبي ٥٨/٢ - ٦١، تاريخ ابن الأثير ٢٢٩/٢ - ٢٥٤، تاريخ الطبري ٢٢٧/٢ - ٣٤٣،

الطبقات، ابن سعد ١٣٤ - ١٤٤، عيون الأثر، ١٨١/٢ - ٢٠٥، البداية والنهاية ٣٢٤/٤ - ٣٦٢، ٣٥٤.

(٢) مغازي الذهبي ٥٣٠.

(٣) مغازي الذهبي ٥٣٠.

(٤) دلائل النبوة ٥ / ٤١.

وقال العباس: يا رسول الله، هذا أبو سفيان قد جاء ليسلم طائعاً. ويطلب الأمان لقريش فقال له رسول الله: قُلْ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنِّي مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ، فقال: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وجعل يمتنع من أن يقول: وأنتك رسول الله، قائلاً: والله يا محمد إنَّ في النفس من هذا الشيناً يسيراً بعد فارجهما^(١). وبعد الضغط قالها نفاقاً.

ثم سأل العباس رسول الله أن يجعل له شرفاً وقال إنه يحب الشرف.

فقال رسول الله: من دخل دارك يا أبا سفيان فهو آمن.

وأوقفه العباس حتى رأى جند الله، فقال أبو سفيان: يا محمد جئت باوباش الناس من يعرف ومن لا يعرف إلى عشيرتك وأصلك فقال رسول الله ﷺ: انتم اظلم وافجر غدرتم بمهد الحديبية وظاهرتم على بني كعب بالاثم والعدوان في حرم الله وأمنه^(٢).

فقال أبو سفيان: يا أبا الفضل لقد أوتي ابن أخيك ملكاً عظيماً.

فقال العباس: إنه ليس بملك إنما هي النبوة.

ومضى أبو سفيان مسرعاً حتى دخل مكة فأخبرهم الخبر، وقال: هو إصطلام إن لم تسلموا، وقد قال من دخل داري فهو آمن. فوثبوا عليه وقالوا: وما تسع دارك؟ فقال: ومن أغلق بابه فهو آمن، ومن دخل المسجد فهو آمن. وفتح الله على نبيه وكفاه القتال.

دخول مكة

ولما دخل رسول الله ﷺ مكة كانت عليه عمامة سوداء، فوقف على باب الكعبة وقال: لا إله إلا الله وحده، صدق وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده، ألا كل دم أو مائة أو مال يدعى فهو تحت قدمي هاتين إلا سدانة البيت وسقاية الحاج.

(١) مغازي الواقدي ٢ / ٨١٥

(٢) مغازي الواقدي ٢ / ٨١٦ السيرة الدحلانية ٢ / ٥٩، مغازي الذهبي ٥٢٩ طبقات ابن سعد ٢ / ١٣٥.

وفي فتح مكة ذلّ كفار قريش وسقط ما في أيديهم، وضعت معنوياتهم وهزم
مكرهم فوقوا سباطين ينظرون إلى دخول رسول الله ﷺ وجيشه إلى مدينتهم.
وكان المهاجرون سبعمائة ومعهم ثلاثمائة فرس، وكانت الانصار اربعة آلاف
ومعهم خمسمائة فرس، وكانت مزينة الفأ ومعها مائة فرس وكانت أسلم اربعمائة
ومعها ثلاثون فرساً وكانت جهينة ثمانمائة ومعها خمسون فرساً^(١).

وقال النبي ﷺ لصحبه: اهجوا قريشاً فإنه أشدّ عليها من رشق النبل^(٢).

فتقدم رجل براية كبيرة بين يدي النبي ﷺ وهو يقول:

خَلُّوا بَنِي الْكَفَّارِ عَنْ سَبِيلِهِ فَالْيَوْمَ نَضْرِبُكُمْ عَلَى تَنْزِيلِهِ
ضَرْباً يَزِيلُ الْهَامَ عَنْ مِقْبَلِهِ وَيَذْهَبُ الْخَلِيلُ عَنْ خَلِيلِهِ
يَا رَبِّ إِنِّي مُؤْمِنٌ بِقِيلِهِ

فقال عمر بن الخطاب: أفي حرم الله وبين يدي رسول الله، تقول الشعر؟

فقال له رسول الله ﷺ: مه يا عمر فوالذي نفسي بيده لكلامه هذا أشدّ عليهم
من وقع النبل^(٣).

وكان سعد بن عباد على الحرس وراية الانصار كانت بيده عند دخوله مكة
وهو يقول: «يا أبا سفيان اليوم يوم الملحمة اي يوم الحرب اليوم تستحل الكعبة اي
يقتل من أهدر دمه ولو تعلق باستار الكعبة وسمع مقالة سعد بن عباد رجل من
المهاجرين قيل هو عمر بن الخطاب وقيل سمعها رجلاان وهما عثمان بن عفان وعبد
الرحمن بن عوف فقال: يا رسول الله ﷺ ما نأمن أن تكون لسعد صولة في
قريش»^(٤).

(١) السيرة الحلبية، سيرة ابن دحلان ٢ / ٥٤.

(٢) مغازي الذهبي ٥٤٣، دلائل النبوة البيهقي ٥ / ٥٠.

(٣) سنن البيهقي ٢٢٨/١، سنن الترمذي ٢١٧/٤، سير اعلام النبلاء ٢٣٥/١.

(٤) سيرة ابن دحلان ٢ / ٦٢.

وشكاية هؤلاء على سعد في مكة وسيرة علاقتهم به في المدينة قبل وبعد حياة النبي ﷺ تبين سوء العلاقة بين سعد وبينهم انتهت بقتله بأمرهم فقتله محمد بن مسلمة (اليهودي الاصل)^(١).

وقد طالب أبو سفيان وعمر وعثمان وعبد الرحمن بن عوف بعزل سعد بن عباد عن قيادة لواء الأنصار. فكانت تلك أول قضية معلنة يتحد فيها هؤلاء ضد زعيم الانصار.

في حين قال أبو بكر للصحابة المؤذين أبا سفيان: اتقولون هذا الشيخ قريش وسيدها^(٢) والقضية الظاهرة الثانية هي واقعة السقيفة إذ اشترك معاوية معهم فيها^(٣).

اي ان عمر خالف الأمر النبوي بهجو قريش، وقبلها أنقذ أبا سفيان من الموت. وبقي أبو بكر وعمر محبين لقريش فبعد فتح مكة اتاه ناس من قريش فقالوا: يا محمد إنا حلفاؤك وقومك، وإنه لحق بك أرقاؤنا ليس لهم رغبة في الاسلام، وإنما فروا من العمل فارددهم علينا!

فساور ﷺ أبا بكر في أمرهم فقال: صدقوا يا رسول الله!

فقال لعمر: ما ترى؟ فقال مثل قول أبي بكر.

فقال رسول الله ﷺ يا معشر قريش لبيعن الله تعالى عليكم رجلاً منكم

امتنح الله قلبه للايمان فيضرب رقابكم على الدين.

فقال أبو بكر: أنا هو يا رسول الله؟

قال: لا.

قال عمر: أنا هو يا رسول الله؟

(١) كنز العمال ٢ / ٢٢٢٣، أنساب الاشراف ١ / ٥٨٩.

(٢) تاريخ ابن حساكر ١١ / ٨٤.

(٣) راجع كتاب السقيفة للمؤلف ١٩٦.

قال: لا، ولكنه خاضف النعل في المسجد، وقد كان ألقى نعله إلى علي يخلصها^(١).
فبقي رسول الله ﷺ وعلي ﷺ في وجه قريش ومطامعها، رافضين عودة
المسلمين عبيداً لقريش، وكيف يكون ذلك وقريش انفسهم عبيد لمحمد ﷺ
حررهم بعد فتح مكة قائلاً: إذهبوا فانتم الطلقاء.

المهدور والدم

ودخل مكة ودخل أصحابه من أربعة مواضع وراية المسلمين مع علي بن
أبي طالب ﷺ، وأحلها الله له ساعة من نهار ثم قام رسول الله فخطب فحرّمها.
وأمر الرسول ﷺ بقتل بعض الكافرين وهم:
أبو سفیان بن حرب.

وعبد الله بن عبدالمزّي بن خطل من بني تيم الأدرم بن غالب، وكان رسول الله
وجّهه مع رجل من الأنصار فشذّ على الأنصاري فقتله وقال: لا طاعة لك ولا
لمحمد؛

وعبد الله بن سعد بن أبي سرح العامري من بني عامر بن لؤي، وكان يكتب
لرسول الله فصار إلى مكة مرتداً فقال: أنا أقول كما يقول محمد؛ والله ما محمد نبي وقد
كان يقول لي: اكتب عزيز حكيم، فأكتب لطيف خبير، ولو كان نبياً لعلم. فأواه عثمان
وكان أخاه من الرضاع وأتى به إلى رسول الله، فجعل يكلمه فيه ورسول الله ساكت
ثم قال لأصحابه: هلاً قتلتموا هذا الفاسق! فقالوا: انتظرنا أن تومن.

فقال الرسول ﷺ: إن الأنبياء لا تقتل بالإيماء^(٢). وقال الرسول ﷺ عن
عبد الله بن أبي سرح: إنه كلب^(٣).

(١) المستدرك، الحاكم ١٣٨/٢، الظاهر بأن مجاميع قرشية قد طلبت ذلك من النبي ﷺ في غزوة العديبية
وفي فتح مكة.

(٢) تاريخ ابن الأثير ٢/٢٥١، مستدرك الحاكم ٣/٣١٢، مغازي الواقدي ٢/٨٥٦، دلائل النبوة، البيهقي ٤٤/٥.

(٣) أنساب الاشراف ١/٤٥٤.

وقيس بن صُبابَة أحد بني ليث بن كنانة، وكان أخوه قُتل فأخذ الدية من قاتله ثم شَدَّ عليه فقتله. وقُتل قيس بن صبابَة.

والحويرث بن نقيذ بن وهب بن عبد قصي، كان ممن يؤذي رسول الله بمكة ويتناوله بالقول القبيح فقتل على يد الحويرث بن نقيذ.

وجاء أن النبي ﷺ أمر بقتل عكرمة بن أبي جهل وكان يشبه أباه في إيداء رسول الله ﷺ والحارث بن هشام هو أخو أبي جهل لابويه^(١).
وصفوان بن أمية بن خلف.

وعبدالله بن خطل.

وكعب بن زهير.

وزهير بن أبي أمية.

وعبدالله بن الزبيري السهمي.

والحارث بن هشام.

وعبدالله بن أبي ربيعة الذي عينه عمر لاحقاً أميراً على اليمن.

وأجارت أم هانيء بنت أبي طالب حموين لها: الحارث بن هشام وعبدالله بن أبي ربيعة، فأراد علي قتلها^(٢).

فقال رسول الله: يا علي قد أجرنا من أجارت أم هانيء.

ووحشي بن حرب قاتل حمزة^(٣).

والنسوة: سارة مولاة بني عبد المطلب، وكانت تذكر رسول الله بالقبيح.

وهند بنت عتبة^(٤).

(١) والملاحظ للوليد بن المغيرة وأولاده يجد حقداً عظيماً على الإسلام والمسلمين.

(٢) مغازي الواقدي ٢ / ٨٢٢.

(٣) تاريخ ابن الأثير ٢ / ٢٥١، مستدرک الحاكم ٣ / ٣١٢، مغازي الواقدي ٢ / ٨٢٦.

(٤) تاريخ ابن الأثير ٢ / ٢٥١، مستدرک الحاكم ٣ / ٣١٢، مغازي الواقدي ٢ / ٨٢٦.

وقريبة وفرتنا جاريتا ابن خطل، كانتا تغنيان في هجاء رسول الله^(١). وقُتِلَت الجاريتان واحدة في فتح مكة وواحدة في زمن رئاسة عمر وقُتِلَت سارة مولاة عمرو بن هاشم بن عبدالمطلب.

والذين أمر بقتلهم رسول الله ﷺ ولم يُقتلوا وأسلموا كانت تراجم حياتهم مليئة بأفعال الجاهلية، ولم تطهر قلوبهم بطهارة الإسلام. وهذا من المعجزات الالهية. ولكن لماذا عيّن عمر عبدالله بن أبي ربيعة والياً على اليمن وعيّن عثمان عبدالله بن أبي سرح والياً على إفريقيا؟

ثم آمنهم الرسول ﷺ جميعاً إلا خمسة نفر أمر بقتلهم ولو كانوا متعلقين بأستار الكعبة وأربع نسوة. وأسلمت قريش طوعاً وكرهاً.

وقتل من المسلمين ثلاثة^(٢). وقُتِل من المشركين في فتح مكة أربعة وعشرون رجلاً. ثم قتل خالد سبعين شخصاً تمرداً على امر النبي، ولم يغنم المسلمون شيئاً^(٣). وقال ﷺ: كفوا السلاح إلا خزاعة من بني بكر، فاذن لهم حتى صلى العصر ثم قال: كفوا السلاح^(٤).

ومن دلائل النبوة كان الرسول ﷺ قد قال لعثمان بن طلحة في الجاهلية سترئ المفتاح بيدي يوماً أضعه حيث شئت! ولما فتح مكة أرسل ﷺ علياً وليد الكعبة للمجيء بالمفتاح من عثمان بن طلحة، فأبى دفعه اليه قائلاً: لو علمت أنه رسول الله ﷺ لم أمنعه منه فلوئى علي يده وأخذ المفتاح منه قهراً وفتح الباب وكان بنو طلحة يزعمون أنه لا يفتح الباب أحدٌ غيرهم^(٥).

(١) تاريخ ابن الأثير ٢/ ٢٥١، مستدرك الحاكم ٣/ ٣١٢، مغازي الواقدي ٢/ ٨٢٦.

(٢) تاريخ ابن الوردي ١/ ١٢٤، طبقات ابن سعد ٢/ ١٣٦، أحلام الوردى، الطبرسي ١/ ٢٢٧.

(٣) طبقات ابن سعد ٣/ ١٤٣.

(٤) البداية والنهاية ٤/ ٣٥٠.

(٥) تاريخ الخميس ٢/ ٨٧.

ومن معجزاته ﷺ أيضاً كان يرى في الظلمة كما يرى في الضوء^(١) وكان يرى خلف ظهره كما يرى أمامه^(٢).

ثم دخل النبي ﷺ البيت فصلّى فيه ركعتين ثم خرج فأخذ بعضادي الباب، فقال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، أنجز وعده ونصر عبده وغلب الأحزاب وحده؛ فله الحمد وله الملك لا شريك له؛ ثم قال ﷺ: ما تظنون وما أنتم قائلون؟ قال سهيل: نظنّ خيراً ونقول خيراً، أخ كريم وابن عمّ كريم وقد ظفرت.

قال النبي ﷺ: فإني أقول لكم كما قال أخي يوسف: لا تريب عليكم اليوم؛ ثم قال النبي ﷺ: ألا كلّ دم ومال ومأثرة في الجاهلية فإنه موضوع تحت قدمي هاتين إلا سدانة الكعبة وسقاية الحاجّ فإنهما مردودتان إلى أهلها، ألا وإنّ مكة محرّمة بجرمة الله لم تحلّ لأحد من قبلي ولا تحلّ لأحد من بعدي وإنّما حلّت لي ساعة ثم أغلقت، فهي محرّمة إلى يوم القيامة لا يخلّ خلاها ولا يعضد شجرها ولا يسفر صيدها ولا تحلّ لقطتها إلا لمنشد، ألا إنّ في القتل شبه العمد الدية مغلّظة والولد للفراش وللعاهر الحجر، ثم قال: ألا لبس جيران كنتم فاذهبوا فأنتم الطلقاء. لأنّه ﷺ فتح مكة عنوة^(٣).

ودخل النبي ﷺ مكة بغير إحرام وهي المرة الوحيدة التي دخل بها مكة دون إحرام وقال ﷺ: إنّ الله تعالى قد أحلّها لرسوله ولم يحلّها لأحد من بعدي ولا يحلّ من غنائمها شيء وأمر بلالاً أن يصعد على الكعبة فأذّن فعظم ذلك على قريش؛ وقال

(١) الوفا بأحوال المصطفى، ٣٤٨، الكامل، ابن هدي ٤ / ٥٣٤، تاريخ الإسلام ٤ / ٢٧٢، فيض القدير، المناوي ٥ / ٢١٥، دلائل النبوة، البيهقي ٦ / ٧٥.

(٢) الوفا بأحوال المصطفى، ٣٤٩، سنن البخاري ١ / ١٨٤، سنن النسائي ٢ / ٩٢، حلية الاولياء ٦ / ٣٠٩، مسند أحمد ٣ / ١٠٣.

(٣) عيون الأثر ٢ / ١٨٩، تاريخ الطبري ٢ / ٣٣٧، سيرة ابن هشام ٤ / ٣١، دلائل النبوة، البيهقي ٥ / ٧٠ - ٨٠، طبقات ابن سعد ٢ / ١٣٠ - ١٤٠، من لا يحضره الفقيه ٢ / ٢٤٠ - ٢٤٦، وسائل الشيعة ٩ / ٦٩، سيرة ابن دحلان ٢ / ٦٦.

عكرمة بن أبي جهل وخالد بن أسيد: إنّ ابن رباح ينهق على الكعبة، وتكلم قوم معها.

فأرسل إليهما رسول الله، فقالوا: قد قلنا، فنستغفر الله.

فقال: ما أدري ما أقول لكم ولكن تحضر الصلاة فن صلى فسيبيله ذلك وإلا قدّمته فضربت عنقه.

وأمر بكلّ ما في الكعبة من صور فحيت وغسلت بالماء. ودعا بعثمان بن طلحة فقال: رأيت في الكعبة قرني الكبش فخرها فإنّه لا ينبغي أن يكون في الكعبة شيء، فصيروهما في بعض الجُدُر^(١).

وروى بعضهم أنّ رسول الله قسم ما كان في الكعبة من المال بين المسلمين. وقال آخرون: أقرّه في مكانه وهو الصحيح فقهياً.

تحطيم الأصنام

وكانت الأصنام ود لكلب وسواع هذيل ويغوث لغطفان ونسر لذي الكلاع واللات لتقيف واساف ونائلة وهبل لاهل مكة.

وكان رسول الله ﷺ يحطم الأصنام بعضا في يده ومنها إساف ونائلة، وهما رجل وامرأة قد زنيا في الكعبة فسخها الله تعالى حجرين. فاتخذتهما قريش يعبدونها. وكانوا يذبحون عندهما، ويحلقون رؤوسهم إذا نسكوا، فخرج من أحدهما امرأة شطاء سوداء تخمش وجهها عريانة ناشرة الشعر تدعو بالويل. فقال رسول الله ﷺ: تلك نائلة يشست أن تعبد في بلادكم أبدا^(٢).

ونادى منادي رسول الله: من كان في بيته صنم فليكسره، فكسروا الأصنام. واعظم الأصنام التي حطمها النبي هو هبل الذي كان بجانب مقام إبراهيم عليه السلام.

(١) تاريخ الخميني ٢ / ٨٢

(٢) مغازي الواقدي ٢ / ٨٤١

والأصنام ثلاثمائة وستون بعدد أيام السنة كلها مثبتة بالرصا ص والحديد.
وصعد علي عليه السلام على كتف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وكسر أصنام الكعبة^(١) لانه لا يمكن
لاحد حمل النبي صلى الله عليه وآله وسلم إذ قال صلى الله عليه وآله وسلم: لو ان ربيعة ومضر جهدوا على ان يحملوا مني
بضعة وانا حي ما قدروا^(٢).

ولما صعد علي عليه السلام فوق الكعبة رمى بصنم خزاعة الذي كان من صفر فكسره
فجعل اهل مكة يتعجبون^(٣) لثقله.

وقال محمد صلى الله عليه وآله وسلم لما اتى علي عليه السلام بنفسه من فوق الكعبة إلى الأرض دون اصابة:
كيف يصيبك ألم وقد رفعك محمد وانزلك جبرئيل^(٤).

وقال الديار بكري ان احد الشعراء اشار إلى قصة صعود علي عليه السلام على كتف
النبي صلى الله عليه وآله وسلم لتحطيم الأصنام وللصعود فوق ظهرها:

قيل لي قل في علي مدحاً	ذكره يحمد ناراً مؤصدة
قلت لا أقدم في مدح امرئ	ضل ذو اللب إلى أن عبده
والنبي المصطفى قال لنا	ليلة المعراج لما صعد
وضع الله بظهري يده	فاحس القلب أن قد برده
وعلي واضح أقدامه	في محل وضع الله يده ^(٥) .

وارسل النبي صلى الله عليه وآله وسلم خالد بن الوليد إلى نخلة وفيها العُزَيُّ فلما نظرت إليه السدنة
وهم حجابها أمعنوا في الجبل وهم يقولون: يا عُزَيُّ خُبلِبه يا عُزَيُّ عَوْرِيه وإلا
فوقي برغم.

(١) سيرة ابن دحلان ٢ / ٨٧ تاريخ الخميس ٢ / ٨٦ المستدرك، الحاكم، ٦ / ٣.

(٢) الصراط المستقيم ١ / ١٧٩.

(٣) تاريخ الخميس ٢ / ٨٦.

(٤) تاريخ الخميس ٢ / ٨٧ كشف اليقين، الحلبي، ٤٤٩.

(٥) تاريخ الخميس ٢ / ٨٧.

فأتاها خالد فإذا امرأة عُريانة ناشرة شعرها تحثوا التراب على رأسها فعمها بالسيف حتى قتلها^(١).

وأرسل النبي ﷺ سعد بن زيد الأشهلي إلى مئة في عشرين فارساً، فخرجت امرأة سوداء عُريانة نائرة الرأس تدعو بالويل.

فقال لها السادن: مئة دونك بعض غضباتك وسعد يضربها فقتلها^(٢) وأقبل إلى الصنم فهدمه ..

وأراد فضالة بن عمير الليثي قتل رسول الله ﷺ داخل الكعبة، فأخبره النبي ﷺ بقصده وضحك منه^(٣).

ولما قيل لرسول الله ﷺ في مكة: ألا ترجع إلى دارك؟ قال ﷺ: وهل ترك عقيل لنا داراً^(٤).

هل بايع الرجال والنساء النبي ﷺ في فتح مكة؟

لقد اهتم رسول الله ﷺ إهتماماً أكيداً بالبيعة فمع الأنصار أجرى بيعتين: بيعة العقبة الأولى وبيعة العقبة الثانية، وفي الحديبية أجرى بيعة الرضوان للمهاجرين والانصار وغيرهم وبعد فتح مكة عقد البيعة العامة مع المسلمين من المهاجرين والأنصار والطلقاء وغفار وأسد وتيم ومزينة وقيس^(٥).

إذ جلس رسول الله ﷺ، للبيعة على الصفا، واجتمع الناس لبيعة رسول

(١) مغازي الذهبي ٥٥٥.

(٢) مغازي الذهبي ٥٦٣، مغازي الواقدي ٢ / ٨٧٠، طبقات ابن سعد ٢ / ١٤٦، تاريخ الطبري ٣ / ٦٦، عيون التواريخ ١ / ٣٢١، عيون الأثر ٢ / ١٨٥. قال الكلبي: إن مئة أقدم الأصنام كلها وكانت على ساحل البحر من ناحية المشكل بقديد بين المدينة ومكة، كتاب الأصنام ١٣.

(٣) تاريخ الخميس ٢ / ٨٧.

(٤) علل الشرائع، الصدوق ١ / ١٥٥.

(٥) البداية والنهاية ٤ / ٣٥٤.

الله ﷺ على الإسلام، فكان يبايعهم على الإيمان بالله والشهادة والسمع والطاعة لله ولرسوله فيما استطاعوا، فكانت هذه بيعة الرجال.

ثم عقد رسول الله ﷺ بيعة النساء في مكة، للدلالة على أهمية المرأة في الإسلام وسمو مكانتها الاجتماعية والسياسية والثقافية والدينية، وهذه بادرة جديدة وخطيرة لم تعرفها شعوب العالم في ذلك الوقت.

فإنه لما فرغ من الرجال بايع النساء، فأتاهنَّ نساء من قريش، منهنَّ أم هانئ بنت أبي طالب، وأم حبيب بنت العاص بن أمية، وكانت عند عمرو بن عبد ود العامري، وأروى بنت أبي العيص عمّة عتاب بن أسيد، وأختها عاتكة بنت أبي العيص، وكانت عند المطلّب بن أبي وداعة السهمي، وأمه بنت عقان بن أبي العاص أخت عثمان، وكانت عند سعد حليف بني مخزوم، وهند بنت عتبة، وكانت عند أبي سفيان، ويسيرة بنت صفوان بن نوفل بن أسد بن عبد العزى، وأم حكيم بنت الحارث بن هشام، وكانت عند عكرمة بن أبي جهل، وفاخنة بنت الوليد بن المغيرة أخت خالد، وكانت عند صفوان بن أمية بن خلف، وريطة بنت الحجاج، وكانت عند عمرو بن العاص وغيرهنَّ. وكانت هند متنكرة لصنيعها بحمزة وأكلها من كبده! فهي تخاف أن تؤخذ به.

وقال النبي ﷺ: "هُنَّ: تبايعني على أن لا تشركن بالله شيئاً. قالت هند: إنك والله لتأخذ علينا ما لا تأخذه على الرجال فسنؤتيكه."

قال النبي ﷺ: "ولا تسرقن. قالت: والله إن كنت لأصبت من مال أبي سفيان الهنة والهنة. فقال أبو سفيان، وكان حاضراً: أما ما مضى فأنّيت منه في حلّ."

فقال رسول الله ﷺ: أهند؟

قالت: أنا هند فاعف عني سلف عفا الله عنك. فعفا النبي ﷺ عنها.

قال النبي ﷺ: ولا تزنين^(١).

قالت: وهل تزني الحرّة؟ فضحك عمر.

وقال النبي ﷺ: ولا تقتلن أولادكن.

قالت: ربّيناهم صفاراً وقتلتهم يوم بدر كباراً فأنت وهم أعلم.

قال النبي ﷺ: ولا تأتين بهتان تغترينه بين أيديكن وأرجلكن.

قالت: والله إنّ إتيان البهتان لقبيح ولبعض التجاوز أمثل.

قال: ولا تعصيني في معروف. قالت: ما جلسنا هذا المجلس ونحن نريد أن

نعصيك.

وكان رسول الله ﷺ، لا يمسّ النساء ولا يصافح امرأة ولا تمسّه امرأة إلّا امرأة

أحلّها الله له أو ذات محرم منه^(٢).

وجاء في قوله تعالى «ولا يعصيك في معروف»^(٣).

ان أم حكيم بنت الحارث بن عبد المطلب، قالت لرسول الله ما هذا المعروف

الذي أمرنا الله به أن لا نعصيك فيه؟ فقال: ألاّ تخمشن وجهاً، ولا تلمطن خداً، ولا

تنتفن شعراً، ولا تمزقن جيباً، ولا تسودن ثوباً، ولا تدعون بالويل والثبور، ولا

تقعدن مع الرجال في الخلاء^(٤).

وبعد بيعة الرجال والنساء لرسول الله ﷺ في مكة أصبح المسلمون جميعاً قد

بايعوا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة وتطبيق أحكام الإسلام والجهاد في

سبيل الله تعالى، والدفاع عن الإسلام ورسوله ﷺ.

وفي كيفية البيعة جاء بان النبي ﷺ ادخل يده في ماء ثم رفعه اليهن فأدخلن

(١) وكانت معروفة بالزنا في مكة.

(٢) مغازي الواقدي ٢/ ٨٦٠ - ٨٧٤ تاريخ ابن الأثير ٢/ ٢٥٢.

(٣) الممتحنة ١٢.

(٤) البحار ٧٩ / ٧٧، مستدرک الوسائل ٢ / ٤٤٩ دعائم الإسلام ٢ / ٢٤٣٣.

أيديهن فيه والاصح انه مسح بيده على ثوب ثم مسح أيديهن على ذلك الثوب.
ومن الأمور الاجتماعية الاخلاقية للنبي ﷺ ان رجلاً أخذته الرعدة أثناء
كلامه معه فقال النبي ﷺ: هُوَ فَاغَا اَنَا ابْنُ امْرَأَةٍ مِنْ قُرَيْشٍ كَانَتْ تَأْكُلُ الْقَدِيدَ^(١).
وزوَّج النبي ﷺ ضباعة بنت الزبير بن عبدالمطلب من المسقدا بن عمرو
ليتواضع النكاح وليتأسوا برسول الله^(٢).

وجاءته في مكة امرأة من بني سعد بن بكر بنحي مملوءة سمناً وجراباً أقط^(٣)
فدخلت عليه وهو في الأبطح، فانتسبت له فعرفها رسول الله ﷺ ودعاها إلى
الإسلام فأسلمت وصدقت.

ثم أمر رسول الله ﷺ بقبول هديتها، وجعل يسألها عن حليلة فأخبرته انها
توقفت في الزمان فدرفت عينا رسول الله ﷺ ثم سألها من بقي منهم؟
فقالت: أخواك وأختاك وهم والله محتاجون إلى برك وصلتك ولقد كان لهم
موئل^(٤).

فأمرها رسول الله ﷺ بكسوة واعطاها جلاً ظعينة وأعطاه مائتي درهم^(٥).

مسيرة قريش قبل وبعد فتح مكة

كانت قبائل قريش في زمن النبي ﷺ هي:

بنو هاشم بن عبد مناف، بنو أمية بن عبد شمس، وبنو نوفل بن عبدمناف، بنو
عبدالدار ابن قصي، بنو مخزوم بن يقظة بن مرة، بنو زهرة بن كلاب، بنو أسد بن
عبدالعزى، بنو الحارث بن فهر بن مالك، بنو عامر بن لؤي، بنو سهم بن عمر، وبنو

(١) دلائل النبوة، البيهقي ٦٩ / ٥. والقديد هو اللحم المجفف في الشمس.

(٢) دعائم الإسلام ١٩٩ / ٢.

(٣) النحي: الزق الذي يجعل فيه السمن خاصة والأقط لبن مجفف.

(٤) موئل أي مهل.

(٥) مغازي الواقدي ٨٦٩ / ٢.

جمع بن عمرو، بنو أنمار ابن بغيض، بنو تيم بن مرة بن كعب، بنو عدي بن كعب. لقد وقفت قريش في أغلبها ضد رسول الله ﷺ بحاربة ومؤذية له ولاهل بيته وللأنصار. لذا دعا رسول الله ﷺ على قريش ولم يدعو لهم حتى قال أبو سفيان: يا محمد أنشدك الله والرحم قد أكلنا العلهز! يعني الوبر والدم، فأنزل الله عز وجل:

﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّهُونَ﴾^(١)

وجاء: لما دعا رسول الله ﷺ على قريش حين استعصت أن يسلم الله عليها سبعا كسبع يوسف فأصابهم سنة حصدت كل شيء، حتى أكلوا العظام والكلاب والعلهز^(٢).

وقد اجتمع اشراف قبائل قريش في مكة في دار الندوة وهي دار الحكومة في يوم السبت ويسمونه يوم مكر وخديعة قبل الهجرة للبحث في طرق الخلاص من الإسلام وهم:

من بني عبد شمس عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وأبو سفيان بن حرب. ومن بني نوفل بن عبد مناف: طعيمة بن عدي وجبير بن مطعم والحارث بن عامر بن نوفل ومن بني عبد الدار بن قصي: النضر بن الحارث بن كلدة.

ومن بني أسد بن عبد العزى: أبو البختري بن هشام، وزمعة بن الأسود بن المطلب، وحكيم بن حزام.

ومن بني مخزوم: أبو جهل ابن هشام.

ومن بني سهم: نبيه ومنبه ابنا الحجاج.

ومن بني جمح: أمية بن خلف.

فقال بعضهم لبعض: إن هذا الرجل قد كان من أمره ما قد رأيتم، فإننا والله ما نأمنه على الوثوب علينا فيمن قد اتبعه من غيرنا، فاجمعوا فيه رأياً. فتشاوروا ثم قال قائل منهم: إحبسوه في الحديد وغلّقوا عليه باباً، ثم تربصوا به^(٣).

(١) المؤمنون ٧٦ المستدرک الحاكم ٢/٢٩٤ وقال هذا الحديث صحيح ولم يخرجوا.

(٢) البداية والنهاية، ابن كثير ١/١٠٦، والعلهز دم يابس يدق مع اوبار الإبل في المجاعات.

(٣) سيرة ابن هشام ٢/٣٣١.

ثم قرروا بينهم اغتيال رسول الله ﷺ فلم يفلحوا وهاجر النبي ﷺ إلى المدينة.

وكان حكيم بن حزام من أمة الكفر وقد احبته قريش لامور عديدة فَعَلَهَا في الجاهلية والاسلام:

فهو الذي شارك في دار الندوة لقتل رسول الله ﷺ^(١).

وهو من المحاربين لله ورسوله في مكة طيلة مدة بقاء النبي ﷺ في مكة.

وكان من المنفقين على جيش الكفار في معركة بدر^(٢).

واستمر في محاربته للاسلام علناً وسراً، ولما فتحت مكة اعلن اسلامه واخفى عدوانه، وفر في معركة حنين بالمسلمين ثم طالب رسول الله ﷺ بالغنائم.

وكانت قبيلته (بني أسد بن عبد العزى) من قبائل قريش الحاكمة على الاسلام. ثم دخلت في الإسلام وبرز منهم حبيب بن مظاهر الاسدي ومسلم بن عوسجة. من المناصرين للإمام الحسين عليه السلام.

وفي زمن عثمان بن عفان كان حكيم من خاصته المقربين فحصل على اموال طائلة من بيت مال المسلمين.

ولما تار المسلمون وقتلوا عثمان، كان حكيم بن حزام من بين خمسة اشخاص شاركوا في دفنه في مقبرة اليهود، حش كوكب^(٣).

ولأجل هذه السيرة فقد اعتر الأمويون بحكيم بن حزام حياً وميتاً وافاضوا عليه المال والمديح والمناقب حتى بلغ بهم الأمر للقول بانه ولد في الكعبة الشريفة حسداً منهم لولادة علي بن أبي طالب عليه السلام فيها^(٤) وقد قال الإمام علي بن أبي

(١) سيرة ابن هشام ٣٣١/٢.

(٢) سيرة ابن هشام ٤٨٨/٢.

(٣) تاريخ يعقوبي ١٧٦ / ٢.

(٤) راجع موضوع الوليد الوحيد للكعبة في هذا الكتاب.

طالب ﷺ: والله ما تنقم منا قريش إلا أن الله اختارنا عليهم فأدخلناهم في حيزنا فكانوا كما قال الأول:

ونحن وهبناك الملا ولم تكن علياً وحطنا حولك الجرد والسمرا^(١)
وكذلك، انقسم بنو إسرائيل إلى قسمين:

قسم عبدوا العجل فقتل بعضهم بعضاً وهم ستمائة ألف، والقسم الثاني اثني عشر ألفاً لم يعبدوا الله تعالى ثم توسلوا بمحمد وآل محمد^(٢). فانقذهم الله تعالى.

وفتح مكة يبين منهج رسول الله ﷺ في فتح البلدان ونشر الإسلام دون ظلم ولا عدوان.

وقتل علي بن أبي طالب ﷺ الحارث بن طلحة أحد مؤذي الرسول، وقتل الحويرث بن نفيع الذي نحس بزینب بنت رسول الله ﷺ مع هبار بن الأسود فسقطت عن دابتها وألقت جنينها^(٣) وقتل علي ﷺ هبار بن الأسود أيضاً^(٤).

هل غدر خالد بنني جذيمة؟

قال النبي ﷺ في فتح مكة: ألا كل دم ومال و مائة في الجاهلية فإنه موضوع تحت قدمي هاتين^(٥).

وبعث رسول الله، وهو بمكة، خالد بن الوليد إلى بني جذيمة بن عامر، وهم بالخميصاء، وقد كانوا في الجاهلية أصابوا من بني المغيرة الفاكة عم خالد وقتلوا عوفاً أبا عبد الرحمن ابن عوف، فخرج عبد الرحمن بن عوف مع خالد بن الوليد

(١) نهج البلاغة ٨٢/١.

(٢) مستدرله الوسائل، المحقق النوري ٢٣٥/٥، تفسير الإمام العسكري ٢٥٥.

(٣) تاريخ الخميس ٩٣ / ٢.

(٤) سيرة ابن دحلان ٧٠ / ٢.

(٥) تاريخ ابن الأثير ٢٣٩ / ٢ تاريخ الطبري ٣٢٧ - ٣٤٣.

ورجال من بني سليم وقد كانوا قتلوا ربيعة بن مكدّم في الجاهلية، فخرج جذل الطّعان فقتل من بني سليم بدم ربيعة مالك ابن الشريد.

وكان بنو جذيمة قد اسلموا وبنو المساجد في ساحاتهم. فبلغهم أنّ خالدًا قد جاء معه بنو سليم.

فقال لهم خالد: ضعوا السلاح.

فقالوا: إنّنا لا نأخذ السلاح على الله ولا على رسوله ونحن مسلمون، فانظر ما بعثك رسول الله له فإن كان بعثك مصدّقاً فهذه إيلنا وغنمنا فاعدّ عليها.

فقال خالد: ضعوا السلاح^(١).

لقد أسلم خالد طمعاً في الغنائم والجاه والسلطة فبقي غادراً للمسلمين يهدر دماءهم، وينقض عهودهم ويطأ نساءهم المحصنات^(٢).

وقد عرف بنو جذيمة خالدًا مشهوراً بالفدر إذ قال جحدم لقومه: إنّهُ خالد والله ما بعد وضع السلاح إلّا الأسر وما بعد الأسر إلّا ضرب الاعناق^(٣).

قالوا: إنّنا نخاف أن تأخذنا بإحنة الجاهلية. فانصرف عنهم وأذن القوم وصلّوا، فلمّا كان في السحر شنّ عليهم الخيل فقتل المقاتلة وسبى الذرية!

وقال عبدالرحمن بن عوف امام الرسول والمسلمين: والله لقد قتل خالد القوم مسلمين.

فقال خالد: إنّما قتلتهم بأبيك عوف بن عبد عوف. (اي اعترف بقتلهم كفرًا!)

فقال له عبدالرحمن: ما قتلتي بأبي ولكنك قتلت بعثك الفاكه بن المغيرة^(٤).

فبلغ رسول الله ذلك فقال: اللهمّ إني أبرأ إليك ممّا صنع خالد!

(١) تاريخ الخميس ٩٨ / ٢.

(٢) حياة الصحابة، الكاندهلوي ٤١٣ / ٢، سنن البخاري ١٧١ / ٤، وفيات الأعيان ١٤ / ٦.

(٣) تاريخ الخميس ٩٨ / ٢.

(٤) راجع تاريخ الطبري ٣٢٧ / ٢ - ٣٤٣، تاريخ اليعقوبي ٥٨ / ٢ - ٦١، تاريخ ابن الأثير ٢٣٩ / ٢ - ٢٥٤، مغازي الواقدي ٨٨٢ / ٣، مغازي الذهبي ٥٦٨، سنن البخاري، باب المغازي ١٠٧ / ٥، مسند أحمد ١٥١ / ٢.

وبعث النبي ﷺ علي بن أبي طالب عليه السلام بمال فأدّى إليهم ما أخذ منهم حتى العقال وميلغة الكلب، وودّئ القتلى وبقيت معه منه بقية، فدفعها علي عليه السلام إليهم على أن يحملوا رسول الله مما علم ومما لم يعلم.

فقال رسول الله: لعلي عليه السلام: فذاك أبواي. لما فعلت أحبّ إلي من حمر النعم. وقتل خالد سبعين قرشيّاً في فتح مكة دون رضئ رسول الله ﷺ^(١) والظاهر بأنهم من المسلمين.

وقتل خالد امرأة من هوازن بعد معركة حنين بعد انتهاء الحرب رغم الامر النبوى بالامتناع عن قتل النساء .

وشارك خالد في الهجوم على بيت فاطمة وقتلها^(٢). وكان خالد من المعادين لأمر المؤمنين علي عليه السلام فقد حاول اغتياله في أيام حكومة أبي بكر .

وشارك خالد في اغتيال سعد بن عبادة^(٣). وغدر خالد بن الوليد بالمسلمين مرة أخرى في زمن أبي بكر إذ قتل مالك بن نويرة وقبيلته في الصلاة وزنى بزوجته^(٤). فدعا عمر إلى قتله. وهذا ما يشكك في حقيقة نوايا خالد. في دخوله الإسلام!

وكانت العداوة بين خالد وعمر على اشد ما تكون في الجاهلية والإسلام فعزله عمر في اليوم الأول لسلطته وقتله بواسطة رجل المتهات الخاصة في حكومته اليهودي السابق محمد ابن مسلمة^(٥).

(١) تاريخ الخميس ٢ / ٨٤

(٢) شرح النهج ٦/٤٨، البداية والنهاية ٤/٤٩٦، تثبيت الامامة ايحيى بن الحسين ١٧، المسترشد ٤٥٦.

(٣) راجع كتاب تبصرة العوام .

(٤) حياة الصحابة ٢ / ٤١٣، تاريخ أبي الفداء ١ / ٢٢١.

(٥) راجع ظريات الخليفين، المؤلف ٢ / ٢٧٤ - ٢٨٠.

لقد استمر طغاة قريش في منهجية الغدر فبعد فتح مكة جلس أبو سفيان يحدث نفسه بالغدر قائلاً: لو جمعت لمحمد جمعاً؟
فضرب رسول الله ﷺ بين كتفيه وقال: إذا يخزيك الله^(١)

الدلائل والعبر

من الناحية الفقهية والاخلاقية لما دخل رسول الله ﷺ وجيشه مكة خرجت بنات سعيد بن العاص فنشرن شعورهن يضربن بخرمن بخرمن وجوه خيل المسلمين^(٢). وكان من عادة نساء الجاهلية نشر الشعور لعدم التزامهن بالحجاب، فوقع بعض الشعراء المسلمين في الخطأ يوم وصفوا نساء الحسين الشهيد عليه السلام في كربلاء قائلين: خرجن من الحدود ناشرات الشعور، على الحدود لاطحات^(٣).
إذ أخذ بعض المسلمين جزءاً من الأعراف الجاهلية، وسرق رجال الحزب القرشي بعض المسائل الفقهية الإسلامية لتحسين صورة قريش الجاهلية؛ مثل التزام الجاهليين بالنسل من الجناية وقطع يد السارق!
وفي الناحية الامنية لقد قرأنا اموراً مدهشة في السيرة المختصة بفتح مكة إذ طلب رسول الله ﷺ من الله تعالى ان يعي على قريش الاخبار ليدخل مكة دون اراقة دماء. فحصل ذلك إذ اخبره تعالى بخيانة حاطب بن بلتعة وقصده اخبار قريش بالغزوة فأبطل عز وجل مؤامرتة. فبين تعالى وجود جواسيس لقريش في صفوف المسلمين.

وعن موضوع التجسس لم يكن التجسس وليد يومنا هذا ويبرز هذا الحال في عدم رغبة قريش بقتل بعض المهاجرين رغم تمكنهم منهم في الحروب.

(١) البداية والنهاية ٤ / ٣٤٨.

(٢) منازي الواقدي ٢ / ٨٢٧.

(٣) بحار الانوار ٩٨ / ٣٢٢.

ويتضح هذا الأمر أيضاً في التحالف المحاصل بعد فتح مكة واثراً مقتل رسول الله ﷺ بين بعض الماجرين و طلقاء مكة إذ وصل إلى سدة الحكم قادة الحزب القرشي في بدر واحد والخندق مثل معاوية بن أبي سفيان وعمر بن العاص وخالد بن الوليد وعبد الله بن أبي ربيعة وعكرمة بن أبي جهل.

ويتبين هذا الموضوع أكثر في ابعاد بني هاشم والانصار والمهاجرين الآخرين عن سدة الحكم بعد مقتل رسول الله ﷺ فلم يصل ابطال المسلمين في بدر واحد والخندق وخير إلى السلطة.

فيتضح المقال بتغيير قریش وجواسيسها خطة عملهم في مواجهة الإسلام من الحرب إلى السلام معه على أمل استلام السلطة.

فدخلوا في الدين ورضوا بترك عبادة الأصنام وبدأوا في التخطيط لاستلام السلطة بعد رسول الله ﷺ ؛ اي انهم رضوا بسياسة الأمر الواقع في سقوط عبادة الأوثان وشيوع عبادة الرحمن. ونجحوا في استلام مقاليد الحكم بعد النبي ﷺ.

ومن الدلائل والعبر الأهتمام النبوي بالبيعة الشعبية المتمثلة في حكومة الشعب، اذ دعا ﷺ المسلمين جميعاً بعد فتح مكة إلى البيعة رجالاً ونساء.

ففي باب الحقوق يكون رسول الله ﷺ أول من دعا إلى البيعة في تاريخ البشرية معطياً للمرأة دوراً مهماً في هذا المجال. ورغم مرور ألف واربعمائة سنة على تلك البيعة الجماهيرية نجد امتناع الكثير من الحكومات من اعطاء ذلك الحق لمواطنيها.

ان حق التصويت النسائي الذي شرعه رسول الله ﷺ للمرأة كان أمراً عجباً في ذلك الزمن الغابر المنكر لاسط الحقوق النسائية.

فكانت معظم النساء في ذلك الوقت بين خادمة وجارية تخدم الاولى في بيوتها وتدفع بعض الجوارى للزنا فزل القرآن الكريم بتحريم الاعمال الفحشاء.

﴿ولا تَكْرهوا فتياتكم على البغاء إن اردن تحصنًا﴾^(١).

وفي عالم الاخلاق وجد القرشيون الطلقاء رحمة رائعة من رسول الله ﷺ فقد عفى عنهم وقرأ عينهم ومنع المهاجرين من الانتقام منهم واعطاهم حقوقاً متساوية مع الفاتحين وبلغ به الأمر ان عفى عن الذين أمر بقتلهم! بعد اسلامهم. فلم يرد ﷺ الطلبات الداعية للعفو عنهم الصادرة منهم ومن ارحامهم ونسألتهم.

فلقد كان النبي ﷺ عطوفاً ورؤوفاً أكثر مما تتصور وأكثر مما تخيله الكافرون.

ووصف الله تعالى محمداً قائلاً: ﴿وانك لعلی خلق عظیم﴾^(٢).

وفي جانب التربية والقضاء يطيب لي ان احرر أمراً آخر فعله رسول الله ﷺ الآ وهو أمره بقتل الاشرار والفساق الذين لا فائدة ترجى في حياتهم ولا أمل ينظر في بقائهم وهم أبو سفيان وحكيم بن حزام وعكرمة بن أبي جهل وعبد الله بن أبي سرح وعبد الله بن أبي ربيعة وصفوان بن أمية وهند بنت عتبة ووحشي وآخرون ذكرناهم.

وهذا من دلائل النبوة إذ عاش ومات هؤلاء على الظلم والغدر والخيانة.

وفي باب التربية والاخلاق ايضاً كان المسلمون الآ القليل منهم يحترمون رسول الله ﷺ ولا ينطقون بحضرة الفاظاً بذينة مهتمين بذلك إذ قال أبو سفيان في حضرة النبي والعباس وعمر كيف أصنع باللات والعزى؟ فقال عمر: آخرأ عليها.

فقال أبو سفيان: ويحك يا عمر إنك رجل فاحش^(٣).

وكان الكثير من عرب الجاهلية ينزهون انفسهم عن الكلبات والتعابير

(١) النور ٢٤.

(٢) القلم ٤.

(٣) سيرة ابن دحلان ٢ / ٥٨.

والأفعال الرديئة. والعرب تعيب العبث بالميت والتمثيل به أيضاً إذ قال الحليس بن علقمة لما رأى أبو سفيان يحاً برمه شديق حمزة: يا معشر بني كنانة انظروا إلى من يزعم أنه سيد قريش ما يصنع بابن عمه الذي صار لحماً^(١).

ولما رأى أبو سفيان صلاة المسلمين الجماعية واحترامهم لرسول الله ﷺ قال: ما رأيت كالיום طاعة قوم قبلهم هنأ لافارس الاكارم ولا الروم ذات القرون^(٢).

وفي موضوع الدعاء صلى النبي ﷺ الظهر باصحابه بعد فتح مكة عند الحجر الأسود فلما سلم رفع يديه وكبر ثلاثاً وقال: لا إله إلا الله وحده، أنجز وعده ونصر عبده وأعز جنده وغلب الأحزاب وحده فله الملك وله الحمد يحيي ويميت ويحيي وهو على كل شيء قدير.

ثم أقبل على أصحابه فقال ﷺ: لا تدعوا هذا التكبير وهذا القول في دبر كل صلاة مكتوبة فإن من فعل ذلك بعد التسليم، وقال القول كان قد أدى ما يجب عليه من شكر الله تعالى ذكره^(٣).

وفي عالم التربية والغزو سار في أمر يتمثل في محاولة خاتم الأنبياء توجيه الناس في هدفه المطلوب فأمر بالجهاد وساق طلقاء مكة إلى حرب حنين، فأصبح جيشه اثني عشر ألف محارب بعدما كان عشرة آلاف مقاتل.

وتعامل رسول الله مع أهالي مكة باخلاق عالية فتعجب المكيون من رفته في المعاملة وهو سلطان الحجاز وخاتم الرسل.

فشعر القرشيون سريماً بأنهم من المسلمين كيف لا وهم يجدون أنفسهم في صفوف الجيش الإسلامي مقابل كفار هوازن وكفار الطائف وحقوقهم وحقوق المسلمين السابقين متساوية.

(١) أعلام الوري: الطبرسي ١ / ١٨١ مناقب آل أبي طالب، ابن شهر آشوب ١ / ١٦٧.

(٢) سيرة ابن دحلان ٢ / ٥٨.

(٣) علل الشرائع ٢ / ٣٦٠، وسائل الشريعة، الحر العاملي ٤ / ١٠٣١.

في حين أمر يزيد بن معاوية باباحة المدينة المنورة لافراد جيشه بعد حوالي خمسين سنة من ذلك التاريخ ففعلوا فيها كل ما يدخل في عالم الحزبي والفسق والفجورا

فسيد الرسل أراد بناء الانسان وتحكيم الأخلاق وتشديد الدول ونشر المحبة، وباقي العتاة في تاريخنا الغابر والحاضر يريدون أسر الانسان ونشر الرذيلة وطمس الأمن. فالطفاة اعدى عدوهم الشعب وأسلم وسائلهم الاستبداد ولو استخدم النبي ﷺ وسائل أخرى معهم لنفر هؤلاء عن الإسلام في أول فرصة ممكنة، ولكنهم مكثوا عليه.

ولما رحل رسول الله ﷺ إلى حنين عين عتاب بن اسيد الأموي والياً على مكة^(١).

وحصل علي عليه السلام على مناقب كثيرة في فتح مكة فقد صعد على كتف رسول الله ﷺ وكسر الصنم الأعظم وقذف به من على ظهر الكعبة، وكان اللواء الاكبر للمسلمين بيده^(٢).

(١) الوفا باحوال المصطفى ﷺ ٧٢٠، سيرة ابن حاتم ١ / ٣٣٥ - ٣٤٢، تاريخ خليفة ٤٠، المنتظم ٢ / ٣٢٤، البدء والتاريخ ٢ / ٩٧، عيون الأثر ٢ / ١٨١، تاريخ الطبري ٢ / ٣٢٣، الأرشاد، المفيد ١ / ١٣٠، السيرة العلية ٣ / ٧٠، تاريخ ابن الأثير ٢ / ٢٣٩ - ٢٥٥، تاريخ الخميس ٢ / ٧٧ - ٩٧، طبقات ابن سعد ٢ / ١٣٤ - ١٤٠، سيرة ابن دحلان ٢ / ٤٥ - ٩٠، جعل من أنساب الاشراف ١ / ٤٤٩، دلائل النبوة، البيهقي ٥ / ٣، التنبيه والاشراف، ٢٣٠، سنن البخاري ٦ / ٢٦٠ - ٢٦٧، الروض الأنف ٧ / ١٠٨ - ١٢٦، تفسير الزمخشري ٤ / ٨١٠، تفسير الفخر الرازي ١١ / ٣٣٤ - ٣٣٩، تفسير الطبرسي، ٥ / ٥٠٠.

(٢) تاريخ الطبري ٢ / ٣٣٤.

الفصل الثالث

معركة حنين



دلت سورة النصر التي نزلت في فتح مكة على أنه ﷺ نعتت إليه نفسه^(١) وقرب زمن موته بعد ان خذل الله تعالى قريشاً وبني بكر بن وائل ونصر المسلمين وحلفاءهم بني كعب (خزاعة).

وبعد مطالعتك أخي القاريء لموضوع معركة حنين ستجد جبهة معارضة واسعة لرسول الله ﷺ مكوّنه من هوازن وثقيف وقريش وقبائل الأعراب المتنحقة بجيش النبي ﷺ مثل أسلم وتميم والمنافقين المنتمين للمهاجرين والأنصار، فهل حدث الاتفاق في مكة عبر جاسوس هوازن المقتول بيد عمر أم كان صدفة؟ وهل كان هذا التنظيم العددي والمكاني صدفة؟ الجواب في هذا الموضوع .

بعد فتح مكة في ٢٠ رمضان بلغ رسول الله ﷺ أن هوازن وثقيفاً قد جمعت بحنين جمعاً كثيراً ورئيسهم مالك بن عوف النضري وهو ابن ثلاثين سنة فخرج الرسول ﷺ من مكة في السادس منه. والمعركة حدثت في العاشر من شوال في السنة الثامنة للهجرة^(٢).

وقد اختلفت المعادلات في معركة حنين عن المعارك السابقة بزيادة عدد المحاربين المسلمين على الكفار زيادة ملحوظة، ورغم هذا فرتوا من أرض المعركة. وكان كثير من جنود المسلمين ما زالوا حديثي العهد بالاسلام فطلبوا من

(١) تفسير الفخر الرازي ١١ / ٣٤٦.

(٢) طبقات ابن سعد ٢ / ١٤٩، معاذي الواقدي ٢ / ٨٨٩.

النبي ﷺ في اثناء مسيره الى حنين ان يجعل لهم شجرة ذات أنواط مثلها عند الكفار يذبحون عندها ويعكفون عليها^(١).

فوصف الله تعالى حالهم بقوله: ﴿اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة﴾^(٢). وحنين وادي بين مكة والطائف، كانت فيه الوقعة والمسلمون اثنا عشر ألفاً وهو الصحيح الذين حضروا فتح مكة فيهم ألفان من الطلقاء وقالوا: عددهم ثمانية آلاف برواية مجاهد وقال عطاء عن ابن عباس ستة عشر ألفاً^(٣). وتسكن هوازن في الجنوب الشرقي لمكة وحنين من اودية تهامة وهو اسم موضع في طريق الطائف إلى جنب ذي المجاز قال الواقدي بينه وبين مكة ثلاث ليال وقيل بضعة عشر ميلاً وكان سوقاً في الجاهلية.

وهوازن قبيلة كبيرة من العرب فيها عدة بطون ينسبون إلى هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان بن الياس بن مضر^(٤). وقال زعيم هوازن: ما لاقى محمداً قوم يحسنون القتال فأجمعوا أمرهم وسيروا إليه^(٥).

وشاركت في الحرب ثقيف كلها وغابت عن هوازن كعب وكلاب وشهدا نصر وجشم وسعد بن بكر وناس من بني هلال وهوازن وثقيف عتاة مردة. وهوازن وثقيف أربعة آلاف، فيمن ضامهم من امداد سائر العرب، فكان الجمل الغفير، واعتقد بانهم أكثر من أربعة آلاف مقاتل. وقالوا: عشرون ألفاً وقالوا: ثلاثون ألفاً^(٦).

(١) سيرة أبي حاتم ١ / ٢٤٦ البداية والنهاية ٤ / ٣٧٢.

(٢) الأعراف ١٣٨.

(٣) تفسير القرطبي ٨ / ٩٨، تفسير الفخر الرازي ٦ / ١٨، سيرة ابن هشام ٤ / ٨٢.

(٤) سيرة ابن دحلان ٢ / ٩٦، معجم البلدان ٢ / ٣٥٩.

(٥) سيرة ابن دحلان ٢ / ٩٦.

(٦) سيرة ابن دحلان ٢ / ٩٦، ٩٩.

وقد كانت اعداد قريش وقبائل الاعراب الموجودة في صفوف المسلمين اكثر من خمسة آلاف محارب ولو عد المحققون هذه القوات المناققة مع الكافرين لاصبح المسلمون في سبعة آلاف مقاتل واصبح الكافرون في احد عشر الف محارب.

وقبل اللقاء قال أبو بكر: لن نُغَلَبَ اليوم من قِلَّة. فسأت رسول الله ﷺ^(١) فعانهم أبو بكر بعجبه بهم^(٢). ولما قال أبو بكر ذلك القول قال تعالى تعليقاً على قوله: ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ﴾^(٣).

لقد قال أبو بكر جملة ساءت النبي ﷺ فأبدل بعض الرواة اسم أبي بكر برجل، وهكذا فعلوا في كل الحوادث التي أساء فيها أبو بكر وعمر وعثمان للنبي ﷺ.

وحاول الزمخشري انقاذ أبي بكر من قول المنكر باللقاء ذلك على رسول الله ﷺ! وحاول محاولة أخرى تتمثل بحذف اسم أبي بكر ووضع كلمة رجل!^(٤) ولكن الواقدي ذكر في مغازيه بأن القائل هو أبو بكر^(٥).

وقال الفخر الرازي في تفسيره: قال رجل من المسلمين: لن نُغَلَبَ اليوم من قِلَّة. فهذه الكلمة ساءت رسول الله ﷺ وهي المراد من قوله: ﴿إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ﴾. وقيل قالها رسول الله ﷺ، وقيل قالها أبو بكر، وإسناد هذه الكلمة إلى رسول الله ﷺ بعيد، لأنه كان في أكثر الأحوال متوكلاً على الله، منقطع القلب عن الدنيا وأسبابها^(٦).

(١) تفسير الكشاف للزمخشري ٢ / ٢٥٩، تاريخ أبي القداء ١ / ٢٠٨، الأرشاد ٢ / ١٤٠، مغازي الذهبي ٥٧٤ البداية والنهاية ٤ / ٣٦٩، جمل من أنساب الاشراف وعلى قول عروة والزهرى وموسى بن عقبه يكون عدد جيش المسلمين اربعة عشر ألفاً لأنه ﷺ قدم باتي عشر ألفاً، البداية والنهاية ٤ / ٣٧١، تفسير الطبرسي ٣ / ١٧.

(٢) الأرشاد ٢ / ١٤٠، وعانهم يعني حسدهم.

(٣) التوبة ٢٥.

(٤) تفسير الكشاف للزمخشري ٢ / ٢٥٩.

(٥) المغازي، الواقدي ٢ / ٨٩٠، البداية والنهاية: ٤ / ٣٦٩.

(٦) تفسير الفخر الرازي ٦ / ١٩.

وجاء في سيرة الحافظ الدمياطي أن أبا بكر قال: لن تغلب اليوم من قلة^(١).
لقد نظر أبو بكر إلى الحالة المادية على أرض المعركة في كثرتهم وكونهم أضعاف
أعداد المشركين.

وساء النبي ﷺ قول أبي بكر لأنه ﷺ طلب من المسلمين أن ينظروا إلى الحالة
الغيبية للأمر، والمتمثلة بالنصر الإلهي، لا الحالة المادية في كثرة أعداد المسلمين.
لقد قال تعالى ﴿وَمَا تَشَاوُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ فجعل عز وجل المشيئة بيده
يفرضها حيث أراد في خلقه وأرضه وسماواته، فيدعها فوق السنن الحياتية متى أراد
سبحانه. لذا يقول المسلم حيث كان ومتى قصد عملاً إن شاء الله تعالى.

وفي معركة هوازن أعلن أبو بكر بأن الغلبة للمسلمين لكثرتهم على الكافرين
فغضب رسول الله ﷺ من هذا المنطق المادي وأنكر الله تعالى هذا المنحنى عملاً
فانهزم المسلمون وانتصر الكافرون وكان أبو بكر رأس الفارين.

ذكر ابن إسحاق: ولما سمع بهم (هوازن) رسول الله ﷺ بعث إليهم عبد الله بن أبي
حدرد الأسلمي من هوازن، وأمره أن يدخل في الناس، فيقيم حتى يأتيه منهم ويعلم
من علمهم، فانتقل ابن أبي حدرد فدخل فيهم، فأقام معهم حتى سمع وعلم ما قد
أجمعوا له من حرب رسول الله ﷺ، وعلم أمر مالك، وأمر هوازن، وما هم عليه، ثم
أتى رسول الله فأخبره الخبر ولقد بقي ابن أبي حدرد يومين في جيش هوازن ووصل
خباء مالك بن عوف وعنده رؤساء هوازن فسمعه يقول لأصحابه: إن محمدًا لم
يقاتل قوماً قط قبل هذه المرة، وإنما كان يلقى قوماً أغماراً لا علم لهم بالحرب فيظهر
عليهم، فإذا كان السحر فصفوا مواشيكم ونساءكم وأبناءكم من ورائكم، ثم صفوا
ثم تكون الحملة منكم وأكسروا أغمار سيفوكم فتلقونه بعشرين ألف سيف واجملوا
حملة رجل واحد، واعلموا أن الغلبة لمن حمل أولاً^(٢).

(١) السيرة الحلبية ٣/ ١١٠، سيرة الحافظ الدمياطي.

(٢) سيرة ابن دحلان ٢/ ٩٩، المواهب اللدنية، الزرقاني، موضوع معركة حنين.

واضاف ابن أبي حدرد قائلا: يا رسول الله ﷺ إني انطلقت بين أيديكم حتى طلعتُ جبل كذا وكذا، فإذا أنا بهوازن على بكرة أبيها، بظعنهم ونعمهم وشأنهم اجتمعوا إلى حنين.

فتبسم رسول الله ﷺ وقال: تلك غنيمة المسلمين غداً إن شاء الله^(١). وهذا من دلائل نبوته.

فدعا رسول الله ﷺ عمر بن الخطاب فأخبره خبر ابن أبي حدرد، فقال عمر: كذب.

فقال ابن أبي حدرد: إن تكذبني فطالما كذبت بالحق يا عمر. وكذبت من هو خير مني^(٢) فقال عمر: يا رسول الله ألا تسمع ما يقول ابن أبي حدرد؟ فقال رسول الله ﷺ: قد كنت ضالاً فهذا الله يا عمر^(٣).

لقد وقفت طويلاً عند هذه الرواية لقول ابن أبي حدرد لعمر: طالما كذبت بالحق يا عمر، وقوله قد كذبت من هو خير مني أي رسول الله ﷺ، ولم يعترض رسول الله ﷺ على قوله بل ايدته فوجدت أنه لولا المعلومات الخطيرة التي قالها ابن أبي حدرد ولو لا اعتناء رسول الله ﷺ بها لخسر المسلمون المعركة في وقت السحر.

والدهشة تصيب القارئ أحياناً من تقديم عبد الله بن أبي حدرد روحه في سبيل الحصول على خطط الأعداء وبرامجهم وتأيد النبي ﷺ لأقواله التي ذكرها في هوازن وفي عمر!

لقد أشار دريد بن الصمة على مالك بن عوف النصري بوضع كمين يهجم على

(١) مغازي الذهبي ٥٧٥ وهذه من دلائل نبوته.

(٢) أي النبي ﷺ.

(٣) وذكر ذلك في شرح الزرقاني على المواهب من رواية الواقدي، تاريخ الطبري ٣٤٦/٢، مستدرک الحاكم

٥١ / ٣ طبعة دار الكتب العلمية - بيروت، مغازي الذهبي ٥٧٢، البداية والنهاية ٤ / ٣٧١، سيرة ابن هشام

٨٢ / ٤ طبعة الحلبي - مصر.

جيش النبي ﷺ من الخلف، واجتمعت هوازن وثقيف وبنو سعد بن بكر مع مالك. وقال دريد: إجعل كميناً يكون لك عوناً، إن حمل القوم عليك جاءهم الكمين من خلفهم، وكررت أنت عليهم. بن معك، وإن كانت الحملة لك لم يغفلت من القوم أحد.^(١)

والحكمة من مجيء هوازن بدريد بن الصمة الأعمى البصر هي تجربته في الحروب فقد كان عمره مائة وأربعين سنة، فوضعه في شجار وهو مركب من أعواد سيا للنساء. وأيد دريد الحرب في واد أوطاس واصفاً إياه لا حزن ضرس ولا سهل دهس وخطاً نظرية مالك بن عوف في المجيء بالنساء والماشية لعدم فائدتها في الحرب بل تكون لقمة سائغة للعدو فوصفه بأنه راعي ضأن ماله وللحرب^(٢) وكانت الحرب في يوم قانظ شديد الحر ثم مطرت الدنيا^(٣).

وقال البراء بن عازب: وكانت هوازن رماة وإنا لما حملنا عليهم انكشفوا فأكبنا على الغنائم فاستقبلونا بالسهم فأخذ المسلمون في الرجوع منهزمين لا يلوي أحد على أحد^(٤). وقد ورد أنهم انهزموا مرتين مرة في بداية الحرب ومرة عند انكباب المسلمين على الغنائم^(٥).

تجسس هوازن

لقد أرسلت هذيل (هوازن) جاسوساً إلى مكة لا يعرفه إلا زعماء قريش وجواسيسها من المهاجرين يقال له ابن الأكوع في أيام فتح مكة ليكون عيناً على

(١) سيرة ابن دحلان ٢ / ٩٩.

(٢) المنتظم، ابن الجوزي ٣ / ٣٣٢.

(٣) المنتظم ٣ / ٣٣٢، طبقات ابن سعد ٢ / ١٥٦.

(٤) سيرة ابن دحلان ٢ / ٩٩.

(٥) سيرة الحلبي ٣ / ١٠٨.

النبي ﷺ حتى علم علمه، فجاء إلى هذيل بالخبر من مكة ثم أسر هذا الجاسوس يوم حنين فخاف الجواسيس والقرشيون من افتضاح امرهم فارادوا قتله رغم المنع النبوي عن قتل الاسرى، فتر به عمر بن الخطاب، فلما رآه أقبل على رجل من الأنصار وقال له: عدو الله الذي كان عيناً علينا ها هو أسير فاقطله فضرب الأنصاري عنقه.

وبلغ ذلك النبي ﷺ فكَرِهَهُ وقال: ألم آمركم ألا تقتلوا أسيراً؟ وقُتل بعده جميل بن معمر بن زهير وهو أسير، فبعث النبي ﷺ إلى الأنصار وهو مُغَضَّب فقال: ما حملكم على قتله وقد قال الرسول لا تقتلوا أسيراً؟ فقالوا: إنما قتلنا بقول عمر.

فأعرض رسول الله ﷺ عنه بعد أن كلمه عمير بن وهب في الصفح عن ذلك^(١). والسؤال هو كيف عرف عمر بن الخطاب جاسوس هوازن بين صفوف الأسرى قبل وصول رسول الله ﷺ إليهم وقتله له رغم الأمر النبوي بعدم قتل الاسرى؟ والجواب الذي لا يرقى إليه الشك أنه تعرّف عليه في مكة؟ وعليه فقد خاف عمر افتضاح قضية الاتفاق الحاصل بين هوازن وثقيف وقريش وبعض المهاجرين والأنصار في افعال الهزيمة وقتل رسول الله ﷺ في أرض المعركة فقتل جاسوس هوازن. تحلّصاً من هذا المأزق. وقتل الجواسيس لبعضهم البعض أمر عادي.

وقد اعترف شيبه بن عثمان من بني عبد الدار بخطته في اغتيال النبي ﷺ بعد انهزام جيشه عنه في حنين فنعمه الله تعالى من ذلك^(٢). وهذا جزء من المؤامرة المذكورة.

ومن الطبيعي أن يكون زعماء المشروع وعلى رأسهم عمر بن الخطاب هم العارفون بشخص جاسوس هوازن، والأمر مقتصر على البعض لهروب زعماء

(١) الارشاد، المفيد ٢/١٤٥.

(٢) تاريخ ابن الأثير ٢/٢٦٣.

هوازن وثقيف إلى حصن الطائف وغالباً ما يُقتل أصحاب الأسرار في العالم فقد قتل معاوية بن أبي سفيان محمد بن مَسْلَمَة المشارك في اغتياالات خطيرة على رأسها اغتيال سعد بن عبادَة زعيم الأنصار^(١).

مؤامرة الطلقاء والأعراب والمجواسيس

لقد اتفق الطلقاء والأعراب والمجواسيس وهوازن على قتل النبي ﷺ والمسلمين ويقال إنَّ الطلقاء قال بعضهم لبعض أخذلوه هذا وقته، فانهزموا، فهم أول من انهزم وتبعهم الناس.

وكان بعض الطلقاء قد فرحوا بهزيمة المسلمين ومعرفة خيانة هؤلاء تتبين من اقوالهم وافعالهم . فقال أبو سفيان: لا تنتهي هزيمتهم دون البحر. والأزلام معه في كنانته^(٢).

وقال أخو صفوان بن أمية قد بطل السحر، وقال عكرمة بن أبي جهل: لا يجبرونها ابداً.

وقال رجل من ثقيف في وصف عيينة بن حصن: ليس منا احد أشد على محمد منه وإن كان معه^(٣). وقال عيينة: والله ما جئت معكم أقاتل ثقيفاً ولكن أردت أن يفتح محمد الطائف فأصيب جارية من ثقيف فأطأها لعلها تلد لي رجلاً فإن ثقيفاً قوم مباركون.

فقال النبي ﷺ عنه هذا الاحق المطاع^(٤).

وقال شيبَة المحببي (حاجب البيت): قلت أسير مع قريش إلى هوازن بمحنين

(١) الأرشاد ٢ / ١٤٥.

(٢) مغازي الذهبي ٥٧٦، سيرة ابن هشام ١٢٤/٤، مغازي الواقدي ٨٩٨/٣ تاريخ الطبري ٨٤/٣ مبون الأثر ٢١٦/٢.

(٣) مغازي الواقدي ٢ / ٩٣٢.

(٤) مغازي الواقدي ٢ / ٩٣٧.

فعمسئ إن اختلطوا أن أصيب من عمد غرة فأقتله فأكون أنا الذي قتت بثأر قريش كلها (وكان أبوه وعمه قتلا في أحد) فلما اختلط الناس ونزل النبي ﷺ عن بقلته أصلت السيف ودنوت منه ورفعت السيف حتى كدت أوقع به الفعل فحال بيني وبينه خندق من نار وسور من حديد، فناداني النبي ﷺ: يا شيبه أدن مني فدنوت منه فالتفت إليّ وتبسم وعرف الذي أريد منه فسح صدري، ثم قال: اللهم أعذه من الشيطان، قال شيبه فوالله هو الساعة أحب إليّ من سمعي وبصري ونفسي^(١).

وقال الواقدي: خرج رجال من مكة مع النبي ﷺ ينظرون لمن تكون الدائرة فيصيبون من الغنائم ولا يكرهون أن تكون الصدمة لمحمد ﷺ^(٢).

وصدق ما قاله عبد الله بن أبي حدرد إذ قال استقبلت هوازن المسلمين بما لم ير مثله قط من السواد والكثرة في غبش الصبح وخرجت الكتائب المحتفية في مضايق الوادي فحملوا حملة واحدة على المسلمين المستقرين في الوادي. فانكشفت خيل بني سليم مولية فتبعهم أهل مكة^(٣).

المنهزمون

وروى البخاري عن أبي قتادة الأنصاري، قاتلاً: وانهزم المسلمون - يوم حنين - وانهزمت معهم، فإذا عمر بن الخطاب في الناس (المنهزمين)، فقلت له: ما شأن الناس؟

قال عمر: أمر الله^(٤).

وروى الواقدي في مغازيه فرار المسلمين وفيهم عمر: «وكانت أم الحارث

(١) السيرة الحلبية ١١١/٣، البداية والنهاية ٣٨١/٤، مغازي الذهبي ٥٧٧، سيرة ابن هشام ٤ / ١٢٤.

(٢) مغازي الواقدي ٢ / ٨٩٤.

(٣) سيرة ابن دحلان ٢ / ١٠٠.

(٤) صحيح البخاري ٤٦/٣، البداية والنهاية لابن كثير باب غزوة حنين ٣٧٦/٤، صحيح مسلم ٤ / ٣٢٩.

الأنصارية أخذت بخطام جمل أبي الحارث زوجها، وكان جملة يسئى المجسار.
فقالت: يا حارث أنت ترك رسول الله ﷺ فأخذت بخطام الجمل، والجمل يريد أن يلحق بالآفة، والناس يُؤلّون منهزمين. وهي لا تفارقه.
وقالت أم الحارث: فرّ بي عمر بن الخطاب، فقلت: يا عمر ما هذا (الفرار)؟
فقال عمر: أمر الله.

وجعلت أم الحارث تقول: يا رسول الله من جاوز بعيري فاقتله، والله إن رأيت كالיום ما صنع هؤلاء القوم بنا! تعني بني سُليم وأهل مكة الذين انهزموا بالناس^(١).

وأجمل ما قرأت عن هزيمة الفارّين في معركة حنين ما ذكره أنس بن مالك: «إن أمّ سليم أمي ابنة ملحان جعلت تقول يا رسول الله، أرايت هؤلاء الذين أسلموك وفرّوا عنك وخذلوك! لا تغف عنهم إذا أمكنتك الله منهم، فاقتلهم كما تقتل هؤلاء المشركين!

فقال النبي ﷺ: يا أمّ سليم قد كفى الله، عافية الله أوسع!
ومعها يومئذ جمل أبي طلحة، قد خشيت أن يغلبها، فأدنت رأسه منها، فأدخلت يدها في خزامته مع الخطام، وهي شاذّة وسطها ببرؤ لها، ومعها خنجر في يدها.
فقال لها أبو طلحة: ما هذا معك يا أمّ سليم؟

قالت: خنجر أخذته معي، إن دنا مني أحد من المشركين بجمّته به.
قال أبو طلحة: أما تسمع يا رسول الله ما تقول أمّ سليم^(٢).
ومقابل صمود أمّ سليم انهزم أكابر الصحابة في يوم حنين بالرغم من كثرتهم، ومن هؤلاء أبو بكر وعمر وعثمان وابن الجراح والمغيرة والأشعري ومعاذ بن جبل وأسيد بن حضير وخالد بن الوليد وطلحة وسعد بن أبي وقاص.

(١) معاذي الواقدي ٩٠٤/٢.

(٢) معاذي الواقدي ٩٠٤/٢.

وقد أُيِّد هذا الفرار البخاري ومسلم وابن كثير والبلاذري والواقدي والديار بكرى واليعقوبي وآخرون، وقد بايع هؤلاء النبي ﷺ في الحديبية على أن لا يفرّوا^(١).

وجاء في تاريخ الخميس في رواية أنه لم يبقَ معه إلا أربعة، ثلاثة من بني هاشم وهم علي بن أبي طالب والعباس وأبو سفيان بن الحارث وكان قد أخذ بعتان بغلته والرابع عبد الله بن مسعود، وأضاف إلى ذلك أن علياً والعباس كانا يحفظانه من قبل وجهه، وعبد الله بن مسعود يحفظه من جانبه الأيسر، وكان كل من يقبل على رسول الله ﷺ يُقتل^(٢).

لقد حدث الهجوم على المسلمين في الصباح الباكر. وأول من انهزم بنو سليم وتبعهم أهل مكة ثم الناس^(٣).

وقال عروة بن الزبير عن أهل مكة قائلاً: خرج أهل مكة لم يغادر منهم أحد، ركباناً ومشاة حتى خرج النساء مشاة ينظرون ويرجون الفنائم، ولا يكرهون الصدمة برسول الله ﷺ وأصحابه وهم على غير دين^(٤).

واعترف معاوية بن أبي سفيان بفرار أبيه قائلاً: لقيت أبي منهزماً مع بني أبيه من أهل مكة فصحت به: يا ابن حرب والله ما صبرت مع ابن عمك، ولا قاتلت عن دينك، ولا كفت هؤلاء الأعراب عن حريمك^(٥).

ومما يضحك أن أبا سفيان جعل يجمع في حوزته كل ترس أو سيف يسقط من الصحابة^(٦) مما يبين عدم اعتنائه بالإسلام وشدة اهتمامه بالدنيا وبخله الشديد.

(١) جمل من أنساب الأشراف ١ / ٤٦٤.

(٢) تاريخ الخميس، للشيخ حسين الديار بكرى ١٠٢، السيرة الحلبية، الشافعي ١٠٩/٣.

(٣) مغازي الذهبي ٥٧٤.

(٤) مغازي الذهبي ٥٧٧، مغازي عروة، مغازي الواقدي ٣ / ٨٩٩.

(٥) الأثرشاد ٢ / ١٤٤.

(٦) مغازي الذهبي ٥٧٧.

وقال الذهبي: اعتزل أبو سفيان وابنه معاوية وصفوان بن أمية وحكيم بن حزام وراء تلٍّ ينظرون لمن تكون الذبّرة أفبيننا هم على ذلك حمل المشركون عليهم حملة رجل واحد فَوَلَّوْا مدبرين وحزر حارثة بن النعمان من بقي مع النبي ﷺ بمئة رجل^(١).

ووصلت الهزيمة إلى مكة وسر بذلك قوم وأظهروا الشماتة فقال قائل منهم: ترجع العرب إلى دين آبائنا وقد قُتِل محمد وتفرّق أصحابه^(٢).

وقال اليعقوبي: انهزم المسلمون عن رسول الله ﷺ حتى بقي في عشرة من بني هاشم وقيل تسعة وهم علي بن أبي طالب، والعباس بن عبد المطلب، وأبو سفيان بن الحارث، ونوفل بن الحارث، وربيعة بن الحارث، وعتبة ومعتب ابنا أبي لهب، والفضل بن العباس، وعبد الله بن الزبير بن عبد المطلب، وقيل أمين بن أمّ أمّين^(٣). فقال جابر بن عبد الله الانصاري: لم نبايع رسول الله ﷺ على الموت، إنما بايعناه على أن لا نفر^(٤).

وقال يزيد ابن أبي عبيد: قلت لسلمة بن الأكوع: على أي شيء بايعتم النبي ﷺ يوم الحديبية؟

قال: على الموت ولكن الناس انهزموا!!^(٥).

وقد انهزم عثمان في معركة بدر وانهزم أبو بكر وعمر وعثمان في معارك أحد والخندق وخيبر وحنين، وعصوا النبي ﷺ في حملة أسامة ولم يذهبوا فيها أبداً. ولم يقتلوا كافراً ولا يهودياً قط. وتمكّن خالد وضرار من قتل عمر في معركتي أحد والخندق فلم يقتلاه!

(١) مغازي عروة، مغازي الذهبي ٥٧٨ البداية والنهاية ٤ / ٣٧٧، دلائل النبوة، البيهقي ٥ / ١٣٠.

(٢) سيرة ابن دحلان ٢ / ١٠٣.

(٣) تاريخ اليعقوبي ٢ / ٦٣، طبعة ليدن.

(٤) سنن النسائي ٣ / ٨٧١ حديث ٣٨٧٧.

(٥) سنن النسائي ٣ / ٨٧٢ حديث ٣٨٧٨.

وبعد موت النبي ﷺ لم يشاركوا في أي حرب لا بصفة قائد ولا بصفة جندي، بينما كان النبي ﷺ وعلي عليه السلام قد حضرا في جبهات القتال وعمرهما يناهز الستين سنة. إذ شارك النبي ﷺ في فتح مكة وفي حرب حنين في السنة الثامنة من الهجرة، فيكون عمره الشريف ستين سنة، وفي هذه السن شارك علي عليه السلام في معركة صفين.

النصر الإلهي في حنين

لقد لقن الله سبحانه المسلمين درساً في الحرب يتمثل في رجوع الأمر إلى النصر الإلهي أولاً وإلى قوانين السنن الحياتية ثانياً.

ولما ثبت ذلك ودعا رسول الله ﷺ بالنصر اللهم إني أنشدك ما وعدتني اللهم لا ينبيي لهم أن يظهروا علينا^(١) فقال الله تعالى:

﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئاً وَضَاقَتْ عَلَيْكُمْ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ، ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُوداً لَمْ تَرَوْهَا وَهَدَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ﴾^(٢).

وحاربت الملائكة الكافرين إذ قال المشركون: أتانا رجال بيض على خيل بلقي فوالله ما تماسكنا أن أصابنا ما ترى^(٣).

دور النبي ﷺ في المعركة

ودور علي عليه السلام فيها؟

ونادى النبي ﷺ مخاطبا المسلمين: أين ما عاهدتم الله عليه؟

(١) معازي الذهبي ٥٧٨.

(٢) التوبة: ٢٥-٢٦.

(٣) معازي الواقدي ٨٩٢/٣ تاريخ الطبري ٨٢/٣ سيرة ابن هشام ١٢٢/٤ معازي الذهبي ٥٧٤.

أنا النبي لا كَذِب أنا ابنُ عبدِ المطلب^(١).

وأخذ النبي ﷺ يناديه: أنا ابن العاتك والقواطم، أنا ابن عبدالمطلب، فقال ﷺ: ناولني كفاً من تراب فناولته ثم استقبل بها وجوههم قائلاً: شأهت الوجوه، وفي رواية قال: حم لا ينصرون وفي رواية جمع بينهما، لما خلف الله منهم إنساناً إلا ملأت عينيه فمه، وقال: انهزموا ورب محمد، فولوا مدبرين^(٢).

فكان تراب رسول الله أمضى من سلاح اثني عشر ألف مقاتل ساروا معه، وأمضى من عصا موسى عليه السلام. وقال الرسول كان علياً عليه السلام لي كالعصا السحرية لموسى عليه السلام^(٣).

وأخذت عائشة ذلك من رسول الله ﷺ فقذفت تراباً في وجوه جيش علي عليه السلام في معركة الجمل قائلة شأهت الوجوه، فكانت النتيجة فرار جيشها وانتصار أعدائها.

ونلاحظ أمراً عظيماً آخر ألا وهو ارجاع النبي ﷺ والمسلمين سبباً تلك القوات المعادية إليها إكراماً لأخته من الرضاة وتشجيعاً منه لإسلامهم، فالهدف الإسلام ليس السبايا.

والذي يستفاد من معركة حنين أن الانتصار بالجهاد والدعم الإلهي لا بالزيادة البشرية وكثرة العدة الحربية ومصادق ذلك الانتصار الإسلامي في بدر وخيبر. والفائدة الأخرى اهتمام رسول الله ﷺ بدخول الناس في الإسلام لا قبض الغنائم، فعفا النبي ﷺ عن قائد هوازن مالك وارسله لقيادة عملية حصار الطائف.

(١) تاريخ الطبري ٢ / ٨٢ - ٨٤ سيرة ابن هشام ٤ / ١٢٢، الأرشاد ٢ / ١٤٢.

(٢) السيرة العلوية ٣ / ١١٠، مغازي الذهبي ٥٨١، سنن مسلم، كتاب الجهاد ٧٦ / ١٧٧٥، تاريخ البخاري

١٩ / ٤.

(٣) الفهرست لابن النديم ١٤٤.

أما دور الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام في معركة حنين فكان في ثباته مع رسول الله ﷺ حين فرَّ عنه المسلمون واقدامه على قتل حامل لواء المشركين وبطلمهم في حنين أبي جرول.

وكان أبو جرول بطل هوازن على جمل أحمر بيده راية سوداء في رأس ربح طويل أمام القوم، إذا أدرك ظفراً من المسلمين أكبَّ عليهم، وإذا فاته الناس رفعه لمن وراءه من المشركين فاتبعوه وهو يرتجز ويقول:

أنا أبو جرول لا أبرح حتى تبيع القوم أو تُباح
فصمد له أمير المؤمنين علي عليه السلام فضرب عجز بعيره فصرعه ثم ضربه فقطره ثم قال:
قد علم القوم لدى الصباح أنني في الهيجاء ذو نصاح
وقتل علي عليه السلام أربعين رجلاً من القوم فكانت هزيمة المشركين بقتل أبي جرول بطل الكافرين^(١).

قال البيهقي: ولما انتصرت هوازن صاح العباس بأمر الرسول ﷺ: يا أهل بيعة الرضوان، يا أصحاب سورة البقرة. ومضى علي بن أبي طالب عليه السلام إلى صاحب راية هوازن فقتله، وكانت الهزيمة^(٢).

وتبين معركة حنين أن النصر من قبل الله تعالى وليس بكثرة المسلمين على أعدائهم ففي تلك المعركة كان المسلمون كثيرين فلم تنفعهم كثرتهم ولا عدَّتهم ففشلوا وهزموا.

ولما بقيت القلّة القليلة من المؤمنين بقيادة رسول الله ﷺ تحت لواء علي بن أبي طالب عليه السلام جاء نصر الله تعالى فسقطت راية الكافرين وتفرقت فلولهم وانهمزت جموعهم.

(١) الأرشاد ١٤٢ / ٢ سيرة أبي حاتم ٣٤٩ / ١ سيرة ابن دحلان ١٠٢ / ٢، مفازي الواقدي ٩٠٢ / ٢.

(٢) تاريخ البيهقي ٦٣ / ٢.

الغنائم والسبايا

وكانت الغنائم أربعة وعشرين ألف بعير والغنم أكثر من أربعين ألف شاة وأربعة آلاف أوقية فضة وستة آلاف امرأة وطفل^(١).

وأعطى رسول الله ﷺ كل واحد من المهاجرين والأنصار أربعة من الأبل^(٢) وأربعين شاة. ومن كان فارساً أخذ سهمه وسهم فرسه، ثم أخذ رسول الله ﷺ وبرة من سنام بعيره ثم قال: أيتها الناس إنِّي والله مالي من فيثكم ولا هذه البرة إلا الخمس والخمس مردود عليكم^(٣).

وقالوا: أعطى أبا سفيان مائة من الأبل وأربعين أوقية فضة فقال ابني يزيد فأعطوه أربعين أوقية فضة ومائة من الإبل قال ابني معاوية قال ﷺ: أعطوه أربعين أوقية فضة ومائة من الإبل وأعطى حكيم بن حزام مائة من الإبل ثم سأله مائة أخرى فأعطاه إياها وأعطى صفوان بن أمية مائة من الإبل وأعطى سهيل بن عمرو مائة من الإبل وأعطى حويطب بن عبد العزى مائة من الإبل وقد أعطى الرسول ﷺ هؤلاء المولفة قلوبهم من الخمس^(٤).

ووقف ذو الخويصرة في الجعرانة وقال للرسول ﷺ: إعدل فإنك لم تعدل^(٥). فقال الرسول ﷺ: ويحك إذا لم يكن العدل عندي فعند من يكون وقال ﷺ: سيخرج من ضنئي هذا الرجل قوم يخرجون من الدين كما يخرج السهم من الرمية لا يجاوز إيمانهم تراقيهم فخرج منه حرقوص بن زهير البجلي المعروف بذي الثدية^(٦).

(١) طبقات ابن سعد ١٥٦ / ٢ سيرة ابن دحلان ١٠٤ / ٢، تاريخ الطبري ٣٥٢ / ٢.

(٢) الأرشاد ١٤٨ / ٢.

(٣) سيرة أبي حاتم ٣٥٦ / ١، تاريخ الطبري ٣٥٨ / ٣، مفازي الواقدي ٩٤٣ / ٣.

(٤) طبقات ابن سعد ١٥٣ / ٢.

(٥) المستظم ٣٣٩ / ٣.

(٦) تاريخ أبي الفداء ٢١٠ / ١.

وجاءت الشفاء بنت حليمة أخت رسول الله ﷺ من الرضاعة اليه فحبها وأكرمها وبسط لها رداءه.

وكلمته في السبايا وقالت: إنما من خالاتك وأخواتك.

فقال ﷺ: ما كان لي ولبني هاشم فقد وهبته لك، فوهب المسلمون ما كان في أيديهم من السبايا كما فعل إلا رئيس بني تميم الأقرع بن حابس ورئيس فزارة عيينة بن حصن، وقوم آخرون فأعطاهم النبي ﷺ إيلاً عوضاً عن السبايا.

وكلمته في مالك بن عوف النصري رئيس جيش هوازن فرضي ﷺ عنه فجاء وأسلم في حصار الطائف فابقاه لحصار الطائف وبقيت غنائم كثيرة للمسلمين^(١).

ولإحتياج هؤلاء إلى الملابس فقد أعطاهم النبي ﷺ قبطية قبطية^(٢) ورد عثمان بن عفان زينب بنت حيان التي أصابها من السبي وفي زمن حكمه جاءته مع زوجها وكان ساقطاً فقال لها عثمان: وعليك هذا كان أحب إليك مني؟ قالت: نعم زوجي وابن عمي^(٣).

موقف الانصار من توزيع الغنائم

وقال البخاري والطبري وابن سيد الناس وابن الوردي وأبو الفداء إنه ﷺ لم يعط الأنصار شيئاً^(٤). وقال المفيد أعطاهم شيئاً سيراً.

وقيل لرسول الله ﷺ: أعطيت عيينة بن حصن والأقرع بن حابس مائة مائة

(١) تاريخ اليعقوبي ٦٣/٢، تاريخ ابن الأثير ٢/٢٦١، الطبقات ٢/ ١٥٤، ١٥٥، جمل من انساب الاشراف ٤٦٨/١.

(٢) عيون الأثر ٢/ ٢٢٣.

(٣) دلائل النبوة، البيهقي ٥/ ١٩٥.

(٤) عيون الأثر ٢/ ٢٢٠، تاريخ الطبري ٢/ ٣٦١، تاريخ ابن الوردي ٢/ ١٢٥، تاريخ أبي الفداء ١/ ٢٠٨، سنن البخاري ٥/ ٢٧٨.

وتركت جعيل بن سراقة الضمري؟

فقال رسول الله ﷺ: أما والذي نفسي بيده لجعيل بن سراقة خير من طلاع الأرض كلهم مثل عيينة بن حصن والأقرع بن حابس ولكفي تألفتها ليسلما ووكلت جعيل بن سراقة لإسلامه^(١).

وكان النبي ﷺ يعطي المؤلفة قلوبهم ليثبت إسلامهم ويدفع شرهم. وغَضِبَ قومٌ من الأنصار لطريقة توزيع الغنائم، وبلغ رسول الله ﷺ عنهم مقالٌ سَخِطَهُ، فنادى فيهم فاجتمعوا ثم قال لهم: «إجلسوا، ولا يتقدم معكم أحدٌ من غيركم» فلما قعدوا جاء النبي ﷺ يتبعه أمير المؤمنين عليٌّ رضي الله عنه فقال لهم: «إني سألتكم عن أمرٍ فأجيبوني عنه» فقالوا: قل يا رسول الله، فقال: «ألستم كنتم ضالِّينَ فهداكم الله بي؟»

قالوا: بلى، فَلَلهُ المِنَّةُ ولرسوله. قال: «ألم تكونوا على شفا حفرة من النار، فأنتذركم الله بي؟» قالوا: بلى، فَلَلهُ المِنَّةُ ولرسوله. قال: «ألم تكونوا قليلاً فكثركم الله بي؟» قالوا: بلى، فَلَلهُ المِنَّةُ ولرسوله. قال: «ألم تكونوا أعداءً فأَلَفَ الله بين قلوبكم بي؟» قالوا: بلى، فَلَلهُ المِنَّةُ ولرسوله.

ثم سكنت النبي ﷺ هُنيئَةً ثم قال: «ألا تُجيبوني بما عندكم؟» قالوا: بئح تُجيبك فِذاك أبأؤنا وأُمهاتنا، قد أجبناك بأنَّ لك الفضلَ والمنَّ والطولَ علينا. قال النبي ﷺ: «أم لو شئتم لقلتم؛ وأنت قد جِئتنا طريداً فأويناك، وجِئتنا خائفاً فأمنَّاك، وجِئتنا مُكذِّباً فصدَّقناك».

فارتفعت أصواتهم بالبكاء وقام شيوخهم وساداتهم إليه فقبَّلوا يديه ورجليه، ثم قالوا: رَضِينَا بالله ورسوله، وهذه أموالنا بين يديك، فإن شئتَ فأقسمها على قومك، ولكنَّهم ظَنُّوا سُخْطاً عليهم وتقصيراً بهم، وقد استغفروا الله من ذنوبهم، فاستغفر لهم يا رسول الله.

فقال النبي ﷺ: «اللهم اغفر للانصار، ولأبناء الانصار، يامعشر الانصار، أما ترضون أن يرجع غيركم بالشاة والنعيم، وترجعون أنتم وفي سهمكم رسول الله؟» قالوا له: رضينا.

فقال النبي ﷺ: «الانصار كرشبي وعيبي»^(١)، لو سَلَكَ الناس وادياً وسَلَكَت الانصار شعباً، لسَلَكَت شعبَ الانصار، اللهم اغفر للانصار.

وقد كان رسول الله ﷺ أعطى العباس بن مرداس السلمي أربعاً من الإبل يومئذ فسخطها وهو رئيس قومه، وأنشأ يقول:

(أَجْعَلُ نَهْجِي) وَنَهْجَ الْقَبِيثِ دِ^(٢) بَيْنَ عُيَيْنَةٍ وَالْأَقْرَعِ
فَا كَانَ حِصْنٌ وَلَا حَائِصٌ يَفُوقَانِ شَيْخِي فِي الْمَجْمَعِ
وَمَا كُنْتُ دُونَ أَمْرِي مِنْهَا وَمَنْ تَضَعِ الْيَوْمَ لَا يُرْفَعِ
فقال رسول الله ﷺ: لَأَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ﷺ: «قُمْ - يَا عَلِيٌّ - إِلَيْهِ فاقطع لسانه».

فقال العباس بن مرداس: فوالله لهذه الكلمة كانت أشدَّ عليَّ من يوم خَتَمَ، حين أتونا في ديارنا. فأخذ بيدي عليُّ بن أبي طالب فانطلق بي، ولو أَرَى أَحَدًا يُخَلِّصُنِي مِنْهُ لَدَعَوْتُهُ، فَقُلْتُ: يَا عَلِيٌّ، إِنَّكَ لَقَاطِعُ لِسَانِي؟
قال علي ﷺ: «إِنِّي لَمُضِي فَيْكَ مَا أَمَرْتُ».

قال: ثُمَّ مَضَى بِي، فَقُلْتُ: يَا عَلِيٌّ إِنَّكَ لَقَاطِعُ لِسَانِي؟
قال علي ﷺ: «إِنِّي لَمُضِي فَيْكَ مَا أَمَرْتُ»، قال: فَا زَال بِي حَتَّى أَدْخَلَنِي الْحِطَّائِرَ،
فقال لي: «أَعْتَدَ مَا بَيْنَ أَرْبَعٍ إِلَى مِائَةٍ مِنَ الْإِبِلِ»
قُلْتُ بِأَبِي أَنْتُمْ وَأُمِّي، مَا أَكْرَمَكُمْ وَأَحْلَمَكُمْ وَأَعْلَمَكُمْ!

فقال علي ﷺ: «إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَعْطَاكَ أَرْبَعًا وَجَعَلَكَ مَعَ الْمُهَاجِرِينَ، فَإِنَّ

(١) في الحديث: «الانصار كرشبي وعيبي» أراد أنهم بطائنة وموطع سرَّه وأمانته والذين يعتمد عليهم في أموره. النهاية ٤: ١٦٣.

(٢) القبيث: كزبير، فارس. «القاموس المحيط» - عبد - ١: ٣١١.

شئت فخذها، وإن شئت فخذ المائة وكُن مع أهل المائة». قلتُ: أشر عليّ. قال عليٌّ عليه السلام: «فإني آمرك أن تأخذ ما أعطاك وترضى». قلتُ: فإني أفعل ^(١).

ذكروا لما قال النبي ﷺ: «اقطعوا عني لسانه» قام عمر بن الخطاب فأهوى إلى شفرة كانت في وسطه ليسلها فيقطع بها لسانه، فقال النبي ﷺ: «لأمير المؤمنين: «قم أنت فاقطع لسانه» ^(٢).

الصراع بين قريش وهوازن

ذكرنا في بداية الكتاب موضوع الصراع بين حزب لعقة الدم وبين هوازن والحروب بينها تسمى بحروب الفجار. ولم يكن بنو هاشم من حزب لعقة الدم. ورغم هذا الصراع الدامي تمى طلقاء مكة انتصار هوازن على رسول الله ﷺ وتحالفت القيادة القرشية مع قيادة هوازن في حرب حنين مما يكفي لبيان مدى الحقده القرشي على الإسلام.

ولو انتصرت قبيلة هوازن وغيرهم من قيس فهذا في غير صالح قريش سياسياً واجتماعياً، ولكن قريشاً تفرح بنجاح جبهة الكفر المنتمة إليها عقائدياً. وثانياً أن قريشاً كانت ستعلن للملأ العام وقوفها في الحرب في صفوف هوازن فتكون نتائج الحرب في صالحها.

ولما قضى الله تعالى جمع المشركين بحنين، تفرقوا إلى ثلاثة أقسام ^(٣) فرقة منهم لحقت بالطائف وفرقة بنخلة وفرقة باوطاس ^(٤).

(١) الارشاد ١٤٦/١ - ١٤٧، المفاري، الواقدي ٩٤٥/٣.

(٢) الارشاد ١٤٦/١ - ١٤٧، المفاري، الواقدي ٩٤٥/٣.

(٣) أوطاس: وأد في ديار هوازن كانت فيه وقعة حنين. «معجم البلدان ١: ٢٨١.

(٤) سيرة ابن دحلان ٢ / ١٠٤.

فَبَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ أَبَا عَامرَ الْأَشْعَرِيَّ إِلَى أوطاس فِي جَمَاعَةٍ وَوَجَّهَ أَبَا سَفِيَّانَ إِلَى الطَّائِفِ.

أَمَّا أَبُو سَفِيَّانَ فَإِنَّهُ لَمَّا بَلَغَ ثَقِيفَ فَضْرَبُوهُ عَلَى وَجْهِهِ، فَانْهَزَمَ وَرَجَعَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: بَعَثْتَنِي مَعَ قَوْمٍ لَا يُرَفِّقُ بِهِمُ الدَّلَاءُ مِنْ هُذَيْلٍ وَالْأَعْرَابِ، فَمَا أَغْنَوْا عَنِّي شَيْئًا، فَسَكَتَ النَّبِيُّ ﷺ عَنْهُ.

ثُمَّ وَجَّهَ النَّبِيُّ ﷺ عَلِيًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى خَيْلٍ مِنْ خِثْعَمٍ؛ فَفَرَزَ لَهُ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ يُقَالُ لَهُ شِهَابٌ، فِي غَبَشِ الصَّبَاحِ، فَقَالَ: هَلْ مِنْ مَبَارِزٍ؟

فَقَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ﷺ: «مَنْ لَهُ؟» فَلَمْ يَقُمْ أَحَدٌ، فَقَامَ إِلَيْهِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ﷺ فَوَثَبَ أَبُو الْعَاصِ بْنِ الرَّبِيعِ زَوْجُ رَبِيبَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: تُكْفَاهُ أَمِيرُ الْأَمِيرِ.

فَقَالَ ﷺ: «لَا، وَلَكِنْ إِنْ قَتَلْتُ فَأَنْتَ عَلَى النَّاسِ» فَفَرَزَ إِلَيْهِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ﷺ وَهُوَ يَقُولُ:

«إِنَّ عَلَى كُلِّ رَنَسٍ حَقًّا أَنْ يَزُويَ الصَّعْدَةَ أَوْ تُدَقَّا»

ثُمَّ ضَرَبَهُ وَقَتَلَهُ، وَمَضَى فِي تِلْكَ الْخَيْلِ حَتَّى كَسَرَ الْأَصْنَامَ.

وَعَادَ عَلِيٌّ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ مُحَاصِرُ أَهْلِ الطَّائِفِ فَلَمَّا رَأَى النَّبِيُّ ﷺ كَبَّرَ لِلْفَتْحِ، وَأَخَذَ بِيَدِهِ فَخَلَا بِهِ وَنَاجَاهُ طَوِيلًا^(١).

فَرَوَى عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ سَيَابَةَ وَالْأَجْلَحُ - جَمِيعًا - عَنْ أَبِي الزُّبَيْرِ، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْأَنْصَارِيِّ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَمَّا خَلَا بِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ﷺ يَوْمَ الطَّائِفِ،

أَتَاهُ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ فَقَالَ: أَتَنَاجِيهِ دُونَنَا وَتَحُلُوبُهُ دُونَنَا؟

فَقَالَ ﷺ: «يَا عُمَرُ، مَا أَنَا أَنْتَجِيئُهُ، بَلِ اللَّهُ أَنْتَجَاهُ»^(٢).

فَأَعْرَضَ عُمَرُ وَهُوَ يَقُولُ: هَذَا كَمَا قُلْتُ لَنَا قَبْلَ الْحُدَيْبِيَّةِ: (لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ

(١) الأرشاد ١٤٨/٢ - ١٥١، تاريخ اليعقوبي ٦٣/٢.

(٢) روي باختلاف يسير في سنن الترمذي ٣٠٣، تاريخ بغداد ٧: ٤٠٢، مناقب المغازلي: ١٢٤، أسد الغابة

٤: ٢٧، كفاية الطالب: ٣٢٧.

الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمَنِينَ^(١) فلم ندخله وصديدا عنه.
فناداه النبي ﷺ: «لم أقل إنكم تدخلونه في ذلك العام»^(٢).

الشهداء والقتلى

واستشهد من المسلمين يوم حنين أمين بن عبيد ويزيد بن زمعة بن الأسود بن المطلب وسراق بن الحارث بن عدي من الأنصار وأبو عامر الأشعري^(٣).
وقتل من المشركين وقت الحرب أكثر من سبعين وفي الانهزام أكثر من ثلاثمائة وأسر منهم خلق كثير^(٤).
وقيل قُتل من هوازن في معركة حنين خلق عظيم، وسبي منها سبايا كثيرة، بلغت عدتهم ألف فارس، وبلغت الغنائم إثني عشر ألف ناقة سوى الأسلاب، وقُتل دريد بن الصمة فأعظم الناس ذلك.
فقال ﷺ: إلى النار وبئس المصير، إمام من أئمة الكفر، إن لم يكن يعين بيده فإنه يعين برأيه^(٥).

ويعني قوله تعالى: ﴿وَهَذِبِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ القتل والأسر وسلب الأموال والأولاد وذهاب الجاه.

وصارت السبايا والأموال في أيدي المسلمين وبلغت هزيمة المشركين الطائف ومعهم مالك بن عوف . ومَرَّ النبي ﷺ بامرأة قتلها خالد بن الوليد والناس

(١) الفتح ٢٧.

(٢) أحلام الوري: ١٢٤، وانظر قطع منه في سنن الترمذي ٥: ٦٣٩ / ٣٧٢٦. جامع الاحول ٨: ٦٥٨ / ٦٥٠٥، تاريخ بغداد ٧: ٤٠٢، مناقب المغازلي: ١٢٤ / ١٦٣، كفاية الطالب: ٣٢٧، أسد الغابة ٤: ٢٧، مصباح الانوار ٨٨ كنز العمال ١١: ٦٢٥ / ٣٣٠٩٨ عن الترمذي والطبراني.

(٣) الروض الأنف ٧ / ١٨٤، سيرة ابن دحلان ٢ / ١٠٤.

(٤) سيرة ابن دحلان ٢ / ١٠٤.

(٥) طبقات ابن سعد ٢ / ١٥٦، سيرة ابن دحلان ٢ / ١٠٤، ١٠٨، تاريخ الطبري ٢ / ٣٥٢.

مزدحمون عليها فأرسل ﷺ إلى خالد أن النبي ينهك أن تقتل وليداً أو عسيفاً^(١).

حصار الطائف

والطائف بلد كثير الأعناب والنخيل جنوب شرقي مكة على قمة جبل غزوان وارتفاعه ١٦٣٠ متراً. واهالى الطائف من المحاربين القدماء للاسلام ومن المشاركين في حرب الاحزاب. ولم يشترك عروة بن مسعود في حرب الطائف إذ كان في جرش يتعلم صنعة العرادة والمنجنيق والدبابة^(٢).

ولما قدم المنهزمون من ثقيف ومن انضم إليهم من غيرهم إلى الطائف، وهم فلول معركة حنين أغلقوا عليهم مدينتهم واستحصروا وجمعوا ما يحتاجون إليه لسنة كاملة وقائد ثقيف كنانة بن عبد ياليل.

فسار إليهم النبي ﷺ، فلما كان ببحرة الرغاء قبل وصوله إلى الطائف أمر فيها بقتل رجل من بني ليث قصاصاً، كان قد قتل رجلاً من هذيل، وهو أول دم أقيد به في الإسلام^(٣).

وفي خلاصة السير أنه ﷺ كان في غزوة الطائف فيينا هو يسير ليلاً بوادٍ قرب الطائف إذ غشى سدره في سواد الليل وهو في سنة النوم فانفرجت السدره له نصفين فرّ بين نصفها وبقيت منفرجة على حالتها^(٤).

وحاصر النبي ﷺ الطائف نيفاً وعشرين يوماً^(٥). واخرجت ثقيف امرأة ساحرة فاستقبلت الجيش الإسلامي بعورتها^(٦). وكان الكفار يعتمدون على

(١) البداية والنهاية ٤ / ٣٨٦.

(٢) المنتظم ٣ / ٣٤٢.

(٣) مغازي الواقدي ٢ / ٩٢١.

(٤) تاريخ الخميس ٢ / ١١٢.

(٥) المنتظم ٣ / ٣٣٦، ٤ / ٣٤١، البداية والنهاية ٤ / ٤٠٢، تاريخ أبي الفداء ٢ / ٢٠٩.

(٦) مغازي الواقدي ٢ / ٩٢١.

الساحرات لرد كيد أعدائهم .

وأشار النبي ﷺ بنصب منجنيق عليهم، وقاتلهم قتالاً شديداً، حتى إذا كان يوم الشدخة عند جدار الطائف دخل نفر من المسلمين تحت دبابه عملوها، ثم زحفوا بها إلى جدار الطائف، فأرسلت عليهم ثقيف سكك الحديد المحيطة، فخرجوا من تحتها، فرماهم من الطائف بالنبل فقتلوا رجالاً منهم^(١).

ثم خرج من حصن الطائف نافع بن غيلان بن معتب في خيل من ثقيف، فلقى أمير المؤمنين رضي الله عنه فقتله، وانهمز المشركون ولحق القوم الرعب فتوجه منهم جماعة إلى النبي ﷺ فأسلموا^(٢).

ونزل إلى رسول الله بضعة عشر رجلاً من رقيق أهل الطائف فأعتقهم، منهم أبو بكرة بقيع بن الحارث بن كعدة، (وإنما قيل له أبو بكرة بيكرة نزل فيها)، وغيره. فلما أسلم أهل الطائف تكلمت سادات أولئك العبيد في أن يردّهم رسول الله ﷺ، إلى الرق.

فقال النبي ﷺ: لا أفعل، أولئك عتقاء الله.

ونزل من الطائف مالك بن عوف زعيم هوازن فأقْبى رسول الله ﷺ ومدحه بشعر وأسلم فوهب له رسول الله ﷺ أهل بيته ومائة من الإبل واستعمله على من أسلم من قومه ومن حول الطائف^(٣) وقد أسلم وفد هوازن بعد أن أرجع لهم رسول الله ﷺ السبي^(٤).

ومن أعمال المنافقين:

(١) تاريخ اليعقوبي ٢ / ٦٣، طبقات، ابن سعد ٢ / ١٥٨، سيرة ابن دحلان ٢ / ١٠٦.

(٢) الإرشاد ٣ / ١٥٠ - ١٥٣، من أنساب الاشراف ١ / ٤٦٤.

(٣) جمل من أنساب الاشراف، ١ / ٤٦٨.

(٤) سيرة أبي حاتم ١ / ٣٥٦، تاريخ الطبري ٣ / ١٣٤، مغازي الواقدي ٣ / ٩٤٩، سيرة ابن هشام ٣ / ٢٦.

المنتظم، ابن الجوزي ٣ / ٣٤٢.

تسبب المغيرة بن شعبه في قتل مسلم عمداً إذ كان أبو محجن من تقيف يرمي المسلمين من فوق الحصن فقال رجل من مزينة لصاحبه: إن افتتحنا الطائف فمليك بنسأه بني قارب فبائنهم أجمل إن أمسيت وأكثر فداءً إن فاديت. فسمعه المغيرة بن شعبه فقال: يا أخا مزينة إرم أبا محجن. وإنما غار المغيرة حين ذكر المزني النساء، وعرف أن أبا محجن رجل رام لا يسقط له سهم. فرماه المزني فلم يصنع سهمه شيئاً، وفوق له أبو محجن بمجيلة وقعت في نحره فقتله.

فقال عبد الله بن عمرو بن عوف للمغيرة قاتلك الله يا مغيرة أنت والله عرضته لهذا، أنت والله منافق، والله لولا الإسلام ما تركتك حتى أعتاك. وقال المزني^(١): إن معنا الداهية وما نشعر، والله لا أكلمك أبداً، فطلب المغيرة إلى المزني أن يكرم ذلك له. قال: لا والله أبداً^(٢).

واستأذن عيينة بن حصن رسول الله ﷺ في أن يأتي أهل الطائف فيدعوهم إلى الإسلام فأذن له، فجاءهم فأمرهم بالثبات في حصنهم وقال لهم: لا يهولنكم قطع ما قطع من الأشجار في كلام طويل.

فلما رجع قال له رسول الله ﷺ ما قلت لهم؟

قال: دعوتهم إلى الإسلام وأنذرتهم النار وذكرتهم بالجنة.

فقال النبي ﷺ: كذبت بل قلت لهم كذا وكذا.

فقال عيينة: صدقت يا رسول الله ﷺ أتوب إلى الله وإليك من ذلك^(٣).

ولم يأذن الله تعالى لرسوله في فتح الطائف^(٤). ثم إن خويلد بنت حكيم السلمية،

(١) صاحب المزني الشهيد.

(٢) معاذي الواقدي ٢ / ٩٣٠.

(٣) دلائل النبوة، البيهقي ٥ / ١٦٣، البداية والنهاية ٤ / ٣٩٩.

(٤) تاريخ ابن الأثير ٢ / ٢٦٨، تاريخ خليفة بن خياط ٤٤.

وهي امرأة عثمان بن مظعون، قالت: يارسول الله أعطني إن فتح الله عليك الطائف حليّ بادية بنت غيلان أو حلي الفارعة بنت عقيل، وكانتا من أكثر النساء حلياً.

فقال لها رسول الله ﷺ: أرايت إن كان لم يؤذن لي في ثقيف ياخويلة؟
فلما رأت ثقيف الناس قد رحلوا عنهم نادى سعيد بن عبيد الثقفي: ألا إن الحي مقيم. فقال عيينة بن حصن: أجل والله مجدة كراماً.

فقال رجل من المسلمين: قاتلك الله يا عيينة أتمدحهم بالإمتناع من رسول الله ﷺ؟ قال عيينة: إني والله ما جئت لأقاتل معكم ثقيفاً، ولكني أردت أن أصيب من ثقيف جارية لعلها تلد لي رجلاً، فإن ثقيفاً قوم مناكير.

وقيل: إن رسول الله ﷺ استشار نوفل بن معاوية الدؤلي في المقام عليهم. فقال: يارسول الله تعلقب في جحر إن أقمت عليه أخذته وإن تركته لم يضرك، فأذن بالرحيل. فلما رجع الناس قال رجل: يارسول الله ادعُ على ثقيف.

قال النبي ﷺ: اللهم اهد ثقيفاً وأت بهم.
واستشهد بالطائف اثنا عشر رجلاً، منهم عبدالله بن أبي أمية المخزومي.
وبعد عودته ﷺ من الطائف اعتمر من الجعرانة لحمس خلون من ذي القعدة ودخل مكة وطاف وسعى وحلق ورجع إلى الجعرانة التي تبعد عن مكة ثمانية عشر ميلاً^(١).

وأيد هذه العمرة أصحاب المغازي والسير مثل عروة بن الزبير وموسى بن عقبة وابن إسحاق وابن هشام وابن حبان والواقدي.

اسلام أهالي الطائف

وفي سنة تسع هجرية قدم من الطائف على رسول الله ﷺ عروة بن مسعود

التقي فأسلم، ورغب في العودة إلى الطائف لتبليغ الإسلام، فقال له الرسول ﷺ: **إِنَّهُمْ قَاتَلُوكَ وَهَذَا مِنْ دَلَائِلِ نُبُوءَةِ النَّبِيِّ ﷺ**.

فقال عروة: **أَنَا أَحَبُّ إِلَيْهِمْ مِنْ أَبْكَارِهِمْ**، وكان فيهم محبباً مطاعاً. ولما دعاهم للإسلام رموه بالنبل وقتلوه^(١).

ثم أقامت ثقيف بعد قتل عروة أشهراً ثم إنهم اتتمروا بينهم ألا طاقة لهم بحرب من حولهم من العرب وقد بايعوا وأسلموا.

فجاء وفد الطائف للمدينة فأنزلهم ﷺ في قبة في المسجد، في رمضان سنة تسع فكان خالد بن سعيد بن العاص يمشي بينهم وبين النبي ﷺ، وكان رسول الله ﷺ يرسل إليهم ما يأكلونه مع خالد، وكانوا لا يأكلون طعاماً حتى يأكل خالد منه، حتى أسلموا^(٢).

وكان فيما سألوا رسول الله ﷺ، أن يدع الطاغية، وهي اللات، لا يهدمها ثلاث سنين، وكان قصدهم من ذلك أن يسلموا بتركها من سفهاهم ونسائهم فأبى عليهم، فنزلوا إلى شهر فلم يجبههم، وسألوه أن يُعفيهم من الصلاة.

فقال النبي ﷺ: **لا خير في دين لا صلاة فيه**، فأجابوا وأسلموا. وأمر عليهم رسول الله ﷺ، عثمان بن أبي العاص، وكان أصغرهم، لما رأى من حرصه على الإسلام والتفقه في الدين. ثم رجعوا إلى بلادهم^(٣) واستأذنه أن يسبقوا رسله إليهم. فلما جاؤوا قومهم تلقوهم فسألوهم ما وراءكم فأظهروا الحزن وأنهم إنما جاؤوا من عند رجل فظ غليظ قد ظهر بالسيف بحكم ما يريد وقد دوخ العرب، قد حرم الربا والزنا والخمر، وأمر بهدم الربة، فنفرت ثقيف وقالوا لا نطيع لهذا أبداً. قال فتأهبوا للقتال وأعدوا السلاح، فكتبوا على ذلك يومين - أو ثلاثة - ثم ألقوا

(١) تاريخ الطبري ٣٦٣/٢، تاريخ ابن الأثير ٢٨٣/٢ - ٢٨٥. طبقات ابن سعد ٢/ ١٥٨.

(٢) جمل من أنساب الأشراف ٤٦٧/١، تاريخ ابن الأثير ٢/ ٢٦٦.

(٣) راجع تاريخ ابن الأثير ٢/ ٢٦٦، ٢٨٣، ٢٨٤.

الله في قلوبهم الرعب فرجعوا وأنابوا وقالوا: إرجعوا إليه فشارطوه على ذلك وصالحوه. قالوا: فإننا قد فعلنا ذلك ووجدناه أتقى الناس وأوفاهم وأرحمهم وأصدقهم، وقد بورك لنا ولكم في مسيرنا إليه وفيما قضيناه، فافهموا القضية واقبلوا عافية الله.

قالوا: فلم كنتمونا هذا أولاً؟ قالوا أردنا أن ينزع الله من قلوبكم نخوة الشيطان، فأسلموا مكانهم ومكتوا أياماً ثم قدم عليهم رسل رسول الله ﷺ وقد أمر عليهم خالد بن الوليد، وفيهم المغيرة بن شعبة، فعمدوا إلى اللات، وقد استكتفت ثقيف رجالها ونساءها والصبيان حتى خرج العواتق من الحجال ولا يرى عامة ثقيف أنها مهدومة ويظنون أنها ممتنعة، فقام المغيرة بن شعبة فأخذ الكرزين - يعني المعول - وقال لأصحابه: والله لأضحكنكم من ثقيف، فضرب بالكرزين ثم سقط يركض برجله فارتج أهل الطائف بصيحة واحدة وفرحوا وقالوا أبعد الله المغيرة قتلته الربة. وقالوا لأولئك من شاء منكم فليقترب، فقام المغيرة فقال: والله يا معشر ثقيف إنما هي لكاع حجارة ومدر، فاقبلوا عافية الله واعبدوه، ثم إنه ضرب الباب فكسره. ثم علا سورها وعلا الرجال معه، فما زالوا يهدمونها حجراً حجراً حتى سووها بالأرض، وجعل سادنها يقول: ليغضبن الأساس فليخسفن بهم، فلما سمع المغيرة قال لخالد: دعني أحفر أساسها فحفروه حتى أخرجوا ترابها وجمعوا ماءها وبناءها، وبهتت عند ذلك ثقيف، ثم رجعوا إلى رسول الله ﷺ فقسم أموالها من يومه وحمدوا الله تعالى على أعزاز دينه ونصرة رسوله^(١).

وكان كتاب رسول الله ﷺ الذي كتب لهم: بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد النبي رسول الله ﷺ إلى المؤمنين: إن عضاة وج^(٢) وصيده لا يعضد من وجد يفعل شيئاً من ذلك فإنه يجلد وتززع ثيابه، وإن تعدى ذلك يؤخذ فيبلغ به النبي محمداً وإن هذا أمر النبي محمد وكتب خالد بن سعيد بأمر الرسول محمد بن عبد الله فلا يتعداه

(١) البداية والنهاية ٥ / ٤٢، دلائل النبوة البيهقي ٥ / ٣٠٣.

(٢) عضاة: واحدة عضه، شجر له شوك، ووج أرض الطائف.

أحد، فيظلم نفسه فيما أمر به محمد رسول الله ﷺ^(١). وهكذا أسلمت تقيف بحكمة رسول الله ﷺ دون حروب، وحسن إسلامها. وأصبح عروة بن مسعود الثقي قدوة لهم في إسلامه وشهادته وصدقه.

الدلائل والعبر

بعد فتح مكة لم يستقر رسول الله ﷺ طويلاً فيها بل سرعان ما جهز نفسه والمسلمين لغزو هوازن وثقيف وهو ما يدل على رغبته في فتح شبه جزيرة العرب بأسرع وقت ممكن لتخفق عالياً راية لا إله إلا الله محمد رسول الله. وأراد ﷺ أن يستخدم القبائل المسلمة الجديدة في الجهاد ليستقر الإسلام في قلوبها فنراه أخذ معه قبائل قريش وخزاعة وبنو أسلم وتميم وغيرها. ولم يغفل رسول الله ﷺ عن دور العيون في كشف حقيقة الأعداء في عددهم وعدتهم وخططهم الحربية، فقام بذلك الدور المهم عبد الله بن أبي حدرد المنحدر من قبيلة هوازن والموثوق به من قبل سيد الرسل. وكان اعتماده ﷺ على ابن أبي حدرد إلى درجة أن صدق رأيه وطرح قول عمر بن الخطاب.

ومن الأمور الملفتة للنظر ثبات رسول الله ﷺ في الحروب كلها اعتماداً على القوى الإلهية وعدم التفاتته للقوى المعادية. وذلك الثبات والتمركز هو الذي دعا لتراجع المسلمين إلى قواعدهم الأصلية والبدء بمحاربة قوى هوازن وثقيف. فتمكن النبي ﷺ بتلك القوة الصامدة معه من الثبات أمام جيش هائج متشكك من آلاف مؤلفة.

واظهرت الحرب أنه لا يثبت في الحروب إلا المخلصون المتوكلون على الله تعالى، أما الفاسقون وضعيفو الإيمان فلا يجاهدون في ساحات القتال ولا يصمدون أمام

سيوف الغزاة والمعادين. ففرت الجماعات ذاتها التي انهزمت في أحد وخيبر. وأثبتت أعمال المعارضين لرسول الله ﷺ اتحادهم في ذلك الهدف فقد طالبوا بوضع شجرة لهم يعبدونها كما يعبد الكفار شجرة ذات أنواط، ورتبوا أمر الهزيمة في حنين بصورة جماعية بين زعامات قريش وبني سليم وأسلم وتميم. وفرار ستة آلاف مقاتل من الأعراب وقريش من جيش الرسول ﷺ تسبب في فرار الأنصار والمهاجرين. فلم يكن هناك فائدة في جيوش أبي سفيان وعيينة بن الحصن وابن الأكوخ بل كان فيهم ضرر. إذ تسببوا في فرار جيش المهاجرين والأنصار وإثارة نوع من الفوضى في صفوف المسلمين. وقال أبو سفيان: لا تنتهي هزيمتهم دون البحر^(١).

وكان شيبه بن عثمان بن طلحة قد تعاهد هو وصفوان بن أمية إن رأيا على رسول الله ﷺ دائرة أن يكونا عليه وهما خلفه^(٢) قال شيبه فجئت محمد ﷺ من خلفه فلم يبق إلا أسوره^(٣) بالسيف فوقع ما بيني وبينه شواظ من نار كأنه برق وخفت أن يحسني (يحرقي) ووضعت يدي على بصري ومشيت القهقري^(٤). وأخو صفوان الثاني كلداء بن حنبل نادى: اليوم بطل السحر وقال سهيل بن عمرو: لا يجبرها محمد وأصحابه^(٥).

وهذا بين الاتفاق الحاصل بين قريش وهوازن. وشجع عيينة بن الحصن بني ثقيف على الصمود في وجه خاتم الأنبياء في حين أرسله النبي ﷺ ليشجعهم على الاستسلام

(١) مغازي الواقدي: ٩٠٩/٢.

(٢) مغازي الواقدي ٩٠٩/٢.

(٣) سورة أي علاء.

(٤) مغازي الواقدي ٩١٠/٢، صيون الأثر ٩١٠/٢.

(٥) مغازي الواقدي ٩١٠/٢.

وحرك آخرون الناس ضد طريقة توزيع رسول الله ﷺ الغنائم وقاد تلك المحاولة ذو الحويصرة الخارجي وانضم الأنصار إلى المحتجين.

وبمجموع تلك الأفعال بين وجود تنظيم بين الطلقاء والأعراب والمنافقين في مواجهة الإسلام فلم يكن دخول هؤلاء في الدين إلا شكلياً، فهم بعيدون عن الاعتقادات الغيبية والطاعة للقيادة النبوية، فقال واحد: لا تغلب اليوم من قلة وكذب الثاني المعلومات الخطيرة المقدمة من قبل عبد الله بن أبي حدرد وقتل جاسوس هوازن الأسير في يد المسلمين، وفك خالد بن الوليد بالنساء حنقاً على الأمر النبوي في عدم قتل الأطفال والنساء والأسرى والعبيد لا تارثهم على معادة الإسلام وطلب ﷺ من أبي بكر وعمر قتل ذي الحويصرة فلم يقتلها^(١) فهذه الأعمال الكثيرة والمرتبة تبين شدة وسعة الهجمة على النبي ﷺ ولولا النصر الإلهي لأصبح الإسلام في خبر كان

﴿ثم أنزل سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وأنزل جنوداً لم تروها﴾^(٢). لذلك قالت أم سليم لرسول الله ﷺ: أرايت هؤلاء الذين أسلموك وقرّوا عنك وخذلوك لا تعف عنهم إذا امكنك الله تعالى منهم فاقتلهم كما تقتل هؤلاء المشركين. فقال ﷺ: يا أم سليم قد كفى الله، عافية الله أوسع^(٣).

ومن الضروري بمكان اطلاع جاسوس هوازن على أساء شبكة التآمر على رسول الله ﷺ ومشاريعهم فتسبب الأمر في قتله ودفن المعلومات التي عنده. ولنفس الغرض كُذّب عبد الله بن أبي حدرد الذي أطلع على معلومات مفيدة وخطيرة وصل إلينا بعضها. ولم يحصل ابن أبي حدرد عليها إلا لشجاعته وانتائه إلى قبيلة هوازن.

(١) النص والإجهاد ١٣٤ - ١٤٠.

(٢) التوبة ٢٦.

(٣) مفازي الواقدي ٢ / ٩٠٤.

وقد قال حذيفة بن اليمان العارف بأسماء المنافقين لاحقاً: عندي أسرار لو قلتها لقتلوني قبل أن أضع يدي في في^(١).

ولما طلب بعض المسلمين أن تكون لهم شجرة يذبحون لها ويتعزّون عندها يوماً تعظيماً لها فقد جاء: «كان من حجّ منهم وضع رداءه عندها ويدخل بغير رداء تعظيماً لها^(٢)».

فقال رسوله ﷺ إنهم يسرون على سنن اليهود من أتباع موسى عليه السلام الذين قالوا: «اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة قال إنكم قوم تجهلون»^(٣) إنها لسنن من كان قبلكم.

وبسبب الحرية التي أوجدها رسول الله ﷺ فقد أبرز الكثير من الناس آراءهم بصراحة فالأقرع بن حابس رئيس تميم وعيينة بن الحصن رئيس فزارة والعباس بن مرداس رئيس بني سليم أعلنوا بصراحة مخالفتهم لإرجاع السبايا إلى هوازن^(٤) وأعلن أبو سفيان وصفوان بن أمية وشيبة آراءهم في بغض النبي ﷺ ودينه واستنكر عمر مناجاة الرسول لعلي عليه السلام ورفض ذو الخويصرة طريقة رسول الله ﷺ في توزيع الأموال ورفض أبو بكر وعمر قتل ذي الخويصرة فكانت جبهة عريضة ضد رسول الله ﷺ.

إن هؤلاء المخالفين لرسول الله ﷺ كانوا يتشجعون على أفعالهم بكثرتهم ولولا ذلك لما جرأوا على أفعالهم، وتقيف لم تتقوا على صمودها إلا بدعم من عيينة بن الحصن وأبي سفيان والمغيرة بن شعبة الذين ذهبوا للتفاوض معها.

والأمر الآخر إن الله تعالى بيّن بعض شؤون معركة حنين في كتابه الكريم وبيّن

(١) مختصر تاريخ دمشق ٦ / ٢٥٩.

(٢) مغازي الواقدي ٢ / ٨٩١.

(٣) الأعراف ١٣٨.

(٤) عيون الأثر ٢ / ٢٢٣.

البعض الآخر عبر جبرئيل ﷺ.

فكشف جبرئيل حقيقة قول عيينة بن الحصن لثقيف ففضحه جماهيرياً وبين تعالى شخصية ذي الخويصرة والخوارج لرسوله ﷺ فأعلنها للناس.

وفي الجانب الآخر كان علي بن أبي طالب من الثابتين مع رسول الله ﷺ لم يفر أبداً يحمل لواءه عالياً لا خائفاً ولا وجلاً. ولما كان أبو جرول حامل لواء المعادين وأشجع فرسان هوازن وثقيف فقد صمد له علي ﷺ وقتله في جولة سريعة فسقطت راية المهاجرين واندحر عزمهم فولوا مدبرين لا يلوون على شيء.

ولما أمر خاتم الأنبياء بقتل ذي الخويصرة حرقوص بن زهير حمل سيفه أمير المؤمنين واندفع لتنفيذ حكم الله تعالى فيه لكنه لم يعثر عليه وذلك بعد أن امتنع أبو بكر وعمر عن قتله. وبعد مرور ثلاثين سنة على ذلك التاريخ تمكن منه أبو الحسن ﷺ فقتله في معركة النهروان^(١).

ودفع رسول الله ﷺ أموالاً طائلة للمؤلفة قلوبهم من قريش وسائر قبائل العرب ليثب جمعهم على الثبات في الدين والاحتراس من وثباتهم الطائشة وليكن ﷺ شاهداً عليهم يوم القيامة لكنهم أصروا على غيهم وشرهم غير مهتدين ولا موقنين.

وتعامل خاتم الأنبياء مع أعدائه بكل عطف واحترام فخيرهم بين أهلهم السبايا وبين أموالهم ففضلوا أهلهم فأرجعهم إليهم بكل رافة وغضب على خالد بن الوليد الذي قتل امرأة من السبايا.

ولم يأخذ لنفسه شيئاً من تلك الأموال والسبايا فرفع وبيرة سنام بغير وقال: ليس لي من فيثكم ولا هذه البيرة إلا الخمس وهو مردود عليكم^(٢).

(١) أسد الغابة، ابن الأثير ١٧٢ / ٢.

(٢) تاريخ ابن الأثير ٢٧١ / ٢.

وأثبتت الانتصار استقامتها إذ رضيت بحرمانها من الغنائم واستمرت في تضحياتها.

وكسب النبي ﷺ زعيم هوازن مالك بن عوف إلى الإسلام فأصبحت تلك القبيلة الكبيرة من الطوائف المسلمة المحاربة للمشركين.

والقارئ لهذا الموضوع يطمئن بأن هوازن وثقيف لا تجترئ على حرب رسول الله ﷺ لولا اقتراح قريش. ورغم الأعمال المخزية لبعض المسلمين من الطلقاء والأعراب والمهاجرين وغيرهم لم يأمر النبي ﷺ بقتلهم. والشخص الوحيد الذي أمر ﷺ بقتله هو ذو النوىصرة. ولم يلح في حرب أهل الطائف ولم يدع عليهم بل دعا لهم بالهداية ولم يقطع نخلهم وكرومهم فلم تقض سنة إلا ودخلت ثقيف في الإسلام^(١).

(١) الروض الأنف ٧ / ١٦١ - ٢٠٠، الأرشاد ٢ / ١٤٠ - ١٥٥، مغازي الذهبي ٥٧١ - ٥٨٥، أنساب الأنصار ١ / ٤٦٣ - ٤٦٦، سيرة أبي حاتم ١ / ٣٤٦، تفسير القفص الرازي ١٨ / ٦، البدء والتاريخ ٢ / ٩٩، المنتظم، ابن الجوزي ٣ / ٣٣٤، سيرة ابن دحلان ٢ / ٩٦ - ١٠٠، تاريخ الطبري ٢ / ٣٥٢، عيون الأثر ٢ / ٢١٣، تفسير القرطبي ٨ / ٩٦، البدايات والنهاية ٤ / ٣٧٠ - ٣٧٩، تاريخ ابن الوردي ٢ / ١٢٥، حياة محمد ﷺ، هيكل ٤٣٢، تاريخ أبي الفداء ٢٠٧، دلائل النبوة، البيهقي ٥ / ١٢٥ - ٢٠٠، السيرة العلية ٣ / ١١٠ - ١٢٠، تاريخ ابن الأثير ٢ / ٢٦٨، تفسير الرومشمري ٢ / ٢٦١، تاريخ خليفة بن غياث ٤٣ - ٤٥، تفسير الطبرسي ٣ / ١٧.

الفصل الرابع

قدوم وفود العرب على رسول الله ﷺ



وفود العرب إلى رسول الله ﷺ

قدمت وفود العرب إلى خاتم الأنبياء لتعلن الإسلام في السنة الثامنة والتاسعة بعد سماعها بإسلام قريش.

فإذا كانت مكة قد منعها الله تعالى من إيرته وجيشه ومنعها من سائر الطغاة فقد شاهد العرب سرعة استسلامها لجيش رسول الله الذي كان مدعاة لأن يدرك الناس أن الله تعالى في الحالتين مع بني إسماعيل مرة في شخص عبد المطلب ومرة في شخص حفيده محمد ﷺ.

ولقد فتح جيش المسلمين مدن شبه جزيرة العرب الواحدة بعد الأخرى، وأصبحت المدينة المنورة وخيبر ومكة والطائف وقبائل عربية كبيرة تعيش في ظل حكومة رسول الله ﷺ، وأضحت الدولة الإسلامية سيدة للمنطقة بلا منازع يزهو عدوها ونظمها وأمنها وتكاملها الاجتماعي على مسلمي المقاطعة. فاضطر زعماء العشائر للرضوخ لضغوط الناس الداعية لقبول الإسلام.

ولما لم تكن تلك القبائل أقوى من قريش وهوازن وثقيف واليهود فكيف لها بالصمود في الظروف الحاكمة يومذاك أمام المسلمين. ثم إن القبائل أصبح حالها واقتصادها وأمنها أفضل مما كانت عليه زمن الكفر فلماذا ترفض القبائل التي لم تؤمن بعد الحالة الجديدة؟

خاصة وأن ملوك الدول المجاورة يتصفون بالقهر والاستبداد والاستغلال في حين لم يتصف رسول الله ﷺ إلا بالعفو والرحمة والعدل وبسط الحرية سبياً وقد تحققت انتصارات عظيمة للمسلمين نهاية السنة الثامنة ؛ في شهر رمضان فتحو مكة وظمّوا قريشاً إلى المسلمين، وفي شهر شوال هزموا هوازن وضمّوها إلى صفوف الموحدين.

واستمرت الانتصارات فتوجت بإسلام ثقيف في شهر رمضان في السنة التاسعة. ولما سمعت قبائل العرب بإسلام قريش وثقيف السلمي سارعت للحدو وحذوها فدخلت في دين الله أفواجاً دون حرب ولا عناء طبقاً للسورة المباركة:

﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْ لَهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾.

لقد نزلت هذه السورة في فتح مكة مبشرة بفتح الحرم المكي وسائر البلاد ودخول الناس في الدين أفواجاً أي جماعات كثيرة بعد أن كانوا يدخلون في الدين واحداً واحداً أو اثنين اثنين. فورد من اليمن سبعمائة إنسان مؤمنين طائعين بعضهم يؤذنون وبعضهم يقرأون القرآن وبعضهم يهللون فسرّ النبي ﷺ بذلك^(١).

وسئل الحسن بن علي رضي الله عنهما عن الناس؟

فقال رضي الله عنهما: نحن الناس وأشباعنا أشباه الناس وأعداؤنا التسناس، فقبله علي رضي الله عنهما بين عينيه وقال: الله أعلم حيث يجعل رسالته^(٢).

وسورة النصر تبين ما فتح الله تعالى على المسلمين لاحقاً من أقطار جزيرة العرب ومن أمصار سائر الأمم حتى بلغوا المدائن والقسطنطينية^(٣).

(١) تفسير القرطبي ٢٢ / ٢٣٠.

(٢) تفسير الفخر الرازي ١١ / ٣٤٠.

(٣) تفسير القرطبي ٢٢ / ٢٣٠ - ٢٣٤، تفسير الفخر الرازي ١١ / ٣٤٠ - ٣٤٢، تفسير الطبرسي ٥ / ٥٥٤.

تفسير الزمخشري ٤ / ٨١٠.

وقال رسول الله ﷺ: إنَّ الناس دخلوا في الدين أفواجاً وسيخرجون منه أفواجاً^(١)

ووعده الله تعالى رسوله بالترية العظيمة بقوله ﴿ولسوف يعطيك ربك فترضى﴾^(٢).

فدخل في الإسلام المخلصون لله تعالى والطامعون في الدنيا، وأدركت قبائل أخرى أن لا قدرة عندها على مواجهة دولة رسول الله ﷺ الفتية والعظيمة فدخلت في دين الله تعالى.

وكلَّ تلك المجموع نشطت لخدمة الدين بعد تعرّفها على أصوله القويمة وأسسها الإنسانية وأخلاقه العالية. وهو مصداق للسورة المباركة:

وقدمت عليه وفود العرب، ولكلّ قبيلة رئيس يتقدّمهم. فقدمت مزينة ورئيسهم خزاعي بن عبدُهم، وأشجع ورئيسهم عبدالله بن مالك، وأسلم ورئيسهم بريدة، وسليم ورئيسهم وقاص بن قامة، وبنو ليث ورئيسهم الصعب بن جثامة. وجاءت زعامات بني تميم برئاسة عطار بن حاجب بن زرة التميمي وفيهم الأقرع بن حابس والزبرقان بن بدر وعمرو بن الأهمّ والمحباب بن يزيد ونعيم بن زيد.

وجاء قيس بن عاصم في وفد عظيم من تميم فيهم عيينة بن حصن الفزاري. وكان الأقرع وعيينة شهدا مع رسول الله ﷺ حينئذٍ والفتح والطائف.

وبعدما فاخروا رسول الله ﷺ والمسلمين قال الأقرع بن حابس: إنَّ هذا الرجل محمدٌ ﷺ خطيبه أخطب من خطيبنا وشاعره أشعر من شاعرنا وأصواتهم أعلى من أصواتنا. ولما فرغوا أجازهم رسول الله ﷺ^(٣).

(١) تفسير القرطبي ٢٢ / ٢٣٠، تفسير الفخر الرازي ١١ / ٣٤٦.

(٢) الضمى ٥.

(٣) دلائل النبوة، البيهقي ٥ / ٣١٥.

وجاء وفد صداء إلى رسول الله ﷺ معلناً إسلامه في السنة الثامنة^(١). فدعوا رسول الله في بئرهم فأعطاهم حصيات فتحرّكهن بيده فألقوها في البئر وقد سماها الله تعالى فلم ينقطع ماؤها^(٢).

وجاء وفد بني محارب وكانوا أغلظ العرب وأفظهم على رسول الله ﷺ أيام عرضه نفسه على القبائل يدعوهم إلى الله^(٣).

وجاء وفد غسان ثلاثة نفر في شهر رمضان سنة عشر معلنين إسلامهم وبعد عودتهم لم يستجب لهم قومهم^(٤).

ثم وفد الجارود بن المعلّى فولّاه رسول الله ﷺ على قومه، وأوفدت ملوك حمير بإسلامهم وفوداً وهم: الحارث بن عبد كلال ونعيم بن عبد كلال والنعمان قيل ذي رعين وكتبوا إليه بإسلامهم فبعث إليهم معاذ بن جبل، وعُكل ورئيسها خزيمية بن عاصم، وجذام ورئيسها فروة بن عمرو، وحضرموت ورئيسها وائل بن حجر الحضرمي، والضباب ورئيسها ذو الجوشن، وبنو أسد ورئيسها ضرار بن الأزور.

وجاء بنو الحارث بن كعب ورئيسهم يزيد بن عبد المذّان، وبنو تميم وعليهم عطارد بن حاجب والزيرقان بن بدر وقيس بن عاصم ومالك بن نويرة، وبنو نهد وعليهم أبو ليلى خالد بن الصقعب، وكنانة ورئيسهم قطن وأنس إنا حارثة من بني هُليم.

وهمدان ورئيسهم ضمام بن مالك، وتمانة والحذّان فخذ من الأزد ورئيسهم مسلمة بن هرّان الحذّاني، وباهلة ورئيسهم مطرق بن كاهلة الباهلي الحنفي ومهرة ورئيسهم مهري بن الأبيض^(٥).

(١) عيون الأثر ٢ / ٣١٤.

(٢) عيون الأثر ٢ / ٣١٦، عيون الأثر ٢ / ١٨١.

(٣) عيون الأثر ٢ / ٣١٤، سيرة ابن دحلان ٢ / ١٨١.

(٤) عيون الأثر ٢ / ٣١٦، سيرة ابن دحلان ٢ / ١٨٣.

(٥) راجع تاريخ اليعقوبي ٢ / ٨٤، تاريخ ابن الأثير ٢ / ٣١٠.

وقدم وفد بني عذرة وقالوا: نحن بنو عذرة إخوة قصي لأمه نحن الذين عضدوا قصياً وأزاحوا من بطن مكة خزاعة وبني بكر ولنا قرابات وأرحام.

فقال رسول الله ﷺ مرحباً بكم وأهلاً فأسلموا وبشرهم ﷺ بفتح الشام وهرب هرقل إلى ممتنع بلاده وأجازهم رسول الله ﷺ^(١).

وقدم وفد بني بلي ربيع الأول سنة تسع وقد أسلموا فأجازهم رسول الله ﷺ^(٢).

وقدم وفد بني مرة ثلاثة عشر رجلاً رأسهم الحارث بن عوف فأجازهم رسول الله ﷺ عشر أواق لكل منهم وأعطى الحارث اثنتي عشرة أوقية ودعاهم ﷺ بالمطر فسقاهم الله تعالى^(٣).

وقدم وفد خولان وقد أسلموا وقالوا: قد فتننا صنمنا عم أنس فقد أكلنا الرمة لفقرنا واشترينا مائة نور وذبحناها لعم أنس وتركناها للسباع ونحن أحوج إليها من السباع.

فأوصاهم رسول الله ﷺ بالوفاء وبالعهد وأداء الأمانة وحسن الجوار وأن لا يظلموا أحداً، فأجازهم النبي ﷺ ورجعوا^(٤).

وقدم وأئل بن حجر من حضر موت وكان أبوه من ملوكهم وقد بشر به رسول الله ﷺ قبل مقدمه بثلاثة أيام^(٥).

وقدم زيد الخيل في وفد طيء فكلموا رسول الله ﷺ وأسلموا، فسماه رسول الله ﷺ: زيد الخير^(٦).

(١) عيون الأثر ٢ / ٣٠٩، سيرة ابن دحلان ٢ / ١٧٩.

(٢) عيون الأثر ٢ / ٣١٠، سيرة ابن دحلان ٢ / ١٨٠.

(٣) عيون الأثر ٢ / ٣١١.

(٤) عيون الأثر ٢ / ٣١٢، سيرة ابن دحلان ٢ / ١٨١.

(٥) دلائل النبوة، البيهقي ٥ / ٣٥٨.

(٦) الروض الأنف ٧ / ٤٠٣.

وأسلم فروة بن مسبك المرادي مفارقاً للملوك كندة ومباعداً لهم، وقبيل الإسلام كانت هناك وقعة بين همدان ومراء انتصرت فيها همدان^(١).

وفي شهر رمضان قدم الأزد ورأسهم صرد بن عبد الله في بضعة عشر رجلاً فأسلم وأقره رسول الله ﷺ على من أسلم من قومه وأمره أن يجاهد المشركين، فانتصر على أهل جرش^(٢).

وفي السنة التاسعة أسلم فروة بن عمرو الجذامي وبعث رسولاً إلى رسول الله ﷺ بإسلامه وأهدى له بغلة بيضاء.

وكان فروة عاملاً للروم على من يليهم من العرب، ومنزله معان في أرض الشام، ولما بلغ الروم إسلامه طلبوه حتى أسروه وحبسوه ولما قدموه ليصلبوه قال:

بلغ سرّة المسلمين بأنني سلم لربي أعظمي ومقامي^(٣).

وقد بعث إليه ذو يزن مالك بن مرة الرهاوي بإسلامهم ومفارقتهم الشرك وأهله وقدم وفد عبد القيس فقال لهم الرسول ﷺ: مرحباً بالوفد غير خزايا ولا ندامى ووضع النبي ﷺ يده على ظهر مجنونهم ودعا له فبرىء لحينه.

وحذرهم المسكر قاتلاً: إذا شربوا المسكر عمد أحدهم إلى ابن عمه فجرحه، وأشار إلى رجل قد جرحه ابن عمه في ذلك وكان يخفي جرحه ويكتمه فعجبوا من علم النبي ﷺ^(٤).

وبعث بنو سعد بن بكر ضمام بن ثعلبة وافداً على رسول الله ﷺ فقدم عليه وأناخ بعيره على باب المسجد ثم عقله، ودخل المسجد ورسول الله ﷺ جالس في أصحابه، وكان ضمام رجلاً جلدأ أشعر ذا غديرتين، فأقبل حتى وقف على رسول

(١) الروض الأنف ٤٠٦.

(٢) تاريخ ابن الأثير ٢ / ٢٩٥، الروض الأنف ٧ / ٤١١.

(٣) تاريخ ابن الأثير ٢ / ٢٩٧.

(٤) الروض الأنف ٧ / ٤٢٨.

الله ﷻ في أصحابه فقال: أيكم ابنُ عبدِ المطلب؟

فقال رسول الله ﷺ: أنا ابن عبد المطلب.

قال: أعمد؟ قال نعم .

قال يابن عبد المطلب، إني سائلك ومُعَلِّطُ عليك في المسألة، فهل تجدني في نفسك،

قال لا أجد في نفسي، فسل عما بدا لك. قال: أنشدك الله إهلك وإله من كان قبلك،

وإله من هو كائن بعدك، أأله بعثك إلينا رسولاً؟

قال: اللهم نعم ؛ قال: فأنشدك الله إهلك وإله من كان قبلك، وإله من هو كائن

بعدك، أأله أمرنا أن نعبده وحده لا نشرك به شيئاً، وأن نخلع هذه الأنداد

التي كان آباؤنا يعبدونها معه؟

قال: اللهم نعم، قال: فأنشدك الله إهلك وإله من كان قبلك، وإله من هو كائن

بعدك، أأله أمرنا أن نصلي هذه الصلوات الخمس؟

قالوا: اللهم نعم .

قال: ثم جعل يذكر فرائض الإسلام فريضة فريضة. الزكاة والصيام والحج

وشرائع الإسلام كلها، ينشده عند كل فريضة منها كما ينشده في التي قبلها، حتى إذا

فرغ قال: فإني أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله ؛ وسأؤدِّي هذه

الفرائض؛ وأجتنب ما نهيتني عنه، لا ثم أزيد ولا أنقص. ثم انصرف إلى بعيره راجعاً.

فقال رسول الله ﷺ: إن صدق ذو العقيصتين دخل الجنة^(١).

وجاء وفد بني عامر فيهم ابن الطفيل وأريد بن قيس وخالد بن جعفر وحيان بن

مسلم فكان هؤلاء نفر رؤساء القوم وشياطينهم، فقدم عامر بن الطفيل، فقال:

تالله لقد كنت آليتُ أن لا أنتهي من تتبع العرب عقيي؛ أفأنا أتبع عقب هذا الفتي من

قريش؟

ثم قال لأربد إذا قدمنا على الرجل فإني شاغل عنك وجهه، فإذا فعلت ذلك فاعله بالسيف^(١) فلما قدموا على رسول الله ﷺ قال عامر: يا محمد خالني^(٢).

فقال ﷺ: «لا حتى تؤمن بالله وحده، لا شريك له».

فلما أبي عليه رسول الله ﷺ، قال: أما والله لأملأها عليك خيلاً حمراً، ورجالاً فلما ولى قال رسول الله ﷺ: «اللهم اكفني عامر بن الطفيل» فلما خرجوا من عند رسول الله ﷺ، قال عامر لأربد: ويحك يا أربد!! أين ما كنت أمرتك به؟ والله ما كان على ظهر الأرض رجل أخوف عندي على نفسي منك، وأيم الله لا أخافك بعد اليوم أبداً.

قال: لا أبالك لا تعجل علي فوالله ما هممت بالذي أمرتني به من مرة: إلا دخلت بيني وبين الرجل حتى ما أرى غيرك أفأضربك بالسيف؟

ثم خرجوا راجعين إلى بلادهم، حتى إذا كانوا ببعض الطريق بعث الله عز وجل على عامر بن الطفيل الطاعون في عنقه فقتله في بيت امرأة من بني سلول، ثم خرج أصحابه حين واروه حتى قدموا أرض بني عامر فأتاهم قومهم فقالوا ما وراك يا أربد فقال لقد دعانا إلى عبادة شيء لوددت أنه عندي فأرميه بالنبل هذه حتى أقتله.

وكان رسول الله ﷺ قد دعا على عامر بن الطفيل ثلاثين صباحاً، اللهم اكفني عامر بن الطفيل بما شئت وأبعث عليه داء يقتله^(٣).

وقدم وفد بني الحارث بن كعب فيهم يزيد بن عبد المدان، وذكر فيهم أيضاً ذا النصة وهو الحصين بن يزيد بن شداد الحارثي.

(١) «فاعله بالسيف» يريد: أقتله، ويرى: فاعله بالسيف: بالتين المجمة، وهو من التيلة وهي القتل خديمة وخفية.

(٢) (خالني): أي قهره لي خالياً حتى أحدثك على انفراد، ومعناها الثاني: اتخذني خليلاً أي صاحباً.

(٣) دلائل النبوة، البيهقي ٥ / ٣٢٠.

وقال عمر بن الخطاب يوماً: لا تُزاد امرأة في صداقها كذا وكذا، ولو كانت بنت ذي النُصَّة^(١).

وقدم وفد سلامان في السنة العاشرة معلنين إسلامهم^(٢) وقدم وفد بني عبس معلنين إسلامهم، وقدم وفد بني عامر معلنين إسلامهم سنة عشر^(٣).

إن دخول قبائل عربية كثيرة في الإسلام دون حرب ساعد المسلمين على حفظ دمائهم وأموالهم وتطوير وحدتهم ونظمهم مما مكّن الدولة في التفكير في الفزو الخارجي للروم والفرس. ولما وجدت قبائل العراق والشام العربية التفاف قبائل جزيرة العرب حول رسول الله ﷺ سارعت الكثير منها للتفكير في دخول الإسلام ومحاربة الدولتين الرومية والفارسية.

وآخر وفد جاء إلى رسول الله ﷺ هو وفد النخع في النصف من محرم سنة إحدى عشرة في مائتي رجل^(٤).

مسيلمة الكذاب والاشعث

وجاء وفد بني حنيفة وأسلموا فأجازهم رسول الله ﷺ، ولما عادوا إلى اليمامة ارتد عدو الله مسيلمة وأعلن نبوته المزيفة، ووضع عنهم الصلاة وأحلّ لهم الخمر والزنا.

ومع ذلك شهد لرسول الله ﷺ بالنبوة، فأرسل له النبي ﷺ رسالة: بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله ﷺ إلى مسيلمة الكذاب، سلام على من أتبع الهدى، أما بعد فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين.

(١) الروض الأنف ٧ / ٤٥٤.

(٢) عيون الأثر ٢ / ٣١٧.

(٣) عيون الأثر ٢ / ٣٢٠.

(٤) عيون الأثر ٢ / ٣٢٠، سيرة ابن دحلان ٢ / ١٩٢.

فأرسل له مسيلمة رسولين فقال لهما النبي ﷺ: أنتم تقولان بمثل ما يقول؟
قالا: نعم.

فقال ﷺ: أما والله لولا أن الرسل لا تقتل لضربت أعناقكما^(١).

ومن زيف كتاب مسيلمة: الطاحانات طحناً والعاجنات عجنأً والخابزات خبزاً
والتارادات ثردأً واللاقيات لقماً^(٢).

وقال كذباً: «لقد أنعم الله على الحبلى أخرج منها نسمة تسمى بين صفاف وحشا»
وكانت آياته منكوسة: تفل في بر قوم سألوه ذلك تبركاً فجف ماؤها، ومسح
رأس صبي فقرع قرعاً فاحشاً، ودعا لرجل في ابنين له بالبركة فرجع إلى منزله
فوجد أحدهما قد سقط في البئر والآخر قد أكله الذئب، ومسح على عيني رجل
استشفى بمسحه فابيضت عيناه^(٣).

وانتهت حركة مسيلمة بالفشل والخذلان إذ قتله المسلمون وهزموا جيشه!
وقدم الأشعث بن قيس على رسول الله ﷺ مسلماً في ثمانين ركباً من كندة وقد
رجلوا جميعهم وتكحلوا وعليهم جيب الحبرة قد كففوها بالحرير.

فقال لهم رسول الله ﷺ: ألم تسلموا؟
قالوا: بلى!

قال فما بال هذا الحرير في أعناقكم؟
فشقوه منها فألقوه^(٤).

ثم ارتد الأشعث في زمن رسول الله ﷺ وأصبح من حزب مسيلمة الكذاب.
وأذن الأشعث بن قيس لمسيلمة الكذاب وأذن شيث بن ربعي لسجاح المتنبة ثم
تزوج مسيلمة من سجاح!

(١) دلائل النبوة، البيهقي ٣٢٢ / ٥، سيرة ابن هشام ٤ / ٢١٠.

(٢) دلائل النبوة، البيهقي ٣٢٣ / ٥.

(٣) الروض الأنف ٧ / ٤٤٤.

(٤) الروض الأنف ٧ / ٤٦٠.

سفراء النبي إلى ملوك العالم

وبعث رسول الله ﷺ رسلاً من أصحابه إلى ملوك العالم وكتب معهم كتباً يدعوهم فيها إلى الإسلام.

فبعث دحية الكلبي إلى قيصر ملك الروم، وبعث عبد الله بن حذافة السهمي إلى كسرى ملك فارس، وبعث عمرو بن أمية الضمري إلى النجاشي ملك الحبشة، وبعث حاطب بن أبي بلتعة إلى المقوقس ملك الإسكندرية، وبعث عمرو بن العاص السهمي إلى جيفر وعتاد الأزديين ملكي عمان، وبعث سليط بن عمرو أحد بني عامر بن لؤي إلى ثمامة بن أثال وهوذة بن علي الحنفين ملكي اليمامة، وبعث العلاء بن الحضرمي إلى المنذر بن ساوي العبدي ملك البحرين، وبعث شجاع بن وهب الأسدي إلى الحارث بن أبي شمر الفسافي وبعث المهاجر بن أبي أمية المخزومي إلى الحارث بن عبد كلال الحميري ملك اليمن^(١).

الدلائل والعبر

كانت قبائل العرب الجاهلية تعيش على القدر والإحتيال وتغير المواقف باستمرار وتعود نفسها على غزو الجار والأرحام والأعداء على السواء! وكان الطرف الآخر بقيادة النبي ﷺ وأجداده في استقامة دائمة لا غدر فيها ولا ختل ولا تذبذب في المواقف، ولا غزو للأصدقاء والأرحام. ويسمى هذا الخط الإلهي لفرض الأمن في البلاد والعافية للناس والتكامل الاجتماعي للبشر، ويطمح لتوفير الحريات والعدالة الاجتماعية. وهذه الأمور تسببت في دخول القبائل في الإسلام برغبة ورهبة فالتخلصون من الناس دخلوا رغبة في الأهداف السامية والطالحون دخلوا خوفاً من العدالة وطمعاً في الأمور الدنيوية.

والملاحظ على سيرة دخول الناس في الإسلام يلحظ المدة الزمنية القصيرة، فبعد مرور ثلاث وعشرين سنة دخلت شبه جزيرة العرب كلها في الإسلام.

إنّ كبر مساحة هذه المنطقة واختلاف أهداف الناس وعقائدهم يجعل من الصعوبة دخولهم في فكر جديد إلا إذا كان كاملاً.

والأخطر في ذلك أنّ قبائل شبه جزيرة العرب قد تعودوا على التحلل السياسي والعيش بعيداً عن حكومة مركزية فكيف تمكن رسول الله ﷺ من جمعهم في دولة قوية وربطهم بسلطة مركزية.

فالناس في العراق يختلفون آنذاك عن الناس في الحجاز ونجد فسكان الحجاز ونجد لا يوجد في ذهنهم وذهن آبائهم تبعية لقدرة سياسية والتزام بقوانين أمنية. ورغم ذلك فقد حاول رسول الله ﷺ الاستفادة من تلك التناقضات لكسب الناس إلى الإسلام فنجح نجاحاً باهراً.

والقضية الثالثة التي أهتم بها رسول الله ﷺ بعد استقباله لوفود العرب واهتمامه بدول العالم تمثل في إرساله السفراء إلى ملوك الأرض لدعوتهم إلى الإسلام وهذه خطوة مهمة وضرورية فعلها الأنبياء من قبل، إذ أرسل عيسى عليه السلام حواريه إلى ملوك العالم لدعوتهم إلى النصرانية^(١).

لقد لاحظ الناس هذه الأمور فأقبلوا على الإسلام:

شريعة سمحة وكاملة لا تغفل عن الأمور السياسية والاقتصادية والاجتماعية وأخلاق نبوية فاضلة يعلو بها على سائر البشر ويرقى بها على أهل النظر.

وإنّ رسول الله ﷺ مصداق لتطابق كلامه وعمله فلم يجمع أموال الدنيا، ولم يتجبر على سائر الناس، ولم يركب أهواءه، ولم يظلم أحداً، وكلّما أطلع الناس على خفايا أسرارهم ازدادوا حباً وتعلقاً به.

فقد كان يفرش رداءه لأي أعرابي مغمور يقدم عليه المدينة ويجلسه مكانه في أرض المسجد وإذا تكلم محدثه لا يقطع عليه كلامه.

الفصل الخامس

أزواج رسول الله ﷺ



نساء الرسول

كان في نساء الأنبياء الصالحات والطالحات ومن الطالحات زوجتا نوح ولوط قال تعالى: ﴿ضرب الله مثلاً للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما﴾^(١) وقال تعالى عن ابن نوح: ﴿إنه حمل غير صالح﴾^(٢) أي خرج من أهلك بكفره. ودافعت زوجة لوط عن قومها وأفعلهم المخزية فقالت: واقوماء فأدركها حجر فقتلها^(٣). وكذلك كانت نساء رسول الله ﷺ فيهن الصالحات والطالحات. ومعظم آباء أزواج الرسول من الكافرين والمنافقين واليهود فسودة أبوها من الكافرين وام حبيبة وعائشة وحفصة آباؤهم أبو سفيان وأبو بكر وعمر وصفية وريحانة أبوهما يهوديان .

قال الصادق عليه السلام: إن النبي ﷺ تزوج خمس عشرة امرأة، ودخل بثلاث عشرة، وجمع بين إحدى عشرة، ومات ﷺ عن تسع^(٤).

١ - أولهنّ خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي وولدت أولاده أجمعين خلا إبراهيم عليه السلام، ولم يتزوج عليها حتى ماتت. وتزوجها عذراء، روى ذلك البلاذري وأبو قاسم الكوفي في كتابيهما، والمرضى في الشافي وأبو جعفر في

(١) التحريم ١٠.

(٢) هود ٤٦.

(٣) تاريخ أبي الفداء ١/ ٣٦.

(٤) تاريخ ابن الأثير ٢/ ٣٠٧.

التلخيص^(١).

٢ - سودة بنت زمعة بن قيس بن عبد شمس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤي، تزوجها بمكة، وكانت كبيرة في السن، ومن المتعصبات لقريش، فحزنت بانتصار المسلمين في بدر وعجبهم بأشراف قريش أسرى فقالت لهم: أعطيتم بأيديكم كما تفعل النساء ألا تم كراماً؟ فقال رسول الله ﷺ لها: أعلى الله ورسوله تحرضين؟^(٢) وبينما كانت خديجة تتمتع بأخلاق فاضلة، كانت سودة معروفة بعكس ذلك اذ فيها حدة^(٣). وانقسمت نساء النبي ﷺ بين الاثنين فأعلنت عائشة أنها تقتدي بسودة قاتلة: رأيت أحب الي أن أكون في مسلأها^(٤)، وانضوت ام سلمة تحت منهج خديجة، وبدأ الصراع بين الجانبين:

فتأمرت سودة وعائشة وحفصة على رسول الله ﷺ لأكله العسل في بيت أم سلمة فقلن له فيك رائحة كريهة أأكلت المغافير^(٥). فقال ﷺ: لا^(٦). فطلعتها رسول الله ﷺ فخشيت سودة أن يطلقها رسول الله ﷺ نهائياً لاعمالها المشينة في حقها، فقالت له لا تطلقني وأجلسني مع نسائك ولا تقسم لي^(٧) فنزلت آية: ﴿وإن امرأة خافت من بعلها نشووزاً أو إعراضاً فلا جناح عليهما أن يصلحا بينهما بالصالح خير﴾^(٨). وجاء في رواية انه ﷺ لم يرجعها^(٩).

(١) البحار ٢٢ / ١٩١، الاستغاثة ١ / ٧٠.

(٢) تاريخ ابن الاثير ٢ / ١٣١.

(٣) مختصر تاريخ ابن عساكر ٢ / ٢٧٧.

(٤) اي في مثل هديها وطريقها، كتاب النهاية لابن الاثير كلمة سلخ.

(٥) والمغافير صمغ العرطف كريحه الرائحة.

(٦) تفسير الطبرسي ١٠ / ٥٥، اسباب النزول، الواحدي ٢٩١، تفسير القرطبي ٥ / ٤٠٣.

(٧) تفسير الطبرسي ٣ / ٢٠٦.

(٨) النساء ١٢٨.

(٩) تفسير ابن كثير ١ / ٨٩١.

وقال ﷺ عن هذه المجموعة: انهن صواحب يوسف .

٣ - عائشة بنت أبي بكر بن أبي قحافة، تزوجها النبي وكانت ثيباً ودخل بها بالمدينة. ثم طلقها وراجعها^(١).

٤ - حفصة بنت عمر بن الخطاب تزوجها النبي ﷺ ثم طلقها وراجعها ثم هم بطلاقها^(٢).

٥ - زينب بنت عميس^(٣).

٦ - زينب بنت خزيمة بن الحارث من بني عامر بن صعصعة، وهي أمّ المساكين؛ ولم يمت من نسائه عنده غيرها وغير خديجة.

٧ - أم حبيبة بنت أبي سفيان بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف.

٨ - زينب بنت جحش بن رثاب بن قيس بن يعمر بن صبرة من بني أسد بن خزيمة.

٩ - أم سلمة هند بنت أبي أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم^(٤).

١٠ - جويرية واسمها برة بنت الحارث بن أبي ضرار المصطلقية من خزاعة^(٥).

١١ - ميمونة بنت الحارث بن حزن بن بحير الهلالي^(٦).

هؤلاء اللاتي دخل بهن ﷺ ومن سراريه، مارية أم إبراهيم وريحانة القرظية

وصفية بنت حيي بن أخطب من بني النجار من سبط هارون النبي ﷺ.

(١) المستدرک ٤ ح ١٧٥١٦.

(٢) عيون الأثر ٢ / ٣٨٤، أنساب الأشراف ٢ / ٥٦١، فطلق النبي ﷺ عائشة وحفصة وسودة بسبب

اخلاقهن السيئة وكان لا يحسن ثم راجعن لحكمة ارادها الله تعالى.

(٣) البحار ٢٢ / ١٩٤.

(٤) البحار ٢٢ / ١٩١.

(٥) البحار ٢٢ / ١٨١.

(٦) البحار ٢٢ / ١٩١.

والنسوة اللاتي لم يدخل بهن رسول الله ﷺ:

- ١ - خولة بنت الهذيل بن هبيرة الثعلبية، هلكت في الطريق قبل وصولها إليه^(١).
 - ٢ - شراف أخت دحية بن خليفة الكلبي، حُملت إليه فهلكت قبل دخولها عليه^(٢).
 - ٣ - سنا بنت الصلت بن حبيب بن حارثة السلمي، ماتت قبل أن يصل إليها^(٣).
 - ٤ - قتيلة بنت قيس بن معدي كرب، وهي أخت الأشعث بن قيس بن فلان، قبض رسول الله قبل خروجها إليه من اليمن، وارتدت مع الأشعث، فخلف عليها عكرمة بن أبي جهل^(٤).
 - ٥ - العالية بنت ظبيان بن عمرو الكلابي، طلقها.
 - ٦ - ليلى بنت الحطيم الأوسي^(٥)
- قالت: أنا بنت الحطيم، وأبي مطعم الطير، وقد جئتكم أعرض نفسي عليكم. قال: قد قبلتك. فأنت نساءها فقلن لها: بشئ ما صنعت! أنت امرأة غيور ورسول الله كثير الضرائر، إننا نخاف أن تغاري فيدعو عليك فتهلكي، إستقيليه، فأنته فاستقلته، فأقالها^(٦).
- ٧ - وصفية بنت بشامة العنبرية، عرض عليها المقام عنده أو ردّها إلى أهلها فاختارت أهلها فردّها.

اسباب تعدد زوجات الرسول

من الدواعي الرئيسية لهذا رغبة الاباء والنساء في مصاهرة رسول الله ﷺ

(١) طبقات ابن سعد ٨ / ١٦٠.

(٢) طبقات ابن سعد ٨ / ١٦٠.

(٣) طبقات ابن سعد ٨ / ١٤٩، البحار ٢٢ / ١٩٢.

(٤) طبقات ابن سعد ٨ / ١٤٧.

(٥) البحار ٢٢ / ١٩٢.

(٦) طبقات ابن سعد ٨ / ١٥٠، ١٥١.

فتقدم أبو بكر وعمر والاشعث بن قيس على عرض عائشة وحفصة وعتيلة على الرسول فوافق على الزواج منهن. وبعض النساء عرضن أنفسهن مباشرة على النبي ﷺ فوافق على الزواج منهن مثل غزية بنت دودان وام حبيبة بنت أبي سفيان وزينب بنت جحش.

وعندما طلق الرسول سودة طلبت منه ان لا يطلقها وترضى ان لا يقسم لها (١) والملاحظ في نساته أن الكثير منهن من المسنات مثل سودة، أو من اللواتي ليس لهن معيل يعيلهن بعد مقتل أزواجهن فضمنهن رسول الله ﷺ إلى نساته. فكانت خديجة باكرة فقط، والأخريات ثيبات، بينما كان بإمكانه الزواج من العشرات من النساء الباكرات.

ولا يغيب عن بالنا كثرة الحروب التي شنها الكفار على المسلمين وكثرة الفتوحات الإسلامية تسببت في زيادة نسبة النساء على الرجال، فأصبح شائعاً زواج الرجل من عدة نساء وامتلاكه مجموعة من الجواري. وزواج الرجل من عدة نساء كان عادياً في الجاهلية والإسلام لكن اليهود والأمويين وسائر أعداء الإسلام سلطوا الضوء على زيجات النبي ﷺ وافتروا كثيراً في هذا المجال.

كما أن النبي ﷺ اعتزل بعض نساءه (عائشة وحفصة) فترة من الزمن، وبين المحاكم ذلك الحديث بصورة واضحة قائلاً: كان النبي قد طلق عائشة وحفصة ثم راجعها (٢).

وبعض زيجاته كانت سياسية واجتماعية ودينية مثل زواجه بريحانة القرظية وصفية النضيرية.

وسبايا الحروب من النساء كن كثيرات يقعن في سهم كل مسلم.

(١) تفسير الطبرسي ٢/٦٠٦.

(٢) صحيح البخاري ٦/٧٠ طبعة دار الفكر - بيروت، المستدرک ٤/ ١٧٥١٦.

كم زوجة للنبي طُلقت بخديعة؟

وَمَنْ طَلَّقَنَ بِخَدِيعَةِ عَائِشَةَ وَحَفْصَةَ:

١ - غزيرة بنت دودان بن عوف بن جابر بن ضباب من بني عامر بن لؤي، وهي أمّ شريك التي وهبت نفسها للنبي ﷺ. فاستعادت من النبي ﷺ بنصيحة عائشة وحفصة فطلّقها ﷺ^(١).

٢ - أسماء بنت النعمان الكندي، من بني آكل المزار، كانت من أجمل نساءه وأتمهنّ فقالت لها عائشة وحفصة: إن أردت أن تحظي عنده فتحوذي بالله منه إذا دخلت عليه.

فلما دخل وأرخى الستر، قالت: أعوذ بالله منك! فصرف وجهه عنها. ثم قال ﷺ: أمني عائذة بالله! إلحقي بأهلك فخرج النبي ﷺ والغضب يُعرف في وجهه^(٢).

٣ - عمرة بنت يزيد بن عبيد بن روااس الكلابي، علّمتها عائشة نصيحتها الخطيرة! بالتموّد بالله من الشيطان الرجيم، والرجيم أقبح شياطين الجن. فقالت لرسول الله ﷺ أعوذ بالله منك فطلّقها^(٣).

٤ - المجونية امرأة من كندة وهي زينب بنت أبي الجون وليست بأسماء، كان أبو أسيد الساعدي قدم بها عليه في السنة التاسعة، فوليت عائشة وحفصة مشطها وإصلاح أمرها، فقالت إحداها لها: إنّ رسول الله يعجبه من المرأة إذا دخل عليها ومدّ يده إليها أن قالت: أعوذ بالله منك.

ففعلت ذلك فوضع ﷺ يده على وجهه واستتر بها وقال ﷺ: عذت، فمادت ثلاث مرّات. ثم خرج وأمر أبا أسيد الساعدي أن يمتّعها برازقيتين ويلحقها بأهلها؛

(١) طبقات ابن سعد: ١٤٢/٨.

(٢) طبقات ابن سعد ١٤٤/٨، ١٤٥، ١٤٦، ١٤٧، البحار ١٩٢/٢٢، ٢٠٤، ٢١٠، مختصر تاريخ دمشق ٢/٢٨٧.

(٣) المستدرك الحاكم ٤ / ٣٨ طبعة دار الكتب العلمية.

فَسَمَتْ نَفْسَهَا الشَّقِيَّةَ وَمَاتَتْ كَمَا^(١).

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ عَنْ عَائِشَةَ وَحَفْصَةَ: إِنَّهُنَّ صَوَاحِبُ يَوْسُفَ وَكَيْدِهِنَّ عَظِيمٌ^(٢).

٥ - فَاطِمَةُ بِنْتُ الضَّحَّاكِ بْنِ سَفْيَانَ اسْتَعَاذَتْ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ بِنَصِيحَةِ عَائِشَةَ وَحَفْصَةَ! فَطَلَّقَهَا النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَتْ أَنَا الشَّقِيَّةُ إِنَّمَا خُدِعْتُ^(٣).

٦ - إِمْرَأَةٌ مِنْ بَلْجُونٍ عَلَّمَتْهَا عَائِشَةُ وَحَفْصَةُ وَمَكَّرْنَ بِهَا فَقَالَتْ لِلنَّبِيِّ ﷺ أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْكَ فَطَلَّقَهَا ﷺ.

فَقَالَتْ لِأَهْلِهَا خُدِعْتُ، فَسَجَنَتْ نَفْسَهَا فِي بَيْتِهَا حَتَّى مَاتَتْ كَمَا^(٤).

٧ - مُلَيْكَةُ بِنْتُ كَعْبِ اللَّيْثِيِّ وَكَانَتْ تَذْكُرُ بِجَمَالِ بَارِعٍ فَخَدَعَتْهَا عَائِشَةُ فَقَالَتْ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْكَ فَطَلَّقَهَا النَّبِيُّ ﷺ^(٥) وَقَتْلَ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ أَبَاهَا بَعْدَ فَتْحِ مَكَّةَ فِي حَادِثَةِ بَنِي جَذِيمَةَ^(٦).

وَكَانَ إِصْرَارُ عَائِشَةَ وَحَفْصَةَ عَلَى الْإِسْتِمْرَارِ فِي خِدَاعِ زَوْجَاتِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْجَدِّدَ عَجَبِيًّا رَغْمَ الْغَضَبِ النَّبَوِيِّ الشَّدِيدِ تَجَاهَهُمَا، وَالْحَالَةَ النَّفْسِيَّةَ الْخَطِيرَةَ لِتِلْكَ الْمَطْلُوقَاتِ وَالْمُنْتَهِيَةِ بِالمَوْتِ لِبَعْضِهِنَّ.

٨ - وَضُبَاعَةُ بِنْتُ عَامِرِ الْقَيْسِيَّةِ، كَانَتْ عِنْدَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَدْعَانَ فَطَلَّقَهَا ثُمَّ تَزَوَّجَهَا هِشَامُ بْنُ الْمُغِيرَةِ فَأَوْلَدَهَا سَلْمَةَ، وَطَلَّقَهَا فَخَطَبَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى سَلْمَةَ. فَقَالَ: اسْتَأْمَرَهَا.

فَقَالَتْ: أَفِي رَسُولِ اللَّهِ! قَدْ رَضِيتُ^(٧).

(١) السِّدْرَةُ الْعَامِكُمْ ٥٨/٤، جُمِلَ مِنْ أَنْسَابِ الْأَشْرَافِ ٩٦/٢، طَبَقَاتُ ابْنِ سَعْدٍ ١٤٥/٨، أَنْسَابُ الْأَشْرَافِ ٥٩٧/٢.

(٢) مُخْتَصَرُ تَارِيخِ دِمَشْقَ ٢٨٧/٢، طَبَقَاتُ ابْنِ سَعْدٍ ١٤٥/٨، الْبَحَارُ ٢٢/٢٠٩.

(٣) طَبَقَاتُ ابْنِ سَعْدٍ ١٤٢/٨.

(٤) طَبَقَاتُ ابْنِ سَعْدٍ ١٤٦/٨، أَنْسَابُ الْأَشْرَافِ ٥٩٧/٢.

(٥) طَبَقَاتُ ابْنِ سَعْدٍ ١٤٨/٨، مُخْتَصَرُ تَارِيخِ دِمَشْقَ ٢٨٩/٢، طَبْعَةُ دَارِ صَادِرٍ - بَيْرُوتَ.

(٦) مُخْتَصَرُ تَارِيخِ دِمَشْقَ ٢٨٧/٢، أَنْسَابُ الْأَشْرَافِ ٥٩٩/٢، طَبْعَةُ دَارِ الْفِكْرِ.

(٧) عَيُونُ الْأَثَرِ ٣٩٢/٢ = ٣٩٤، تَارِيخُ الْيَعْقُوبِيِّ ٨٤/٢، ٨٥، تَارِيخُ ابْنِ الْأَثِيرِ ٣٠٧/٢.

والظاهر أنها طلّقت بخديعة عائشة وحفصة إذ ماتت كمداً وحزناً^(١). ونسب إليها رجال الحزب القرشي طوافها بالكعبة عارية وقولها في الجاهلية: اليوم يبدو بعضه أو كله^(٢) وهذا من كذب الحزب القرشي لحبها رسول الله ﷺ.

من آذت رسول الله ﷺ؟

وكانت عائشة وحفصة تؤذيان رسول الله ﷺ حتى يظلّ يومه غضبان كما قال البخاري^(٣).

وقالت حفصة للنبي ﷺ أمام عمر: تكلم ولا تقل إلّا حقاً فضربها عمر^(٤). ومن صور أذاها تشكيك عائشة في نسب إبراهيم بن رسول الله ﷺ^(٥) أي وصمت مارية بالزنا واتهمت إبراهيم بأنه لقيط! فأنزل الله تعالى براءتها في كتابه الكريم. في آيات الإفك. وقد غير الأمويون آيات الإفك لاحقاً لصالح عائشة بدل مارية^(٦).

فهل تعتبر عائشة وحفصة من جملة نساء رسول الله ﷺ المنتعم بهما؟ ومن مصاديق كذب عائشة على رسول الله ﷺ أنه أرسلها إلى امرأة من كلب لتتظر إليها فذهبت ثم رجعت.

فقال ﷺ لها: ما رأيت؟

قالت: لم أر طائلاً^(٧).

(١) تاريخ ابن هساكر ٢ / ٢٩٤، الروض الأثف ٢ / ٢٩١.

(٢) الروض الأثف ٢ / ٢٩١. جمل من أنساب الاشراف ٢ / ٩٩.

(٣) صحيح البخاري ٦٦ / ٦٩، الطبقات ٨ / ٥٦.

(٤) البحار ٢٢ / ١٧٤.

(٥) المستدرک الحاكم ٤ / ٤٢ طبعة دار الكتب العلمية بيروت.

(٦) راجع كتاب الإفك للسيد جعفر مرتضى.

(٧) اي ليس فيها فائدة.

فقال ﷺ: لقد رأيت خالاً بخذها اقشعرت له كل شعرة منك^(١).

فقالت عائشة: يا رسول الله ما دونك ستر^(٢).

وكانت أم حبيبة بنت أبي سفيان تبغض علياً^(٣) مثل عائشة وحفصة وقد قال

رسول الله ﷺ: يا علي لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق^(٤).

وورد أن رسول الله ﷺ فوض أمر نسائه بعد موته إلى علي^(٥) وجعل رسول

الله له أن يقطع عصمة أيتهن قائلاً: إذا عصت الله بعدي بالخروج عليك فأطلق لها في

الأزواج وأسقطها من شرف أمومة المؤمنين أي يقطع عصمة أيتهن شاء، وله من

الصحابة جماعة يشهدون بذلك^(٥).

ولم يعن طلحة بن عبد الله ابن عم عائشة برسول الله فاعلن رغبته في الزواج من

عائشة وأعلن عثمان رغبته في الزواج من أم سلمة^(٦) فنزل قوله تعالى:

﴿وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبداً إن

ذلكم كان عند الله عظيماً﴾^(٧).

وقد قال النبي ﷺ في صلاة الجمعة في المسجد النبوي عن منزل عائشة: ها هنا

الفتنة، ها هنا الفتنة من حيث يطلع قرن الشيطان^(٨).

وممن كذب على رسول الله ﷺ أيضاً الحارث ذلك إنه ﷺ خطب جمرة بنت

(١) أطلع جبرائيل ﷺ رسول الله ﷺ على جمالها وغضبت عائشة عند رؤيتها.

(٢) أنساب الأشراف ٢ / ٦٠١.

(٣) البحار ٢٣ / ١٢٣.

(٤) مستدرک الحاكم ٣ / ١٢٧، الرياض النضرة ٢ / ١٦٦.

(٥) البحار ٢٣ / ١٢٣، سفينة البحار ٢ / ٨٣، ٢٧٧، المناقب، ابن شهر آشوب ١ / ٣٣١ طبعة طهران

الأولى ١٣١٧، الدرجات الرفيعة ٣٠٣.

(٦) تفسير الحميري في تفسير الآية المذكورة وتفسير الدر المنثور للسيوطي في تفسير الآية السابقة.

(٧) سورة الأحزاب ٥٣، البحار ٣١ / ٢٣٨، الأمالي، المفيد ٦٢.

(٨) صحيح البخاري، كتاب اللباس ٤ / ٢٣ وقد معا النشاخ والناشرون اسم عائشة من الحديث في بعض

طبقات صحيح البخاري، البحار ٢ / ٢٨٧.

الحارث ابن عوف فقال أبوها: إنَّ بها برصاً وهو كاذب فبرصت. وهي أم شبيب بن البرصاء الشاعر^(١).

زواج النبي ﷺ من زينب بنت جحش

في المدينة ساعد النبي ﷺ المسلمين على الزواج ومنهم زيد بن حارثة إذ ساعده على الزواج من زينب بنت جحش، (ابنة عمته أمانة بنت عبدالمطلب). وكان زيد بن حارثة عبداً لحديجة فوهبته لرسول الله ﷺ فحرَّره وربَّاه.

وكان الناس في الجاهلية يتبنَّون من أحبُّوا من ممالئهم وغير ممالئهم، وعلى هذا الأساس تكون علاقتها ببعض مثل علاقة سائر الآباء بالأبناء من حرمة زواج الأب من زوجة ابنه، ولما لم يكن للنبي ﷺ أبناء فقد اعتقد بعض الناس أنَّه تبنَّى زيد بن حارثة.

وفي المدينة كانت هناك مشكلتان تتعلَّق بزيد بن حارثة: الأولى: علاقته غير الجيدة مع زوجته زينب بنت جحش.

الثانية: إعتقاد الكثير من الناس بينوة زيد لرسول الله ﷺ، وحرمة زواج النبي ﷺ من زوجة ابنه بالتبني زيد، وكان يسمى زيد بن محمد ﷺ^(٢). وهاتان المشكلتان حلَّهما الوحيد يتعلَّق في طلاق زيد لزينب وزواج النبي ﷺ منها.

بعد أن حاول النبي ﷺ أولاً إصلاح العلاقة الزوجية بينهما فلم ينفَع ذلك. وكان ﷺ في ذهنه أن يتزوَّج زينب إن طلقها زيد، لأنها ابنة عمته ومهاجرة غريبة في المدينة، وإنَّه ﷺ هو الذي زوجها من زيد الذي لا تريده الآن.

(١) أنساب الاشراف، ٢ / ٦٠٢.

(٢) المستدرك، الحاكم ٤ / ٢٥.

وكان زواجه ﷺ منها نهاية للإشاعة الجاهلية المنتشرة بين الناس والمتمثلة في بنوة زيد لرسول الله ﷺ. فحصل ذلك الأمر بطلاق زيد لزینب ثمّ زواج النبي ﷺ منها.

وعندها تكلم المنافقون الفضوليون في هذه القضية للإنتقام من النبي محمد ﷺ. وزاد الأمويون في أيام ملوكيتهم في القضية لتكون موضوعاً جيداً لكلّ معارض من عاربي الإسلام.

فصنعوا روايات معادية لرسول الله ﷺ على خطى روايات اليهود ضدّ النبي داود وسائر الأنبياء.

ومن ضمن موضوعاتهم زيارة النبي ﷺ بيت زيد ورؤيته زينب دون حجاب وتعلّق قلبه بها! ولا نعلم كيف اطلّعوا على قلب النبي ﷺ في تلك اللحظة وهم يروون أنّه كان وحده!

وكيف شاهدوا زينب بلا حجاب وغير ذلك من الافتراءات.

لقد كان النبي مطلقاً على مفاتن زينب الباكر قبل زواجها فلم يرغب في الزواج منها، وزوّجها من زيد فكيف يرغب في الزواج منها بعد سنوات من ذلك التاريخ. الأقرب للعقل أنّ زينب هي التي كانت تبغض زيدا، وترغب في الزواج من ابن خالها محمد ﷺ.

فعطف عليها النبي ﷺ وضمّها إلى نساته إضافة إلى المصلحة الأكيدة في الزواج منها والمتمثلة في نفي أبوته لزيد.

إنّ اليهود الذين بهتوا النبي داود عليه السلام في علاقته بزوجة تلميذه أوريا لهم اليد الطولى في نشر افتراءاتهم في قضية زواج النبي ﷺ من زينب^(١). ووصموا النبي ﷺ وموسى عليه السلام بالتعري اعتداءً على الساحة النبوية^(٢).

(١) راجع تفسير الفخر الرازي ٢٥/٢١٢، ١١٣.

(٢) مختصر تاريخ ابن عساكر ٩/١٢٩.

ومن غير المنطقي توجه رسول الله ﷺ وعمره قريب من الستين على زواج غرامي مع ابنة عمته التي لم يرغب بها سابقاً. وقد نزل في الحادثة قوله تعالى:

﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ﴾. الى قوله تعالى:

﴿فَلَمَّا قَفَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرَأَ زَوْجَانِهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْهِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرَأَ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولاً﴾^(١).

فالنبي يريد الإصلاح بينهما دون جدوى، واضعاً في نفسه زواجه منها ان طَلَّقَتْ. وكان رجال الجاهلية لا يتزوجون نساء أبنائهم بالتبني، في حين هنَّ حلال عليهم، فسُئِلَ القرآن واضحة المعالم بيّنة. ولولا هذا الزواج لنسبوا اسامة بن زيد إلى النبي ﷺ.

ولادة إبراهيم بن رسول الله ﷺ

كان النبي ﷺ مشتاقاً للحصول على ابن مثل سائر الناس، وكان طغاة الجاهلية ومنهم العاص بن وائل والد عمرو بن العاص بالتبني يصف النبي ﷺ بالأبتر فنزلت في العاص ابن وائل: ﴿إِنْ شَأْنُكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾^(٢).

وولد إبراهيم بن رسول الله ﷺ وأُمُّه مارية القبطية في ذي الحجة سنة ٨ هجرية، ولما وُلِدَ هبط جبرئيل على رسول الله فقال: السلام عليك يا أبا إبراهيم! وتنافس في نساء الأنصار أئِهِنَّ تَرْضَعُهُ، فدفعه رسول الله إلى أُمِّ بَرْدَةَ بنت المنذر بن زيد من بني النجّار، وعَقَّ رسول الله عنه بكيش.

وكانت قابله سلمى مولاة رسول الله امرأة أبي رافع، فجاء أبو رافع إلى رسول الله فأخبره فوهب له عبداً.

(١) الأحزاب ٣٧.

(٢) الكوثر ٣.

وغارت بعض نساء رسول الله ﷺ واشتد عليهن حيث رزق منها ولداً فروى الزهري عن عروة عن عائشة أنها قالت: دخل علي رسول الله ﷺ ومعه ابنه إبراهيم يحمله، فقال النبي ﷺ: أنظري إلى شبهه بي.

قالت عائشة: أرى شبهها.

قال ﷺ: أما ترين بياضه ولحمه؟

قالت: من قصر عليه اللقاح أبيضٌ وسمن^(١).

فشككت عائشة في نسب إبراهيم إليه ﷺ وهي رأس من أتهم مارية افتراءً بابن عمها.^(٢) فنزل في عائشة وعصبتها ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ﴾^(٣).

حيث رمت عائشة مارية القبطية بالزنا، وقالت للنبي ﷺ بأن ابنك إبراهيم من مارية لا يشبهك!

وأُنزل الله تعالى حينها: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا...﴾^(٤).

وفي قول إنها قالت لرسول الله ﷺ: ما يحزنك عليه فما هو إلا ابن جريج القبطي. فأمر رسول الله ﷺ علياً عليه السلام بقتله فذهب في أثر جريج الذي خاف من غضب علي عليه السلام فصعد فوق نخلة ووقع على الأرض فبدت عورته فإذا ليس له ما للرجال ولا ما للنساء فانصرف علي عليه السلام إلى النبي وأخبره.

فقال النبي ﷺ: الحمد لله الذي صرف عنا السوء أهل البيت^(٥).

(١) تاريخ اليعقوبي ٨٧/٢

(٢) راجع المستدرک، الحاكم ٤٢/٤ طبعة دار الكتب العلمية - بيروت.

(٣) النور ١١.

(٤) الحجرات ٦، تفسير القمي ٣١٨/٢.

(٥) تفسير القمي ٢ / ١٠٠.

ونزل في حق عائشة قوله تعالى: ﴿التي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثاً﴾. فهي نكثت إيمانها^(١).

وهي التي سمّت رسول الله بالشیطان الرجيم عندما رَغِبَت النساء في القول له: أَعُوذُ بِاللّهِ مِنْكَ.

والرجيم هو أخبث الشياطين لأنّه يرجم^(٢).

فقضية الإفك في اتهام عائشة لمارية بالزنا ينسجم مع أخلاق عائشة المعروفة بالشدّة والغلظة في معالجة الأحداث.

فكان تشكيكها بولده الوحيد أصدع لقلبه من تحرّصات العاص بن وائل! وسارع الحزب القرشي لنفي قضية افتراء عائشة على مارية وتحريف آية براءة مارية منها إلى عائشة أنظر كتاب حديث الإفك للسيد جعفر مرتضى العاملي. وتوفّي إبراهيم في سنة ١٠ هجرية وله سنة وعشرة أشهر، وكُسفت الشمس ساعتين من النهار، فقال الناس: كسفت لموت إبراهيم.

وقال رسول الله: إنّ الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا يكسفان لموت أحد ولا لحياته، فإذا رأيتم فافزعوا إلى مساجدكم.

وقال النبي ﷺ: إنّ العين تدمع والقلب يخشع وإنا بك يا إبراهيم لمحزونون ولكنّا لا نقول ما يسخط الربّ^(٣).

القرآن ونساء النبي ﷺ

ونزلت في عائشة وحفصة ما جاء في القرآن الكريم في سورة التحريم فتكون هذه السورة مفتاح معرفة شخصية عائشة وحفصة وامراتي نوح ولوط:

(١) تفسير العياشي ٢ / ٢٧٠، تفسير البرهان ٢ / ٣٨٣، البحار ٧ / ٤٥٤.

(٢) تفسير البرهان ٢ / ٣٨٤، البحار ١٤ / ٦٢٨، الصافي ١ / ٩٣٩.

(٣) تاريخ العقبوي ٨٧/٢.

﴿وإذ أسر النبي إلى بعض أزواجه حديثاً فلما تبأت به وأظهره الله عليه عرف بعضه وأعرض عن بعض فلما تبأها به قالت من أنبأك هذا قال نبأني العليم الخبير، إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما وإن تظاهرا عليه فإن الله هو مولاه وجبرئيل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهيرا، عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجاً خيراً منكن مسلمات مؤمنات قانتات ثابتات عابدات سائحات ثيبات وأبكار﴾^(١).

ثم قال سبحانه في سورة التحريم :

﴿ضرب الله مثلاً للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئاً وقيل ادخلا النار مع الداخلين﴾^(٢).

وقال عمر بن الخطاب لابن عباس إن المرأتين اللتين تظاهرتا على رسول الله ﷺ هما عائشة وحفصة^(٣).

وكانت عائشة وحفصة تؤذيان رسول الله ﷺ حتى يظل يومه غضبان^(٤). فقال عمر بن الخطاب لحفصة: لقد علمت إن رسول الله ﷺ لا يحبك^(٥).

وهما اللتان صوّرتا وعرفتا رسول الله ﷺ بالشيطان لنسائه الآخريات فقالت بعض نسائه الجدد الغافلات له: نعوذ بالله تعالى منك^(٦).

وعارضت عائشة رسول الله ﷺ في علاقة الرجال بالنساء فأجازت لأي

(١) التحريم ٣ - ٥.

(٢) التحريم: ١٠.

(٣) صحيح البخاري ٣ / ٢٠٦ ط. مصر سنة ١٩٣٢، كنز العمال ٢ / ٥٣٢ ح ٤٦٦٦، مسند أحمد ١ / ٤٨.

(٤) صحيح البخاري ٦ / ٦٩، طبقات ابن سعد ٨ / ٥٦.

(٥) صحيح مسلم ٤ / ١٨٨.

(٦) طبقات ابن سعد ٨ / ١٤٥، ١٦٠، المعبر ٩٤، مستدرک الحاكم ٤ / ٣٧، الاستيعاب ٢ / ٧٠٣، الإصابة ٣ / ٥٣٠.

ترجمة نصمان بن أبي الجون، البحار ٣٢ / ١٩١، أنساب الاشراف ٢ / ٥٦١.

رجل الدخول على أي امرأة باسم الرضاعة منها! فأدخلت سالم بن عبد الله بن عمر لحبها لجده على أختها أم كلثوم بنت أبي بكر ليرضع منها، فوضع منها ثلاث مرّات! ليحل له الدخول عليها! ^(١) وأهم موضع أنثوي جنسي عند المرأة هما الثديان. وكانت عائشة صاحبة الفتوى في زمن أبي بكر وعمر وعثمان، وعبر فتواها المذكورة تمكن الكثير من الرجال الدخول على النساء الراضيات بتلك الفتوى الغريبة!.

رأي عائشة في القرآن

أما رأي عائشة في القرآن فعجيب ومدهش إذ كانت تعتقد بأن رسول الله ﷺ يكتّم بعض آيات القرآن الكريم! فقد قالت عائشة لأم المؤمنين زينب بنت جحش ابنة عمّة النبي ﷺ بعد مقتل النبي ﷺ: يقال إنّ عندكم شيئاً من كتاب الله عز وجل لم تظهروه؟ فقالت زينب: لو كتم محمد ﷺ ممّا أنزل الله عز وجل عليه لكتم هذه الآية: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ﴾ ^(٢).

من هن المخالفات لرسول الله ﷺ؟

خالفت عائشة قول الله سبحانه وتعالى ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَةِ الْأُولَى﴾ ^(٣). وقالت أم سلمة لعائشة: وحذر رسول الله ﷺ نساءه من الانحراف عن الصراط؟ فقلنا نعوذ بالله وبرسوله من ذلك فضرب على ظهره فقال: إياك أن

(١) طبقات ابن سعد ٨ / ٤٦٢ ترجمة أم كلثوم بنت أبي بكر.

(٢) الأحزاب ٣٧، مختصر تاريخ دمشق، ابن حساكر ٢ / ٢٧٣.

(٣) الأحزاب ٣٣ / ٣٣.

تكونيها يا حميراء^(١).

وحينئذ كتبت أم المؤمنين أم سلمة إلى علي عليه السلام من مكة: أما بعد فإن طلحة والزبير وأشياهم أشياع الضلالة يريدون أن يخرجوا بعائشة ومعهم عبدالله بن عامر، يذكرون أن عثمان قُتل مظلوماً، والله كافيهم بحوله وقوته ولولا ما نهانا الله سبحانه عن الخروج وأنت لم ترضَ به لم أدع الخروج إليك والنصرة لك، ولكفي باعثة إليك بابني وهو عدل نفسي عمر ابن أبي سلمة، يشهد مشاهدك فاستوص به يا أمير المؤمنين خيراً، فلما قدم عمر على علي عليه السلام أكرمه ولم يزل معه حتى شهد مشاهده كلها^(٢).

وقد أرسلت عائشة إلى حفصة وغيرها من أمهات المؤمنين تسألن الخروج معها إلى البصرة فما أجابها إلى ذلك منهم إلا حفصة، لكن أخاها عبدالله أتاها فعزم عليها بترك الخروج فحطت رحلها بعد أن همّت^(٣).

ثم فرحت عائشة بمقتل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام^(٤) رغم معرفتها بحب رسول الله ﷺ له إذ قالت: ما رأيت رجلاً أحب إلى رسول الله ﷺ منه (علياً عليه السلام) ولا رأيت امرأة كانت أحب إليه من إمرأته^(٥).

وسبب فرح عائشة بمقتل علي عليه السلام يتمثل في قولها: قُتل علي لتصنع العرب ما شاءت، فليس أحدٌ ينهاها^(٦).

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي ٧٨/٢، ٧٩، ٢١٨/٦، معجم البلدان ٣٦٢/٢، الروض المطار ص ٢٠٦، تظهير الجنان، ابن حجر بهامش الصواعق المحرقة ص ٨-١٠.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي ٨٠ / ٢، تاريخ الطبري ٤٧٧ / ٣، معجم البلدان ٣٦٢ / ٢، الروض المطار، ابن حجر بهامش الصواعق المحرقة ١٠٨.

(٣) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي ٨٠ / ٢، تاريخ الطبري ٤٧٧ / ٣، معجم البلدان ٣٦٢ / ٢، الروض المطار، ابن حجر بهامش الصواعق المحرقة ١٠٨.

(٤) مقاتل الطالبين، أبو الفرج الاصفهاني ٤٣.

(٥) المقد الفريد ٤ / ٢٩٢.

(٦) الإستيعاب ٣ / ٢١٨.

أي لتعبد العرب من شاءت، ولتخالف شريعة محمد ﷺ متى أرادت، فقد قتل حامي الدين ونخيف الطغاة ومحطم الأصنام.

ولم تسمح فاطمة ؓ لعائشة وأبيها وعمر من حضور مراسم دفنها. وقد قال رسول الله ﷺ يا فاطمة إن الله ليغضب لغضبك ويرضى لرضاك^(١).

وفي حين قال النبي ﷺ: الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة منعت عائشة من دفن الحسن ؓ جنب جثمان جدّه رسول الله ﷺ^(٢) المدفون في بيت امه فاطمة ؓ.

وكانت زبيدة زوجة هارون الرشيد أفضل من عائشة إذ جاء: «لما قُتِل محمد الأمين دخل إلى السيِّدة زبيدة أمّه أحد خدمها، وقال لها ما يجلسك وقد قُتِل أمير المؤمنين؟ فقالت: ويلك ماذا أصنع؟

قال: تخرجين فتطلبين بثأره، كما خرجت عائشة تطلب بدم عثمان. فقالت: إخساً لا أمّ لك، ما للنساء وطلب الثأر ومنازلة الرجال؟ ثم أمرت بشيائها فسودّت، ولبست مسحاً من شعر»^(٣) وقال رسول الله ﷺ لعائشة يوماً: أفاخذك شيطانك^(٤).

وعن قضية إلحاق زياد بن أبيه بأبي سفيان قال سعيد بن المسيّب: أول قضية رُدّت من قضاء رسول الله ﷺ علانية قضاء فلان (معاوية) في زياد^(٥). وقال ابن أبي نجيح: أوّل حكم رُدّ من حكم رسول الله ﷺ علانية الحكم في

(١) كنز العمال ١٢ / ٣٤٢٣٨. وراجع كتاب السقيفة للمؤلف.

(٢) طبقات ابن سعد ٨ / ١٧٥، مختصر تاريخ دمشق، ترجمة الإمام الحسن ؓ، أنساب الاشراف ترجمة الإمام الحسن ؓ، مقاتل الطالبين ٧٤.

(٣) مروج الذهب ٢ / ٣٢٧.

(٤) مسند أحمد ٦ / ٢٢١.

(٥) تاريخ ابن عساكر ٩ / ٧٨.

زياد^(١). إذ أعلنها معاوية وكتبها عائشة: من عائشة أم المؤمنين إلى زياد بن أبي سفيان^(٢).

في حين قال النبي ﷺ: الولد للفراش وللماهر الحجر^(٣).

من هي التي ضربها رسول الله ﷺ ؟

لقد تعرضت عائشة للضرب من قبل رسول الله ﷺ وأبي بكر لأفعالها الكثيرة والمستمرة في مخالفة النبي ﷺ وظلم سائر نسائه ﷺ.

إذ تابعت عائشة رسول الله ﷺ ليلاً إلى البقيع دون إذنه أولاً وللتجسس عليه ثانياً فشاهاها النبي ﷺ فلحقها جارياً إلى منزلها فقال لها: أنت السواد الذي رأيته أمامي؟

قالت: نعم

قالت عائشة فلهزني^(٤) لهزة في صدري أوجعتني^(٥)

وقالت عائشة: خاصمت النبي ﷺ إلى أبي بكر فقلت: يا رسول الله ﷺ أقصد (اعدل).

فلطم أبو بكر خدي وسال الدم على ثيابي^(٦).

وبينما كانت عائشة المرأة الوحيدة القائلة لرسول الله ﷺ اعدل كان ذو الخويصرة زعيم الخوارج الرجل الوحيد القائل لرسول الله ﷺ اعدل^(٧).

(١) المصدر السابق.

(٢) مختصر تاريخ دمشق ٩ / ٧٨.

(٣) الاستبصار، الطوسي ٤ / ١٨٣.

(٤) يقال لهزة لهزة إذا ضربه بجمع كفه في صدره، عمدة الاخبار ١٢٤.

(٥) تاريخ المدينة المنورة ١ / ٨٩.

(٦) تفسير القرطبي ١٨ / ١٦١، تاريخ بغداد ترجمة محمد بن أبي بكر، كنز العمال ٧ / ١١٦ ح ١٠٢٠ ط.

حيدر آباد، احياء علوم الدين، الفزالي، كتاب آداب النكاح الباب الثالث ج ٢ ص ٢٩ ط. مصر

(٧) سليم بن قيس ٢٤٧، عمدة، ابن البطريق ٤٥٨ البحار ١٨ / ١١٣.

وقالت عائشة للنبي ﷺ أنت الذي تزعم أنك نبي الله؟^(١)
وفي أواخر أيام عمرها جلست عائشة ترأب مسلسل تاريخ حياتها وما
يستحق يوم القيامة فبكت كثيراً وقالت: يا ليتني كنت ورقة من هذه الشجرة^(٢).
وبذلك توضح رأي عائشة في رسول الله ﷺ وأهل بيته مبنياً على عدم
اطاعتهم ومحبتهم.

صفات نساء النبي ﷺ

كانت معظم نساء النبي ﷺ من الثيبات والعجائز والدميات المنظر فقد كانت
عائشة بنت أبي بكر سوداء دميمة في وجهها أثر مرض الجدري والحجاب هو الذي
أنقذها وبقي رسول الله ﷺ يكابد ألم النظر إليها وتحمل أخلاقها لحكمة يريد بها الله
تعالى فطلقها رسول الله ﷺ مع حفصة وسودة ولكن الحكمة الإلهية أوجبت أن لا
يطلق واحدة من نسائه في حياته وأجاز له ذلك بعد مماته.

وقد طلق الرسول عائشة وحفصة وسودة^(٣) باعتراف جميع العلماء لكن الكثير
منهم حذفوا شيئاً من الرواية لتحريف الموضوع والاساءة لرسول الله والكلمة
المحذوفة من الرواية هي بعض فالاصل طلق النبي ﷺ بعض نسائه فأصبح طلق
النبي ﷺ نساءه لتصويره بالجنون والعياذ بالله تعالى.

جاء في تاريخ يحيى بن معين ومصنفات الشيخ المفيد عن عباد: قلنا لسهيل بن
ذكوان هل رأيت عائشة أم المؤمنين؟

قال: نعم

(١) أحياء علوم الدين للفراني، كتاب النكاح الباب الثالث ٢ / ٢٩ ط. مصر.

(٢) طبقات ابن سعد ٨ / ٧٤، ٧٥ سيرة اعلام النبلاء ٢ / ١٧٩.

(٣) المستدرک ٤ / ١٧٥١٦، عيون الأثر ٢ / ٣٨٤، أنساب الاشراف ٢ / ٥٦١، فطلق النبي ﷺ عائشة
وحفصة وسودة بسبب أخلاقهن السيئة وكان لا يحسن نم راجعهم لحكمة ارادها الله تعالى.

قلنا: صفها

قال: كانت سوداء^(١).

وقال ابن حجر العسقلاني: إنها كانت أدماء (أي سوداء)^(٢).

وقال البخاري وابن حبان وابن حجر العسقلاني: بوجهها أثر جدري^(٣).

ومن المتصفين بنفس الصفة كان عثمان بن عفان ويزيد بن معاوية^(٤) أي صفة الأسود بوجهه أثر الجدري ولتقص الدواء سابقاً كان مرض الجدري يؤثر في الوجه تأثيراً خطيراً يجعله دميماً بالكاد تستطيع النظر إليه.

وروى الزبير بن بكار: أَنَّ الضحَّاك بن أَبِي سفيان الكلَّابي كان رجلاً دميماً قبيحاً، فلما بايعه النبي ﷺ قال للنبي: إِنَّ عِنْدِي امرأتين أَحْسَنَ مِنْ هَذِهِ الْحَمِيرَاءِ (أي عائشة قبل نزول آية الحجاب)، أَفَلَا أَنْزِلُكَ عَنْ إِحْدَاهُمَا فَتُزَوِّجُهَا؟ (وعائشة جالسة تسمع).

فقالت (عائشة): أَهِيَ أَحْسَنُ أَمْ أَنْتِ؟

فقال: بَلْ أَنَا أَحْسَنُ وَأَكْرَمُ.

فضحك النبي ﷺ مِنْ سَوَالِهَا إِيَّاهُ!^(٥)

الدلائل والعبر

من الأسباب المهمة الداعية لرسول الله ﷺ للزواج من عدّة نساء ومن قبائل وعشائر شتى هي كسب تلك القبائل والعوائل إلى صفوف المسلمين وتقوية أواصر العلاقة معها مثل بني أسد، وبني عامر بن لؤي، وبني عدي، وبني أمية، وبني مخزوم.

(١) تاريخ يحيى بن معين ٣/ ٥٠٩، مصنفات الشيخ المفيد ١/ ٣٦٩.

(٢) لسان الميزان، ابن حجر ٣/ ١٣٤، ٤/ ١٢٥ طبعة مجلس المعارف النظامية في الهند.

(٣) لسان الميزان، ابن حجر ٤/ ١٣٦ طبعة حيدر آباد - الهند.

(٤) تاريخ أبي الفداء ١/ ٢٦٧، تاريخ ابن الوردي ١/ ١٤٦.

(٥) السميع المهدّب ٢/ ٨-٩.

وبني خزاعة، وبني هلال، وبني آكل المار، وبني كندة، وبني كلب.

فتحققت بعض تلك الزيجات وفشلت أخرى بفعل دسائس بعض نساته وكلنا يعلم إن الناس في ذلك الوقت يلتزمون بالقبلية ويطيعون قوانينها وأعرافها.

فقد وقفت قبيلة بني النجار في المدينة مواقف مشرفة مع بني عبد المطلب في صراعاتهم لزواجهم فيها لأنهم أخوالهم.

وكان رسول الله ﷺ لا يرد طلب امرأة متقدمة للزواج منه فاستغل البعض ذلك للتقرب إلى جاء وشرف النبوة.

فقد قدم عمر بن الخطاب ابنته حفصة الثيبه للنبي فرضي رسول الله ﷺ بالزواج منها^(١)، والظاهر أنه تعلم ذلك من أبي بكر.

وقدم الأشعث بن قيس زعيم كندة أخته قتيلة لرسول الله ﷺ فرضي ﷺ بالزواج منها^(٢)، ثم ارتد وأخته.

والمسألة الأخرى إن زواج الرجال في الجاهلية والإسلام بأكثر من واحدة كان عادياً ومألوفاً فلم ينكره الناس في ذلك الزمن.

وفي أيامنا هذه وبفعل تأثر الناس بالحياة الغربية استنكر البعض الزواج بأكثر من امرأة.

وكانت الحروب تؤثر تأثيراً كبيراً على هذه القضية الاجتماعية فأصبحت من مشاكل المسلمين كثرة عدد النساء على الرجال إذ تعرّض آلاف من الناس للقتل في تلك المعارك.

فتزوج رسول الله ﷺ بأم سلمة المقتول زوجها وأم حبيبة المتنصر زوجها ليأوي أمثال هذه النساء في ديار الغربة .

(١) مجمع الزوائد، الهيثمي ٤ / ٢٧٧، فتح الباري ٧ / ٨٥

(٢) طبقات ابن سعد ٨ / ١٤٧.

ومن القضايا الحساسة المحتاجة للالتفات في ذلك الزمن كثرة سببايا المشركين من النساء.

فنكح المسلمون هذه النساء بالملك أو أنهم حرّروهن ثم تزوّجهنّ وقد خير رسول الله ﷺ صفية بنت حيي بن أخطب بين نكاحها بملك اليمين أو الزواج منها^(١) وكذلك خير ريمانه القرظية^(٢).

والشيء المهم الملحوظ أنّ الناس لم تتبع فتوى عائشة في الرضاة ولو اتبعوها لساءت الحالة الاجتماعية وكثر الفساد مثلما لم تتبع الناس اعتقاد عمر بنقص القرآن الكريم^(٣).

(١) الخصال، الصدوق ٤١٩.

(٢) مختصر تاريخ دمشق ٢ / ٢٩١.

(٣) الدر المنثور ١ / ١٠٦، صحيح البخاري ١٠ / ٤٣، الاتقان، أبو عبيدة ٢ / ٤٢.

الفصل السادس

محااولات اغتيال النبي ﷺ في المدينة



محاولة أبي سفيان اغتيال النبي ﷺ

كان أبو سفيان على رأس الرجال الظلمة الكفرة الساعين لإطفاء نور الإسلام قبل وبعد فتح مكة ولكن وسائله وطرقه لقتل الناس وإشاعة الكفر قد تغيرت بعد إعلانه الإسلام، إذ أصبح متوسلاً بالسرية والكتمان بعد أن كان متوسلاً بالصراحة والإعلان.

ومحاولته قتل رسول الله ﷺ وهو في مكة، واغتياله وهو في المدينة يؤيد ضلوع أبي سفيان في المحاولات اللاحقة لقتل رسول الله ﷺ في العقبة والمدينة، وضلوعه في عملية اغتيال أبي بكر لصالح عثمان.

وفعلًا نجح المشروع الأموي في اغتيال أبي بكر وإيصال عثمان بن عفان إلى الخلافة بدلاً عن أبي عبيدة بن الجراح المرشح لها بعد خلافة عمر بن الخطاب^(١). ذكر البيهقي: «كان أبو سفيان بن حرب قد قال لنفر من قريش بمكة: ما أحد يقتال محمداً، فإنه يمشي في الأسواق فتدرك ثأرنا، فأتاه رجل من العرب فدخل عليه منزله، وقال له: إن أنت قويتني^(٢) خرجت إليه حتى اغتاله، فإني هادي بالطريق خيريت، ومعى خنجر مثل خافية الثَّسَر.

(١) راجع كتاب اغتيال الخليفة أبي بكر والسيدة عائشة، للمؤلف.

(٢) في البداية والنهاية لابن كثير ٧٩/٤ «ان وهيتني».

قال: أنت صاحبنا، فأعطاء بعيراً ونفقة، وقال: إطو أَمرك، فإني لا آمنُ أن يسمع هذا أَحَدٌ فَيُنبِّئَهُ إلى محمد.

قال الأعرابي: لا يعلم به أحد.

فخرج ليلاً على راحلته فسار خمساً وصَبَّحَ ظَهَرَ الحَمْرَةِ، صُنِعَ^(١) سادسُهُ، ثم أَقْبَلَ يسأل عن رسول الله ﷺ حتى أَتَى المَصْلَى، فقال له قائل: قد تَوَجَّهَ إلى بني عبد الأشهل، فخرج يقود راحلته حتى انتهى إلى بني عبد الأشهل، فعقل راحلته، ثم أَقْبَلَ يَوْمَ رسول الله ﷺ فوجده في جماعة من أصحابه يُحَدِّثُ في مسجدهم، فدخل، فلما رآه رسول الله ﷺ قال لأصحابه: إِنَّ هذا الرجل يريد غدراً، والله حائل بينه وبين ما يريد. وهذا من دلائل النبوة.

فوقف، فقال: أيكم ابن عبد المطلب؟

فقال رسول الله ﷺ: أنا ابن عبد المطلب، فذهب ينحني على رسول الله ﷺ، كأنه يُسَارُّهُ، فَجَذَبَهُ أَسِيدُ بن حَضِرٍ، وقال له: تَنَحَّ عن رسول الله ﷺ، وجبَذَ بداخِلَةَ إزاره، فإذا الخنجر.

فقال رسول الله ﷺ: هذا غادرٌ، وسَقَطَ في يدي الأعرابي، وقال: دمي دمي يا محمد، وأخذ أَسِيدٌ يَلْبُبُ.

فقال رسول الله ﷺ: إصْدَقْنِي: ما أنت؟ وما أَقْدَمُكَ؟ فإن صدقتني نفعك الصدق، وإن كذبتني فقد أَطْلَعْتُ على ما هممت به.

قال الأعرابي: فأنا آمن؟

قال: فأنت آمن.

فأخبره بخبر أبي سفيان وما جَعَلَ له.

فأمر به فَحَسَسَ عند أَسِيدٍ، ثم دعا به من الغد فقال ﷺ: قد أَمْنْتُكَ فاذهب حيث

(١) في البداية والنهاية يوم سادسه.

شئت، أو خيرٌ لك من ذلك.

قال: وما هو؟ قال ﷺ: أن تشهد أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله.

قال: فإني أشهد أن لا إله إلا الله، وأنتك رسول الله، والله يا محمد ما كنت أفرق الرجال، فما هو إلا أن رأيتك فذهب عقلي، وَضَعْتُ نفسي، ثم اطلعت على ما هممتُ به مما سبقتُ به الركبان، ولم يعلمه أحدٌ، فعرفت أنك ممنوع، وأنتك على حقٍّ، وأنَّ حزب أبي سفيان حزب الشيطان، فجعل النبي ﷺ يتبسم.

وأقام أياماً ثم استأذن النبي ﷺ فخرج من عنده فلم يسمع له بذكر.

فقال رسول الله ﷺ لعمر بن أمية الضمري ولسلمة بن أسلم بن حريش: أخرجنا حتى تأتيا أبا سفيان بن حرب، فإن أصبنا منه غيرة فاقْتَلَاهُ، قال عمرو: فخرجنا أنا وصاحبي حتى أتينا بطن (يأجج)^(١).

فقيدنا بعيرنا، فقال لي صاحبي: يا عمرو هل لك في أن تأتي مكة ونطوف بالبيت سبعا، ونصلي ركعتين؟

فقلت: إني أعرفُ بمكة من الفرس الابلق، وإنهم إن رأوني عرفوني، وأنا أعرفُ أهل مكة أنهم إذا أمسوا انفجعوا بأفئيتهم، فأبى أن يطيعني، فأتينا مكة فطفنا سبعا، وصلينا ركعتين، فلما خرجتُ لقيني معاوية بن أبي سفيان فعرّفني وقال: عمرو بن أمية (وا حزناه)^(٢) فأخبر أباه فنيّد بنا أهل مكة.

فقالوا: ما جاء عمرو في خيرٍ - وكان عمرو رجلاً فاتكاً في الجاهلية - فحشد أهل مكة رجالهم وتجمعوا، فهرب عمرو وسلمة.

وخرجوا في طلبها، واشتدوا في الجبل. قال عمرو: فدخلت غاراً، فتغيبت عنهم، حتى أصبحت، وباتوا يطلبون في الجبل، وعقّى الله (سبعانه) عليهم طريق المدينة أن يهتدوا لراحلتنا.

(١) الزيادة من البداية والنهاية.

(٢) الزيادة من البداية والنهاية.

فلما كان الغد ضحوةً أقبل عثمان بن مالك بن عبيد الله التيمي يختلي لفرسه حشيشاً، فقلت لسلمة بن أسلم: إن أبصرنا أشعر بنا أهل مكة، وقد أقصروا عنا، فلم يزل يدنو من باب الغار حتى أشرف علينا وخرجت فطعنته طعنةً تحت الثدي، فسقط وصاح، وأسَمَعَ أهل مكة فأقبلوا بعد تفرقهم، ودخلت الغار فقلت لصاحبي: لا تتحرك وأقبلوا حتى أتوا عثمان بن مالك، فقالوا: من قتلك؟ قال: عمرو بن أمية.

قال أبو سفيان: قد علمنا أنه لم يأت بعمرٍ خيراً، ولم يستطع أن يخبرهم بمكاننا، كان بآخر رَمَقٍ ومات، وشغلوا عن طلبنا بصاحبهم يحملونه»^(١).

محاولة صفوان بن أمية اغتيال النبي ﷺ

قال رسول الله ﷺ عن أهل البيت ﷺ لا يحبهم إلا سعيد المجد طيب المولد، ولا ينفضهم إلا شقي الجذ رديء الولادة^(٢). وهذا القول الإلهي يصدق فيمن حاول اغتيال رسول الله ﷺ وأهل بيته.

واستمرت مؤامرات قريش ضد خاتم الأنبياء كما كان عليه الحال في مكة وكما كان الحال قبل حرب بدر، واشترك في تلك المؤامرات طغاة قريش جميعاً.

وقال كاتب السيرة محمد بن إسحاق: «جلس عمير بن وهب الجمحي مع صفوان بن أمية بعد مصاب أهل بدر من قريش في الحجر بيسير.

وكان عمير بن وهب شيطاناً من شياطين قريش، ومن يؤذي رسول الله ﷺ وأصحابه، ويلقون منه عناء وهو بمكة، وكان ابنه وهب بن عمير في أسارى بدر. أسره رفاعة بن رافع أحد بني زريق.

(١) دلائل النبوة، البيهقي ٣/ ٣٣٣ - ٣٣٧ طبع دار الكتب العلمية، بيروت، تاريخ الطبري ٢/ ٢١٧، طبع

مؤسسة الأعلمي - بيروت، البداية والنهاية ٧٩/ ٨١، طبع مؤسسة التاريخ العربي - بيروت.

(٢) مقتل الحسين ١٦/ ٢.

فذكر عمير أصحاب القلب ومصابهم.

فقال صفوان^(١): والله لا خير في العيش بعدهم.

قال له عمير: صدقت والله، أما والله لولا دين علي ليس له عندي قضاء، وعيال أخشى عليهم الضيعة بعدي، لركبت إلى محمد حتى أقتله، فإن لي قبلهم علة، إبني أسير في أيديهم.

فاغتنمها صفوان وقال: علي دينك، أنا أقضيه عنك، وعيالك مع عيالي أواسيهم ما بقوا، لا يسعني شيء ويمجز عنهم.

فقال له عمير: فاكم عني شأني وشأنك، قال صفوان: أفعل.

ثم أمر عمير بسيفه، فشحذ له وسّم، ثم انطلق حتى قديم المدينة.

فدنا عمير من النبي ﷺ ثم قال: انعموا صباحاً، وكانت تحية أهل الجاهلية بينهم.

فقال رسول الله ﷺ: قد أكرمنا الله بتحية خير من تحيتك يا عمير، بالسلام تحية أهل الجنة.

فقال عمير: أما والله يا محمد إن كنت بها لحديث عهد.

قال النبي ﷺ: فما جاء بك يا عمير؟

قال عمير: جئت لهذا الأسير الذي في أيديكم فأحسنوا فيه.

قال النبي ﷺ: فما بال السيف في عنقك؟

قال عمير: قبها الله من سيوف أهل أغنت عنا شيئاً

قال النبي ﷺ: إصدقني، ما الذي جئت له؟

قال عمير: ما جئت إلا لذلك.

قال النبي ﷺ: بل قعدت أنت وصفوان بن أمية في الحجر، فذكرتما أصحاب

(١) كان صفوان بن أمية من اعمدة الكفر في مكة وهو نظير أبي سفيان.

القليب من قريش، ثم قلت: لولا دَين علي وعيال عندي لخرجت حتى أقتل محمداً، فتحتل لك صفوان بدينك وعيالك، على أن تقتلني له، والله حائل بينك وبين ذلك. قال عمير: أشهد أنك رسول الله، قد كنا يا رسول الله نكذبك بما كنت تأتينا به من خبر السماء، وما ينزل عليك من الوحي، وهذا أمر لم يحضره إلا أنا وصفوان، فوالله إني لأعلم ما أتاك به إلا الله، فالحمد لله الذي هداني للإسلام، وساقني هذا المساق، ثم شهد شهادة الحق.

فقال رسول الله ﷺ: فقها أهاكم في دينه، وأقرئوه القرآن، وأطلقوا له أسيره، ففعلوا.

ثم قال عمير: يا رسول الله، إني كنت جاهداً على إطفاء نور الله، شديد الأذى لمن كان على دين الله عز وجل، وأنا أحب أن تأذن لي، فأقدم مكة، فأدعهم إلى الله تعالى، وإلى رسوله ﷺ، وإلى الإسلام، لعل الله يهديهم، وإلا آذيتهم في دينهم كما كنت أؤذي أصحابك في دينهم. فأذن له رسول الله ﷺ، فلحق بمكة.

وكان صفوان بن أمية - حين خرج عمير بن وهب - يقول: أبشروا بوقعة تأتيكم الآن في أيام، تنسيكم وقعة بدر، وكان صفوان يسأل عنه الركبان، حتى قدم راكب فأخبره عن إسلامه، فحلف أن لا يكلمه أبداً، ولا ينفعه بنفع أبداً. فلما قدم عمير مكة، أقام بها يدعو إلى الإسلام، ويؤذي من خالفه أذى شديداً، فأسلم على يديه ناس كثير.

قال ابن إسحاق: وعمير بن وهب هو الذي رأى إبليس حين نكص (فرّ) على عقبيه يوم بدر، فقال: أين أي سراق؟ فأنزله الله تعالى فيه:

﴿وإذ زين لهم الشيطان أعمالهم وقال لا خالب لكم اليوم من الناس وإني

جار لكم»^(١) فذكر استدراج إبليس إياهم، وتشبهه بسراقه بن مالك»^(٢).
وبقي صفوان بن أمية محارباً لله ولرسوله إلى أن أسلم كرهاً في فتح مكة مثل أبي
سفيان ومعاوية وحكيم بن حزام وغيرهم.
وقد سعى الأمويون إلى إضفاء الفضائل على قادة الحزب القرشي الكفرة
وتفضيلهم على المسلمين المهاجرين فذكروا روايات عديدة في فضائلهم لا أساس
لها من الصحة، وقد قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾^(٣)
وهؤلاء أقدموا بعد إسلامهم على جر المسلمين إلى الهزيمة في معركة حنين!^(٤)

محاولات أخرى لقتل النبي ﷺ

ومن المحاولات الأخرى خروج عتبة بن أبي لهب من مكة إلى المدينة مستخفياً
لقتل رسول الله ﷺ فقتله أسد في الطريق.^(٥)
وفي السنة الخامسة للهجرة طلب رجل من غطفان سيف النبي ﷺ فأعطاه له
فأراد الرجل قتل رسول الله ﷺ فكبته الله تعالى فأنزلت ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا
إِذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ أَنْ يَسْطُوا أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ﴾^(٦)
ومن المحاولات الأخرى جاء في القرآن الكريم:
﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ
جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّاباً رَحِيماً﴾^(٧)

(١) الأنفال: ٤٨.

(٢) سيرة ابن هشام ٣١٦/٢ - ٣١٩، مطبعة الحلبي، التبيان في تفسير القرآن، الطوسي ٤٦٣/٣، حلية الأبرار،
البحراني ١١٣/١.

(٣) الأنعام: ١٤٤.

(٤) تاريخ البقوي ٦٢/٢ ط. ليدن.

(٥) البهار ١٧ / ٤١٢.

(٦) المائدة ١١، أسباب النزول، الواحدى ١٢٨.

(٧) النساء: ٦٤.

قال أبو بكر الأصم في سبب النزول: «إِنَّ قوماً اصطلحوا على كيد في حق الرسول ﷺ، ثم دخلوا عليه لأجل ذلك الغرض، فأتاه جبريل ﷺ فأخبره به. فقال النبي ﷺ: إِنَّ قوماً دخلوا يريدون أمراً لا ينالونه فليقوموا وليستغفروا الله حتى أستغفر لهم، فلم يقوموا.

فقال النبي ﷺ: ألا تقومون، فلم يفعلوا.

فقال ﷺ: قم يا فلان، قم يا فلان حتى عدّ اثني عشر رجلاً منهم. فقاموا وقالوا: كنا عزمنا على ما قلت، ونحن نتوب إلى الله من ظلمنا أنفسنا فاستغفر لنا.

فقال النبي ﷺ: الآن اخرجوا، أنا كنت في بدء الأمر أقرب إلى الاستغفار؛ وكان الله أقرب إلى الإجابة، أخرجوا عني»^(١).

الواضح من هذا النص أن الذين اشتركوا في محاولة قتل النبي ﷺ هنا من أعمدة الحزب القرشي، بحيث أبدل الراوي أو الناسخ أو الناسر اسمهم إلى فلان وفلان. وهذه المجموعة قد كررت محاولاتها لقتل الرسول ﷺ.

محاولة شيبه بن عثمان اغتيال النبي ﷺ

وفي معركة حنين أراد البعض من الطلقاء اغتيال النبي ﷺ فلم يفلحوا منهم شيبه بن عثمان بن أبي طلحة أخو بني عبد الدار، وكان أبوه قد قتله علي ﷺ في معركة أحد^(٢).

٧ فقد كاد كفار قريش الإسلام مرة أخرى رغم إعلانهم الدخول في الإسلام قال اليعقوبي:

(١) تفسير النخعي الرازي ١٢٦/٤، طبعة دار احياء التراث العربي - بيروت.

(٢) تاريخ الخميس ١٠٣/٢، ١٠٤، تهذيب الكمال، المزي ٦٠٤/١٢، طبقات ابن سعد ٤٤٨/٥.

«وأبدى بعض قريش ما كان في نفسه. فقال أبو سفيان: لا تنتهي والله هزيمتهم دون البحر، وقال كلدة بن حنبل: اليوم بطل السحر، وقال شيبة بن عثمان: اليوم أقتل محمداً.

فأراد رسول الله أن يقتله فأخذ الحربه منه فأشعرها فؤاده. والظاهر هنا أن النبي ﷺ قد أخذ الحربه من شيبة بن عثمان بالقوة وأن شيبة قد هجم عليه بالفعل، فاضطر النبي ﷺ إلى أخذها منه ثم خطب بها قلبه. فقال رسول الله للعباس: صبح يا لأنصار، وصبح يا أهل بيعة الرضوان، صبح يا أصحاب سورة البقرة، يا أصحاب السُّمرة. ثم انفض الناس وفتح الله على نبيه وأيده بجنود من الملائكة، ومضى علي بن أبي طالب إلى صاحب راية هوازن فقتله، وكانت الهزيمة»^(١).

وتكررت محاولات قريش لقتل رسول الله ﷺ في مكة والمدينة وبعد اسلامهم في حنين والعقبة والمدينة! ثم نجح الحزب القرشي في قتل النبي ﷺ وابنته فاطمة ﷺ وابنها الحسن ﷺ والحسين ﷺ. كما سترى بعض ذلك في الفصول القادمة.

الفصل السابع

غزوة تبوك



من هو بمنزلة هارون من موسى عليه السلام ؟

قال أحمد بن حنبل والبلاذري واليعقوبي والبيهقي: خرج رسول الله ﷺ غرة رجب سنة ٩ هجرية واستخلف علياً عليه السلام على المدينة^(١).

فكان علي عليه السلام خليفة محمد ﷺ كما خلف موسى عليه السلام هارون عليه السلام عند ذهابه إلى الطور لقوله تعالى: ﴿واخلفني في قومي﴾^(٢).

وتثبت لعلي عليه السلام جميع منازل هارون عليه السلام الثابتة في الآية سوى النبوة ومن منازل الإمامة المراد بقوله: وأشرکه في أمري.

لما خلف النبي ﷺ علياً عليه السلام على المدينة قال له علي عليه السلام: أتمخلفني في النساء والأطفال؟

فقال النبي ﷺ: إن المدينة لا تصلح إلا بي أو بك ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى. إلا أنه لا نبي من بعدي ولا ينبغي أن أذهب إلا وأنت خليفة، وانت ولي كل مؤمن ومؤمنة من بعدي^(٣).

وكان البعض يخاف أشد الخوف من وصول الإمام علي عليه السلام إلى خلافة

(١) تاريخ اليعقوبي ٦٧/٢، دلائل النبوة، البيهقي ٢١٢/٥، مستد أحمد ١٧٧/١، كشف الغمة، الاربلي ٣٨/١، البحار ٣٩٣/٢٨، مناقب الإمام علي، ابن الدمشقي ٧٨/١، الإسلام، ابن حزم ٩٨٢/٧، التنبيه والاشراف، المسعودي ٣٢٦.

(٢) الاحراف: ١٤٢.

(٣) مستدرك الحاكم ١٤٤/٣، طبعة دار الكتب العلمية - بيروت، الأرشاد ١٠٦/١.

النبي ﷺ، لأنَّ ذلك يعني سيطرة بني هاشم على الحكم، وحرمان قريش من الخلافة،

وعُرفت خلافة علي عليه السلام الإلهية أكثر عندما تركه الرسول ﷺ على المدينة المنورة خليفة له ليحفظها واصفاً إياه بهارون من موسى. وكان موسى عليه السلام قد قال:

﴿قال رب اشرح لي صدري ويسر لي أمري واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي واجعل لي وزيراً من أهلي هارون أخي اشدد به أزري واشركه في أمري﴾^(١).

﴿وقال موسى لأخيه هارون اخلفني في قومي وأصلح ولا تتبع سبيل المفسدين﴾^(٢).

من الأمور الغريبة أنَّ شياطين بني أمية كانوا يسعون لطمع وإخفاء فضائل علي بن أبي طالب عليه السلام، ولما كانت تلك الفضيلة متواترة وممتشرة في الآفاق اندفعوا لافراغها من محتواها وتحريف دلالتها وهدفها وتزوير شواهد الموضوع وقرائنه.

أو إيجاد فضيلة مشابهة لهذه الفضيلة لشخص آخر، مثلما فعلوا في قضية سد أبواب المسجد إذ أمر رسول الله ﷺ بسد الأبواب إلّا بابه وباب علي عليه السلام فصنعوا حديثاً مزوراً: سدوا كل خوخة في المسجد غير خوخة أبي بكر^(٣). ونسوا خوخة عمر وعثمان!

وفي قضية غزوة تبوك صححوا حديث النبي ﷺ أنت مني مثل هارون من موسى إلّا أنهم كذبوا بتولية النبي ﷺ لمحمد بن مسلمة (اليهودي السابق) أو سباع بن عرفة^(٤) على المدينة.

(١) طه ٢٥، ٣٢.

(٢) الأعراف ١٤٢.

(٣) مسند أحمد ١ / ٢٧٠، الكافي ٨ / ٦١، الاحتجاج ١ / ١٨١ سنن الترمذي ٥ / ٢٧٠.

(٤) تاريخ ابن الأثير ٢ / ٢٧٨، جعل من أنساب الأشراف ١ / ٤٧١.

وقال الواقدي في مغازيه^(١) قائلاً: «إنما كانت أخبار الشام عند المسلمين كل يوم أكثر من يقدم عليهم من الأتباط، فقدمت قادمة فذكروا أن الروم قد جمعت جموعاً كثيرة بالشام، وأن هِرَقْل قد رزق أصحابه لسنة، وأجلب معه ثَمَمٌ وجُذَامٌ وغَسَانٌ وعامِلَةٌ وزحفوا وقَدَّمُوا مقدّماتهم إلى البلقاء وعسكروا بها، وتخلّف هِرَقْلُ بِحَمَص. ولم يكن ذلك، إنما ذلك شيء قيل لهم فقالوه. ولم يكن عدوّ أخوف عند المسلمين منهم، وذلك لما عاينوا منهم (إذ كانوا يقدمون عليهم تجاراً) من العُدَّة والعُدَّة والكُراع. وكان رسول الله قد غزا غزوة تبوك في حرٍّ شديد».

بعد عودة رسول الله ﷺ من الطائف أقام في المدينة مابين ذي الحجة إلى رجب ثم أمر الناس بالتهيؤ لغزو الروم وذلك في زمن عسرة من الناس وشدة من الحر وجذب من البلاد وحين طابت الغار وأحييت الظلال. فالناس يحبون المقام في ثمارهم وظلالهم ويكرهون الشخوص عنها على الحال من الزمان الذي هم عليه، وخرج رسول الله ﷺ إلى الشام للمطالبة بدم جعفر بن أبي طالب والرغبة في نشر الإسلام فحضر أهل الفنا على النفقة فأتوا بنفقات وقوّوا الضعفاء.

وسمي هذا الجيش بجيش العسرة لقلة النفقات وسميت الغزوة بغزوة الروم. وتبوك موضع بين وادي القرى والشام^(٢). والمسلمون في ثلاثين ألفاً من الناس والخيل عشرة آلاف فرس^(٣).

وكان رسول الله ﷺ قلباً يخرج في غزوة إلّا كفى عنها وأخبر أنّه يريد غير الذي يصمد له إلّا ما كان من غزوة تبوك فإنّه يبتئها للناس لبعد الشقة وشدة الزمان وكثرة العدو الذي يصمد له ليتأهب الناس لذلك، وأمر الناس بالجهاز وأخبرهم أنّه يريد الروم فتجهز الناس على ما في أنفسهم من الكره لذلك الوجه وقد عظموا ذكر الروم وغزروهم.

(١) المغازي ٩٨٩/٢.

(٢) معجم البلدان ١٤ / ٢.

(٣) عيون الأثر ٢٥٤ / ٢.

ثم إن رجالاً من المسلمين أتوا رسول الله ﷺ وهم البكاؤون وهم سبعة نفر من الأنصار وغيرهم فاستحملوا رسول الله ﷺ وكانوا أهل حاجة فقال:

﴿لا أجد ما أحملكم عليه تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزناً أن لا يجدوا ما ينفقون﴾^(١) قال فبلغني أن يامين بن عمير بن كعب النظري لقي أبا ليلى عبد الرحمن بن كعب وعبد الله بن مَعْقِل وهما يبيكان فقال لهما ما يُيكيكما.

قالا جئنا رسول الله ﷺ ليحملنا فلم نجد عنده ما يعملنا عليه وليس عندنا ما نتقوى به على الخروج معه فأعطاهما ناضحاً فارتحلاه وزودهما من تمر فخرجا مع رسول الله ﷺ.

وجاء المعذرون من الأعراب فاعتذروا إليه فلم يعذرهم الله عز وجل وكانوا من بني غفار منهم خفاف بن أيماء بن رخصة ثم استتب رسول الله ﷺ سفره وأجمع السير.

وخرج رسول الله ﷺ يوم الخميس إلى غزوة تبوك وخرجوا في تبوك الرجلان والثلاثة على بعير وخرجوا في حر شديد فأصابهم يوماً عطش شديد حتى جعلوا ينحرون إبلهم فيعصرون أكراشها ويشربون ماءها فكان ذلك عسرة من الماء وعسرة من الظهر وعسرة من النفقة^(٢).

ثم إن أبا خيشمة أخا بني سالم رجع بعد أن سار رسول الله ﷺ أياماً إلى أهله في يوم حارٍّ فوجد امرأتين له في عريشين لهما في حائط قد رشت كل واحدة منها عريشها وبردت له فيه ماء وهيات له فيه طعاماً فلما دخل فقام على باب العريشين فنظر إلى امرأته وما صنعتا له قال رسول الله ﷺ: في الضحِّ والريح وأبو خيشمة في ظلال باردة وماء بارد وطعام مهياً وامرأة حسناء في ماله مقيم ما هذا بالتَّصِف ثم

(١) التوبة ٩٢.

(٢) طبقات ابن سعد ٢ / ١٦٧، مناقبي الذهبي ٦٣٤.

قال والله لا أدخل عريش واحدة منكما حتى ألحق برسول الله فهيتا لي زاداً ففعلتا ثم قدم ناضحه فارتحلته ثم خرج في طلب رسول الله ﷺ حتى أدركه حين نزل تبوك.

وأدرك أبو خيثمة عمير بن وهب الجمحي في الطريق بطلب رسول الله ﷺ فترافقا حتى إذا دنوا من تبوك قال أبو خيثمة لعمير بن وهب إن لي ذنباً فلا عليك أن تخلف عني حتى آتي رسول الله ﷺ ففعل ثم سار حتى إذا دنا من رسول الله ﷺ وهو نازل بتبوك قال الناس: يا رسول الله هو والله أبو خيثمة فلما أناخ أقبل فسلم على رسول الله ﷺ فقال له رسول الله: أولى لك يا أبا خيثمة ثم أخبر رسول الله الخبر فقال له رسول الله ﷺ خيراً ودعا له بخير^(١).

وكان رسول الله ﷺ حين مر بالحجر (مساكن ثمود) نزها واستقى الناس من بئرها فلما راحوا منها قال رسول الله ﷺ: لا تشربوا من مائها شيئاً ولا تتوضأوا منها للصلاة وما كان من عجين عجنتموه فاعلفوا الإبل ولا تأكلوا منه شيئاً. ولا يخرجن أحد منكم الليلة لهبوب ريح شديدة إلا ومعه صاحب له وقال ﷺ: لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم إلا أن تكونوا باكين أن يصيبكم ما أصابهم وتقعن ﷺ بردائه وهو على الرحل^(٢).

وكانوا قد استقوا الماء من آبار ثمود فأراقها رسول الله ﷺ ورحل بهم إلى البئر التي كانت تشرب منها الناقة^(٣).

ف فعل الناس ما أمرهم به رسول الله ﷺ إلا رجلين من بني ساعدة خرج أحدهما لحاجته وخرج الآخر يطلب بعيراً له فأما الذي ذهب لحاجته فإنه خُفق على مذهبه وأما الذي ذهب في طلب بعيره فاحتملته الريح حتى طرحته في جبل

(١) معاذي الهمي ٦٣٣، سيرة أبي حاتم ١ / ٣٧٠، دلائل النبوة، البيهقي ٥ / ٢٢٣.

(٢) البداية والنهاية ٥ / ١٤.

(٣) البداية والنهاية ٥ / ١٥، دلائل النبوة، البيهقي ٥ / ٢٣٤.

طِيء فَأَخْبَرَ بِذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: أَلَمْ أَنْهَكُمُ أَنْ لَا تَخْرُجَ أَحَدٌ إِلَّا وَمَعَهُ صَاحِبٌ لَهُ ثُمَّ دَعَا الَّذِي أَصِيبَ عَلَىٰ مَذْهَبِهِ فَشَنَّى وَأَمَّا الْآخَرُ الَّذِي وَقَعَ بِجَبَلِ طِيءٍ فَإِنَّ طِيئًا أَهْدَتْهُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ حِينَ قَدِمَ الْمَدِينَةَ.

من دلائل النبوة

وجاء أبو ذر على بعيره فلما أبطأ عليه أخذ متاعه فحمله على ظهره ثم خرج يتبع أثر رسول الله ماشياً ونزل رسول الله في بعض منازل فنظر ناظر من المسلمين فقال يا رسول الله إن هذا الرجل يمشي على الطريق وحده فقال رسول الله ﷺ كن أبا ذر فلما تأمله القوم قالوا: يا رسول الله هو أبو ذر، فقال رسول الله ﷺ يرحم الله أبا ذر يمشي وحده ويموت وحده ويُبْعَث وحده.

ولما نفي عثمان أبا ذر إلى الربة أصابه بها قدره ولم يكن معه أحد إلا امرأته وغلامه فأوصاهما أن غسلاني وكفناي ثم ضعاني على قارعة الطريق فأول ركب يمر بكم قولوا: هذا أبو ذر صاحب رسول الله فأعينونا على دفنه فلما مات فعلا ذلك به ثم وضعاه على قارعة الطريق فأقبل عبد الله بن مسعود ورهط من أهل العراق عُمَاراً فلم يرعهم إلا ببجاجة على الطريق قد كادت الإبل تطأها، وقام إليهم الغلام فقال هذا أبو ذر صاحب رسول الله فأعينونا على دفنه؛

فاستهل عبد الله بن مسعود يبكي ويقول: صدق رسول الله تمشي وحدك وتموت وحدك وتبعث وحدك ثم نزل هو وأصحابه فواروه.^(١)

أعمال المنافقين في حملة تبوك

فقال رسول الله ﷺ ذات يوم وهو في جهازه للجد بن قيس أخي بني سلمة هل

(١) مغازي الذهبي، ٦٣٣، تاريخ ابن الأثير ٢ / ٢٨٠، تاريخ الطبري ٢ / ٣٧١، دلائل النبوة، البيهقي ٥ / ٣٢١.

لك يا جدد العام في جلا د بني الأصفر؟

فقال يا رسول الله أو تأذن لي ولا تفتني فوالله لقد عرف قومي ما رجل أشد عجباً بالنساء مني وإني أخشى إن رأيت نساء بني الأصفر أن لا أصبر عنهن. فأعرض عنه رسول الله ﷺ وقال قد أذنت لك في الجدد بن قيس نزلت هذه الآية:

﴿ومنها من يقول ائذن لي ولا تفتني﴾^(١) والرغبة بنفسه عن نفسه ﷺ أعظم وإن جهنم لمن ورائه^(٢).

وقال قائل من المنافقين لبعض لا تنفروا في الحر زهادة في الجهاد وشكاً في الحق وإرجافاً بالرسول فأنزل الله تبارك وتعالى فيهم ﴿وقالوا لا تنفروا في الحر قل نار جهنم أشد حراً لو كانوا يفقهون - إلى قوله - جزاء بما كانوا يكسبون﴾^(٣).

ثم إن رسول الله صلى عليه وآله وسلم جد في سفره فأمر الناس بالجهاز والانكاش وخَصَّ أهل الغنى فاحتسبوا.

وتخلف كعب بن مالك بن أبي أخو بني سلمة (وكعب بن مالك لم يبايع علياً عليه السلام في خلافته) ومرارة بن الربيع أخو بني عمرو بن عوف وهلال بن أمية أخو بني واقف وأبو خيثمة أخو بني سالم بن عوف.

فلما خرج رسول الله ﷺ ضرب عسكره على ثنية الوداع وضرب عبد الله بن أبي بن سلول عسكره على جدّة أسفل منه بمحذاء ذباب جبل بالجبانة أسفل من ثنية الوداع وكان فيما يزعمون ليس بأقل العسكرين فلما سار رسول الله ﷺ تخلف عنه عبد الله بن أبي فيمن تخلف من المنافقين وأهل الريب وكان عبد الله ابن أبي أخا بني

(١) التوبة ٤٩.

(٢) تاريخ الطبري ٢ / ٣٦٧، دلائل النبوة البيهقي ٥ / ٢١٤.

(٣) التوبة ٨١: ٨٢.

عوف بن المخزرج وعبد الله بن نبتل أخا بني عمرو بن عوف ورفاعة بن زيد بن التابوت أخا بني قَيْنَقَاع وكانوا من عظماء المنافقين وكانوا ممن يكيدون الإسلام وأهله وفيهم أنزل الله عز وجل:

﴿لقد ابتغوا الفتنة من قبل وقلبوا لك الأمور﴾^(١).

فلما أصبح الناس ولا ماء معهم شكوا ذلك إلى رسول الله ﷺ فدعا الله فأرسل الله سحابة فأمطرت حتى ارتوى الناس واحتملوا حاجتهم من الماء وكان الرجل ليعرف النفاق من أخيه ومن أبيه ومن عمه ومن عشيرته ثم يلبس بعضهم بعضاً على ذلك ثم قال محمود بن لبيد: لقد أخبرني رجال من قومي عن رجل من المنافقين معروف نفاقه كان يسير مع رسول الله ﷺ حيث سار فلما كان من أمر الماء بالحجر ما كان ودعا رسول الله ﷺ حين دعا فأرسل الله السحابة فأمطرت حتى ارتوى الناس أقبلنا عليه نقول ويمك هل بعد هذا شيء.

قال أوس بن قيطي^(٢): سحابة مارة.

ثم إن رسول الله ﷺ سار حتى إذا كان ببعض الطريق ضلّت ناقته فخرج أصحابه في طلبها، وقال زيد بن اللصيب القينقاعي وكان منافقاً: أليس يزعم محمد أنه نبي يخبركم عن خبر السماء وهو لا يدري أين ناقته.

فقال رسول الله ﷺ: إني والله ما أعلم إلا ما علّمني الله وقد دلني عليها وهي في الوادي من شعب كذا وكذا قد حبستها شجرة بزمامها فانطلقوا حتى تأتوا بها. فذهبوا فجاؤا بها.

فرجع عمارة بن حزم إلى أهله فقال والله لعجب من شيء حدثناه رسول الله ﷺ آنفاً عن مقالة زيد بن اللصيب فقال رجل ممن كان في رحل عمارة ولم يحضر رسول الله: زيد والله قال هذه المقالة قبل أن تأتي فأقبل عمارة على زيد في عنقه يقول يا

(١) التوبة ٤٨.

(٢) تاريخ ابن الأثير ٢ / ٢٧٩، تاريخ الطبري ٢ / ٣٧٠.

عباد الله والله إنَّ في رحلي لداهية وما أدري، أخرج يا عدو الله من رحلي فلا تصحبني فزعم بعض الناس أن زيداً تاب عن ذلك وقال بعض لم يزل متبهاً بشراً حتى هلك^(١).

ثم مضى رسول الله ﷺ سائراً فجعل يتخلف عنه الرجل فيقولون يا رسول الله تخلف فلان فيقول دعوه فإن يك فيه خير فسيلحقه الله بكم وإن يك غير ذلك فقد أراحكم الله منه.

وقد كان رهط من المنافقين منهم ودیعة بن ثابت أخو بني عمرو بن عوف ومنهم رجل من أشجع حليف لبني سلمة يقال له نخشي بن حُمير يسيرون مع رسول الله ﷺ وهو منطلق إلى تبوك فقال بعضهم لبعض: أتعسبون قتال بني الأصفر كقتال غيرهم والله لكأنی بكم غداً مقرّنين في الحبال أرجافاً وترهيباً للمؤمنين فقال نخشي بن حُمير والله لوددت أني أقاضي على أن يضرب كل رجل منا مائة جلدة وأنا تنفلت أن ينزل الله فينا قرآناً لمقاتلكم هذه.

فقال رسول الله ﷺ لعمار بن ياسر أدرك القوم فإنهم قد احترقوا فسلهم عما قالوا فإن أنكروا فقل بلى قد قلت كذا وكذا فانطلق إليهم عمار فقال لهم ذلك. فأتوا رسول الله ﷺ يعتذرون إليه. فقال ودیعة بن ثابت: يا رسول الله كنّا نخوض ونلعب.

وأقام رسول الله ﷺ بتبوك بضعة عشرة ليلة ولم يجاوزها ثم انصرف قافلاً إلى المدينة فكان في الطريق ماء يخرج من وشلي ما يروي الراكب والراكبين والثلاثة بواد يقال له وادي المشفق فقال رسول الله ﷺ من سبقنا إلى ذلك الماء فلا يستقين منه شيئاً حتى نأتيه فسبقه إليه نفر من المنافقين فاستقوا ما فيه.

فلما أتاه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقف عليه فلم ير فيه شيئاً فقال: من سبقنا إلى هذا الماء فقبل له يا رسول الله: فلان وفلان.

(١) منازي الذهبی ٦٤١، تاریخ ابن الاثیر ٢ / ٢٨٠، تاریخ الطبری ٢ / ٣٧١.

فقال ﷺ أو لم نهنهم أن يستقوا منه شيئاً حتى نأتيه ثم لعنهم رسول الله ودعا عليهم ثم نزل ﷺ فوضع يده تحت الوشل فجعل يصب في يده ما شاء الله أن يصب ثم نضحه به ومسحه بيده.

ودعا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بما شاء الله أن يدعوا فانخرق من الماء كما يقول من سمعه إن له حساً كحس الصواعق فشرب الناس واستقوا حاجتهم منه فقال رسول الله ﷺ: من بقي منكم ليسمعن بهذا الوادي وهو أخصب ما بين يديه وما خلفه^(١).

علاقة الرسول ﷺ بهرقل وأهالي الشام

وبعث رسول الله ﷺ رسالته إلى هرقل من تبوك بيد دحية الكلبي فلما وصله الكتاب دعا قسيسي الروم وبطارقتها ثم أغلق عليه وعليهم الدار. فقال: قد نزل هذا الرجل حيث رأيتم وقد أرسل إليّ يدعوني إلى ثلاث خصال: يدعوني أن أتبعه على دينه، أو نعطيه مالنا على أرضنا والأرض أرضنا، أو نلقاه في حرب.

والله لقد عرفتم فيما تقرأون من الكتب ليأخذن ماتحت قدمي فهلن فلتتبعه على دينه أو نعطيه مالنا على أرضنا.

فنخروا نخرة رجل واحد حتى خرجوا من برانسهم وقالوا: تدعونا إلى أن نذر النصرانية ونكون عبيداً لأعرابي جاء من الحجاز؟

فلما ظن أنهم إن خرجوا من عنده أفسدوا عليه الروم رقاهم (سكنهم) ولم يكذب. وقال:

إنما قلت ذلك لأعلم صلابتكم على أمركم^(٢).

(١) تاريخ ابن الأثير ٢ / ٢٨٠، تاريخ الطبري ٢ / ٣٧٣.

(٢) البداية والنهاية ٥ / ٢٠.

فلما انتهى رسول الله ﷺ إلى تبوك أتاه يحته بن رؤية صاحب أيلة فصالح رسول الله صلى الله عليه وآله وأعطاه الجزية وصالحه أهل جرباء وأذرح فأعطوه الجزية وكتب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لكل كتاباً.

فلما انتهى رسول الله ﷺ إلى تبوك أتاه يحته بن رؤية صاحب أيلة فصالح رسول الله ﷺ وأعطاه الجزية وصالحه أهل جرباء وأذرح فأعطوه الجزية وكتب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لكل كتاباً.

أما عن علاقة اليهود بمحلمة تبوك فقد جاء في تفسير قوله تعالى
«وإن كادوا ليستفزونك من الأرض ليخرجوك منها وإذا لا يلبثون خلافاً إلا قليلاً»^(١).

بأنها نزلت في اليهود الذين قالوا لرسول الله: إن الأنبياء إنما بعثوا بالشام وهي بلاد مقدسة وكانت مهاجر إبراهيم عليه السلام فلو خرجت إلى الشام لآمننا بك واتبعناك وقد علمنا أنه لا يمنعك من الخروج إلا خوف الروم، فإن كنت رسول الله فالله مانعك منهم.

فغزا النبي ﷺ غزوة تبوك لا يريد إلا الشام فلما بلغ تبوك أنزل الله تعالى آياته في ذلك وأمره بالرجوع إلى المدينة ففيها حيتاء ومماته ومنها بيعت^(٢).

محاوله اغتيال النبي ﷺ في العقبة

لما رجع رسول الله ﷺ قافلاً من تبوك إلى المدينة، حتى إذا كان ببعض الطريق، مكر به ناس من أصحابه، وتآمروا أن يطرحوه في العقبة^(٣) وأرادوا أن يسلكوها

(١) الإسراء ٧٦.

(٢) الروض الأنف، السهلي، موضوع غزوة تبوك، دلائل النبوة، البيهقي ٥ / ٢٥٤.

(٣) العقبة: مرقن صلب من الجبال، والطريق في أهلها، والجمع عقاب وعقبات ووأحدها القمب. أقرب

معه هذه الغاية، فأخبر رسول الله خبرهم، فقال لأصحابه: من شاء منكم أن يأخذ بطن الوادي فإنه أوسع لكم.

فأخذ النبي ﷺ العقبة، وأخذ الناس بطن الوادي إلا نفر الذين أرادوا المكر به، فقد استعدوا وتلثموا، وأمر رسول الله ﷺ حذيفة بن اليمان وعمار بن ياسر فشيئا معه مشياً، وأمر عماراً أن يأخذ بزمام الناقة، وحذيفة يسوقها، فبينما هم يسرون، إذ سمعوا وكزة القوم من ورائهم، قد غشوه.

فغضب رسول الله ﷺ، وأمر حذيفة أن يراهم، ويتعرف عليهم، فرجع ومعه محجن، فاستقبل وجوه رواحلهم، وضربها بالمحجن، وأبصر القوم وهم متلثمون، فأرعبوا حين أبصروا حذيفة، وظنوا أن مكرهم قد ظهر، فأسرعوا حتى خالطوا الناس.

وأقبل حذيفة حتى أدرك رسول الله، فلما أدركه، قال ﷺ: إضرب الناقة يا حذيفة، وامش أنت يا عمار، فأسرعوا وخرجوا من العقبة، ينتظرون الناس.

فقال النبي ﷺ: يا حذيفة هل عرفت أحداً منهم؟ فقال حذيفة: عرفت راحلة فلان وفلان، وكانت ظلمة الليل قد غشيتهم وهم متلثمون.

فقال رسول الله ﷺ: هل عرفت ما شأنهم وما يريدون؟

قال حذيفة: لا يا رسول الله.

قال ﷺ: فإنهم فكروا أن يسبوا معي، حتى إذا صرت في العقبة طرحوني فيها!

فقال حذيفة: فلا ترأف بهم إذا جاءك الناس.

قال: أكره أن يتحدث الناس، ويقولوا: إن محمداً قتل أصحابه، ثم ساءهم

بأسائهم^(١).

(١) السيرة الحلبية ١٤٣/٢ طبعة دار احياء التراث العربي - بيروت، ودلائل النبوة لابي بكر أحمد البهيقي

وفي كتاب أبان بن عثمان بن عفان، قال الأعمش: وكانوا اثني عشر، سبعة من قریش.

قال حذيفة: لو حدثتكم بمحدث لكذبني ثلاثة أثلاثكم. ففطن له شاب، فقال: من يصدقك إذا كذبك ثلاثة أثلاثنا! فقال: إن أصحاب محمد ﷺ كانوا يسألون رسول الله ﷺ عن الخير، وكنت أسأله عن الشر. فقيل له: ما حملك على ذلك؟

فقال حذيفة: إنَّه من عرف الشر، وقع في الخير^(١). وقال الحسن بن علي ؑ: «يوم أوقفوا الرسول ﷺ في العقبة ليستنفروا ناقته كانوا اثني عشر رجلاً منهم أبو سفيان»^(٢). وذكر ابن عبد البر الأندلسي في كتابه الإستهباب: كان أبو سفيان كهفاً للمنافقين منذ أسلم^(٣).

وروى مسلم في صحيحه عن الوليد بن جميع عن أبي الطفيل: قال: وفي مسند حذيفة بن اليمان عن أبي الطفيل «كان بين رجل من أهل العقبة وبين حذيفة بعض ما يكون بين الناس، فقال: أنشدك الله، كم كان أصحاب العقبة؟ فقال له القوم أخبره إذ سألك؟

فقال حذيفة: كنا نخبر أنهم أربعة عشر، فإن كنت منهم فقد كان القوم خمسة عشر»^(٤).

٥ - ٢٦٠/٥ - ٢٦٢ طبع دار الكتب العلمية - بيروت، وأخرجه مسلم في ص ٥٠ كتاب صفات المنافقين واحكامهم، كتاب أبان بن عثمان.

(١) مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر، ابن منظور ٢٥٩/٦.

(٢) كتاب المفارجات، الزبير بن بكار، شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد ١٠٣/٢ ط. دار الفكر ١٣٨٨ هـ.

(٣) الإستهباب ٦٩٠/٢.

الغازي التوبة ١٠٤٢/٣، مجمع البيان ٤٦/٣، امتاع الأسعاع ٤٧٧/١.

تفسير ابن كثير ٦٠٢/٢، ٦٠٥، طبع دار احياء التراث العربي - بيروت.

(٤) تفسير ابن كثير ٦٠٥/٢، كنز العمال، المتقي الهندي ٨٦/١٤.

لقد أخفى' ناشر كتاب مسلم ذكر اسم ذلك الرجل وهو أبو موسى الأشعري، وذكره صاحب كتاب كنز العمال^(١) ولو كان من الأنصار لذكر اسمه حفظاً للأمانة؟ ووفق رواية حذيفة بن اليمان كان في هؤلاء الرجال أبو بكر وعمر وعثمان وطلحة وسعد بن أبي وقاص^(٢). إضافة للأشعري وأبي سفيان اللذين ذكرناهم. وذكر البيهقي عن عروة بن الزبير قائلًا:

ورجع رسول الله ﷺ قافلًا من تبوك إلى المدينة، حتى إذا كان ببعض الطريق مَكَرَّ برسول الله ﷺ ناسٌ من أصحابه فتأمروا [عليه] أن يطرحوه في عَقْبَةِ في الطريق فلما بلغوا العقبة أرادوا أن يسلكوها معه، فلما غَشِيَهُم رسول الله ﷺ أُخْبِرَ خبرهم.

فقال: من شاء منكم أن يأخذ بطن الوادي فإنه أوسع لكم، وأخذ النبي ﷺ العقبة، وأخذ الناس بطن الوادي إِلَّا التَّفَرَّ الذين مَكَرُوا برسول الله ﷺ لما سمعوا بذلك استعدُّوا وتلَّثَّمُوا، وقد هُمُّوا بأمرٍ عظيم.

وأمر رسول الله ﷺ حُذَيْفَةَ بن اليمان، وَعِمَارَ بن ياسر، فمشيا معه مشياً، وأمر عماراً أَنْ يأخذ بزمامِ الناقة، وأمر حذيفة أن يسوقها فبينما هم يسرون إذ سمعوا بالقوم من ورائهم قد غشوه فغضب رسول الله ﷺ، وأمر حذيفة أن يردهم.

وأبصر حذيفة غضب رسول الله ﷺ، فرجع ومعه محجن، فاستقبل وجوه رواحلهم، فضربها ضَرْباً بالمحجن، وأبصر القومَ وهم متلثمون، لا يشعرُ إِنْما ذلك فِعْلُ المسافر، فَرَعَبَهُم الله عزَّ وجلَّ حين أبصروا حذيفة، وظنوا أن مكرهم قد ظهر عليه، فأُسْرِعُوا حتى خالطوا الناس.

وأقبل حذيفة حتى أدرك رسول الله ﷺ، فلما أذركه قال: إضرب الراحلة يا حذيفة، وامش أنت يا عمار، فأُسْرِعُوا حتى استوى بأعلاها فخرجوا من العقبة

(١) كنز العمال، ١٤ / ٨٦ طبع مؤسسة الرسالة - بيروت.

(٢) المعلن، ابن حزم الأندلسي ١١ / ٢٢٥ طبع دار الفكر، وابن حزم قد توفي سنة ٤٥٦ هجرية.

ينتظرون الناس.

فقال النبي ﷺ: لحذيفة: هل عرفت من هؤلاء الرهط أو الركب، أحداً منهم؟ قال حذيفة: عرفت راحلةً فلان وفلان، وكانت ظُلُمَةُ الليل، قد غشيتهم وهم متلثمون.

والمقطع الصحيح ذكره اليعقوبي أَنَّ حذيفة قال: إِنِّي لأعرف أسماءهم وأسماء آبائهم وقبائلهم^(١) والظاهر أَنَّ الناسخ هو الذي عا اسمائهم لأنَّ القضية كانت شائعة إلى درجة إقدام ابن حزم الناصبي على ذكر اسمائهم.

فقال النبي ﷺ: هل علمتم ما كان شأنُ الركب وما أرادوا؟ قالوا: لا والله يا رسول الله.

قال النبي ﷺ: فإنهم مكروا ليسيروا معي حتى إذا أظلمت في العقبه طرحتوني منها.

قالوا: أفلا تأمرُ بهم يا رسول الله إذا جاءك الناس فَتَضْرِبْ أعناقهم؟ قال النبي ﷺ: أكره أن يتحدَّث الناس ويقولوا إن محمداً قد وضع يده في أصحابه، فسماهم لها، وقال: أكتماهم^(٢). إذن كان حذيفة وعسار يعرفان أسماء المنافقين.

وقد عودنا الرواة والنسّاج والناشرون على وضع كلمتي فلان وفلان بدل أبي بكر وعمر.

وقد ذكر ابن أبي الحديد المعتزلي عمر وعثمان بدل فلان عند ذكر المنهزمين من معركة أحد^(٣).

(١) تاريخ اليعقوبي ٦٨ / ٢.

(٢) نقله الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية (٥: ١٩)، عن المصنف، وقد روى الخبر الإمام أحمد عن أبي الطفيل، وابن سعد عن جبير بن مطعم.

دلائل النبوة، البيهقي ٢٥٦/٥، ٢٥٧ طبعة دار الكتب العلمية - بيروت.

(٣) نظريات الخلفيتين، المؤلف ٢٦٦/٢، شرح النهج، المعتزلي ٣٩٠/٢ طبع دار الكتب العلمية - مصر.

رواية ابن حزم الأندلسي

وكشف حذيفة بن اليمان القنسي (صاحب سر النبي ﷺ) كما وصفه الخليفة عمر^(١) محاولة بعض الصحابة قتل النبي ﷺ في غزوة تبوك، وذلك بالقائه من العقبة^(٢) في الوادي.

وقد ذكر ابن حزم الأندلسي المتوفى سنة ٤٥٦ هـ هذه الحادثة في كتابه المحلى قائلا:

«وأما حديث حذيفة فساقط، لأنه من طريق الوليد بن جميع، وهو هالك، ولا نراه يعلم من وضع الحديث، فإنه قد روى أخباراً فيها أن أبا بكر وعمر وعثمان وطلحة وسعد بن أبي وقاص أرادوا قتل النبي ﷺ، وإلقاءه من العقبة في تبوك، ولو صحّت لكانت بلا شك على ما بينا من أنهم صَحَّ نفاقهم، وعاذوا بالتوبة، ولم يقطع حذيفة ولا غيره على باطن أمرهم، فتورّع عن الصلاة عليهم»^(٣).

والوليد بن جميع هو الوليد بن عبد الله بن جميع. جاء في كتاب ميزان الاعتدال للذهبي: الوليد بن جميع وثقه ابن معين، والعجلي، وقال أحمد، وأبو زرعة ليس به بأس، وقال أبو حاتم: صالح الحديث^(٤).

وجاء في كتاب الجرح والتعديل للرازي^(٥): عن إسحاق بن منصور، عن يحيى بن معين، الوليد بن جميع ثقة.

وذكره ابن حجر العسقلاني في الإصابة في جملة رواة^(٦).

(١) اسد الغابة، ابن الاثير، ترجمة حذيفة ٤٦٨/١، طبعة دار احياء التراث العربي - بيروت.

(٢) العقبة: الجبل الطويل يترسّ للطريق فيأخذ فيه وهو طويل صعب شديد، لسان العرب لابن منظور ٦٢١/١.

(٣) المحلى، ابن حزم الأندلسي ٢٢٥/١١.

(٤) ميزان الاعتدال ٣٣٧/٤ رقم ٩٣٦٢ طبع دار المعرفة - بيروت.

(٥) الجرح والتعديل ج ٨/٩ طبع دار الكتب العلمية - بيروت.

(٦) الإصابة ج ٤٥٤/١.

وذكره ابن كثير في جملة رواته الثقات^(١).

وذكره مسلم في صحيحه في جملة رواته الثقات^(٢).

ولما كان الحاكم قد اطلع على حديث حذيفة المذكور بواسطة الوليد بن عبد الله بن جُميع، فقد قال: «لو لم يذكره مسلم في صحيحه لكان أولى»^(٣). وهذا يعني أن الوليد بن جُميع ثقة في نظر الحاكم ولكنه مزعج منه لذكره الحديث المذكور. فالحاكم يريد منه أن يذكر بعض الأحاديث ويكتفم البعض الآخر الفاضح لزعماء السياسة.

إذن وفق رأي مسلم، والذهبي، وابن معين، والعجلي، وأبي زرعة، وأبي حاتم، والرازي، والحاكم وابن حجر يكون سند الحديث صحيحاً، فهو لا يوثقون حذيفة بن اليمان، والوليد بن جُميع.

وقطع ابن حزم الأندلسي بعدم صلاة حذيفة على أبي بكر وعمر وعثمان إذ قال: «ولم يقطع حذيفة ولا غيره على باطن أمرهم فتورع عن الصلاة عليهم»^(٤).

حذيفة صاحب سر النبي ﷺ، وكان عمر يسأله إذا مات ميت، فإن حضر الصلاة عليه صلى عليه عمر، وإن لم يحضر حذيفة الصلاة عليه لم يحضر عمر^(٥). لتحريم الصلاة على المنافقين ﴿وَلَا تُصَلُّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ﴾^(٦).

إن الذي مات في زمن عمر وحذيفة هو أبو بكر. وقطع ابن حزم الأندلسي بعدم

(١) البداية والنهاية ٣٦٢/٤، ٣١٠/٥، ٢٢٥/٦.

(٢) صحيح مسلم ١٤١٤/٣ حديث ٩٨ - ١٧٨٧ طبعة دار احياء التراث العربي - بيروت.

(٣) المحلى لابن حزم ٢٢٥/١١.

(٤) المحلى، ابن حزم الأندلسي ٢٥٥/١١.

(٥) الاستيعاب، ابن عبد البر ٢٧٨/١، هامش الإصابة وأسد النجابة، ابن الأثير ٤٦٨/١، السيرة الحلبية

١٤٤، ١٤٣/٣.

(٦) التوبة: ٨٤، ولم يصل عليهم أمير المؤمنين علي عليه السلام.

صلاة حذيفة عليه. طاعة للآية القرآنية. ولم يصل المسلمون على جثمان عثمان إلا أربعة^(١).

وذكر ابن عساكر صاحب تاريخ دمشق أيضاً، أنَّ حذيفة لم يصل على فلان^(٢) أي أبا بكر وهذه عادة معروفة مع الشيخين أبي بكر وعمر. والظاهر أن ابن عساكر ذكره والناسخ أو الناشر أبدله بفلان!

وقد صرح النبي ﷺ^(٣) وعليه عمر^(٤) بمعرفة حذيفة بن اليمان بأسماء المنافقين، فقد قال علي عليه السلام: ذاك امرؤ علم المعضلات والمفصلات، وعلم أسماء المنافقين، إن تسألوه عنها تجدوه بها عالماً^(٥).

وحذيفة لم يخبر أحداً بأسماء المنافقين، لكنه لم يصل عليهم! والمقصود بهم هنا مجموعة المهاجرين للنبي في العقبة.

قال حذيفة: مرّ بي عمر بن الخطاب وأنا جالس في المسجد فقال لي: يا حذيفة! إن فلاناً^(٦) قد مات فاشهده.

ثم مضى، إذ كاد أن يخرج من المسجد، التفت إليّ فرآني وأنا جالس فعرف، فرجع إليّ فقال: يا حذيفة أنشدك الله أمن القوم أنا؟ قلت: اللهم لا ولن أبرئ أحداً بعدك. قال: فرأيت عيني عمر جاء تا^(٧).

(١) تاريخ اليعقوبي ٢ / ١٧٦.

(٢) مختصر تاريخ دمشق، ابن عساكر ٢٥٣/٦، طبعة دار الفكر الأولى - دمشق.

(٣) مختصر تاريخ دمشق ٢٥٣/٦، المستدرک، الحاكم ٣٨١/٣.

(٤) المصدر السابق.

(٥) مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر، ابن منظور ٢٥٢/٦، أسد الغابة، ابن الأثير ترجمة حذيفة ٤٦٨/١.

طبعة دار أحياء التراث العربي - بيروت، تاريخ دول الإسلام، شمس الدين الذهبي ص ٢٢.

(٦) أي أبا بكر.

(٧) مختصر تاريخ دمشق ٢٥٣/٦، طبعة دار الفكر الأولى ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م، وكان عمر إذا مات ميت

أي عرف عمر عدم رغبة حذيفة بالصلاة على جثمان أبي بكر. ولو صرح حذيفة باسم عمر لقتله.

واستمر عمر وأصحابه في التجسس على الشاهدين والعارفين بأسماء منافقي العقبة لتصفيتهم وهذه عادة معروفة في حوادث التأريخ. فروى ابن عساكر: «دخل عبدالرحمن على أم سلمة رضي الله عنها، فقالت:

سمعت النبي ﷺ يقول: إن من أصحابي لمن لا يراني بعد أن أموت أبدأ. فخرج عبد الرحمن من عندها مذعوراً، حتى دخل على عمر، فقال له: إسمع ما تقول أمك. فقام عمر حتى دخل عليها، فسأها، ثم قال أنشدك الله أمنهم أنا؟ قالت: لا ولن أبرئ بعدك أحداً^(١).

وكان ابن عوف وعمر من رجال العقبة^(٢)، لذلك ذعرا من قول أم سلمة وتركها شغلها وجاءا لها يسألانها.

والظاهر أن عمر كان خائفاً جداً من هذا الموضوع بحيث سأل عنه حذيفة وأم سلمة!

ولقد وقع حذيفة وأم سلمة في حرج شديد من سؤال عمر الخطير لها وأن هذا المخرج يتضح من قولها له: لن أبرئ بعدك أحداً.

وقال نافع بن جبير بن مطعم بن نوفل القرشي (وأبوه كان من اعداء النبي ﷺ): «لم يخبر رسول الله ﷺ بأسماء المنافقين، الذين يخسوا به ليلة العقبة بتبوك غير حذيفة، وهم اثنا عشر رجلاً»^(٣).

١- سأل من حذيفة، فإن حضر الصلاة عليه صلى عليه عمر، وإن لم يحضر حذيفة الصلاة عليه لم يحضر عمر، الاستيعاب، ابن عبد البر الأندلسي ٢٧٨/١ هامش الإجابة، أسد الغابة، ابن الأثير ٦٨/١، السيرة الحلبية ١٤٣/٣.

(١) مختصر تاريخ دمشق ٣٣٤/١٩، ولو اشتهرت لقتلت والحقت بفاطمة ؓ وسعد بن عباد.

(٢) منتخب التواريخ ص ٦٣.

(٣) مختصر تاريخ ابن عساكر ٢٥٢/٦، المستدرک الحاكم ٣٨١/٣.

ولقد أضافوا إلى حديث ابن عساكر شيئاً لم يكن موجوداً في أصله، وهو: ليس فيهم قرشي، وكلهم من الأنصار أو من حلفائهم؟! ليعيدوا الجريمة عن قريش، ويضعوها على عاتق الأنصار، كما فعلوا ذلك في حوادث عديدة: إذ ادعوا قيام العباس بن عبد المطلب بسقي النبي ﷺ شراباً قبل موته^(١)، ومنها السقيفة! إذ اتهموا زوراً سعد بن عباداً بمحاولة اغتصاب السلطة، في حين قاموا هم بسقي النبي ﷺ الشراب القاتل^(٢) واغتصاب السلطة.

وقال حذيفة: لو كنت على شاطئ نهر، وقد مدت يدي لأغرف، فحدّثتكم بكل ما أعلم، ما وصلت يدي إلى في، حتى أقتل^(٣).

أي لو أخبر حذيفة بأساء المنافقين الأحياء منهم والأموات، لقتلوه بسرعة، لذلك لم يخبر بأسائهم في زمن حكم أبي بكر وعمر وعثمان ولكنه كان لا يصلّي عليهم وهذه إشارة ذلك، وفي بداية زمن حكم أمير المؤمنين علي عليه السلام صرح بأسائهم وفيهم الأشعري فقتله أبو موسى الأشعري والي عثمان على الكوفة!

وقال حذيفة: خذوا عتاً فإننا لكم ثقة، ثم خذوا عن الذين يأخذون عتاً، فإنهم لكم ثقة، ولا تأخذوا عن الذين يلونهم.

قالوا: لم؟

قال: لأنهم يأخذون حلو الحديث ويدعون مؤرّه، ولا يصلح حُلُوهُ إِلَّا بِمُرٍّ^(٤).
وقال حذيفة: لقد حدّثني رسولُ الله ﷺ بما يكون حتى تقوم الساعة، غير أني لم أسأله ما يخرج أهل المدينة منها^(٥).

(١) صحيح البخاري ١٧/٧، صحيح مسلم ٢٤/٧، ١٩٨، معجم ما استعجم، عبد الله الأندلسي ص ١٤٢.

(٢) راجع كتاب السقيفة وكتاب هل اغتيل النبي محمد ﷺ للمؤلف.

(٣) مختصر تاريخ ابن عساكر ٢٥٩/٦.

(٤) مختصر تاريخ ابن عساكر ٢٥٩/٦.

(٥) مختصر تاريخ ابن عساكر ٢٤٩/٦.

وكانت سيرة أبي موسى الأشعري غير مرضية بالعمل والقول وقد اتهمه أعظم الصحابة بالنفاق. فقد ذكره حذيفة في جملة منافقي ليلة العقبة:

إذ جاء في الرواية: أن عماراً سُئِلَ عن أبي موسى فقال: سمعت فيه من حذيفة قولاً عظيماً، سمعته يقول: صاحب البرنس^(١) الأسود، ثم كلع كلوحاً علمت منه أنه كان ليلة العقبة بين ذلك الرهط^(٢). ولكن هل يصح عدم معرفة عمار باسمه؟ ستجد في رواية قادمة معرفة عمار باسم الأشعري من لسان النبي ﷺ مباشرة!

وذكرت كتب السيرة أن المنافقين المذكورين كانوا حرباً لله ورسوله^(٣). وأخرج ابن عدي في الكامل وابن عساكر في التاريخ على ما في منتخب كنز العمال بالإسناد عن أبي نجاء حكيم قال: كنت جالساً مع عمار فجاء أبو موسى فقال: ما لي ولك؟ الست أخاك؟

قال (عمار): فإدري ولكن سمعت رسول الله ﷺ يلعنك ليلة الجبل (العقبة). قال: إنه استغفر لي.

قال عمار: قد شهدت اللعن ولم اشهد الاستغفار^(٤). فاعترف الأشعري باشتراكه في هجوم العقبة، وأقر بلعن رسول الله ﷺ له، وهو اعتراف بمشاركة سائر رجال قريش الذين ذكرهم ابن حزم في المحلى في المهجوم، وتثبيت للعن رسول الله ﷺ لهم جميعاً. وصرح أبو هريرة بقبول النبي ﷺ لعن أبي بكر^(٥).

(١) البرنس: قلنسوة طويلة وكان الناسك يلبسونها في صدر الإسلام قال الجوهري: هو كل ثوب رأسه منه ملتزق به من دراعة أو جبة * المختار ٣٧ ب.

(٢) كنز العمال ١٤ / ٦٨.

(٣) تفسير ابن كثير ٦٠٥/٢ طبعة دار احياء التراث العربي - بيروت.

(٤) منتخب كنز العمال ٢٣٤/٥. وقد حذف الناسخ أو الناشر هذه الرواية من تاريخ ابن عساكر القيم رعاية لحفظ الأمانة الشرعية! وطاعة للزعامة السياسية.

(٥) مسند أحمد بن حنبل ٢ / ٤٣٦ وراجع كتاب اغتيال الخليفة أبي بكر وعائشة للمؤلف ص ٨٣.

ونزل في المنافقين المحيطين بالنبي ﴿وممن حولكم من الاعراب منافقون ومن أهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم سنعذبهم مرتين ثم يردون الى عذاب عظيم﴾^(١).

مسجد ضار

ثم أقبل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى نزل بذي أوان بلد بينه وبين المدينة ساعة من نهار وكان أصحاب مسجد ضار قد أتوه وهو يتجهز إلى تبوك فقالوا يا رسول الله إنا قد بنينا مسجداً لذي العلة والحاجة والليلة المطيرة والليلة الشاتية وإنا نحب أن تأتينا فتصلي لنا فيه فقال صلى الله عليه وآله وسلم إني على جناح سفر وحال شغل ولو قد منا إن شاء الله أتيناكم فصلينا لكم فيه، فلما نزل ﷺ بذي أوان أتاه خبر المسجد فدعا رسول الله ﷺ مالك بن الدخشم أخا بني سالم بن عوف ومعين بن عدي أخا بني العجلان فقال: انطلقا إلى هذا المسجد الظالم أهله فاهدماه وحرّقاه، فخرجا سريعين حتى أتيا بني سالم بن عوف وهم رهط مالك بن الدخشم، فقال مالك لمن أنظرني حتى أخرج إليك بنار من أهلي فدخل إلى أهله فأخذ سقفاً من النخل فأشعل فيه ناراً ثم خرجا يشندان حتى دخلا المسجد وفيه أهله فحرّقاه وهدماه، وتفرقوا عنه ونزل فيهم من القرآن ما نزل:

﴿والذين اتخذوا مسجداً ضاراً وكفراً وتفريقاً بين المؤمنين﴾^(٢) إلى آخر

القصة وكان الذين بنوه اثني عشر رجلاً^(٣).

ذلك أن المنافقين بنوا مسجداً قريباً من مسجد قباء وأرادوا أن يصلي لهم رسول الله فيه حتى يروج لهم ما أرادوا من الفساد والكفر والعناد فعصم الله سبحانه رسوله من الصلاة فيه لأنه كان على جناح سفر إلى تبوك، فلما رجع ونزل ذا أوان مكان بينه

(١) التوبة ١٠١.

(٢) التوبة ١٠٧.

(٣) مغازي الذهبي ٦٤٧.

وبين المدينة ساعة نزل عليه الوحي في شأن هذا المسجد. فقوله تعالى ضراباً فلأثمهم أرادوا مضاهاة مسجد قباء وكفراً بالله لا للإيمان به، وتفريقاً للجماعة عن مسجد قباء.

وهذا المسجد مقر لأعوان أبي عامر الراهب الفاسق^(١) الذي قال لهم: ابنوا مسجدكم واستمدوا ما استطعتم من قوة ومن سلاح فأني ذاهب إلى قيصر ملك الروم فأتيكم بجند من الروم، فأخرج محمداً وأصحابه^(٢).

ولما عاد من الشام قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا يكلمن أحد منكم هؤلاء الثلاثة المتخلفين كعب بن مالك ومرارة بن الربيع وهلال بن أمية.

وأثناء من تخلف عنه من المنافقين فجعلوا يحلفون له ويعتذرون فصنع عنهم رسول الله ولم يعذرهم الله ولا رسوله واعتزل المسلمون كلام هؤلاء الثلاثة النفر حتى أنزل الله عز وجل قوله:

﴿لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار - إلى قوله - وكونوا مع الصادقين﴾.

فتاب الله عليهم.

وقدم رسول الله ﷺ المدينة من تبوك في شهر رمضان وقدم عليه في ذلك الشهر وقد تقيف، ولما عادوا من تبوك جعل بعض المسلمين يبيعون أسلحتهم ويقولون: قد انقطع الجهاد. فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فنهاهم قائلاً: لا تزال عصاة من أمتي يجاهدون على الحق حتى يخرج الدجال^(٣).

وأكثر الأمويون في الأكاذيب في غزوة تبوك فقالوا: إن عثمان بن عفان الأموي

(١) البداية والنهاية ٥ / ٢٧.

(٢) دلائل النبوة، البيهقي ٥ / ٢٦٣.

(٣) طبقات ابن سعد ٢ / ١٦٧.

أنفق نفقة عظيمة لم ينفق أحد أعظم منها قيل كانت ثلاثمائة بعير وألف دينار^(١).
والرواية عن الوليد بن أبي هشام وهو مولى عثمان بن عفان وهو الذي روى
مناقب في صالح عثمان مقابل أموال بني أمية ومن رواياته المزيقة: ما على عثمان ما
فعل بعد هذا اليوم^(٢) وقال علماء الحديث عن الحديث غريب^(٣).
وقالوا عن الراوي الآخر للرواية فرقد أبي طلحة: لا يعرف^(٤) أي أن فرقد رجل
مختلف من مختلفات السياسة الأموية!
وقد كذب الأمويون في هذه الغزوة كثيرا للتغطية على دور عثمان في عملية العقبة.
وللإطلاع أكثر راجع المصادر المثبتة في الهامش^(٥).

غزوة دومة الجندل

وأرسل رسول الله ﷺ خالد بن الوليد في أربعمئة وعشرين فارساً في رجب
سنة تسع إلى أكيدر بن عبد الملك بدوحة الجندل وبينها وبين المدينة خمس عشرة
ليلة وكان أكيدر من كندة قد ملكهم وكان نصرانياً. وقال النبي ﷺ لخالد: ستجد
ملكهم يصيد البقر.
وفي تلك الليلة المقمرة الصائفة كان الملك على سطح له ومعه امرأته فباتت البقر

(١) تاريخ ابن الاثير ٢ / ٢٧٧.

(٢) تهذيب الكمال، المزي ١٧ / ٨١.

(٣) المصدر السابق.

(٤) من له رواية في كتب السنة، الذهبي ٢ / ١٢٠.

(٥) عيون الأثر ٢ / ٢٥٣ - ٢٦٠، تاريخ الطبري ٢٦٧ - ٢٧٣، طبقات ابن سعد ٢ / ١٦٥ مغازي الذهبي ٦٢٨،
تاريخ ابن الاثير ٢ / ٢٧٧ - ٢٨٤، تاريخ العقوبي ٢ / ٦٦، الوفا بأحوال المصطفى ابن العوزي ٧٢٥، جمل
من أنساب الاشراف ١ / ٤٧١، سيرة أبي حاتم ١ / ٣٦٦، البداية والنهاية ٥ / ٥ - ٤٧، السيرة الشامية
٥ / ٦٢٦، شرح العواهب اللدنية، الزرقاني ٣ / ٦٢، تاريخ أبي الفداء ١ / ٢١٠، تاريخ خليفة ٤٤، المتظم،
ابن الجوزي ٢ / ٣٦٢ - ٣٧١، دلائل النبوة، البيهقي ٥ / ٢١٢، صحيح البخاري، كتاب الجهاد ١٩٦، فتح
الباري ٦ / ١٩١، سنن أبي داود ٣ / ٩٠.

تحك بقرونها باب القصر.

فقال امرأته: هل رأيت مثل هذا قط؟

قال: لا والله.

قالت: فمن يترك هذا.

قال: لا أحد فنزل فأمر بفرسه فأسرج له وركب معه نفر من أهل بيته فيهم أخ له

يقال له حسان، فركب وخرجوا معه بمطاردهم فلما خرجوا تلقتهم خيل رسول الله ﷺ فأخذته وقتلوا أخاه حسان، وقد كان عليه قباء له من ديباج مخصوص بالذهب فاستلبه خالد وبعث به إلى رسول الله ﷺ قبل قدومه عليه.

ودخل المسلمون الحصن وأجار خالد أكيدر من القتل حتى يأتي به رسول

الله ﷺ على أن يفتح له دومة الجندل ففعل وصالحه على مال^(١).

الدلائل والعبر

كانت معركة بدر أول غزوة عظمى يقودها رسول الله ﷺ ضد الكافرين

وكانت غزوة تبوك آخر غزوة كبرى يقودها النبي ﷺ.

والفرق بين الإثنين أن دولة رسول الله ﷺ يوم معركة بدر كانت منحصرة في

المدينة أما في زمن غزوة تبوك فهي دولة كبرى تشتمل على أغلب أراضي شبه جزيرة العرب.

وثانياً إن حامل لواء رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب كان بطل الميدان في

معركة بدر حيث قتل نصف رجالهم فنادى جبرئيل باسمه.

لا فتى إلا علي ولا سيف إلا ذو الفقار

وفي غزوة تبوك بقي علي عليه السلام على المدينة خليفة لرسول الله ﷺ.

(١) طبقات ابن سعد ٢ / ١٦٦ تاريخ الطبري ٢ / ٣٧٢، مغازي الذهبي ٦٤٥، تاريخ ابن الأثير ٢ / ٢٨١.

ووجود أمير المؤمنين في جيش النبي ﷺ كان يرهب العدو الخارجي والداخلي، فهو يقتل أبطال وقادة العدو الخارجي ويرهب العدو الداخلي. ولما وجد العدو الداخلي ذلك الفراغ فقد أقدم على محاولة اغتيال رسول الله ﷺ في العقبة!

وشهدت غزوة تبوك اجتماع خطير للمنافقين بكافة أصنافهم من قريش بزعامه أبي سفيان ومن الأنصار بزعامه عبد الله بن أبي يشاركهم في ذلك سائر المنافقين من الأعراب والمندسين في صفوف المهاجرين. وكان جيش عبد الله بن أبي قريباً في العدد من جيش رسول الله ﷺ لكنه انسحب من الميدان إلى المدينة.

ولوجود هذا العدد الهائل من المنافقين واليهود في المدينة وأطرافها فقد كانت الحكمة تقتضي إبقاء الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام خليفة عليها. وفعلاً خاف الأعداء ومنهم المنافقون من الهجوم على المدينة وعلي عليه السلام فيها. وفي غزوة تبوك نضجت أفكار المنافقين وتكثفت جهودهم فبينما كان قرارهم السابق يتمثل بالإنهزام من معركة حنين ومحاولة رجل منهم قتله فقد تمخض اجتماعهم الجديد عن الهجوم الجماعي لقيادة المنافقين على شخص الرسول ﷺ في معركة تبوك وقتله.

وافترض دور المتخلفين عن الغزوة وعلي رأسهم كعب بن مالك ورغم العقوبة الإلهية له استمر هذا الرجل مترزلاً للمال وللسلطة مبتعداً عن الحق والعدالة إلى أواخر أيام حياته.

وكانت جهود رسول الله ﷺ والمنافقين متضادة، فرسول الله ﷺ يريد تعيين علياً عليه السلام خليفة له، والمنافقون يخططون وينفذون عملية الاستحواذ على خلافة رسول الله ﷺ.

وفي ذلك الزمن خلف النبي محمد ﷺ علياً ﷺ على المدينة معلناً أمام المسلمين: علي مني بمنزلة هارون من موسى ﷺ.

مما يستلزم الخلافة العظمى له مثلما كانت الخلافة العظمى لهارون ﷺ لذا وقف المؤمنون إلى جنب هارون في صراعه مع قارون، ووقف أكثرية اليهود مع قارون! ولما قال النبي ﷺ لعلي ﷺ أنت مني بمنزلة هارون من موسى ﷺ سأل المخلصون أنفسهم مع من سيقف المسلمون بعد النبي ﷺ مع هارون أم مع قارون؟ وقال رسول الله ﷺ: ستبعون سنن من قبلنا حذو النعل بالنعل والقذة بالقذة فلو دخلوا جحر ضبٍ لدخلموه^(١).

واتسعت هجمة المنافقين لتشمل مساجد الله تعالى فلاول مرة بنوا مسجداً ليكون قلعة لأبي عامر الفاسق المرتبط بالروم، فنع الله سبحانه رسوله ﷺ من الصلاة فيه مرتين، مرة في طريقه إلى تبوك ومرة في عودته من تبوك. ولما كانت صلاة النبي في ذلك المسجد ستكون حتمية فقد بين تعالى له واقع ذلك المكان قائلاً:

﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(٢)

ولاول مرة صدر الأمر النبوي بإحراق وتخطيم ذلك المسجد المعادي للإسلام فياترى كم من المساجد بنيت بعد النبي ﷺ لمহারبة الله ورسوله؟ وكم من مدرسة دينية أنشأت لهذا الغرض؟

ومن الأمور المدهشة في هذه الحملة إقدام الرسول ﷺ عليها رغم الحر والعطش والفاقة وبعد المسافة وقوة العدو الخارجي (الروم) واستفحال أمر العدو

(١) تفسير العسكري ٤٨١، تفسير الميثاق ٣٠٤/١، تفسير الصافي ٧٦/٤، أسباب النزول، الواحددي ٢٧، شواهد التنزيل الحسكاني ١٩/١، تفسير القرطبي ٣٤٥/١٠، الدر المتور، السيوطي ٤/٥، فتح القدير، الشوكاني ٣٤٨/١.

(٢) التوبة ١٠٧.

الداخلي (المنافقون) وعمره ﷺ إحدى وستون سنة.

وذلك الغزو النبوي للشام أثبت وجوب الفتح الخارجي لنشر الإسلام والعدل والحق في العالم، وعلى هذا المبدأ سار المسلمون ففتحوا كاشغر في سنة ٩٤ هجرية وفتحوا الأندلس في سنة ٩٦ هجرية.

وفي هذه الغزوة (تبوك) كثرت المعجزات الإلهية:

استجاب الله تعالى لرسوله ﷺ. فنزل المطر على المسلمين غزيراً فشريبوا منه وملأوا قربهم.

وأعلم عز وجل رسوله بكان ناقته الضائعة جواباً لاشكال المنافقين.

وأخبر النبي ﷺ المسلمين بقرب هبوب رياح شديدة في الليل فحصل ذلك.

وأنعم تعالى على رسوله مرة أخرى في الماء فنبعت العين التي كانت قد نشفت بأيدي المنافقين.

وواصل تعالى نعمه على خاتم رسله فحذره من مؤامرة العقبة فتجاوزها النبي الأعظم ﷺ بسلام ولولا ذلك لقتله المهاجمون في وادي العقبة. ومع استمرار تلك المعجزات كان يقين المؤمنين يتصلب وأنحراف الفاسقين يزداد.

وبعد عودة المسلمين من تبوك ظافرين معززين سطع نجمهم ليس في شبه الجزيرة العربية فقط بل في العالم أجمع وأصبحوا في مستوى القوتين العظيمتين الروم والفرس.

فاضطرت ثقيف للتنازل عن صمودها وعصيانها والدخول في الدين الإسلامي. والثمرة الثانية: اسلام عدي بن حاتم الطائي. وكان حاتم نصرانياً.

والثمرة الثالثة دخول أهل اليمن في الإسلام أثناء غزو علي بن أبي طالب ﷺ لهم. فهؤلاء وجدوا أنفسهم لا شيء أمام جيوش المسلمين التي هاجمها الروم فدخلوا في الدين من دون حرب ولا تضحيات.

**حوادث أخرى
في السنة التاسعة**



تحريم المسكر ونادي الخمر الشهير

كانت الخمرة في شرائع الله تعالى محرمة : ١- كان الخمر محرماً في الأديان السماوية السابقة للإسلام فقد جاء عن الإمام الصادق عليه السلام عن رسول الله ﷺ : ما بعث الله عز وجل نبياً قط إلا وفي علم الله عز وجل أنه إذا أكمل له دينه كان فيه تحريم الخمر، ولم تزل الخمرة حراماً^(١).

٢- وقد سار قصي (رض) جد النبي على شريعة إبراهيم عليه السلام فحرمها على نفسه وعلى أهله وصحبه^(٢).

٣- ومشى عبد المطلب (رض) المسمى بإبراهيم الثاني على دين الأنبياء فحرم الخمر على نفسه^(٣).

٤- وقال تعالى ﴿إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر﴾^(٤) وقال تعالى ﴿يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس﴾^(٥).

(١) الكافي الكليني ٦ / ٣٩٥.

(٢) السيرة العلوية ١ / ١٣.

(٣) السيرة العلوية ١ / ٤.

(٤) المائدة ٩١.

(٥) البقرة ٢١٩.

وتحريم الخمر والقمار (الميسر) في هذه الآية واضح.

٥- قال معاذ بن جبل: إن أول ما نهى عنه النبي ﷺ حين بعث شرب الخمر^(١).

وجاء في الحديث إنما حرّمها لفسادها^(٢).

وقال رسول الله ﷺ أيضاً: كل مسكر حرام^(٣).

وكان رسول الله ﷺ قد قال: أول شيء نهاني عنه ربي بعد عبادة الأوثان شرب

الخمر^(٤).

٦- وقال الصادق ﷺ أيضاً: شرب الخمر مفتاح كل شر^(٥).

فيدخل في الحرمة كل أنواع المخدرات التي تهتك بالبشرية حالياً وخطرها أعظم من الخمر، وقد حرّمها الفقهاء!

وقال الحزب القرشي خوفاً على رجاله الشاربين للخمر: قد حرّمت في سنة ثلاث للهجرة^(٦).

وقال: حرمت سنة أربع للهجرة^(٧). وقالوا زيفاً إنّ تحريمها كان تدريجياً.

إذن كان الخمر محرماً في مكة قبل هجرة المسلمين إلى الحبشة والمدينة وما تلك الروايات التي ذكروها عن تحريم الخمر في المدينة إلّا لتبرئة ساحة الذين شربوها متأخراً من المسلمين متأخراً وعلى رأسهم أبو بكر وعمر.

المدّهن والعجيب أن الأمويين وأذنابهم فعلوا المنكر وقالوا الكذب لإبعاد قضية

(١) البحار ٢ / ١٢٧، الغدير ٧ / ١٠١، أوائل السيوطي ٩٠.

(٢) الكافي، الكليني ٦ / ٤١٢.

(٣) الكافي، الكليني ٦ / ٤٠٧.

(٤) تفسير الطباطبائي ١٦ / ١٦٣، البحار ٢ / ١٢٧، مجمع الزوائد ٥ / ٥٣.

(٥) الكافي، الكليني ٦ / ٤٠٣.

(٦) تاريخ الخميس ٢ / ٢٦، تفسير القرطبي ٦ / ٢٨٥، السيرة الحلبية ١ / ٢٦١.

(٧) سيرة ابن هشام ٣ / ٢٠٠، فتح الباري ١٠ / ٢٥، الغدير ٧ / ١٠١، السيرة الحلبية ٢ / ٢٦١. وقال البعض

أنها حرمت سنة ست وسنة ثمان للهجرة.

شرب الخمر عن رجال الحزب القرشي ولو بالافتراء على حمزة وعلي عليهما السلام وتحريف تفسير آيات القرآن.

وكان علي عليه السلام تلميذ محمد صلى الله عليه وآله قد عرف حرمة شرب الخمر في مكة قبل البعثة سائراً على خطى سيده صلى الله عليه وآله الذي تربى في حضنه فلم يقر بها في الجاهلية والإسلام. فهذا واضح في حرمة الخمر في بداية البعثة في مكة. فأين فقهاء المسلمين عن هذا؟

جاء في النصوص الصحيحة: وكان المعروف عن أبي بكر لعيب القمار وشرب الخمر في الجاهلية، وبعد معركة بدر شربها مع عمر، وقالوا هذا الشعر في رثاء قتلى المشركين:

وكائن بالقلب ^(١) قلب بدر	من الغتيان والعرب الكرام
أبوعدنا ابن كبشة أن سنحيا	وكيف حياة أصداء وهام
أيعجز أن يرد الموت عني	وينشرني إذا بليت عظامي
فقل لله يمنعي شرابي	وقل لله يمنعي طعامي ^(٢)

فضرب رسول الله عمر.

فقال عمر: أعوذ بالله من غضبه ومن غضب رسوله، إتهينا، إتهينا^(٣).

لكنهما استمرا في شربها إذ شربها أبو بكر وعمر وأصحابها في نادي الخمر قبل وبعد فتح مكة، ثم شربها أبو بكر في شهر رمضان بعد التحريم وقال شعراً منه:

ذريني أصطبح يا أم بكر	فإن الموت نقب عن هشام
ونقب عن أيبك وكان قرماً	رحيب الباع شريب المدام
ألا من مبلغ الرحمن عني	بأني تارك شهر الصيام

(١) القبر وأصله البئر.

(٢) أسباب النزول، الواحدي وأخرجه الطبري في تفسيرهما الآية «لا تقرؤا الصلاة واتم سكارى» ٢٠٣.

٢١١، ربيع الأبرار، الزمخشري.

(٣) المسطر، الأبيهي، ربيع الأبرار، الزمخشري.

ونارك كلما يوحى إلينا محمد من أساطير الكلام
ولكنّ الحكيم رأى حميراً فألجمها فتأثت باللبام^(١)

وكان سن أبي بكر عند شربه الخمر في ذلك النادي ٥٨ سنة، وكان سن عمر ٤٥ سنة وسن أبي عبيدة بن الجراح ٤٨ سنة، وكان سن أنس بن مالك ١٨ سنة.
وذكرت كتب الحديث المعتبرة شيئاً عن نادي الخمر وأفصححت عن أسماء أعضائه
قائلة:

كان أبو بكر وعمر من أعضاء نادي الخمر الشهير، بينما كان أنس بن مالك ساقى
القوم في ذلك النادي الذي يضم أيضاً أبا عبيدة بن الجراح وأبا طلحة زيد بن سهل
صاحب النادي وسهيل بن بيضاء وأبي بن كعب وأبا دجانة سهاك بن خرشة وأبا
أيوب الأنصاري وأبا بكر بن شغوب، ومعاذ بن جبل^(٢).

وعظم على الطبري ذلك فأبدل اسم أبي بكر برجل وأبدل اسم أم بكر بام عمرو،
وأم عمرو كنية عائشة. إذ قال عبدالله بن الزبير عن مقتل عائشة بيد معاوية:

لقد ذهب المحار بأم عمرو - فلا رجعت ولا رجع المحار^(٣)

والرواة والكتاب الآخرون أيدوا صحة سند الرواية: ومنهم ابن حجر
العسقلاني^(٤). واستمر عمر في شربها في أيام حكمه^(٥).

(١) الأنوار العلوية ص ٢١٧، مجمع الزوائد ٥١/٥، نوادر الأصول، الحكيم الترمذي، الإصابة، ابن حجر،
عمدة القارئ، العيني ٨٢/١٠، المستطرف، شهاب الدين الألباني ٢٩١/٢، سنن أبي داود ١٢٨/٢، مسند
أحمد ٥٣/٢، رسائل الجاحظ ص ٣٤، كتاب مكة، الفاكهي، سنن النسائي ٢٨٧/٨، المستدرک، الحاكم
٢٧٨/٢، تفسير القرطبي ٢٠٠/٥، تفسير ابن كثير ٢٥٥/١، تفسير الخازن ٥١٣/١، تفسير الرازي
٤٥٨/٢، تهذيب التهذيب ٢١٦/٨، العلية، أبو نعيم في ترجمة شعبة، عمدة القارئ، العيني ٨٤/٢٠،
تفسير ابن مردويه، وفتح الباري على صحيح البخاري ٣٠/١٠.

(٢) فتح الباري على صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني ٣٠/١٠، صحيح مسلم ٨٨/٦.

(٣) الصراط المستقيم باب ١٢ / ٤٦. اغتيال الخليفة أبي بكر والسيدة عائشة للمؤلف.

(٤) فتح الباري ٣٠ / ١٠.

(٥) المقد فريد ٤١٦/٣، السنن الكبرى، البيهقي ٢٩٩/٨، كنز العمال ١٠٩/٣، طب ١٥٦/٦، محاضرات

غزوة قبيلة طي وإسلام عدي بن حاتم الطائي

بعد انتشار الإسلام في مكة والطائف بدأ رسول الله ﷺ يفكر في نشر الإسلام في سائر مناطق جزيرة العرب، ومن هذه المناطق جبل طي وقبيلة طيء أول قبيلة تعلمت الخط العربي من الحيرة وقالوا: أول من تعلم الخط العربي اسماعيل عليه السلام.

وفي السنة التاسعة من شهر ربيع الآخر أرسل النبي ﷺ، علي بن أبي طالب عليه السلام في سرية إلى ديار طيء وأمره أن يهدم صنمهم الفليس، فسار إليهم وأغار عليهم، فغنم وسبي وكسر الصنم المقلد بسيفين يقال لأحدهما مخذم وللآخر رَسوب، فأخذها علي عليه السلام وحملها إلى رسول الله ﷺ، وكان الحارث بن أبي شمر أهدي السيفين للصنم، فعلقا عليه. وأسر الإمام علي عليه السلام بنتاً لحاتم الطائي، أخذها إلى رسول الله ﷺ، بالمدينة.

وأما إسلام عدي بن حاتم فقال عدي: جاءت خيل رسول الله ﷺ، فأخذوا أختي وناساً فأتوا بهم رسول الله ﷺ.

فقلت أختي: يا رسول الله هلك الوالد وغاب الوافد فامنن علي من الله عليك. فقال النبي ﷺ: ومن وافدك؟

قلت: عدي بن حاتم. قال النبي ﷺ: الذي فر من الله ورسوله! فن عليها، وإلى جانبه رجل قائم وهو علي بن أبي طالب عليه السلام قال: سليه حُمَلاًناً. فسألته، فأمر لها به وكساها وأعطاه نفقة.

وكان حاتم الطائي نصرانياً وعليه فقد عرف بمكارم الاخلاق وعلى رأسها الكرم بالمال والطعام وتربى عدي في هذا البيت الكريم.

قال عدي: كنت ملك طيء أخذ منهم المرباع وأنا نصراني، فلما قدمت خيل رسول الله ﷺ، هربت إلى الشام من الإسلام وقلت أكون عند أهل ديني.

فبينما أنا بالشام إذ جاءت أختي وأخذت تلومني قائلة: فعلت فعلة ما كان أبوك يفعلها، ثم قالت لي: أرى أن تلحق بمحمد سريعاً فإن كان نبياً كان للسابق فضله، وإن كان ملكاً كنت في عزٍّ وأنت أنت.

قال: فقدمت على رسول الله ﷺ، فسلمت عليه وعرفته نفسي، فانطلق بي إلى بيته، فلقيته امرأة ضعيفة فاستوقفته، فوقف لها طويلاً تكلمة في حاجتها. فقلت: ما هذا بملك، ثم دخلت بيته فأجلسني على وسادة وجلس على الأرض، فقلت في نفسي: ما هذا ملك.

فقال لي: يا عدي إنك تأخذ المرباع وهو لا يحل في دينك، ولعلك إنما يمنعك الإسلام ما ترى من حاجتنا وكثرة عدونا، والله ليفضن المال فيهم حتى لا يوجد من يأخذه، والله لتسمعن بالمرأة تسير من القادسية على بعيرها حتى تزور هذا البيت لا تخاف إلا الله، والله لتسمعن بالقصور البيض من بابل قد فتحت.

قال عدي: فأسلمت، ورأيت القصور البيض وقد فتحت، ورأيت المرأة تخرج إلى البيت لا تخاف إلا الله، والله لتكونن الثالثة ليفضن المال حتى لا يقبله أحد^(١). فأخلاق رسول الله ﷺ المتمثلة في حديثه مع امرأة فقيرة وجلسه على الأرض هي التي جذبت عدي بن حاتم الطائي للإسلام. وبمثل هذه الأخلاق تخلق النبي سليمان عليه السلام الذي جالس الفقراء وقال: مسكين مع المساكين. ولا ننس تأثير فعل النبي ﷺ في فكّه أسر بنت حاتم الطائي ونفقتة عليها وإيصالها إلى الشام^(٢).

وأصبح عدي من أصحاب رسول الله ﷺ ومن اتباع علي عليه السلام وقد أراد معاوية النيل من علي عليه السلام فقال لعدي أين الطرفات؟ يعني بنيه طريفاً وطارفاً وطرفة.

(١) راجع تاريخ ابن الأثير ٢ / ٢٨٥، تاريخ الطبري ٢ / ٣٧٥ - ٣٧٧.

(٢) تاريخ ابن الأثير ٢ / ٢٨٥، تاريخ الطبري ٢ / ٣٧٥ - ٣٧٧.

قال عدي قُتِلوا يوم صفين بين يدي علي بن أبي طالب عليه السلام.
فقال معاوية: ما أنصفك ابن أبي طالب إذ قدّم بنيك وأخرّ بنيه.
قال عدي: بل ما أنصفت أنا علياً إذ قُتِل وبقيت ^(١)!

من ذهب أميراً على الحج في السنة التاسعة ؟

في السنة التاسعة للهجرة بعث النبي ﷺ أبا بكر أميراً على الحج وقراءة سورة براءة «بَرَاءةً مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، فَسَيَحْضُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَأَنَّ اللَّهَ مُخْزِي الْكَافِرِينَ» ^(٢).

«وَأَذَانٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ فَإِنْ تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ، إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئاً وَلَمْ يُظَاهَرُوا عَلَيْكُمْ أَوْ فَاتَمَّوَا إِلَيْهِمْ عَهْدُهُمْ إِلَىٰ مَدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ، فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصِرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصِدٍ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ» ^(٣).

وبلغ عدد المسلمين الراغبين في الحج ثلاثمائة مسلم وبعث رسول الله ﷺ معهم عشرين بدنة ولما وصل المسلمون إلى ذي الحليفة وهو الميقات المعروف بمسجد الشجرة ^(٤) نزل جبرئيل على النبي ﷺ يخبره: لا يؤدي عنك إلا أنت أو رجل منك.

(١) الكنى واللقاب لباس القنى ١١٥/٢.

(٢) التوبة: ١، ٢.

(٣) التوبة ٣ - ٥.

(٤) تاريخ الطبري ٢ / ٣٨٢.

فقال النبي ﷺ: عليٌّ منِّي وأنا منه، ولا يؤدي إلّا أنا أو عليٌّ^(١).

وقد روى أحمد بن حنبل في مسنده عن أبي بكر أن النبي ﷺ بعثه ببراءة لأهل مكة: لا يجمع بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان، ولا تدخل الجنة إلّا نفس مسلمة، ومن كان بينه وبين رسول الله ﷺ عهد فأجله إلى مدته، والله بريء من المشركين ورسوله، فسار بها (أبو بكر) ثلاثاً ثم قال النبي ﷺ لعليٍّ عليه السلام: إحققه فرد عليٌّ أبا بكر وبلغها أنت، ففعل.

فلما قدم أبو بكر على النبي ﷺ بكى وقال: يا رسول الله هل حدث في شيء؟ قال النبي ﷺ: ما حدث فيك إلّا خير، ولكن أمرت أن لا يبلغها إلّا أنا أو رجل منِّي^(٢)، وحكاها في الكنز في تفسير سورة التوبة^(٣).

وروى أحمد بن حنبل بسنده عن عليٍّ عليه السلام: لما نزلت عشر آيات من سورة براءة على النبي ﷺ، دعا النبي ﷺ أبا بكر فبعثه بها، ثم دعاني النبي ﷺ فقال لي:

أدرك أبا بكر، فحيثما لحقته فخذ الكتاب منه، فاذهب به إلى مكة، فاقرأه عليهم، فلحقته بالمحففة فأخذت الكتاب منه.

ورجع أبو بكر إلى النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله هل نزل في شيء؟ قال النبي ﷺ: لا، ولكن جبرئيل جاءني فقال: لن يؤدي عنك إلّا أنت أو رجل منك، ونقله في الكنز عن أبي الشيخ وابن مردويه، ونحوه في الكشف أيضاً^(٤).

وروى الحاكم عن ابن عمر حديثاً قال فيه: إن رسول الله ﷺ بعث أبا بكر وعمر ببراءة إلى أهل مكة فانطلقا، فإذا هما براكب فقال: من هذا؟

(١) مسند أحمد بن حنبل ١٦٤/٤، كنز العمال ١٥٣/٦.

(٢) تاريخ أبي زرعة ص ٢٩٨، مسند أحمد بن حنبل ١/٢، ذخائر العقبين ٩٦.

(٣) كنز العمال ٢٤٦/١.

(٤) مسند أحمد بن حنبل ١٥١/١١، كنز العمال ٢٤٧/١، تفسير ابن كثير ٥٤٣/٢، ٥٤٤.

قال: أنا علي يا أبا بكر، هات الكتاب الذي معك، فأخذ علي الكتاب فذهب به، ورجع أبو بكر وعمر إلى المدينة فقالا: ما لنا يا رسول الله؟ قال النبي ﷺ: ما لكما إلا خير، ولكن قيل لي لا يبلغ عنك إلا أنت أو رجل منك^(١).

وقد روى عودة أبي بكر وبكاءه وذهاب علي بن أبي طالب أميراً على الحج أحمد بن حنبل وأبو يعلى من رواية أبي إسحاق عن يزيد بن منيع عن أبي بكر^(٢). وحرّف ابن هشام سيرة ابن إسحاق حفظاً للأمانة الشرعية^(٣).

وأخرج ابن مردويه عن سعد بن أبي وقاص: أن رسول الله ﷺ بعث أبا بكر براءة إلى أهل مكة ثم بعث علياً عليه السلام على أثره، فأخذها منه، فكان أبا بكر وجد في نفسه، فقال النبي ﷺ: يا أبا بكر إنه لا يؤدّي عني إلا أنا أو رجل مني.

وجاء في تفسير البرهان عن ابن شهر آشوب أنه رواه الطبرسي والبلاذري والترمذي والواقدي والشعبي والسدي والثعلبي والواحدي والقرطبي والقشيري والسمعاني وأحمد بن حنبل وابن بطّة ومحمد بن إسحاق وأبو يعلى الموصلي والأعمش وسماك بن حرب في كتبهم عن عروة بن الزبير وأبي هريرة وأنس وأبي رافع وزيد بن نفع وابن عمر وابن عباس واللفظ له: إنه لما نزل ﴿براءة من الله ورسوله﴾ إلى تسع آيات أنفذ النبي ﷺ أبا بكر إلى مكة لأدائها.

فنزّل جبرئيل وقال: إنه لا يؤدّيها إلا أنت أو رجل منك، فقال النبي ﷺ لأمر المؤمنين: اركب ناقتي العضاء والحق أبا بكر، وخذ براءة من يده.

ولما رجع أبو بكر إلى النبي ﷺ جزع. وقال: يا رسول الله إنك أهلتني لأمر طالعت الأعناق إليه، فلما توجهت إليه رددتني منه؟

(١) الاستدرك، الحاكم ٥٦٣.

(٢) حاشية الشيخ محمد عليان المرزوقي على تفسير الزمخشري ٢٤٣/٢.

(٣) سيرة ابن هشام ٤ / ١٩٠.

فقال النبي ﷺ: الأمين هبط إليّ عن الله تعالى: إنه لا يؤدّي عنك إلا أنت أو رجل منك، وعليّ منّي ولا يؤدّي عنّي إلا عليّ.

وكلام الله تعالى: لا يؤدّي عنك إلا أنت أو رجل منك مطلقة تسمح لعليّ ﷺ بتبليغ الأحكام الابتدائية مثل تلك التي جاءت في سورة براءة بمنع طواف العريان، ومنع دخول المشركين البيت الحرام.

ووجد أتباع الخط الأموي في ذلك الفعل الإلهي تضعيف لخطهم فتحركوا لتحريف ذلك النهج الإلهي فقالوا كذباً: بأنّ أبا بكر استمر في أمانة الحج وعليّ ﷺ مأمور تحت إمارته.

وقالوا: إنّ أمر الله هذا جاء وفق عادة عرب الجاهلية أنّ لا يبلغ في العهود إلا شخص من قبيلته.

لقد أراد ابن شهاب الزهري الأموي إرضاء الحكم الأموي عنه فقال: إنّما أمر النبي ﷺ بتبليغ براءة دون غيره لأنّ عادة العرب أن لا يتولى العهود إلا سيّد القبيلة وزعيمها أو رجل من أهل بيته يقوم مقامه كأخيه أو ابن عمه فأجراهم على عادتهم^(١). وهذا من أكاذيب الزهري التي ليس لها دليل إذ كان الوكيل عند العرب كالأصيل!

أقول أنّ النبي ﷺ كان رسولاً لله وزعيماً للبشرية وليس مثل رئيس قبيلة صغيرة! ولم تكن في عادة الجاهلية أن لا يبلغ عن زعيم القبيلة إلا فرد منها بل يمكن ذلك لكل حليف أو صديق. والأخطر من ذلك أن سورة براءة قول الله تعالى وليس قول رئيس قبيلة كما يزعمون، وقول الله سبحانه لا يبلغه إلا المطهرون من أفراد أهل البيت ﷺ من الذين قرّنهم الله تعالى مع القرآن في قوله ﷺ: إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي.

ولماذا هذا التضعيف للقول الإلهي بأنه جاء وفقاً لمعايير الجاهلية! ولو كان الأمر هكذا لما جاء الله بشريعة وقوانين مخالفة لتعاليم وعادات الجاهلية! وقد كذب أبو بكر هؤلاء الكتاب بما فعله بعد رجوعه من بكائه وجزعه وكآبته وإِنَّه وجد في نفسه وما قاله للرسول ﷺ: هل نزل في شيء؟ ولو بقي أبو بكر أميراً لما فعل هذا.

وقد كان أبو بكر وعمر في مرّات عديدة مأمورين، مرّة في حملة ذات السلاسل تحت قيادة عمرو بن العاص وقيادة علي رضي الله عنه ومرّة تحت قيادة أبي عبيدة بن الجراح، ومرّة في السنة العاشرة عندما استعمل النبي ﷺ سباع بن عرفة الغفاري على ما في سيرة ابن هشام ورواه البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي وغيرهم. ومرّة تحت قيادة أسامة بن زيد إلى الشام فبقى أبو بكر وعمر يتناديان أسامة بالأمير طول مدة حياتهما^(١).

وبذلك يكون عمرو بن العاص وأبو عبيدة بن الجراح وأسامة بن زيد قد ترأسوا على جيوش من جنودها أبو بكر وعمر، وهذا يثبت أنها مع عثمان بن عفان من عامة أصحاب النبي ﷺ، لم يميزهم عن غيرهم سوى السلطة السياسية التي سيطروا عليها في انقلاب السقيفة.

بينما لم يتزعم شخص على رسول الله ﷺ ووصيه علي بن أبي طالب رضي الله عنه وأيد علي بن إبراهيم القمي رجوع أبي بكر إلى المدينة وذهاب علي رضي الله عنه أميراً على الحج^(٢) وقال النبي ﷺ: لا ينبغي لأحد أن يبلغ هذا إلا رجل من أهلي. فقال صاحب المنار إن قوله ﷺ أو رجل مني في رواية السدي قد فسرتها الروايات الأخرى عند الطبري وغيره بقوله ﷺ أو رجل من أهل بيتي وهذا النص الصريح يثبت تأويل كلمة مني بأن معناها أن نفس علي كنفس رسول الله ﷺ

(١) البداية والنهاية ٧٢/٨.

(٢) تفسير القمي ١ / ٢٨٢، ١٥٨.

وإنه مثله وإنه أفضل من كل أصحابه^(١) وهذا واضح في أنّ علياً عليه السلام لا يكون مأموراً أبداً.

وفي كتاب المستجد للعلامة الحلبي أنّ النبي محمداً صلى الله عليه وآله بلغ علياً عليه السلام أن يغير أبا بكر بين الذهاب معه أي (مأموراً) أو الرجوع فرجع أبو بكر^(٢).

وأيد السهيلي رجوع أبي بكر إلى المدينة وذهاب علي بن أبي طالب عليه السلام ببراءة^(٣).

وصحح سبط ابن الجوزي ذهاب علي بن أبي طالب عليه السلام أميراً على الحج ورجوع أبي بكر إلى المدينة قائلاً: ودفع النبي صلى الله عليه وآله ناقته العضباء فأدرك أبا بكر بذئ الحليفة فأخذ منه الآيات فرجع أبو بكر إلى رسول الله فقال: بأبي أنت وأمي هل نزل في شيء؟ فقال النبي صلى الله عليه وآله: لا ولكن لا يبلغ عني غيري أو رجل مني^(٤).

وهناك مئات المصادر الأخرى تذكر رواية أخذ علي بن أبي طالب عليه السلام سورة براءة من أبي بكر ورجوع أبي بكر إلى المدينة وخوفه من نزول قرآن فيه أو وجده من ذلك، ومن الذين ذكروا تبليغ علي عليه السلام لسورة براءة وأذانه وحججه بالناس: أبو محمد أسماعيل السدي الكوفي المتوفى سنة ١٢٨ هـ ومحمد بن اسحاق المتوفى سنة ١٥١ هـ، وإمام الحنابلة أحمد بن حنبل المتوفى سنة ٢٤١ هـ، وأبو محمد عبد الله الدارمي صاحب السنن المتوفى سنة ٢٥٥ هـ، وأبو عبد الله بن ماجة القزويني صاحب السنن المتوفى سنة ٢٧٣ هـ وأبو عيسى الترمذي صاحب الصحيح المتوفى سنة ٢٧٩ هـ، واليعقوبي المتوفى سنة ٢٩٢ هـ^(٥) والمحافظ أبو عبد الرحمن أحمد النسائي

(١) تفسير الميزان ٩ / ١٧٦.

(٢) المستجد من الأرشاد، الحلبي، ٥٧، البحار ٢٢ / ١١.

(٣) الروض الأنف ٦ / ٣٧٤، خصائص النسائي ٢٠، سنن الترمذي ٢ / ١٨٣، مسند أحمد ٣ / ٢٨٣، الدر المنثور، السيوطي ١٠ / ٤٦، مستدرک الصحيحين ٣ / ٥١، وراجع فضائل الخمسة في الصحاح الستة ٢ / ٣٨٣.

(٤) تذكرة الخواص سبط ابن الجوزي، ٤٣، سبط ابن الجوزي، ٤٣.

(٥) تاريخ اليعقوبي ٢ / ٧٦.

صاحب السنن المتوفى سنة ٣٠٣ هـ، وعبدالله البغوي صاحب المصابيح المتوفى سنة ٣١٧ هـ، وسليمان بن أحمد الطبراني المتوفى سنة ٣٦٠ هـ، وعلي بن عمر الدارقطني المتوفى سنة ٣٨٥ هـ، والحاكم النيسابوري صاحب المستدرک المتوفى سنة ٤٠٥ هـ، وجار الله الزمخشري وإسن أبي الحديد والسخاوي وجلال الدين السيوطي والقسطلاني وابن حجر الهيتمي.

وأثبت الطبري رجوع أبي بكر إلى المدينة^(١) وأضيف إلى الكتاب عودته مرة أخرى أميراً على الحج الأمر الذي يرفضه العقل. لأن أبا بكر إذا عاد إلى المدينة ورجع مرة أخرى إلى مكة لاحتاج إلى عشرة أيام على الأقل. ولا يوجد دليل أصلاً على أن النبي ﷺ بعثه مرة أخرى أميراً على الحاج. كما لم ينقل لنا أي راوٍ وجود محادثة ثانية بين علي ﷺ وأبي بكر: هل جئت يا أبا بكر أميراً أو مأموراً؟

لقد قال رسول الله ﷺ مرتين: علي مني وأنا منه مرة في معركة أحد يوم فرّ عنه أصحابه وبقي علي بن أبي طالب ﷺ فقال جبريل: وأنا منكما.

فقال محمد بن إسحاق في المغازي قال الزهري: إنما قال جبرئيل إنّ هذه لهي المواساة لأن الناس فروا عن رسول الله ﷺ يوم أحد حتى عثمان بن عفان فإنه أول من فرّ ودخل المدينة وفيه نزل:

﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا يَوْمَ تَقُصُّ الْجُمُعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا﴾^(٢)

ومرة أخرى قال الرسول ﷺ: علي مني وأنا منه عندما أرسل علياً ﷺ أميراً على الحج في السنة التاسعة^(٣).

ووجب بسورة براءة ستر العورة أي لا يحج بعد هذا العام عريان ولا يقرب

(١) تاريخ الطبري ٢ / ٣٨٢.

(٢) آل عمران ١٥٥.

(٣) تذكرة الخواص، سبط ابن الجوزي ٤٣.

المسجد بعد هذا العام مشرك وكان الكفار يطوفون بالبيت عراة.
وقال تعالى ﴿يَا بَنِي آدَمُ خُذُوا زِينَتَكُمْ﴾^(١) مما يلزم ستر العورة وكان الرجال يطوفون عراة ليس على رجل منهم ثوب بالليل يعظمون بذلك المحرمة ويقول بعضهم:

أطوف بالبيت كما ولدتني أُمي ليس عليّ شيء من الدنيا خالطه الظلم فكره رسول الله ﷺ أن يحج ذلك العام^(٢).

وكان المشركون يحجون مع المسلمين ويعارضهم المشركون بإعلاء أصواتهم ليغلطوهم بذلك بقولهم لا شريك لك إلا شريكاً هو لك تملكه وما ملك^(٣).
وحدد لهم علي بن أبي طالب عليه السلام المدة قائلاً: ومن كان بينه وبين رسول الله ﷺ عهد فأجله مدته.

فقال بعض الكفار: نحن نبرأ من عهدك وعهد ابن عمك.
فقال علي عليه السلام: لو لا أن رسول الله ﷺ أمرني أن لا أحدث شيئاً حتى آتية لقتلتك فلما عادوا أَرعَبَ الله تعالى المشركين فدخلوا في الإسلام طوعاً وكرهاً^(٤).
وكان العهد بين رسول الله ﷺ والمشركين عاماً وخاصاً فالعام أن لا يصد أحد عن البيت جاءه، ولا يخاف أحد في الأشهر الحرم، فانتقض ذلك بسورة براءة.
والخاص بين رسول الله ﷺ وبين قبائل من العرب إلى آجال مسماة^(٥).

الدلائل والعبر

من الأمور الفقهية البيّنة تحريم الحمر في بداية البعثة في مكة ولأن مجموعة من

(١) الأعراف ٣٦.

(٢) عيون الأثر ٢ / ٢٧٥.

(٣) عيون الأثر ٢ / ٢٧٥.

(٤) تذكرة الخواص ٤٣، عيون الأثر ٢ / ٢٧٦.

(٥) عيون الأثر ٢ / ٢٧٦.

الصحابة استمرت في شربها فقد غير وعاظ السلاطين زمن التحريم وأخروه عشرين سنة إلى الوراء.

وتأثر العلماء الآخرون بهذا فأخذوا يبحثون مع أولئك عن التحريم إن كان في السنة الرابعة أم في السنة السابعة. وقد قيل: إكذب إكذب حتى يصدقك عدوك فالتاس على دين ملوكها تتأثر بهم ولو كانوا في صراع معهم.

لقد سعى ملوك آل أمية إلى ضرب أحاديث التحريم في بداية البعثة وتحريمها في سائر الأديان السابقة عرض الحائط.

واتهموا أناساً آخرين بشرب الخمر في المدينة وعلى رأسهم علي بن أبي طالب عليه السلام وحزرة، وهدفهم خلط روايات صحيحة وأخرى كاذبة لذر الرماد في العيون.

من الملفت للنظر أن مجاميع عديدة من المسلمين كانت تعارض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في السنوات الأخيرة من عمره الشريف.

فواحد يقول له إعدل، وآخر يشاهد استجابة الله تعالى لدعاء رسوله بنزول المطر فيقول سحابة مارة، وآخر يسمع طلب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالمجيء بصحيفة ودواة ليكتب وصيته فيتهمه بالهجر، فيلتحق به أصحابه ينادون يسجر يسجر يستهون النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالجنون في بيته!

وهذه المجموعة هي عصبة قريش الذين شربوا الخمر في نادهم الشهير وقد قال تعالى عن المتهمين لحاتم الأنبياء بالجنون:

﴿وإن يكاد الذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم لما سمعوا الذكر ويقولون إنه لمجنون وما هو إلا ذكر للعالمين﴾^(١)

وهناك أمر عقائدي مهم في بعث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لعلي عليه السلام بسورة براءة ذلك

انه ﷺ أرسل أبا بكر أميراً على الحج ولما نزلت سورة براءة عزله الله تعالى وعين علياً ﷺ مبلغاً لسورة براءة، باتفاق الروايات على ذلك.

ومن يعينه الله تعالى أفضل ممن يعزله، أليس كذلك؟

واتفقت الروايات على قوله ﷺ لا بي بكر إن جبرئيل قال لن يؤدي عنك إلا أنت أو رجل منك.

وجاء مثل هذا في القرآن الكريم «وأنفسنا وأنفسكم» فعلي ﷺ نفس محمد ﷺ.

وإذا ثبت هذا فكيف يجوز لأبي بكر أن يكون أميراً وزعيماً على نفس محمد ﷺ هل يجوز ذلك؟

ولأول مرة يبلغ شحص سورة قرآنية بدل رسول الله ﷺ ولم يكن ذلك الرجل إلا علي ﷺ. وليس لإنسان آخر هذه المنقبة فعلي ﷺ نفس محمد ﷺ إلا النبوة.

ومن المسائل السياسية في هذه الواقعة أن أبا بكر جزع وبكى وأصابته الكآبة إثر عزله، والمسؤولية السياسية لا تستحق ذلك لأنها خدمة ومسؤولية في عنق المسلم ومتى زاغ الإنسان عن هذه النظرة يبدأ الانحراف ويحصل له ما فعله طلحة والزبير في معركة الجمل لامتناع علي ﷺ من توليتها على الكوفة والبصرة.

واستمر أبو بكر في نظراته للمسؤولية من هذا الباب فدفعه جزعه للامتناع عن المشاركة في مراسم دفن رسول البشرية، وسلب فاطمة فداً وأمر بالهجوم على بيتها.

وبعد ما فعل هذا كله ندم أبو بكر قائلاً: وددت أني لم أكشف بيت فاطمة ^(١).

الفصل الثامن

غزوة اليمن وحجة الوداع



غزوة علي بن أبي طالب عليه السلام إلى اليمن

اليمن دولة كبيرة في شبه جزيرة العرب ولكثرة المياه فقد نشأت فيها حضارات راقية وبنيت السدود وعلى رأسها سد مأرب؛ وبعث رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب عليه السلام إلى اليمن مرتين : مرة إلى قبيلة همدان في السنة الثامنة للهجرة ومرة إلى قبيلة مذحج في السنة العاشرة للهجرة.^(١) والبعث الأول في أواخر سنة ثمان إلى همدان وأما الثاني فكان في رمضان سنة عشر إلى مذحج.^(٢)

الغزوة الاولى

ودعا رسول الله ﷺ علياً عليه السلام أن يعسكر بقاء حتى يجتمع أصحابه، ففقد رسول الله ﷺ لواءه وأخذ عمامة فلفها مئذنة مئذنة فجعلها في رأس رح ثم دفعها إليه، وعممه عمامة ثلاثة أكوار وجعل ذراعاً بين يديه وشبراً من ورائه.^(٣) وقال النبي محمد ﷺ لعلي عليه السلام: إذا نزلت بساحتهم فلا تقاتلهم حتى يقاتلوك، فإن قاتلوك فلا تقاتلهم حتى يقتلوا منكم قتيلاً، فإن قتلوا منكم قتيلاً فلا تقاتلهم، تلومهم ترهم أناة ثم تقول لهم:

(١) طبقات ابن سعد ٢ / ١٦٩.

(٢) سيرة ابن دحلان ٢ / ١٥٢، عيون الأثر ٢ / ١٥٢.

(٣) مغازي الواقدي ٢ / ١٠٧٩، السيرة الحلبية ٣ / ٢٠٩، تاريخ الخميس ٢ / ١٤٤.

هل لكم إلى أن تقولوا لا إله إلا الله؟ فإن قالوا نعم فقل هل لكم أن تصلُّوا؟
فإن قالوا نعم فقل: هل لكم أن تخرجوا من أموالكم صدقةً تردُّونها على
فقرائكم؟

فإن قالوا نعم فلا تبغ منهم غير ذلك، والله لأن يهدي الله على يدك رجلاً واحداً
خيراً لك مما طلعت عليه الشمس أو غربت.^(١)

وقال رسول الله ﷺ لعلي عليه السلام مر أصحاب خالد بن الوليد من شاء منهم يعقب
معك فليعقب ومن شاء فليقبل.^(٢)

وقال النبي ﷺ لعلي عليه السلام: وأخالد: أن التقيتُ فالأمير علي عليه السلام.
وكان النبي ﷺ قد بعث أولاً خالد بن الوليد إلى اليمن فيبقي يدعوهم إلى الإسلام
ستة أشهر فلم يجيبوه.^(٣)

ولما قرأ علي بن أبي طالب عليه السلام رسالة النبي ﷺ لقبييلة همدان أسلموا جميعاً في
يوم واحد فكتب علي عليه السلام بذلك إلى رسول الله ﷺ فسجد شكراً لله^(٤) وقال السلام
على همدان ثلاثاً ثم تتابع أهل اليمن على الإسلام.

وفي اليمن خطب علي بن أبي طالب عليه السلام الناس وفيهم كعب الأحبار قائلاً:
إنَّ من الناس من يبصر بالليل ولا يبصر بالنهار وفيهم من لا يبصر بالليل ولا
يبصر بالنهار، ومن يعط باليد القصيرة يُعط باليد الطويلة.

فسألوا كعباً فقال: من الناس من يبصر بالليل ولا يبصر بالنهار فهو المؤمن
بالكتاب الأول ولا يؤمن بالكتاب الآخر وأما قوله منهم من لا يبصر بالليل ولا
يبصر بالنهار فهو الذي لا يؤمن بالكتاب الأول ولا الآخر وأما قوله: من يُعط باليد

(١) مغازي الواقدي ٢ / ١٠٧٩.

(٢) سيرة ابن دحلان ٢ / ١٥٢.

(٣) مغازي الذهبي ٦٩٠، تاريخ ابن الأثير ٢ / ٣٠٠، دلائل النبوة البيهقي ٥ / ٣٩٦، تاريخ الغميس ٢ / ١٤٥.

(٤) تاريخ ابن الأثير ٢ / ٣٠٠، صحيح البخاري، كتاب المغازي، ١١٠ / ٥، دلائل النبوة، البيهقي ٥ / ٣٦٩.

فتح الباري ٨ / ٦٥، السيرة الحلبية ٣ / ٢٠٦، الأرشاد، المفيد ١ / ١٦٦، عيون الأثر ٢ / ٣٤٠.

القصيرة يُعطى باليد الطويلة فهو ما يقبل الله من الصدقات^(١).

وبعد ما وزع علي بن أبي طالب عليه السلام الغنائم على المقاتلين من نساء وأموال اصطفى لنفسه جارية منهم.

فبعث خالد بن الوليد بريدة الاسلمي إلى النبي صلى الله عليه وسلم ليخبره بذلك ويوقع في علي ولما وصل بريدة إلى المدينة قال له: إمض لما جئت له فإنه سيفض بك ابنته مما صنع علي. فدخل بريدة على النبي صلى الله عليه وسلم ومعه كتاب خالد، فجعل يقرؤه ووجه رسول الله يتغير. فقال بريدة: يا رسول الله صلى الله عليه وسلم إنك إن رخصت للناس في مثل هذا ذهب فيؤثم. فقال له النبي صلى الله عليه وسلم:

ويمك يا بريدة أحدثت تقافاً إن علي بن أبي طالب عليه السلام يحمل له من الشيء ما يحمل لي إن علي بن أبي طالب عليه السلام خير الناس لك ولقومك، وخير من أخلف من بعدي لكافة أمتي يا بريدة إحدرك أن تبغض علياً فيبغضك الله.

قال بريدة: فتمنيت أن الأرض انشقت بي فسخت فيها، وقلت: أعوذ بالله من سخط الله وسخط رسوله، يا رسول الله استغفر لي فلن أبغض علياً أبداً ولا أقول فيه إلا خيراً، فاستغفر له النبي صلى الله عليه وسلم^(٢) وفي الروايات الصحيحة أن علي بن أبي طالب عليه السلام لم ينكح امرأة أخرى في حياة سيدة نساء العالمين فاطمة عليها السلام. فالظاهر بأنه عليه السلام أعطى الجارية لأحد المسلمين.

وقال عمرو بن شاس الأسلمي وهو من أصحاب المدينة:

كنت مع علي بن أبي طالب عليه السلام في خيله التي بعته فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى اليمن فجفاني علي بعض الجفاء، فوجدت في نفسي، فلما قدمت المدينة اشتكيتني في مجالس المدينة وأقبلت يوماً ورسول الله جالس، فلما جلست قال صلى الله عليه وسلم: إنه والله يا عمرو

(١) مغازي الواقدي ٢ / ٨٢-١.

(٢) الأرشاد، المفيد ١ / ١٦١، صحيح البخاري كتاب المغازي الحديث ٣٤٥٠، فتح الباري ٨ / ٦٦، دلائل

النسبة البيهقي ٥ / ٣٩٧، البداية والنهاية ٥ / ١٢٠.

بن شاس لقد آذيتني!

فقلت: إنا لله وإنا إليه راجعون أعوذ بالله والإسلام أن أؤذي رسول الله ﷺ.
فقال النبي ﷺ: من آذنى علياً فقد آذاني^(١).

وبعد عودة علي عليه السلام وجيشه من اليمن قال له بعض جنوده: أن نركب إبل الصدقة ونريح إبلنا فأبى علينا قائلاً: إنما لكم منها سهم كما للمسلمين^(٢).
وهذه العدالة الإسلامية التي أجراها علي عليه السلام لم ترق لبعض المسلمين المستغلين لبيت المال. وهؤلاء هم الذين استمروا في بغضهم لعلي عليه السلام والميل نحو السائرين على أهوائهم ك معاوية بن أبي سفيان.

الغزوة الثانية

ولما عاد رسول الله ﷺ من تبوك إلى المدينة قدم عليه عمرو بن معدى كرب فقال له النبي ﷺ: «أسلم - يا عمرو - يؤمنك الله من الفرع الأكبر».

فقال: يا محمد، وما الفرع الأكبر، فأبى لا أفزع؟

فقال النبي ﷺ: «يا عمرو، إنه ليس مما تحسب وتظن إن الناس يصاح بهم صيحة واحدة، فلا يبقى ميت إلا نشر ولا حي إلا مات، إلا ما شاء الله، ثم يصاح بهم صيحة أخرى، فينشرون ولا حي إلا مات، إلا ما شاء الله، ثم يصاح صيحة أخرى، فينشر من مات ويصفون جميعاً، وتنشق السماء وتهدئ الأرض وتغمر الجبال، وتزفر النيران وترمي بثل الجبال شرراً، فلا يبقى ذو روح إلا انخلع قلبه وذكر ذنبه وشغل بنفسه، إلا ما شاء الله، فأين أنت - يا عمرو - من هذا؟»

قال عمرو: ألا إني أسمع أمراً عظيماً، فأؤمن بالله ورسوله، وآمن معه من قومه ناس، ورجعوا إلى قومهم.

(١) دلائل النبوة، البيهقي ٣٩٥ / ٥.

(٢) دلائل النبوة، البيهقي ٣٩٨ / ٥.

ثم إن عمرو بن معدي كرب نظر إلى أبي بن شعث الخثعمي فأخذ برقبته، ثم جاء به إلى النبي ﷺ: أعدني على هذا الفاجر الذي قتل والدي.

فقال رسول الله ﷺ: «أهدر الإسلام ما كان في الجاهلية»

فانصرف عمرو مرتدًا فأغار على قوم من بني الحارث بن كعب ومضى إلى قومه، فاستدعى رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب ﷺ فأمره على المهاجرين، وأنفذه إلى بني زبيد، وأرسل خالد بن الوليد في طائفة من الأعراب وأمره أن يقصد الجعفي فإذا التقيا فأمر الناس علي بن أبي طالب ﷺ. فسار أمير المؤمنين واستعمل على مقدمته خالد بن سعيد بن العاص واستعمل خالد على مقدمته أبا موسى الأشعري.

فأما جعفي فإنها لما سمعت بالجيش افترقت فرقتين: فذهبت فرقة إلى اليمى، وانضمت الفرقة الأخرى إلى بني زبيد، فبلغ ذلك أمير المؤمنين عليه السلام فكتب إلى خالد بن الوليد: أن قف حيث أدركك رسولي.

فلم يقف، فكتب إلى خالد بن سعيد: تعرض له حتى تحبسه.

فأعرض له خالد حتى حبسه، وأدركه أمير المؤمنين عليه السلام فعتقه على خلافه، ثم سار حتى لقي بني زبيد بوادٍ يقال له كُشْر^(١).

فلما رآه بنو زبيد قالوا لعمرو: كيف أنت - يا أبا ثور - إذا لقيك هذا الفلام القرشي فأخذ منك الأتاوة؟^(٢)

قال: سيعلم إن لقيني.

وخرج عمرو فقال: هل من مبارز؟

فنهض إليه أمير المؤمنين ﷺ فقام خالد بن سعيد فقال له: دعني يا أبا الحسن بأبي أنت وأمي أبارزه.

(١) كُشْر: يوزن زفر: من نواحي صنعاء اليمى. «معجم البلدان ٤: ٤٦٢».

(٢) الأتاوة: الخراج «لسان العرب - اتى - ١٤: ١٧».

فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: «إن كنت ترى أن لي عليك طاعةً فقف مكانك فوقف، ثم برز إليه أمير المؤمنين عليه السلام فصاح به صيحةً فانهزم عمرو وقتل أخوه وابن أخيه وأخذت امرأته زكاة بنت سلامة، وسبي منهم نسوان، وانصرف أمير المؤمنين عليه السلام وخلف على بني زبيد خالد بن سعيد ليقبض صدقاتهم، ويؤمن من عاد إليه من هزأهم مسلماً.

وجاء أيضاً: كان عمرو فارس العرب مشهوراً بالشجاعة وكان شاعراً محسناً فقال: دعوني حتى آتي هؤلاء القوم فإنني لم أسم لأحد قط إلا هابني فلما دنا منها نادى أنا أبو ثور أنا عمرو بن معدي كرب.

فابتدره علي عليه السلام وخالد وكلاهما يقول لصاحبه خلني وإيأه ويفديه بإبيه وأمه. فقال عمرو (إذ سمع قولهما): العرب تفرع مني وأراني هؤلاء جزرة، فانصرف عنها (انهزم)^(١).

فرجع عمرو بن معدي كرب واستأذن على خالد بن سعيد، فأذن له فعاد إلى الإسلام، وكلمه في امرأته وولده، فوهبهم له.

وقد كان عمرو لما وقف بباب خالد بن سعيد وجد جزوراً قد تحجرت، فجمع قوائمها ثم ضربها بسيفه فقطعها جميعاً، وكان يُسمى سيفه الصمصامة.

والظاهر بأن الصمصامة أخذها علي عليه السلام من ابن معدي كرب إذ قال علي عليه السلام في صفين:

أنا علي صاحب الصمصامة وصاحب الحوض لدى القيامة

أخو نبي الله ذي العلامة قد قال إذ عمّني العمامة

أنت أخي ومعدن الكرامة ومن له من بعدي الإمامة^(٢).

وفي المرة الثانية في السنة العاشرة خرج علي بن أبي طالب عليه السلام لغزو مذحج في

(١) مناقب آل أبي طالب ٢/٣٢٤، الفصول المختارة، المفيد ٢٨٩.

(٢) مناقب آل أبي طالب ٢/٣٢٤، الفصول المختارة، المفيد ٢٨٩.

اليمن فخرج علي عليه السلام في ثلاثمائة فارس، فكانت خيلهم أول خيل دخلت بلاد مذحج ومرّ على نجران فأخذ منهم ما اتفقوا على دفعه لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

وفي اليمن لقي جمعاً من الناس فدعاهم إلى الإسلام فأبوا ورموا في أصحابه ثم حمل عليهم علي عليه السلام بأصحابه فقتل منهم عشرين رجلاً فتفرقوا وانهزموا وتركوا لواءهم قائماً، فكف عن طلبهم ودعاهم إلى الإسلام فسارعوا وأجابوا، وتقدم نفر من رؤسائهم فبايعوه علي عليه السلام قائلين: نحن على من والانا من قومنا وهذه صدقتنا فنخذ منها حق الله (١).

وأخذ علي بن أبي طالب عليه السلام الخمس معه إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ليرى فيه رأيه وعندما وصل إلى قرية قرب الطائف تسمى الفتق تعجل علي عليه السلام وخلف على أصحابه أبا رافع ليقدم على النبي صلى الله عليه وآله وسلم في حجة الوداع (٢).

فسأل أصحاب علي عليه السلام أبا رافع أن يكسوهم من ثياب الصدقة فكساهم ثوبين ثوبين فلما كانوا بالسدرة داخلين مكة خرج علي عليه السلام يتلقاهم ليقدم بهم فينزلهم فرأى على أصحابه ثوبين ثوبين، فقال لأبي رافع: ما هذا؟

قال: كلموني ففرقت من شكائهم. وظننت أن هذا يسهل عليك، وكان من قبلك يفعل هذا بهم فقال علي عليه السلام رأيت إياي عليهم ذلك وقد أعطيتهم، وقد أمرت أن تحتفظ بما خلّفت، فتعطيتهم؟ (٣).

(١) مغازي الواقدي ٢ / ١٠٨٠.

(٢) مغازي الذهبي ٦٩١، صحيح البخاري كتاب المغازي ٥ / ١١٠.

(٣) مغازي الواقدي ٢ / ١٠٨١، السيرة الحلبية ٣ / ٢٠٦، البداية والنهاية ٥ / ١٢٠.

الباب الثالث:

مرحلة الترسخ

الفصل الاول

حديثا الثقليين والإمامة في حجة الوداع



حديث الثقلين في حصار الطائف (٨٨ هـ)

بعد فتح مكة ذهب الرسول ﷺ وجيشه إلى حنين ومن هناك إلى الطائف، وبعد انصراف الرسول ﷺ وجيشه عن الطائف سنة ٨ هجرية قال ﷺ: «إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي، وأحدهما أكبر من الآخر، وإنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض يوم القيامة»^(١).

أي قال الرسول ﷺ ذلك الحديث مبكراً وأكدّه في حجة الوداع في السنة العاشرة للهجرة. ولأهميته فقد كرّره النبي ﷺ في مرّات عديدة وأماكن مختلفة. وعلى خطى حديث الثقلين قال الرسول ﷺ في حصار الطائف: «عليّ مع القرآن والقرآن مع علي»^(٢).

وهذا الحديث مثل حديث الثقلين يفصح فيه النبي ﷺ عن عصمة علي عليه السلام وعن خلافة أهل البيت في المسلمين.

قال ابن حجر: لا تنافي في أنّ رسول الله ﷺ قد قال حديث الثقلين في حجة الوداع في عرفة وفي الطائف وفي الغدير وفي المدينة في مرض موته ﷺ^(٣).

والسؤال المهم الذي راود أذهان الناس في حجة الوداع: ماذا سيوصي رسول

(١) الصواعق المحرقة، ص ٨٩، وقد حاصروا الطائف اثنين وعشرين يوماً.

(٢) المستدرک، الحاكم ١٢٤/٣ باب علي مع القرآن والقرآن مع علي، الصواعق المحرقة ٧٥ المعجم الصغير،

الطبراني ٥٥/١، المناقب، الخوارزمي ١١٠، مجمع الروائد ١٣٤/٩.

(٣) الصواعق المحرقة، ابن حجر ٨٩.

الله ﷺ في حجته الأخيرة؟
ومن يخلف في منصب زعامة المسلمين؟

حديث الثقلين في حجة الوداع (١٠ هـ)

وقال رسول الله ﷺ حديث الثقلين أيضاً في مكة المكرمة في يوم ٧ ذي الحجة في حجة الوداع في السنة العاشرة للهجرة^(١)، وقد ذكر ذلك الكثير من العلماء وأهل السير والتأريخ. وسبب تكرار رسول الله ﷺ ذلك الحديث لأهميته وخطورته في الإسلام.

وكان مجموع المشاركين في حجة الوداع من المسلمين مئة ألف إلى مئة وعشرين ألفاً، وكرر الرسول ذكر الثقلين في مواقف عرفة ومنى وغدير خم والمدينة لمعرفة بأن الكثير من المسلمين الذين حضروا معه في عرفة سوف لا يحضرون معه في غدير خم أو المدينة.

لأنهم من سائر أنحاء جزيرة العرب، الذين سيعودون إلى بلادهم في يوم ١٢ ذي الحجة و١٣ ذي الحجة، بينما كان موقفه في غدير خم في يوم ١٨ ذي الحجة.

وعلم النبي ﷺ بأن بعض المسلمين الذين حضروا حصار الطائف في سنة ٨ هجرية سوف لا يحضرون حجة الوداع في سنة ١٠ هجرية، فأخبرهم رسول الله ﷺ بخلافة الثقلين في ذلك الوقت.

وقد قال الحلبي: خطب رسول الله ﷺ في الحج (حجة الوداع الخطيرة) خمس خطب:

الأولى يوم السابع من ذي الحجة بمكة.

والثانية يوم عرفة.

(١) أضواء على السنة المحمدية، محمود أبو رية ٤٤، يناير المودة، العنفي القندوزي ٥٣٦/٢.

والثالثة يوم النحر بمنى.

والرابعة يوم النحر بمنى أيضاً.

والخامسة يوم النفور الأول بمنى أيضاً^(١).

وقال أحمد بن حنبل: ما جاء لأحد من أصحاب رسول الله ﷺ من الفضائل ما

جاء لعلي بن أبي طالب عليه السلام^(٢).

حديث الثقلين في عرفة ١٠ هـ

عن جابر بن عبد الله الأنصاري وأبي سعيد الخدري قال: رأيت رسول الله ﷺ

في حجته يوم عرفة وهو على ناقته العضباء يخطب فسمعتة يقول:

«يا أيها الناس إني تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا: كتاب الله وعترتي أهل

بقي كتاب الله طرف بيد الله عز وجل وطرف بأيديكم، فاستمسكوا به ولا تضلوا،

والآخر عترتي، وإن اللطيف الخبير نبأني أنها لن يفترقا حتى يردا عليّ المحوض،

وسألت ذلك لهما ربي، فلا تقدموهما فتهلکوا، ولا تَقْصُرُوا عنها فتهلکوا، ولا

تعلموهم فإنهم أعلم منكم^(٣)».

وعن جابر بن سمرة قال النبي ﷺ في خطبة حجة الوداع في عرفات:

«يكون اثنا عشر أميراً كلهم من قريش»^(٤).

: ولا يزال الإسلام عزيزاً إلى اثني عشر خليفة كلهم من قريش»^(٥).

(١) السيرة الحلبية ٣/٣٣٣.

(٢) مستدرک الحاكم ٣/١١٦ طبعة دار الكتب المصرية - بيروت.

(٣) المشكاة، الخطيب التبريزي، المعجم الكبير، الطبراني ٥/١٨٦، جامع الاصول، ابن الاثير ١/٢٧٧، مسند

أحمد ٣/١٤، ٣/١٧، ٣/٥٩، ٣/١٤٨، اضاء على السنة المحمدية، أبو رية ٤٠٤، صحيح الترمذي

٣٢٨/٥، صحيح النسائي ٥/١٣٠ ح ٨٤٦٤، الصواعق المحرقة، ابن حجر ٨٩

(٤) صحيح البخاري ٨/١٢٧، مسند أحمد ٥/٩٣، سنن الترمذي ٣/٣٤٠.

(٥) صحيح مسلم ٦/٣.

والحديث الكامل والصحيح قوله ﷺ: يكون اثنا عشر أميراً كلهم من أهل بيتي، من قريش فهو يوافق حديثه ﷺ الثاني إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي. لذا قال رسول الله ﷺ: الأئمة من قريش من هاشم^(١).

حديث الثقلين في منى

قال الحلبي: خطب النبي ﷺ في منى ثلاث مرّات^(٢). وقال المقدسي في حديثه: سمعت رسول الله ﷺ يخطب بمنى فسمعته يقول: «لن يزال هذا الأمر عزيزاً ظاهراً حتى يملك اثنا عشر خليفة كلهم من قريش ثم لغط القوم وتكلموا»^(٣).

والحديث الصحيح والكامل عن خطبة حجة الوداع في منى جاء عن عبد الملك بن عمير عن جابر بن سمرة: كنت مع أبي عند النبي ﷺ فسمعته يقول: بعد اثني عشر خليفة ثم أخفى صوته، فقلت لأبي ما الذي أخفى صوته؟ قال: قال ﷺ: كلهم من بني هاشم^(٤). وذكر سماك بن حرب مثل ذلك الحديث^(٥).

وحديث كلهم من بني هاشم يوافق قوله ﷺ: إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي.

ولا يوافق حديث الثقلين حديث كلهم من قريش فقط ! فني قريش أربع وعشرون قبيلة!

وروى الحافظ أبو نعيم أحد أعظم حفاظ أهل السنة بسنده عن ابن عباس قال:

(١) شرح النهج، المعتزلي ٩ / ٨٤، ينابيع المودة، العنفي القندوزي ٢ / ٥٣٣، الغصائل ٢٠٧.

(٢) السيرة الحلبية، الحلبي ٣ / ٣٣٣.

(٣) مسند أحمد ٥ / ١٠٠.

(٤) ينابيع المودة العنفي القندوزي ٢ / ٥٣٣ طبعة المكتبة العيدرية، التجف.

(٥) المصدر السابق.

قال رسول الله ﷺ:

«من سره أن يحيا حياتي ويموت مماتي، ويسكن جنة عدن غرسها ربي فليوال علياً من بعدي، وليوال وليه، وليقتد بالأئمة من بعدي، فإنهم عترتي خلقوا من طينتي، رزقوا فهماء وعلماء، وويل للمكذبين بفضلهم من أممي القاطعين فيهم صلي، لا أنالهم الله شفاعتي»^(١).

وقد قال الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام: إن الأئمة من قريش غرسوا في هذا البطن من هاشم، لا تصلح على سواهم ولا تصلح الولاة من غيرهم»^(٢).

وقد أيد الحاكم تلك الأحاديث بالقول النبوي الشريف: «مثل أهل بيتي مثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق»^(٣).

وقال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾^(٤).

قد يتصور المبطلون كون نساء النبي ﷺ من أهل بيته، ولكن خابوا إذ ردّهم مسلم في كتابه قائلاً:

فقلنا من أهل بيته، نساؤه؟

قال: لا وأيم الله تعالى، إن المرأة تكون مع الرجل العصر من الدهر، ثم يطلقها فترجع إلى أبيها وقومها، أهل بيته أصله وعصبته، الذين حرموا الصدقة بعده»^(٥).

فيتوضع من القرآن والسنة أن الأمراء والخلفاء هم أهل البيت عليه السلام سادة قريش وسفينة نوح.

(١) حلية الأولياء ٨٦/٣.

(٢) شرح النهج، المعتزلي ٨٤/٩.

(٣) المستدرک، الحاكم ٣٤٣/٢، ١٥٠/٣ وهذا الحديث صحيح على شرط مسلم، كنز العمال ٢١٦/٦.

مجمع الزوائد ١٦٨/٩، تاريخ بغداد ١٩/٢، حلية الأولياء ٣٠٦/٤، الصواعق المحرقة ٢٨٢.

(٤) الأحزاب ٣٣.

(٥) صحيح مسلم ١٨١/٥.

إخبار الرسول ﷺ بالأئمة الإثني عشر ﷺ

قال رسول الله ﷺ برواية انس بن مالك: عنوان صحيفة المؤمن حب علي بن أبي طالب ^(١).

وأخبر رسول الله ﷺ بخلافة اثني عشر خليفة له قائلاً: «يكون بعدي اثنا عشر خليفة» وقرأ آية: ﴿إِنَّ حُدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا﴾ ^(٢).

وقال رسول الله ﷺ: «الأئمة من بعدي اثنا عشر تسعة من صلب الحسين والتاسع مهديهم» ^(٣).

وجاء عن جابر بن سمرة أنه لم يسمع ما قاله الرسول ﷺ بعد ذلك فسأل أباه، فقال: إنه يقول: كلهم من قريش ^(٤).

وعندها كثر الصخب من طلقاء قريش والمنافقين في منى ^(٥).
والحقيقة أن الصخب قد حدث لقوله ﷺ: كلهم من قريش من بني هاشم. كما قال جابر بن سمرة ^(٦)، فذكروا قوله ﷺ: كلهم من قريش فقط.

وقد عمل الحزب الأموي نفس الأمر في قضية الوصية في يوم الخميس إذ جاء: قال رسول الله ﷺ «أوصيكم بثلاث: أخرجوا المشركين من جزيرة العرب وأجيزوا الوفد بنحو ما كنت أجيزهم وسكت عن الثالثة أو قالها فنسيتها» ^(٧).

فعندما يصل الأمر إلى الوصية لملي ^(٨) أو الخلافة للأئمة الاثني عشر من أهل

(١) مختصر تاريخ دمشق ١ / ٢٢٤.

(٢) سورة التوبة ٣٦، صحيح البخاري ١٢٦/٥، مجمع الزوائد ٣/ ٢٦٥، الغصالح، الصدوق ٤٦٦ - ٤٦٧، كمال الدين ٢٧١، مستند أحمد ٩٢/٥، صحيح مسلم ٢٠٢/١٢.

(٣) كمال الدين ٧٣.

(٤) سنن الترمذي ٣٤٠/٣، مستند أحمد ١٠٠/٥، ١٠٧، معجم الطبراني ٢٧٧/٢ ح ٢٠٤٤ المستدرک، الحاكم

٦١٨، ٦١٧/٣.

(٥) مستند أحمد ١٠٠/٥، سنن أبي داود ٣٠٩.

(٦) ينابيع المودة، الكنعي الشافعي ٤٤٦.

(٧) صحيح مسلم ١٢٥٨/٣ ح ١٦٣٧.

البيت ﷺ ينسئ الراوي! ويحرف الناسخ أو الناشر أو أنه لم يسمع الكلمة جيداً وغير ذلك!!

وهذا يعود إلى النظرية التي قالها الحزب القرشي في يوم الخميس بحضور الرسول ﷺ: حسبنا كتاب الله^(١)، والقانون الذي سنه أبو بكر وعمر وعثمان وكتبه معاوية لاحقاً في المنع من ذكر الحديث وتدوينه والامتناع عن ذكر فضائل علي بن أبي طالب ﷺ وأهل بيته^(٢).

وقال رسول الله ﷺ لعلي ﷺ: «إني وإثني عشر من ولدي وأنت يا علي زُرُّ الأرض، يعني أوتادها وجبالها، بنا أوتد الله الأرض أن تسيخ بأهلها، فإذا ذهب الإثنا عشر من ولدي ساخت الأرض بأهلها ولم ينظروا»^(٣).

وقال جعفر الصادق ﷺ: «لو بقيت الأرض بغير إمام لساخت»^(٤).

وجاء في رواية أبي نعيم قول رسول الله ﷺ: من سره أن يحيى حياتي ويموت مماتي ويسكن جنة عدن فليوال علياً ﷺ بعدي ويقتد بالأئمة من بعدي فإنهم عترتي خلقوا من طيبي ورزقوا فيها وعلموا وويل للمكذبين بفضلهم من أمتي القاطعين فيهم صلتى لا أنا لهم الله شفاعتي^(٥).

وعن عبدالله بن مسعود قال رسول الله ﷺ: الخلفاء بعدي اثنا عشر كعدد نقيب بني إسرائيل^(٦).

وهذا الحديث يفصح عن أن خلافة النبي ﷺ دينية وسياسية وليست سياسية فقط مثلما يدعي البعض، فيضعون ضمن الخلفاء كل من جاءت به السياسة ومنهم

(١) صحيح البخاري ٣٧/١، الطل والنحل، الشهرستاني ٢٣/١.

(٢) الإstimاب ٦٥/١، الإصابة ١٥٤/١، الكامل، ابن الأثير ١٦٢/٣.

(٣) الكافي ١٧٩/١، ٥٣٤.

(٤) الكافي ١٧٩/١، ٥٣٤.

(٥) حلية الأولياء ١/ ٨٦.

(٦) كمال الدين ٢٧١.

معاوية ويزيد بن معاوية ومروان^(١).

ولقد كان أول الخلفاء علي بن أبي طالب عليه السلام الذي قال فيه الرسول ﷺ: من كنت مولاه فهذا علي مولاه^(٢).

وبالإنفاق لم يكن أبو بكر وعمر وغيرهم خلفاء دينيين بل سياسيين وقد قال عمر عن بيعة أبي بكر: كانت فلتة ومن عاد إليها فاقتلوه^(٣) وندم أبو بكر في أواخر عمره (بعدما سُم من قبل حلفائه) على استلامه السلطة، قائلاً:

وددت أني يوم سقيفة بني ساعدة قذفت الأمر في عنق أحد الرجلين عمر أو أبي عبيدة^(٤).

ولو كانت خلافته دينية لما ندم على ذلك ولما قال: ياليتني كنت بعرأ ولم أكُ بشرأ^(٥).

وقال الكنجي الشافعي:

«إنَّ الأحاديث الدالة على كون الخلفاء بعده ﷺ اثنا عشر قد اشتهرت من طرق كثيرة... فبشرح الزمان وتعريف الكون والمكان، علم أنَّ مراد رسول الله ﷺ من حديثه هذا الأئمة الإثنا عشر من أهل بيته وعترته، إذ لا يمكن أن يحمل هذا الحديث على الخلفاء بعده من أصحابه لقلتهم عن اثني عشر.

ولا يمكن أن نعمله على الملوك الأمويين لزيادتهم على اثني عشر وظلمهم الفاحش إلا عمر بن عبدالعزيز، ولكونهم من غير بني هاشم، لأن النبي ﷺ قال:

(١) راجع البداية والنهاية ٢٤٨/٣.

(٢) سنن الترمذي ٥٩١/٥، سنن النسائي ١٣٠/٥ ح ٨٤٦٤، المستدرک، العاکم ١٠٩/٣، مسند أحمد ٢٧٠/٤.

(٣) شرح النهج، المعتزلي ٤٧/٦، الامامة والسياسة ٦١/١.

(٤) الامامة والسياسة ١٤/١.

(٥) منتخب كنز العمال ٣٦١/٤.

كلهم من بني هاشم في رواية عبد الملك، عن جابر وإخفاء صوته ﷺ في هذا القول يرجح هذه الرواية، لأنهم لا يحبون خلافة بني هاشم.

ولا يمكن أن نعمله على الملوك العباسيين، لزيادتهم على العدد المذكور، ولقلة رعايتهم الآية: قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى وحديث الكساء.

فلا بد من أن يجعل هذا الحديث على الأئمة الإثني عشر من أهل بيته وعترته ﷺ، لأنهم كانوا أعلم أهل زمانهم وأجلهم وأورعهم وأتقاهم وأعلاهم نسباً، وأفضلهم حسباً، وأكرمهم عند الله...

ويؤيد هذا المعنى، أي أن مراد النبي ﷺ الأئمة الإثني عشر من أهل بيته، ويشهد له ويرجحه: حديث الثقلين، والأحاديث المستكررة المذكورة في هذا الكتاب، وغيرها...^(١).

وقال أمير المؤمنين علي عليه السلام في نهج البلاغة من خطبته: أين الذين زعموا أنهم الراسخون في العلم دوننا كذباً وبغياً علينا، أن رفعنا الله ووضعهم وأعطانا وحرهم، وأدخلنا وأخرجهم.. بنا يستعطي الهدى وبنا يستجلى العمى.

وإنه سيأتي عليكم من بعدي زمان ليس فيه شيء أخفى من الحق، ولا أظهر من الباطل، ولا أكثر من الكذب على الله ورسوله ﷺ، وليس عند أهل ذلك الزمان سلعة أبور من الكتاب إذا تلي حق تلاوته، ولا أنفق منه إذا حرف عن مواضعه، ولا في البلاد شيء أنكر من المعروف، ولا أعرف من المنكر.

وقال الرسول ﷺ عن علي عليه السلام: «إنه أبو سبطي، والأئمة من صلبه، يخرج الله تعالى الأئمة الراشدين منه، ومنهم مهدي هذه الأمة»^(٢).

وعن ابن عباس قال رسول الله ﷺ: «إن وصيي علي بن أبي طالب عليه السلام وبعده سبطاي الحسن والحسين تتلوهم تسعة أئمة من صلب الحسين.

(١) ينابيع المودة، الكتبي الشافعي ٤٤٦.

(٢) الغصال ١١٣.

قال: يا محمد فسمهم لي.

قال ﷺ: إذا مضى الحسين فابنه علي، فإذا مضى علي فابنه محمد، فإذا مضى محمد فابنه جعفر، فإذا مضى جعفر فابنه موسى، فإذا مضى موسى فابنه علي، فإذا مضى علي فابنه محمد، فإذا مضى محمد فابنه علي، فإذا مضى علي فابنه الحسن، فإذا مضى الحسن فابنه الحجة محمد المهدي فهو لاء إتنا عشر^(١).

إذن حديث الأئمة الاثني عشر بأسمائهم قد ورد من طرق السنة والشيعنة^(٢)؛ قالها رسول الله ﷺ في حجة الوداع وفي أماكن أخرى. فهم الأئمة الذين أشار الرسول إليهم وحاول الطغاة الحلول محلهم.

لماذا عصت قريش في عرفة ومنى سنة ١٠ هـ؟

بعد ذكر رسول الله ﷺ لخلافة الثقلين له وعدّ وسمّى خلفاءه من أهل البيت ﷺ في عرفة ومنى ثارت قريش الطلقاء على قوله ﷺ، وعصت أوامره في هذا الموضوع لكرهها آل محمد ﷺ، ورغبتها في تناوب خلافة الرسول ﷺ بين قبائلها.

نقل الشعبي عن الصحابي الشهير جابر بن عبد الله الأنصاري أنه قال: خطبنا رسول الله ﷺ في حجة الوداع بعرفات^(٣) فقال: لا يزال هذا الأمر عزيزاً منيعاً ظاهراً على من ناواه حتى يملك اثنا عشر كلهم من قريش، فجعل الناس يقومون ويقعدون^(٤) أي جعل المنافقون يلغظون ويهيجون. وقال أحمد بن حنبل زعيم المذهب الحنبلي وأبو داود أحد أصحاب السنن: فكبر

(١) ينابيع المودة الحنفي، القندوزي ٥٢٩/٢، السقيفة، سليم بن قيس ١٠٦.

(٢) البحار ١٥٨/٩ الاختصاص، المفيد ٢٠٨، ٢٢٤.

(٣) مستند أحمد ٩٩/٥.

(٤) مستند أحمد ٨٧/٥، ٩٤، ٩٧، ٩٩، ١٠٠.

الناس وضجوا^(١). والذي عنده القدرة على إثارة الضجة هو الحزب القرشي.

وقال أحمد بن حنبل: ثم لفظ القوم وتكلموا^(٢).

وفي سنن أبي داود عن جابر بن سمرة قال:

سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا يزال هذا الدين عزيزاً إلى اثني عشر خليفة»،

قال: فكبر الناس وضجوا، ثم قال كلمة خفية، قلت لأبي يا أبة ما قال؟ قال: كلهم

من قريش^(٣).

الملاحظ من هذه النصوص المذكورة في مسند أحمد وسنن أبي داود أن قريشاً

الطلاق ومن لف لفهم من الأعراب والمنافقين قد أعلنوا العصيان وضجوا ولغطوا

وأخذوا يقومون ويقعدون احتجاجاً على ولاية أهل البيت ﷺ وخلافتهم!!

وهذا الاحتجاج يشكل ثاني معارضة لرسول الله ﷺ منذ إسلامهم القهري في

فتح مكة ويثبت استمرار كفرهم الباطني وإسلامهم العلني، ومعارضتهم الأولى

كانت في هزيمتهم المدبرة في معركة حنين!

وهذا العصيان الكافر هو الذي دعاهم للامتناع عن ذكر أسماء خلفاء رسول الله

من أهل البيت ﷺ وحذف عبارة كلهم من أهل بيتي وذكر كلهم من قريش!

وهو منحى قبائل قريش للقبض على السلطة وتناوبها بينهم، ذكره عمر بن

الخطاب قائلاً: إن قريشاً تحسد اجتماع النبوة والخلافة في بني هاشم^(٤)، وهذه الرواية

تثبت الخلافة في بني هاشم وحسد قريش لهم.

وموقف قريش جاء رداً على حديث الرسول ﷺ في حجة الوداع وغدير خم

ومجلس يوم الخميس بقوله ﷺ: كلهم من قريش من بني هاشم^(٥).

(١) مسند أحمد ٩٨/٥، سنن أبي داود ٣٠٩/٢.

(٢) مسند أحمد ١٠٠/٥.

(٣) سنن أبي داود ٣٠٩/٢.

(٤) الكامل ابن الأثير ٢٤/٣، شرح النهج، المعتزلي ١٠٧/٣.

(٥) الفصائل ٢٠٧، ينابيع المودة، الحنفي القندوزي ٥٢٣/٢.

ثم سعى رموز قريش بعدها إلى التآمر للقضاء على تلك الأطروحة بقتل رسول الله ﷺ أولاً والاستحواذ على السلطة ثانياً. وفعلًا نجحت خطة قريش المذكورة على أرض الواقع!

وكرههم لآل البيت وعلى رأسهم علي عليه السلام وضَّعه النبي ﷺ قائلاً:
يا علي إن فيك مثلاً من عيسى بن مريم إن اليهود أبغضوه حتى بهتوه، وإن النصراني أحبه حتى جعلوه إلهاً، ويهلك فيك رجلان محب مفرط ومبغض مفرط، قال المنافقون ما قالوا: رفع بضيع ابن عمه، جعله مثلاً لعيسى ابن مريم وكيف يكون هذا؟ وضجوا ما قالوا^(١).

وذكر الطبراني والهيتمي ذلك العصيان الكافر للطلقاء والمنافقين في حجة الوداع: لفظ قوم قرب النبي ﷺ فقال أصحابه: يا رسول الله لو بعثت إلى هؤلاء بعض من ينههم عن هذا.

فقال رسول الله ﷺ: لو بعثت إليهم فنهيتهم أن يأutow الحجون لأتاه بعضهم وإن لم يكن له به حاجة^(٢).

وتعليق رسول الله ﷺ على قول أصحابه يبين شدة عصيان المنافقين من الطلقاء وغيرهم له بحيث أنهم يفعلون عكس ما يقوله الرسول دائماً!!

وامتداداً لذلك المنحى فقد فعل رجال قريش نفس العمل في المدينة عندما دعا رسول الله ﷺ بصحيفة ودواة ليكتب الوصية لعلي بن أبي طالب عليه السلام، إذ جاء.

عن جابر بن عبد الله الانصاري أن رسول الله ﷺ دعا عند موته بصحيفة ليكتب فيها كتاباً لا يضلون بعده، وكان في البيت لفظ فتكلم عمر بن الخطاب...^(٣).

الملاحظ من نصوص معارضة زعماء قريش للنبي ﷺ في عرفة ومنى والمدينة

(١) تفسير فرائد الكوفي ٤٠٤.

(٢) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، ابن حجر ١٧٧/١ ورجاله رجال الصحيح.

(٣) مجمع الزوائد، ابن حجر ٢١٥/٤، واللفظ أصوات مبهم لا تفهم، كتاب العين، الفراهيدي ٣٨٧/٤.

أن عصيانهم يتركز حول خلافة رسول الله ﷺ، ففي الموقف الأول والثاني ذكر رسول الله ﷺ خلافة الثقلين له وهوية الخلفاء وعددهم، وفي الموقف الثاني أراد كتابة الوصية لعلي بن أبي طالب عليه السلام.

فارتكبت العصاة لله ورسوله لخطأ وضجيحاً، وقالوا ألقائهم للرسول ﷺ مثل يهجر، مما يكشف عن كون القيادة للعصيان واحدة في الموقفين!! بزعامة أبي بكر وعمر وأبي سفيان وابن الجراح، ولم تسنح الفرصة أمام الطلقاء لإعلان كفرهم في حياة الرسول ﷺ وبعد موته ﷺ جاءت الفرصة فضج أهل مكة وارتدوا عن الإسلام!!

ففي سنة ١١ هجرية ضج أهل مكة مثلما ضجوا في منى في سنة ١٠ هجرية، فهرب والي مكة عتاب بن أسيد خوفاً منهم^(١).

وظاهر الأمر من الروايات أن عدة العاصين كانت كثيرة بحيث أنهم أحدثوا ضجيحاً عالياً لم يمكن الآخرين من سماع خطبة النبي ﷺ في عرفة ومنى وآية البلاغ التي نزلت بعد ذلك بأيام في غدير خم أوضحت قوتهم الكبيرة بقوله تعالى:

﴿يُلَاحِظْ مَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾^(٢)

فالناس يقصد بهم الله تعالى أولئك الذين أحدثوا ضجيحاً ولغطاً في منى كما جاء في الرواية فكبر الناس وضجوا^(٣) ثم قالوا للنبي ﷺ: يهجر في المدينة، وهؤلاء هم الذين منعوا دفن النبي ﷺ ريثما يرتبوا قضية السقيفة والاستحواذ على السلطة، ووطأوا صدر سعد بن عباد (رئيس الأنصار)، ووضعوا التراب في فم الحباب بن

(١) كنز العمال ١٢/ ٤٣٠.

(٢) المائدة ٦٧.

(٣) مستند أحمد بن حنبل ١٠٠/ ٥ سنن أبي داود ٢/ ٣٠٩.

المنذر (الرئيس الثاني للأنصار)^(١).

ولو كانت قوى الكفر والنفاق المذكورة قليلة لما قال الله سبحانه لرسوله ﷺ:

﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾

والناس عبارة عن جماعة عظيمة فنقول: جمع الناس إذا شهدوا الجمعة^(٢).

وأراد بهم سبحانه وتعالى كل المعارضين لله ورسوله ﷺ وكان عدد المنافقين مع عبدالله بن أبي مثل عدد جيش رسول الله ﷺ أي ثلاثين ألفاً^(٣) وكان عدد المحاربين لأهل البيت ﷺ بعد حادثة السقيفة أربعة آلاف رجل^(٤) والآخرين معارضة متفرقون.

ولم يقتصر عمل رسول الله ﷺ على ذكر حديثي الثقلين وأسماء الأئمة الإثني عشر وولاية علي عليه السلام بل أمر الناس بالتسليم بإمرة المؤمنين على علي عليه السلام في حجة الوداع.

إذ قال أبو ذر: إنَّ النبي ﷺ قد أمرهم قبل وبعد حجة الوداع بالتسليم بإمرة المؤمنين^(٥) على علي بن أبي طالب عليه السلام.

ولكن أهل السقيفة قد صمموا على سلب الخلافة من أهل البيت ﷺ في حجة الوداع^(٦).

أي أنهم واجهوا مشروع النبي ﷺ السياسي بمشروعهم القرشي في تناوب الخلافة.

(١) راجع نظريات الخلفيتين للمؤلف ١/١١٠، ١٢١، ١٥٤، صحيح البخاري ٤/٤٩٠ باب جوائز الوفاء،

صحيح مسلم ١١/٨٩ الطبقات، ابن سعد ٢/٢٤٢ تاريخ اليعقوبي ٢/١٢٣ الإصابة ١/٣٢٥، تاريخ

الطبري ٢/٤٥٨ شرح النهج، المعتزلي ٣/٢٨٧.

(٢) كتاب العين، الفراهيدي ١/٢٤٠.

(٣) راجع حادثة معركة حنين في هذا الكتاب.

(٤) البهار ٢٨/٢٠٢.

(٥) ارشاد القلوب، الدليمي ٣٢٤.

(٦) السقيفة، سليم بن قيس ١٦٨.

حديث الثقلين والخلافة في سنة ١٠ هـ

عند وصول النبي ﷺ والمسلمين إلى غدير خم في ١٨ ذي الحجة سنة ١٠ هـ
هجرية نزل من الله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ
وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾^(١).

فقام رسول الله ﷺ يوماً فبينما خطيباً بماء يدعى خمأ (غدير خم) بين مكة
والمدينة، فحمد الله تعالى وأثنى عليه ووعظ وذكر ثم قال:

«أما بعد أيها الناس فإني أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب وأنا تارك
فيكم ثقلين أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور، فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به،
وأهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل
بيتي»^(٢).

وقال الرسول ﷺ: أليست أولى بالموثنين من أنفسهم؟

قالوا: بلى يا رسول الله.

قال: فمن كنت مولاه فهذا علي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه، وانصر
من نصره، وأخذل من خذله»^(٣).

وأعقب ذلك بيعة المسلمين الحاضرين لعلي بن أبي طالب عليه السلام بإمرة المسلمين
وقال أبو بكر وعمر:

(١) المائدة ٦٧.

(٢) صحيح مسلم ٢٢/٥ - ٦٦ - ٢٤٠٨، الدر المنثور، السيوطي ٣٤٩/٧، مستد أحمد بن حنبل ٤٩٢/٥
ح ١٨٧٨٠، المعجم الكبير، الطبراني ١٨٦/٥، تهذيب الكمال، ٥١/١٠، تفسير القرآن، ابن كثير ١١٥/٩،
كنز العمال ٤٨/١، نوادر الأصول، الحكيم الترمذي ٦٨، مجمع الزوائد ١٧٠/١، سنن الدارمي ٤٣١/٢،
المستدرک، الحاكم ١٠٩/٣، السنن الكبرى، البيهقي ٣٠/٧، ١١٤/١٠.

(٣) تفسير الفخر الرازي ٦٣٦/٣، الصواعق المحرقة، ابن حجر ٢٦، التنبيه والاشراف ٢٢١.

يخبرك يا ابن أبي طالب أمسيت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة^(١).
وأعقب ذلك نزول آية قرآنية أخرى وهي:
﴿اليوم أكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً﴾^(٢).

وإستناداً لهذا الحديث فقد وصف معاوية بن يزيد بن معاوية الإمام علياً عليه السلام
عند انتخابه خليفة لآبيه يزيد) قائلاً:

«إن جدِّي معاوية قد نازع في هذا الأمر من كان أولى منه ومن غيره لقرابته من
رسول الله ﷺ وعظم فضيلته وسابقته، أعظم المهاجرين قدراً وأشجعهم قلباً
وأكثرهم علماً وأولهم إيماناً وأشرفهم منزلة وأقدمهم صحبة، ابن عم رسول الله ﷺ
وأفضل هذه الأمة وصهره وأخوه، وزوجه ﷺ ابنته فاطمة وجعله لها بعلاً
باختياره لها وجعلها له زوجة باختيارها له، أبو سبطيه سيدي شباب أهل الجنة،
وابني فاطمة البتول من الشجرة الطيبة الطاهرة الزكية. فركب جدِّي منه ما تعلمون
وركبت معه ما لا تجهلون حتى انتظمت لجدي الأمور»^(٣).

فقال بنو أمية لمعلمه عمر المقصوص أنت علمته هذا ولقنته إياه وصددته عن
الخلافة، وزينت له حب علي وأولاده وحملت علي ما وسمنابه من الظلم وحسنت له
البدع حتى نطق بما نطق وقال ما قال.

فقال عمر المقصوص: واللله ما فعلته ولكنه مجبول ومطبوع علي حب علي عليه السلام.
فلم يقبلوا منه ذلك وأخذوه ودفنوه حياً حتى مات^(٤).

(١) تاريخ الخطيب البغدادي ٢٣٢ مستند أحمد ٤ / ٢٨١.

(٢) المائدة ٣.

(٣) حياة العيران الكبرى، الدميري ٢ / ٨٩، مروج الذهب، المسعودي ٣ / ٧٢ - ٧٣، تاريخ الخلفاء.

السيوطي ص ٢٤٦، البداية والنهاية ٨ / ٢٦١، تاريخ يعقوبي ٢ / ٢٥٤.

(٤) تاريخ الخميس ٢ / ٣٠١.

ومعاوية الثاني أول خليفة مسلم طالب بإرجاع الخلافة إلى أهل البيت عليهم السلام والنص عليهم واستقال من منصبه، مما دفع الأمويين إلى قتله بالسم^(١).

نزول آيتي البلاغ وإكمال الدين

أيد الكثير من العلماء نزول آيتي البلاغ وإكمال الدين في الغدير قال السيوطي: نزلت هذه الآية:

﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾^(٢)

على رسول الله ﷺ يوم غدير خم في علي بن أبي طالب^(٣).

وقال عبدالله بن مسعود: كنا نقرأ على عهد رسول الله ﷺ: يَا أَيُّهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ - إِنَّ عَلِيًّا مَوْلَى الْمُؤْمِنِينَ - وإن لم تفعل فما بلغت رسالته، والله يعصمك من الناس^(٤).

وعن جابر بن عبدالله وعبدالله بن العباس الصحابين قالا: أمر الله محمداً أن ينصب علياً للناس ويخبرهم بولايته، فتخوف رسول الله أن يقولوا حابي ابن عمه، وأن يطعنوا في ذلك عليه، فأوحى الله إليه: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾^(٥)

فقال رسول الله بولايته يوم غدير خم.

وقالت فاطمة بنت محمد عليها السلام: وهل ترك أبي يوم غدير خم لأحدٍ عذراً^(٦).

(١) مروج الذهب، ٣ / ٧٢، تاريخ الخلفاء، السيوطي ٢٤٦، تاريخ اليعقوبي ٢ / ٢٥٤، تاريخ الخميس ٣٠١/٢.

(٢) المائدة ٦٧.

(٣) الدر المتثور ٢٩٨/٢.

(٤) الدر المتثور، السيوطي ٢٩٨/٢.

(٥) المائدة: ٦٧.

(٦) الخصال ١٧٣.

وروى السيوطي في الدر المنثور: لما نصب رسول الله ﷺ علياً يوم غدیر خم ونادى له بالولاية هبط جبرئيل عليه بهذه الآية: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم...﴾^(١)

راجع حديث الغدير للطبري المفسر والمؤرخ الشهير، وحديث الغدير للحافظ الدارقطني، والذهبي، وعبيد الله الحسكاني، ومسعود السجستاني وكتاب الغدير للأميني، وحديث الغدير في كتاب عبقات الأنوار.

وفي تفسير الثعلبي قال جعفر بن محمد ﷺ في معنى قوله: ﴿يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك﴾، في فضل علي، فلما نزلت هذه أخذ النبي ﷺ بيد علي فقال: من كنت مولاه فعلي مولاه.

وعن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس في هذه الآية قال: نزلت في علي بن أبي طالب إذ أمر الله النبي ﷺ أن يبلغ فيه فأخذ بيد علي فقال: من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه^(٢).

قال الأميني: نزلت هذه الآية الشريفة يوم الثامن عشر من ذي الحجة سنة حجة الوداع (١٠ هـ) لما بلغ النبي الأعظم ﷺ غدير خم، فأتاه جبرئيل بها على خمس ساعات مضت من النهار فقال: يا محمد إن الله يقرؤك السلام ويقول لك:

﴿يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك - في علي - وإن لم تفعل فما بلغت رسالته﴾

وكان أوائل القوم وهم مائة ألف أو يزيدون قريباً من المجحفة فأمر أن يرد من تقدم منهم، ويحبس من تأخر عنهم في ذلك المكان، وأن يقيم علياً ﷺ علماً للناس، ويبلغهم ما أنزل الله فيه، وأخبره بأن الله عز وجل قد عصمه من الناس.

(١) المعيار والموازنة ٢١٣، الحافظ الحسكاني في الحديث ٢١١ وتواليه من شواهد التنزيل ١٥٧/١، وابن عساكر في الحديث (٥٨٥ - ٥٨٦) من ترجمة أمير المؤمنين ﷺ تاريخ دمشق ٩٥/٢ الطبعة الأولى.

(٢) تفسير الميزان ٥٤/٦.

وما ذكرناه من المتسالم عليه عند أصحابنا الإمامية، غير إننا نحتج في المقام بأحاديث أهل السنة في ذلك. وقد ذكر الأميني رحمته ثلاثين مؤلفاً من السنين رويوا أن الآية نزلت في ولاية علي عليه السلام نذكر عدداً منهم باختصار:

١- الحافظ أبو جعفر محمد بن جرير الطبري المتوفى سنة ٣١٠ هجرية، أخرج بإسناده في كتاب (الولاية) في طرق حديث الغدير، عن زيد بن أرقم قال:

لما نزل النبي صلى الله عليه وآله بغدير خم في رجوعه من حجة الوداع، وكان في وقت ضحى وحر شديد، أمر بالدوحات فأقيمت، ونادى الصلاة جامعة فاجتمعنا فخطب فخطبة بالغة ثم قال: إن الله تعالى أنزل إلي:

﴿بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل لما بلغت رسالته والله يعصمك

من الناس...﴾

٢- الحافظ ابن أبي حاتم أبو محمد الحنظلي الرازي المتوفى ٣٢٧ هـ.

٣- الحافظ أبو عبدالله المحاملي المتوفى ٣٣٠ هـ، أخرج في أماليه بإسناده عن ابن

عباس...

٤- الحافظ أبو بكر الفارسي الشيرازي المتوفى ٤٠٧ هـ، روى في كتابه ما نزل

من القرآن في أمير المؤمنين، بالإسناد عن ابن عباس...

٥- الحافظ ابن مردويه المولود ٣٢٣ هـ والمتوفى ٤١٦ هـ، أخرج بإسناده عن

أبي سعيد الخدري أنها نزلت يوم غدير خم في علي بن أبي طالب وإسناده آخر عن ابن مسعود أنه قال: كنا نقرأ على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله «يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك - أن علياً مولى المؤمنين -...»

٦- أبو إسحاق الثعلبي النيسابوري المتوفى سنة ٤٢٧ هـ، في تفسيره الكشف

والبيان.

٧- الحافظ أبو نعيم الاصبهاني المتوفى سنة ٤٤٣ هـ، روى في تأليفه: ما نزل

من القرآن في علي...

٨- أبو الحسن الواحدي النيسابوري المتوفى سنة ٤٦٨ هـ، روى في أسباب النزول/ ١٥٠...

٩- الحافظ أبو سعيد السجستاني المتوفى سنة ٤٧٧ هـ، في كتاب الولاية بإسناده من عدة طرق عن ابن عباس...

١٠- الحافظ الحاكم المحسكاني أبو القاسم روى في شواهد التنزيل لقواعد التفصيل والتأويل، بإسناده عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس، وجابر...

١١- الحافظ أبو القاسم ابن عساكر الشافعي المتوفى سنة ٥٧١ هـ، أخرج بإسناده عن أبي سعيد الخدري...

١٢- أبو الفتح النطنزي أخرج في الخصائص العلوية، بإسناده عن الإمامين محمد بن علي الباقر وجعفر بن محمد الصادق (عليه السلام).

١٣- أبو عبدالله فخر الدين الرازي الشافعي المتوفى سنة ٦٠٦ هـ، قال في تفسيره.

الكبير ٣/ ٣٦٣: نزلت الآية في فضل علي (عليه السلام)، ولما نزلت هذه الآية أخذ بيده وقال: من كنت مولاه فعلي مولاه...

١٤- أبو سالم النصيبي الشافعي المتوفى سنة ٦٥٢ هـ، في مطالب السؤل/ ١٦...
١٥- الحافظ عز الدين الرسعني الموصلي الحنبلي المولود ٥٨٩ هـ...

١٦- شيخ الإسلام أبو إسحاق الحموي المتوفى سنة ٧٢٢ هـ، أخرج في فرائد السمطين عن مشايخه الثلاثة: السيد برهان الدين إبراهيم بن عمر الحسيني المدني، والشيخ الإمام مجد الدين عبدالله بن محمود الموصلي، وبدر الدين محمد بن محمد بن أسعد البخاري بإسنادهم عن أبي هريرة: إن الآية نزلت في علي (عليه السلام).

١٧- السيد علي الهمداني المتوفى سنة ٧٨٦ هـ، قال في مودة القربى: عن البراء

بن عازب عليه السلام قال: أقبلت مع رسول الله ﷺ في حجة الوداع، فلما كان بغدير خم نودي الصلاة جامعة، فجلس رسول الله ﷺ تحت شجرة وأخذ بيد علي عليه السلام، وقال: أأنت أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟ قالوا: بلى؛ يا رسول الله.

فقال: ألا من كنت مولاه فعلي مولاه. اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه. فلقبه عمر فقال: هنيئاً لك يا علي بن أبي طالب، أصبحت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة. وفيه نزلت: يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك. ١٨ - بدر الدين بن العيني الحنفي المولود ٧٦٢ هـ والمتوفى سنة ٨٥٥ هـ ذكره في عمدة القاري في شرح صحيح البخاري ٨/ ٥٨٤ في قوله تعالى: (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل) عن الحافظ الواحدي...^(١)

وعن ابن عباس وجابر بن عبد الله قالوا: أمر الله تعالى نبيه محمداً ﷺ أن ينصب علياً عليه السلام علماً للناس، ويخبرهم بولايته، فتخوف رسول الله ﷺ أن يقولوا حابي ابن عمه، وأن يطعنوا في ذلك عليه، فأوحى الله إليه: ﴿يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس...﴾^(٢) وعن أبي جعفر عليه السلام قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: فرض الله عز وجل على العباد خمساً، أخذوا أربعاً وتركوا واحدة، قلت: أأسمين لي جعلت فداك؟ فقال: الصلاة وكان الناس لا يدرون كيف يصلون، فنزل جبرئيل عليه السلام فقال: يا محمد أخبرهم بمواقيت صلاتهم.

ثم نزلت الزكاة فقال: يا محمد أخبرهم من زكاتهم ما أخبرتهم من صلاتهم. ثم نزل الصوم، فكان رسول الله ﷺ إذا كان يوم عاشوراء بعث إلى ما حوله من القرى فصاموا ذلك اليوم، فنزل شهر رمضان بين شعبان وشوال.

(١) الفدير ١/ ٢١٤.

(٢) تفسير المياشي ١/ ٣٣١.

ثم نزل الحج فنزل جبرئيل ﷺ فقال: أخبرهم من حجهم ما أخبرتهم من صلاتهم وزكاتهم وصومهم.

ثم نزلت الولاية... وكان كمال الدين بولاية علي بن أبي طالب ﷺ فقال عند ذلك رسول الله ﷺ:

أمتي حديثو عهدٍ بالجاهلية، ومتى أخبرتهم بهذا يقول قائل ويقول قائل، فقلت في نفسي من غير أن ينطق به لساني، فأتتني عزيمة من الله عز وجل بتلة^(١)، أو عدني إن لم أبلغ أن يعذبني، فنزلت:

﴿يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس إن الله لا يهدي القوم الكافرين﴾، فأخذ رسول الله ﷺ بيد علي ﷺ فقال: أيها الناس إنه لم يكن نبي من الأنبياء ممن كان قبلي إلا وقد عمره الله ثم دعاه فأجابه، فأوشك أن أدعى فأجيب، وأنا مسؤول وأنتم مسؤولون، فإذا أنتم قائلون؟

فقالوا: نشهد أنك قد بلغت ونصحت وأدبت ما عليك، فجزاك الله أفضل جزاء المرسلين.

فقال الرسول: اللهم اشهد، ثلاث مرات.

ثم قال: يا معشر المسلمين هذا وليكم من بعدي، فليبلغ الشاهد منكم الغائب^(٢). وقال جعفر بن محمد ﷺ أنه قال لمن حضره من مواليه وشيعته: أتعرفون يوماً شيد الله به الإسلام، وأظهر به منار الدين، وجعله عيداً لنا ولموالينا وشيعتنا؟ فقالوا: الله ورسوله أعلم، أيوم الفطر هو يا سيدنا؟

قال ﷺ: لا.

قالوا: أيوم الأضحى هو؟

(١) أي مقطوعة.

(٢) الكافي ١/ ٢٩٠.

قال: لا، وهذان يومان جليلان شريفان، ويوم منار الدين أشرف منهما وهو اليوم الثامن عشر من ذي الحجة.

وإن رسول الله ﷺ لما انصرف من حجة الوداع، وصار ببغدير خم، أمر الله عز وجل جبرئيل عليه السلام أن يهبط على النبي وقت قيام الظهر من ذلك اليوم وأمره أن يقوم بولاية أمير المؤمنين عليه السلام وأن ينصبه علماً للناس بعده، وأن يستخلفه في أمته، فهبط إليه وقال له: حبيبي محمد إن الله يقرؤك السلام ويقول لك: قم في هذا اليوم بولاية علي ليكون علماً لأمتك بعدك يرجعون إليه، ويكون لهم كأنت.

فقال النبي ﷺ: حبيبي جبرئيل إني أخاف تغير أصحابي لما قد وترهم، وإن يبدو ما يضرهم فيه،

فمرج وما لبث أن هبط بأمر الله فقال له: ﴿يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس﴾

فقام رسول الله ﷺ ذِعْراً مرعوباً خائفاً من شدة الرمضاء وقدماء تشويان وأمر بأن ينظف الموضع ويقم ما تحت الدوح من الشوك وغيره ففعل ذلك، ثم نادى بالصلاة جامعة فاجتمع المسلمون، وفيمن اجتمع أبو بكر وعمر وعثمان وسائر المهاجرين والأنصار، ثم قام خطيباً، وذكر الولاية فالزمها للناس جميعاً، فأعلمهم أمر الله بذلك^(١).

وقال رجل للإمام محمد بن علي بن الحسين عليه السلام: يا ابن رسول الله إن الحسن البصري حدثنا أن رسول الله ﷺ قال: إن الله أرسلني برسالة فضاق بها صدري، وخشيت أن يكذبني الناس، فتواعدني إن لم أبلغها أن يعذبني.

قال له أبو جعفر: فهل حدثكم بالرسالة؟

قال: لا.

قال ﷺ: أما والله إنه ليعلم ما هي، ولكنه كتبها متعمداً

قال الرجل: يا بن رسول الله جعلني الله فداك وما هي؟

فقال ﷺ: إن الله تبارك وتعالى أمر المؤمنين بالصلاة في كتابه، فلم يدروا ما الصلاة ولا كيف يصلون، فأمر الله عز وجل محمداً ﷺ أن يبين لهم كيف يصلون. فأخبرهم بكل ما افترض الله عليهم من الصلاة مفسراً.

وأمر بالزكاة، فلم يدروا ما هي، ففسرها رسول الله ﷺ وأعلمهم بما يؤخذ من الذهب والفضة والإبل والبقر والغنم والزرع، ولم يدع شيئاً مما فرض الله من الزكاة إلا فسر له لأمته، وبيّنه لهم.

وفرض عليهم الصوم، فلم يدروا ما الصوم ولا كيف يصومون، ففسره لهم رسول الله ﷺ وبيّن لهم ما يتقون في الصوم، وكيف يصومون.

وأمر بالحج فأمر الله ﷺ أن يفسر لهم كيف يحجّون، حتى أوضح لهم ذلك في سنته.

وأمر الله عز وجل بالولاية فقال: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾، ففرض الله ولاية ولادة الأمر فلم يدروا ما هي، فأمر الله ﷺ أن يفسر لهم ما الولاية، مثلما فسر لهم الصلاة والزكاة والصوم والحج، فلما أتاه ذلك من الله عز وجل ضاق به رسول الله ذرعاً، وتخوف أن يرتدوا عن دينه وأن يكذبوه، فضاقت صدره وراجع ربه فأوحى إليه:

﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾، فصعد بأمر الله وقام بولاية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ يوم غدير خم، ونادى لذلك الصلاة جامعة، وأمر أن يبلغ الشاهد الغائب^(١).

وكانت الفرائض ينزل منها شيء بعد شيء، تنزل الفريضة ثم تنزل الفريضة الأخرى وكانت الولاية آخر الفرائض، فأنزل الله عز وجل: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً﴾ قال أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين عليه السلام: يقول الله عز وجل: لا أنزل عليكم بعد هذه الفريضة فريضة، قد أكملت لكم هذه الفرائض.

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: أوصي من آمن بالله وبني وصدقني: بولاية علي بن أبي طالب، فإن ولاءه ولاتي، أمر أمرني به ربي، وعهد عهده إلي، وأمرني أن أبلغكموه عنه^(١).

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا جبرئيل أمتي حديثة عهدٍ بجاهلية، وأخاف عليهم أن يرتدوا، فأنزل الله عز وجل: يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك - في علي - فإن لم تفعل فما بلغت رسالته، والله يعصمك من الناس.

فلم يجد رسول الله صلى الله عليه وآله بداً من أن يجمع الناس بغدير خم فقال: أيها الناس إن الله عز وجل بعثني برسالة فضقت بها ذرعاً فتواعدني إن لم أبلغها أن يعذبني، أفليست تعلمون إن الله عز وجل مولاي وأناي مولى المسلمين ووليهم وأولى بهم من أنفسهم؟ قالوا: بلى.

فأخذ بيد علي عليه السلام فأقامه ورفع يده بيده وقال: فن كنت مولاه فعلي مولاه، ومن كنت وليه فهذا علي وليه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه وانصر من نصره، وأخذل من أخذه، وأدر الحق معه حيث دار.

ثم قال أبو جعفر عليه السلام: فوجبت ولاية علي عليه السلام على كل مسلم ومسلمة^(٢). وقد أيد الكثير بأن سورة المائدة آخر سورة في القرآن الكريم إضافة لما ذكرناه مثل:

(١) دعائم الاسلام: النعمان المغربي ١٤/١.

(٢) شرح الاخبار ١/١، ١٠١/٢، ٢٧٦/٢.

ابن عباس^(١) وعبد الله بن عمر^(٢). وقد ذكر الأئمة بعضاً منهم:

- ١- الحافظ أبو سعيد السجستاني المتوفى سنة ٤٧٧ هـ.
- ٢- أبو الحسن ابن المغازلي الشافعي المتوفى سنة ٤٨٣ هـ.
- ٣- الحافظ أبو القاسم الحسكاني عن أبي سعيد الخدري.
- ٤- الحافظ أبو القاسم بن عساكر الشافعي الدمشقي المتوفى سنة ٥٧١ هـ.
- ٥- أخطب خوارزم المتوفى سنة ٥٦٨ هـ في المناقب ص ٨٠.
- ٦- شيخ الإسلام الحموي الحنفي المتوفى سنة ٧٢٢ هـ.

حديث الثقلين في المدينة سنة ١١ هـ

واستمر النبي ﷺ في ذكر حديث الثقلين حتى في ساعات حياته الأخيرة، ففي أيام مرضه وقبل موته قال رسول الله ﷺ وقد امتلأت الحجرة بأصحابه في المدينة: «إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي، ثم أخذ بيد علي عليه السلام فقال: هذا علي مع القرآن والقرآن مع علي لا يفترقان حتى يردا علي الحوض»^(٣).

وقال ﷺ: اتتوني بورقة ودواة لأكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً^(٤). أي فعل الرسول ﷺ ما فعله سابقاً في خطب حجة الوداع وفي غدير خم، فثارت عليه قريش مرة أخرى بقيادة عمر بن الخطاب وقالوا: يهجر يهجر وتنازعوا^(٥). ومنعوا أصحابه من المجيء بورقة ودواة ليكتب وصيته إلى خليفته علي

(١) شعب الإيمان، البيهقي ٢/٢٥٧، ابن حزم الأندلسي، المحلى ٩/٣٨٩، ٤٠٧.

(٢) تفسير ابن كثير ٢/٢٢، ابن حجر، مجمع الزوائد ١/٢٥٦، ورواه الطبراني في الأوسط وتفسير التبيان ٣/١١٣.

(٣) الصواعق المحرقة ٨٩ كشف الاستار عن زوائد البزار ٣/٢٢١ عن مسند أبي بكر البزار، تهذيب اللغة، العلامة الأزهري ٩/١٧٨.

(٤) صحيح البخاري ٧/٩ باب قول المريض قوموا عني.

(٥) تذكرة الخواص، سبط ابن الجوزي ٢٦، تاريخ ابن الوردي ١/١٢٩، مسند أحمد ١/٣٥٥ صحيح البخاري ٧/٩ باب قول المريض قوموا عني.

بن أبي طالب عليه السلام وانقسم نساء النبي صلى الله عليه وآله إلى قسمين الأكثرية إلى جانب الرسول صلى الله عليه وآله في المطالبة بإحضار ورقة ودواة للرسول صلى الله عليه وآله ليكتب وصيته، والأقلية في جانب عمر تمتع ذلك وهنَّ عائشة وحفصة وسودة وام حبيبة بنت أبي سفيان. فغضب عمر على المؤيدات لرسول الله صلى الله عليه وآله ووصفهن بصويحات يوسف قائلاً: أسكنن فانكن صواحبه.

فجزره الرسول صلى الله عليه وآله قائلاً: هنَّ خيرٌ منكم^(١). ثم قال النبي صلى الله عليه وآله لعائشة وحفصة وسودة وام حبيبة: إنكنَّ لأنتنَّ صواحب يوسف^(٢).

وغضب رسول الله صلى الله عليه وآله على المتمردين على أوامر الله تعالى قائلاً: قوموا عني^(٣).

مصير المخالفين لحديث الثقلين ؟

ذكر الله تعالى انحراف أعداء أهل البيت عليهم السلام عن الحق قائلاً:

﴿أَمَّا إِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ﴾^(٤)

وقد علم رسول الله صلى الله عليه وآله بارتداد أكثر الصحابة من بعده وانغماسهم في الدنيا قائلاً:

«لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض»^(٥).

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «أقبلت الفتن كقطع الليل المظلم»^(٦).

(١) منتخب كنز العمال ١١٤/٣، تاريخ الطبري ٤٣٩/٢، سيرة ابن هشام ٣٠١/٤.

(٢) تاريخ الطبري ٤٣٩/٢، سيرة ابن هشام ٣٠١/٤، تنبيه الامامة ٢٣.

(٣) صحيح البخاري ٩/٧ باب قول المريض قوموا عني، مسند أحمد ٥١/١، فتح الباري ٨/١٠٣، السنن الكبرى للنسائي ٤/٢٦٠.

(٤) آل عمران ١٤٤.

(٥) سنن ابن ماجه ٢/١٣٠٠.

(٦) تاريخ الطبري ٤٣٢/٢.

ولا ينجو من هؤلاء الصحابة إلا القليل، إذ قال رسول الله ﷺ: «فلم يفلت منهم إلا كمثل همل النعم».

قال الجوهرى: والهمل، الإبل التي ترعى بلا راع مثل النفس إلا أن النفس لا يكون إلا ليلاً والهمل يكون ليلاً ونهاراً^(١).

وقد طرح الرسول ﷺ قضية ارتداد الصحابة من بعده في حجة الوداع مترابطة مع طرحه ضرورة التمسك بالتقلين.

حوادث الحارث الفهري وأصحابه

لقد نزلت العقوبة الإلهية على عدة رجال مخالفين لولاية علي بن أبي طالب عليه السلام كالتى نزلت على جيش إبرة الحبشي الذي جاء لهدم الكعبة.

وقد ذكر القرآن الكريم الحادثة ولولا ذلك لطمستها طغاة بني أمية واعوانهم.

اذغضب الحارث الفهري من تنصيب الرسول ﷺ لعلي عليه السلام في منصب الولاية

العظمى وسأل الرسول: هذا منك أم من الله؟ فقال الرسول ﷺ: من الله تعالى.

فقال الحارث اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من

السما أو ائتنا بعذاب اليم فأصابته حجارة من السماء فسقطت في رأسه وخرجت من

ديره وسقط ميتاً. ونزل ﴿سَأَلْ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾^(٢).

ونزل أيضاً قوله تعالى أفبعذابنا يستعجلون^(٣).

ومن هؤلاء الرجال: جابر بن النضر بن الحارث بن كلدة العبدي وعامر بن

الحارث الفهري. والحارث بن النعمان الفهري^(٤). وعمر بن الحارث الفهري مع اتني

(١) الصحاح، الجوهرى ١٨٥٤/٥.

(٢) المعارج ١.

(٣) الشعراء ٢٠٤. شرح الاخبار للفاضل النعمان المغربي ٢٣٠. والبحار ١٧٦/٣٧.

(٤) تفسير فرات الكوفي ٥٠٦.

عشر رجلاً من الكفار^(١). وعمر بن عتبة المخزومي. والنعمان بن الحارث اليهودي. والنعمان بن المنذر الفهري. ورجل من بني تيم. ورجل أعرابي من أهل نجد من ولد جعفر بن كلاب بن ربيعة، وآخرون^(٢).

ولما أمر رسول الله ﷺ الناس بالتسليم على علي عليه السلام بإمرة المؤمنين قال أبو بكر وعمر للنبي ﷺ: أعن أمر الله وأمر رسوله؟ قال ﷺ: نعم^(٣).

وهذا يبين كثرة المخالفين لولاية علي عليه السلام من المسلمين ومنهم أبو بكر وعمر!

الدلائل والعبر

إن معظم الاختلافات الحاصلة في الدنيا منبعا الأهواء الدنيوية وقد قال خاتم الرسل ﷺ: حب الدنيا رأس كل خطيئة.

فالأنصار بذلوا أموالهم للمسلمين وضحوا بالغالي والرخيص في سبيل رفعة الدين الإسلامي ولما منهم رسول الله ﷺ الفناء في معركة حنين تكلموا واحتجوا فأخبر سعد بن عباد رسول الله ﷺ بالحالة الخطيرة فخطب فيهم وأرضاهم. فتيقن الأنصار بعدالة رسول الله ﷺ لأنه بذل الأموال لأعدائه لإرضائهم ولم ينفقها في أهله لإغنائهم.

ولما وزع أبو بكر بعض المال في النساء بعد السقيفة ردته امرأة من بني عدي

(١) تفسير فرات الكوفي ٥٠٤.

(٢) وذكر العادة: الحافظ أبو عبيد الهروي المتوفى بمكة سنة ٢٢٣ في تفسيره غريب القرآن، تفسير أبي بكر النقاش الموصلية المتوفى سنة ٣٥١ هـ، أبو اسحاق التلي النيشابوري المتوفى سنة ٤٢٧ هـ، في تفسيره الكشف والبيان، الحاكم أبو القاسم الحسكاني في كتاب أداء حق الموالات، أبو بكر يحيى القرطبي المتوفى سنة ٥٦٧ هـ في تفسيره، شمس الدين أبو المظفر سبط ابن الجوزي الحنفي المتوفى سنة ٦٤٥ هـ، الشيخ برهان الدين علي الحلبي الشافعي.

(٣) السقيفة، سليم بن قيس ٥٩٣/٢ تحقيق محمد باقر الأنصاري.

قائلة: اتراشونني عن ديني^(١).

ولما وزع عثمان بن عفان الأموال في عشيرته وأعطى مروان بن الحكم خمس أفريقيا^(٢) البالغ وقتها اثني عشر مليون دينار ذهباً ثار المسلمون واستقال زيد بن أرقم وعبدالله بن مسعود من وظيفتهما كأمني بيت مال المسلمين.

وقال عثمان: إن أبا بكر وعمر كانا يحتسبان في منع قرابتهما وأنا أحتسب في إعطاء قرابتي. قالوا: فهديهما أحب إلينا من هديك^(٣).

وفي غزوة علي بن أبي طالب عليه السلام إلى اليمن ركب أتباعه إبل الصدقة ولبسوا ثياب الخمس المتعلقة بكل المسلمين بعد أخذهم حصصهم من الغنائم اجحافاً بحق الآخرين وسرقة لبيت المال.

ولما استرجعها علي عليه السلام منهم قتلوا وغضبوا محتجين بعمل سائر قيادات العساكر مثل خالد بن الوليد.

ولكن علياً عليه السلام صمد في وجههم دفاعاً عن الحق والعدالة.

ولما كثرت الأموال واتسعت الدولة الإسلامية ازدادت المشاكل المالية والسياسية. فرغم الأموال العظيمة التي حصل عليها المسلمون في تلك السنوات كان البعض منهم يطالب بالمزيد لانحراف الناس نحو مباحج الدنيا وطلباتها الكثيرة؛ فأسامة بن زيد طالب أمير المؤمنين علياً عليه السلام بمزيد من المال فواعده بإعطائه من حصته السنوية المساوية لحصص أهالي بدر، ولم يعطه من بيت المال.

وطالبه أخوه عقيل بن أبي طالب بحصة أكثر مما حصل عليها المسلمون فوضع علي عليه السلام حجرة نار في يديه.

وأعلن علي عليه السلام قائلاً: كل قطيعة أقطعها عثمان وكل مال أعطاه من مال الله فهو

(١) شرح النهج ٢ / ٥٢.

(٢) كنز العمال ٥ / ٢٨٤.

(٣) شرح النهج ٣ / ٣٥.

مردود في بيت المال^(١).

فتار عليه المنتعمون الآخذون مال الله بالباطل من بني أمية وغيرهم وشاركوا في محاربتة في الجمل وصفين!

قال الحسين بن علي عليه السلام: الناس عبيد الدنيا والدين لعق علي ألسنتهم. ولما تعرفت قبيلة همدان علي خصال علي بن أبي طالب عليه السلام الحميدة أحبوه رغم اسلامهم المتأخر وحاربوا معه في صفين دفاعاً عن المبادئ الرشيدة.

أما المطالبون بالأموال الكثيرة دون رعاية للعدالة فقد استمروا في هذا المنحنى مثل حكيم بن حزام (الطليق) الذي حصل علي مائة ناقة في حرب حنين باعتباره من المؤلفة قلوبهم فطالب بالمزيد فأعطاه رسول الله ﷺ مائة أخرى^(٢).

وفي زمن عثمان حصل علي أموال كثيرة باعتباره من جهاز السلطة السياسي ولم يكتف فالتحق بمعاوية بن أبي سفيان وحارب علياً عليه السلام مثلما حاربه في بدر وأحد والخندق فكسب من معاوية مالاً لا يعد ولا يحصى وذلك هو الخسران المبين.

وتكرار الرسول لحديث الثقلين في حجة الوداع نابع من اهميته البالغة عليه فهو يوجد في كل الكتب الاسلامية.

ولاهمية حديث الولاية فقد قال الله تعالى آيتين في خصوصه وذكره النبي ﷺ امام مائة وعشرين الف مسلم في غدير خم. ليسأل الناس عنه يوم القيامة.

(١) شرح النهج ١ / ٢٢٠.

(٢) طبقات ابن سعد ٢ / ١٥٣، تاريخ الطبري ٣ / ٣٥٨، مناقبي الواقدي ٣ / ٩١٣، سيرة أبي حاتم ١ / ٣٥٦.

من الوقائع المهمة



حديث الطائر

قال انس بن مالك: كنت أخدم رسول الله ﷺ فقدم لرسول الله ﷺ فرخ مشوي فقال:

اللهم ائتني بأحب خلقك إليك يأكل معي من هذا الطير فجاء علي بن أبي طالب عليه السلام ثلاث مرات وأنس يرده فسمع صوته رسول الله ﷺ فدعاه واعتذر انس بأنه أراد ان يكون من قومه وأكل مع رسول الله ﷺ^(١).

والذين افردوا قصة الطائر في كتاب منفصل هم الحاكم وابن جرير الطبري وابن عقدة وابو نعيم الاصبهاني وابن مردويه والذهبي .

وقد حارب المعادون لأهل البيت عليه السلام لتصحيحه رواية الطائر المشوي.

وقال علي عليه السلام يوم الشورى انا صاحب الطائر المشوي^(٢).

وقال رسول الله ﷺ: النظر إلى علي عليه السلام عبادة^(٣).

(١) مستدرک الحاكم ١٤٢/٣ طبعة دار الكتب العلمية - بيروت، الذريعة ١٥/١٦٢، اعلام الوری، الطبرسي ٣١٦/١، سير اعلام النبلاء ١٦ / ٣٥٢، الانساب، السمعاني ١ / ٤٣٣، كنز العمال ٦ / ٤٠٦، الاحتجاج ١ / ٢٠٠، الصراط المستقیم ١ / ١٩٣ والصواعق المحرقة لابن حجر ٧٣ ح ١٣ واحقاق الحق ٥ / ٣٢٠ وقضائل الصحابة لاحمد بن حنبل ٢ / ٥٦٠ والبخاري ٣١ / ٣٦٣، وتاريخ ابن عساکر في ترجمة علي ٢ / ١٠٥ - ١٣٤ ومناقب ابن المغازلي ١٥٦ . وصحيح الترمذی ٥ / ٥٩٥ ح ٣٧٢١ ومجمع الزوائد ٩ / ١٢٥ ومعيون اخبار الرضا ٢ / ١٨٧ وامالي الصدوق ٥٢١ والغصالي ٥٥١.

(٢) عيون الحكم للواسطي ١٦٧.

(٣) مستدرک الحاكم ٣ / ١٥٠.

صحيفة المعارضة

لقد تعودت قبائل قريش على كتابة صحيفة معارضة لبني هاشم وأول صحيفة قرشية معارضة لرسول الله ﷺ وقبيلته هي صحيفة المقاطعة المعلقة في جوف الكعبة وقد سارت قريش الكافرة على بنود تلك المعاهدة الظالمة فترة ثلاث سنين^(١).

«وكتبوا الصحيفة بينهم في حجة الوداع على أخذ الخلافة من علي ﷺ وتناوبها بينهم منهم أبو بكر وعمر ومعاذ وأبو عبيدة بن الجراح وسالم مولى أبي حذيفة. ثم اتفق ذلك الجمع على أن ينفروا ناقة رسول الله ﷺ ويقتلوه في عقبة الهرشي عند منصرفه من حجة الوداع وهم أربعة عشر قرأ فلما دخلوا المدينة اجتمعوا جميعاً في دار أبي بكر وكتبوا صحيفة بينهم على ذكر ما تعاهدوا عليه في هذا الأمر. وكان أول ما في الصحيفة النكت لولاية علي بن أبي طالب ﷺ وأن الأمر إلى أبي بكر وعمر وأبي عبيدة وسالم ومعاذ. وشهد بذلك أربعة وثلاثون رجلاً: هؤلاء أصحاب العقبة وعشرون رجلاً آخر منهم أبو سفيان، عكرمة بن أبي جهل، صفوان بن أمية بن خلف، سعيد بن العاص، خالد بن الوليد، عياش بن أبي ربيعة، بشير بن سعد، سهيل بن عمرو، حكيم بن حزام، صهيب بن سنان، أبو الأعور الأسلمي (زعيم قبيلة أسلم الاعرابية)، ومطيع بن الأسود المدري. وكتب الصحيفة سعيد بن العاص.

ومع كل واحد من هؤلاء جمع من الناس وأمين الصحيفة أبو عبيدة بن الجراح فسموه بالأمين^(٢)».

وأفراد هذه المجموعة بقوا إلى أواخر حياتهم معارضين ومبغضين لأهل البيت ﷺ وسير الأحداث اللاحقة لهذه الوثيقة يؤيدها، فهؤلاء كانوا يداؤماً واحدة في قيادة الحزب القرشي للوصول إلى السلطة.

قال حذيفة بن اليمان: إن أول من تعاهد على غضب الخلافة هو أبو بكر وعمر،

(١) راجع موضوع شجب أبي طالب في هذا الكتاب.

(٢) راجع البحار، المجلسي ٩٦/٢٨ - ١١١، السقيقة، سليم بن قيس ١٦٨.

والأساس الذي تعاقدوا عليه هو «إن مات محمد أو قُتل نزوي هذا الأمر عن أهل بيته فلا يصل أحد منهم الخلافة ما بقينا»^(١).

وكانت عائشة وحفصة عينين لأبويهما في منزل رسول الله ﷺ في جميع القضايا.

صحيفتا المقاطعة عند بني لؤي وبني فهر

لقد حارب الحزب القرشي الاسلام حرباً لا هوادة فيها بكل الوسائل المتاحة لديه وكتب صحفاً في ذلك موقعه في داخل الكعبة باسمائهم ومحفوظة فيها.

وكانت قريش الكافرة تحترم الكعبة والعهود الموقعة فيها اكراماً لها ولهذا الغرض حُفِظَت صحيفة المقاطعة فيها.

فقد ذكرت النصوص حفظ قبائل قريش صحيفة المقاطعة في جوف الكعبة، وذكرت نصوص اخرى بأنها حُفِظَت عند زمعة بن الاسود بن عامر من بني عامر بن لؤي.

والجمع بين هذه الروايات يثبت بانها حفظت في جوف الكعبة وأمينها زمعة بن الاسود، ووظيفة الأمين تهئية الحرس المسؤولين عنها.

ولما كتب رجال الحزب القرشي صحيفتهم الثانية المعارضة لخلافة علي عليه السلام وأهل بيته ساروا على نفس المنهج السابق:

اذ كتبوا الصحيفة ووقعوها في الكعبة ثم دفنوها فيها لتكون مقدسة في نظر الموقعين عليها. وكانت الصحيفة الاولى حازمة في كل الامور والصحيفة الثانية حازمة في الامر السياسي.

ولما كان زمعة بن الاسود من بني فهر فقد لزمهم (في نظرهم) ان يكون امين الصحيفة الثانية من قريش ايضاً، فاعطوا الامانة الى ابي عبيدة بن الجراح، وهو

عامر بن عبد الله بن الجراح الفهري من بني فهر. وتركوا المغيرة بن شعبة وابا موسى الاشعري لعدم انتسابهما لقريش.

وبينا كان زمعة وابن الجراح امينين لصحيفتي قريش كان رسول الله ﷺ أميناً حقاً لدين الله تعالى.

اذ لما سألوأبا جهل: اترى محمداً يكذب؟

قال ابو جهل: كيف يكذب على الله، وقد كنّا نسميه الأمين لأنه ما كذب قط^(١). ولخدمات زمعة للكفر فقد اطراء الامويون ونسبوا اليه فضيلة شق صحيفة المقاطعة لأمرين:

تكذيب المعجزة الالهية في أكل الإرضة لصحيفة المقاطعة بأن الذي مرّقها هو زمعة.

وتحسين صورة زمعة بين صفوف المسلمين لتفضيله على المسلمين السابقين. ونفس تلك القبائل القرشية شاركت في الصحيفة الثانية لعزل الخلافة عن بني هاشم.

فكان هدف الصحيفة الاولى محاربة نبوة محمد الهاشمي ﷺ وهدف الصحيفة الثانية محاربة خلافة علي الهاشمي عليه السلام، ففشلت الاولى ونجحت الثانية لحكمة أرادها الله سبحانه وتعالى.

وفي امضاء وتنفيذ بنود الصحيفتين شارك ابو بكر وعمر وابو سفيان وعمر بن العاص وخالد بن الوليد ومعاوية.

ومعظم قبائل قريش الموقعة على هاتين الصحيفتين كانت قد شاركت في معاهدة لعقة الدم (حلف الظلمة) لمعارضة حلف المطيعين (انصار المظلومين) بقيادة عبد المطلب. وكانت الصحيفة الاولى علنية والصحيفة الثانية سرية.

ورموز الصحيفة الاولى من المحاكمين ورموز الصحيفة الثانية من المحكومين .
ومن دلائل النبوة ما قاله رسول الله ﷺ لعلي عليه السلام : إِنَّ الْأُمَّةَ سَتَتَدْرِكُكَ مِنْ
بَعْدِي ^(١).

هل أخبر النبي ﷺ بمقتله الوشيك ؟

لقد أخبر رسول الله ﷺ بموته الوشيك في سنة ١١ هجرية، وإليك أدلة ذلك:
١ - نعى رسول الله ﷺ نفسه قبل موته بشهر ^(٢).
٢ - دخل أبو سفيان على النبي ﷺ يوماً فقال: يا رسول الله أريد أن أسألك عن
شيء.

فقال ﷺ: إن شئت أخبرتك قبل أن تسألني.

قال: إفعل.

قال ﷺ: أردت أن تسأل عن مبلغ عمري.

فقال أبو سفيان: نعم يا رسول الله.

فقال رسول الله ﷺ: إني أعيش ثلاثاً وستين سنة.

فقال: أشهد إنك صادق.

فقال ﷺ: بلسانك دون قلبك ^(٣).

٣ - وصعد رسول الله ﷺ المنبر مودعاً أهل الدين والدنيا منادياً: ألا من كانت

له مظلمة قبل محمد ﷺ إلا قام فليقتص منه ^(٤). ولم يظلم النبي ﷺ أحداً قط.

٤ - وقال الرسول ﷺ قبل موته بليلة لأبي موسى: إني قد أوتيت مفاتيح

(١) مستدرک الحاكم ٣ / ١٥٠.

(٢) لسان الميزان، ابن حجر العسقلاني ٤٥٦/١.

(٣) قصص الأنبياء، البحار ٢٢ / ٥٠٤.

(٤) تاريخ الطبري، حوادث سنة ١١ هجرية ٤٢٣/٢، ٤٣٤.

خزائن الدنيا والمخلد فيها ثم الجنة، فخيرت بين ذلك وبين لقاء ربي والجنة... لا والله يا أبا مويهبة لقد اخترت لقاء ربي^(١).

٥ - وقال رسول الله ﷺ في حجة الوداع أمام مسلمي ذلك الزمان: إن جبرئيل كان يعارضني بالقرآن في كل سنة مرة، وإنه عارضني هذا العام مرتين، وما أراه إلا قد حضر أجلي^(٢).

٦ - وقال الرسول ﷺ أمام ملأ المسلمين في غدير خم: أيها الناس يوشك أن أدعى فأجيب، وإني مسؤول وإنكم مسؤولون، فإذا أنتم قائلون؟^(٣)

٧ - «وقد رأى العباس ذات ليلة في منامه أن القمر قد رفع من الأرض إلى السماء.

فقال النبي ﷺ له: هو ابن أخيك.

وقال العباس: عرفنا أن بقاء رسول الله ﷺ فينا قليل»^(٤).

٨ - وقال رسول الله ﷺ: أتزعمون أني من آخركم وفاةً، ألا وإني من أولكم وفاة^(٥).

إذا المسلمون وخاصة أهل المدينة المنورة عالمون بوفاة النبي ﷺ القريبة، وهذه النقطة يجب أن لا ينساها من يقرأ أو يفكر في أحداث السقيفة وما قبلها وما بعدها.

٩ - وأخبر رسول الله ﷺ عائشة بوفاته القريبة قائلاً: ولا تؤذوني بباكية ولا برنة ولا بصيحة^(٦).

١٠ - وذكر عبد الله بن مسعود قائلاً: «نعم إني نبينا وحبينا نفسه قبل موته

(١) دلائل النبوة، البيهقي ١٦٢/٧، البداية والنهاية، ابن كثير ٢٢٤/٥.

(٢) صحيح البخاري باب كان جبرئيل يعرض القرآن على النبي ﷺ، الطبقات لابن سعد ١٩٤/٢.

(٣) سنن الترمذي ٢٩٨/٢، سنن ابن ماجه ص ١٢، الطبقات ١٩٤/٢.

(٤) الطبقات ١٩٣/٢.

(٥) الطبقات، ابن سعد ١٩٣/٢.

(٦) مختصر تاريخ ابن عساکر ٣٧١/٢.

بشهر، فلما دنا الفراق جمعنا في بيت أمنا عائشة، فنظر إلينا وشدد قدمعت عينه وقال: مرحباً بكم رحمكم الله آواكم الله حفظكم الله، رفعكم الله، نفعمكم الله، وفقكم الله، نصركم الله، سلمكم الله، قبلكم الله، أوصيكم بتقوى الله، وأوصي الله بكم، وأستخلفه عليكم، وأوديعكم إليه إني لكم نذير وبشير، لا تعلوا على الله في عباده وبلاده، فإنه قال لي ولكم:

﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾^(١)

وقال ﴿أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ﴾^(٢)
فقلنا متى أجلك؟

قال ﷺ: قد دنا الفراق والمنقلب إلى الله وإلى سِدْرَةِ المنتهى.

قلنا: فمن يغسلك يا نبي الله؟

قال ﷺ: علي بن أبي طالب.

قلنا: فقيم نكفلك يا نبي الله؟

قال ﷺ: في ثيابي هذه إن شئتم، أو في بياض مصر أو حلة يمانية.

قلنا: فمن يصلي عليك يا نبي الله؟

قال ﷺ: مهلاً غفر الله لكم وجزاكم عن نبيكم خيراً. فبكينا وبكى النبي ﷺ

وقال: إذا غسلتموني وكفتموني فضعوني على سريري في بيتي هذا على شفير قبري ثم اخرجوا عني ساعة، فإن أول من يصلي علي جليسي وخليلي جبرئيل ثم ميكائيل ثم إسرافيل ثم ملك الموت مع جنود كثيرة من الملائكة بأجمعها، ثم ادخلوا علي فوجاً فوجاً فصلوا علي وسلموا تسلياً، ولا تؤذوني بياكية ولا برنة ولا صيحة،

(١) القصص: ٢٨.

(٢) الزمر: ٦٠.

وليبدأ بالصلاة على رجال أهل بيتي ثم نساؤهم ثم أنتم...»^(١).
 ١١ - وأخبر عليه السلام فاطمة عليها السلام بوفاته في جمعه^(٢). وقال لها إنها أول أهل بيته لحوقاً به.

وجاء في القرآن الكريم آيات تؤيد وفاة النبي ﷺ منها: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ...﴾^(٣) ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾^(٤) ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾^(٥)

فهل يمكن بعد كل هذه الأدلة القرآنية والحديثية أن ينفي عمر بن الخطاب وعثمان الموت عن النبي محمد ﷺ؟! أم أنهم أرادوا منع دفن رسول الله ﷺ إلى حين ترتيب قضية السقيفة للاستحواذ على السلطة، وفراهم من مراسم دفن رسول الله ﷺ يؤيد ذلك ويدعمه قولهم للنبي قبل موته إنه يهجر.

الدلائل والعبر

لقد حجَّ رسول الله ﷺ من المدينة إلى مكة حجة الوداع وفي تلك الحجة الأخيرة أوصى رسول الله ﷺ بأمرين: القرآن وأهل البيت عليهم السلام وكان خاتم الأنبياء قد ذكر ذلك أيضاً في الطائف بعد فتح مكة.

وبين فتح مكة وحجة الوداع كانت السنة التاسعة وفيها أرسل النبي ﷺ علي بن أبي طالب عليه السلام أميراً على الحج ومبلغاً لسورة براءة فاجتمع الثقلان في تلك السنة في مكة.

(١) تاريخ الطبري ٤٣٥/٢، الكامل في التاريخ ٣٢٠/٢.

(٢) صحيح البخاري، باب منقبه فاطمة عليها السلام ٦٥/٥، صحيح مسلم، فضائل فاطمة، الطبقات ١٩٣/٢.

(٣) آل عمران: ١٤٤.

(٤) آل عمران: ١٤٤، ١٨٥.

(٥) الزمر: ٣٠.

وهذا الذكر المتعمد من الله ورسوله لأهل البيت والقرآن لم يأت إلا لأهميته الفائقة في حياة المسلمين. ولو كان هناك موضوع آخر مهم إلى درجة خطيرة لذكره نبي البشرية أليس كذلك؟ بل لأصبح لزماً عليه ذكره.

والنكتة الأخرى المستوحاة من حجة الوداع هي ثبات المنافقين وعنادهم في معارضة القرآن وأهل البيت، فقد أحدثوا ضجة عظيمة في أثناء خطبة رسول الله ﷺ.

فالمنافقون من الطلقاء والأنصار والمهاجرين قد اسلموا جزئياً ولم يسلموا أمورهم كلياً لله ورسوله فرضوا ببعض عقائد الإسلام وعارضوا معظمها. فنفهم من ذلك تحول المعاندين من الكفار إلى صفوف المنافقين وحلوا ساحة الكفار منهم فأصبح الحزب القرشي مأوى لكل الفئات من المنافقين في مكة والمدينة وسائر المناطق.

ونجح حزب المنافقين في جمع شتات أفرادهم وتنظيم وتوقيع زعمائهم على وثيقة سياسية لاستلام السلطة فضحنتها أسماء بنت عميس^(١).

وهؤلاء المنافقون هم الذين قتلوا رسول الله ﷺ وأخروا دفنه انتظاراً لمجيء أعوانهم من خارج المدينة، واستلموا حكومة المسلمين.

وبقيت أطروحة المنافقين مجهولة عند الكثير من الموحدين رغم كشف الكثير من هؤلاء عن كفرهم فقد قال يزيد من معاوية وهو أحد زعمائهم:

لمبت هاشم بالملك فلا خبر جاء ولا وحي نزل^(٢)

بعد أن فضح أبوه معاوية كفر نفسه مرّات عديدة^(٣).

فأصبح حزب المنافقين هو الحزب الأقوى في الساحة السياسية الإسلامية يدير

(١) البهار ٩٦/٢٨ - ١١١، السقيفة، سليم بن قيس: ١٦٨.

(٢) مناقب آل أبي طالب ابن شهر آشوب ٣/ ٣٦١.

(٣) راجع كتاب نظريات الخليفتين للمؤلف باب معاوية بن أبي سفيان.

دقة الأمور في البلدان الإسلامية ويقتل كل مخلص يقف في طريقة وهو مطابق لما جاء في كتاب الله عز وجل:

﴿وإن وجدنا أكثرهم لفاستقين﴾^(١)

﴿وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون﴾^(٢)

﴿ولا تجد أكثرهم شاكرين﴾^(٣)

أي جاء هؤلاء بالفتنة كما أخبر رسول البشرية عن الله عز وجل، أضلتكم الفتن كقطع الليل المظلم يتبع بعضها بعضاً لو تعلمون ما أعلم لبكيتم كثيراً وضحكتم قليلاً^(٤)

لتتبعن سنن من كان قبلكم من اليهود والنصارى حذو القذة بالقذة فلو دخلوا جحر ضب لدخلتموه^(٥)

وفي حديث آخر قال رسول الله ﷺ: أنتم أشبه الناس سمتاً وهدياً ببني إسرائيل لتسلكن طريقتهم حذو القذة بالقذة والنعل بالنعل^(٦)

(١) الأعراف ١٠٢.

(٢) يوسف ١٠٦.

(٣) الأعراف ١٧.

(٤) مسند أحمد ٢ / ٣٠٤، ٦ / ٨١، سنن الدارمي ١ / ٣٧، سنن مسلم ١ / ٧٦.

(٥) فيض القدير ٥ / ٣٧٦.

(٦) كنز العمال ١١ / ٢٥٣.

الفصل الثاني
حملة أسامة
والأحداث المرتبطة بها



إنتداب عصابة قريش لحملة أسامة

بعد عودة الرسول ﷺ من حجة الوداع وصل إلى غدير خم وهناك أوصى لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه بالخلافة، وعيّنه إماماً للأمة فبايعوه وفي المدينة دعا الناس للتوجه لحرب الروم، وفي ذلك الجيش معظم الصحابة.

وهناك سؤالان: هل كان أبو بكر وعمر وعثمان جنوداً في تلك الحملة؟

ولماذا عيّن أسامة قائداً على شيوخ قريش والأنصار؟

وذكرت أمهات الكتب الحديثية والتاريخية وجود أبي بكر وعمر وعثمان وابن

الجراح فيمن انتدب إلى حملة الشام، فقد ذكر ابن سعد:

«فلما أصبح يوم الخميس عقد لأسامة لواء أبيه ثم قال: أغزُبسم الله وفي سبيل

الله، فقاتل من كفر بالله، فخرج وعسكر بالجرف، فلم يبق أحد من وجوه

المهاجرين والأنصار إلا انتدب في تلك الغزوة، فيهم أبو بكر وعمر بن الخطاب وأبو

عبيدة بن الجراح وسعد بن أبي وقاص وسعيد بن زيد وغيره^(١).

إذن ثبت بالدليل القاطع والنص المتواتر وجود أبي بكر وعمر وعثمان وأبي

عبيدة بن الجراح في جيش أسامة.

(١) البداية والنهاية ٧٣/٨، الطبقات الكبرى، ابن سعد ٢/٢٤٩، عيون الأثر، ابن سيد الناس ٢/٢٨١، السيرة

النبية بهامش السيرة الحلبية، أحمد زيني دحلان ٢/٣٣٩، شرح نهج البلاغة، المعتزلي ٦/٥٢، منتخب

كنز العمال بهامش مسند أحمد بن حنبل ٤/١٨٠، الكامل في التاريخ ٤/٦٦.

لقد عين رسول الله ﷺ أسامة قائداً على مشايخ المسلمين وعمره ١٩ سنة ليثبت بطلان دعوى أبي بكر باستحقاقه الخلافة لأنه أكبر سنّاً من الآخرين وهذه من معجزات النبي ﷺ في معرفته بالغيب، وقد رفض أبو قحافة هذه الدعوى قائلاً: إن كانت الخلافة بالنسب فأنا أكبر سنّاً من أبي بكر. وكانت عند أسامة القدرة على القيادة، وهو ابن زيد بن حارثة القائد الذي استشهد في معركة مؤتة فهو أولى بالتأثر من غيره.

معارضة عصابة قريش لحملة أسامة

بعد أن أثبتنا انتداب عصابة قريش في حملة أسامة بن زيد، وفيهم أبو بكر وعمر وعثمان وأبو عبيدة بن الجراح، نبين هنا عصيان هؤلاء لهذه الحملة، ومعارضتهم لها، وامتناعهم عن الانضواء تحت لوائها في زمن حياة النبي ﷺ وفي زمن خلافة أبي بكر.

وإثبات هذا الأمر ببيان أن عصابة قريش كانت تتمنى موت رسول الله ﷺ سريعاً لرفضها الذهاب في حملة أسامة إلى الشام، فهي تخاف الذهاب إلى حرب الروم في الشام وتمنّى انتقال الخلافة إلى علي عليه السلام.

وذكريات معركة مؤتة ما زالت عالقة في أذهانهم حيث استشهد فيها جعفر بن أبي طالب وزيد بن حارثة وعبد الله بن رواحة.

وقد استدعى الرسول ﷺ أبا بكر وعمر وجماعة ممن حضروا المسجد من المسلمين (يوم الإثنين) ثم قال ﷺ: ألم أمر أن تنفذوا جيش أسامة؟ فقالوا: بلى يا رسول الله.

قال رسول الله ﷺ: فلم تأخرتم عن أمري؟
قال أبو بكر: إني خرجت ثم رجعت لأجدد بك عهداً.

وقال عمر: يا رسول الله إني لم أخرج لأتني لم أحب أن أسأل عنك الركب.
فقال النبي ﷺ: انفذوا جيش أسامة يكررها ثلاثاً^(١).
واستمر عمر في معارضة حملة أسامة في زمن خلافة أبي بكر إذ قال لأبي بكر:
«إن الانتصار أمر وفي أن أبلغك، وانهم يطلبون إليك أن تولي رجلاً أقدم سناً من
أسامة.

فوثب أبو بكر وكان جالساً فأخذ بلحية عمر فقال له: ثكلتك أمك يا بن
الخطاب، استعمله رسول الله ﷺ وتأمرني أن أنزعه^(٢).

ولكن أبا بكر لم يقل عن علي بن أبي طالب عليه السلام عيته رسول الله ﷺ خليفة
ونزعه أن نحن؟ واستمر عمر في مخالفته للحملة بالرغم مما قاله رسول الله ﷺ ممتعاً
عن الذهاب في حملة أسامة فأخذ أبو بكر له إذناً من أسامة بالبقاء في المدينة إذ جاء:
«أمر أبو بكر أسامة بن زيد أن ينفذ في جيشه وسأله أن يترك له عمر يستعين به
على أمره، فقال أسامة: فما تقول في نفسك؟^(٣) (أبو بكر ما زال إسماعيلاً جندياً في تلك
الحملة).

فقال أبو بكر: يا بن أخي فعل الناس ما ترى فدع لي عمر وأنفذ لوجهك، فخرج
أسامة بالناس^(٤). وامتنع عبد الرحمن بن عوف من الذهاب في الحملة^(٥) ولم
يذهب أيضاً سائر زعماء الحزب القرشي.

وهكذا امتنع أبو بكر وعمر وعثمان وعبد الرحمن بن عوف وغيرهم من الذهاب

(١) كتاب الأرشاد ص ٩٦.

(٢) تاريخ الطبري ٤٦٢/٢، تاريخ أبي الفداء ٢٢٠/١.

(٣) عيون الأثر، ابن سيد الناس ٢٨٢/٢، تاريخ اليعقوبي ١٢٧/٢، تاريخ الطبري ٤٦٢/٢، الكامل في
التاريخ، ابن الأثير ٣٣٥/٢، مختصر تاريخ ابن عساکر ٢٥١/٤، ١٥٢، الخلفاء ص ١١، الطبقات ١٩١/٢.

(٤) البداية والنهاية ٧٣/٨.

(٥) مختصر تاريخ دمشق ١ / ١٧١ طبعة دار الفكر ولم يذهب عثمان بن عفان وأبو سفيان وسائر رجال
الحزب القرشي في الحملة.

في حملة أسامة في زمن حياة رسول الله ﷺ وفي زمن حكم أبي بكر. وهذا يبين إصرار عصابة قريش على عصيان أمر رسول الله ﷺ، وخوفهم من مقابلة الروم في حرب دامية. ومن صفات أفراد الحزب القرشي في زمن رسول الله ﷺ وفي زمن الخلفاء الامتناع عن المشاركة في الحروب والهروب منها بشق الوسائل المتاحة^(١).

المخالفون لحملة أسامة ؟

لقد حاول عمر وأبو بكر وجماعة آخرون، عدم الانخراط في حملة أسامة بن زيد وتأخيرها، وقد كان أبو بكر وعمر وأبو عبيدة فعلاً من أفراد الحملة، كما جاء ذلك في تأريخ أحمد زيني دحلان:

« فلما أصبح يوم الخميس عقد الرسول ﷺ لأسامة لواء بيده ﷺ، ثم قال: أغز باسم الله، وفي سبيل الله، فقاتل من كفر بالله، فخرج بلوائه معقوداً، فدفعه إلى بريدة، وعسكر بالجرف، فلم يبق من المهاجرين الأولين والأنصار إلا اشتدّ لذلك، وتبيّأ للخروج، منهم أبو بكر وعمر وأبو عبيدة بن الجراح وسعد بن أبي وقاص^(٢). وذكر في شرح نهج البلاغة أن جلّة المهاجرين والأنصار كانوا في الحملة ومنهم أبو بكر، عمر، أبو عبيدة بن الجراح، عبد الرحمن بن عوف وطلحة والزبير^(٣). وقد جاء في كتاب كنز العمال: «وفي ذلك البعث أبو بكر وعمر»^(٤). وجاء في طبقات ابن سعد: أخبرنا العمري عن نافع عن ابن عمر أن النبي ﷺ بعث سرية فيهم أبو بكر وعمر فاستعمل عليهم أسامة بن زيد»^(٥).

(١) راجع كتاب ظريات الخليفتين، للمؤلف ٢٥٥/١ - ٢٩٣.

(٢) السيرة النبوية بهامش السيرة العلية أحمد زيني دحلان ٣٣٩/٢.

(٣) شرح نهج البلاغة، المعتزلي ٥٢/٦.

(٤) منتخب كنز العمال بهامش مسند أحمد بن حنبل للمصنف الهندي ١٨٠/٤، الطبقات لابن سعد ٦٦/٤.

(٥) طبقات ابن سعد ٦٦/٤.

وقال ابن الأثير: وأوعب مع أسامة المهاجرون الأولون، منهم: أبو بكر وعمر، فبينما الناس على ذلك ابتدئ برسول الله ﷺ مرضه^(١).

ولو أردنا معرفة تاريخ أمر رسول الله ﷺ بحملة أسامة بن زيد، نراجع مغازي الواقدي: فقد جاء في يوم الثلاثاء، لثلاث بقين من صفر، وعقد ﷺ له اللواء في يوم الخميس، لليلة بقيت من صفر، ثم مرض الرسول ﷺ.

أي حدثت هذه الأحداث، بعد حوالي شهرين على حجة الوداع وبيعة غدير خم الشهيرة ونزول آية:

﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَوَضِعْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾^(٢)

وعن عصيان البعض لهذه الحملة بجميع شتى، فقد ألقوا (الرواة الأمويون) بتبعة الأمر على المنافقين وأخفوا أسماء كبار الصحابة.

ذكر الطبري: وقد أكثر المنافقون في تأمير أسامة، حتى بلغه، فخرج النبي ﷺ على الناس، عاصباً رأسه من الصداع، فقال: قد بلغني إن أقواماً يقولون في إمارة أسامة، ولعمري لئن قالوا في إمارته، لقد قالوا في إمارة أبيه من قبله، وإن كان أبوه لحليفاً للإمارة، وإنه لحليق لها، فأنفذوا بعث أسامة^(٣).

وعلى رواية الواقدي التي تقول: إن الرسول ﷺ أمر بالحملة في تاريخ ثلاث بقين من صفر، وتوفي في يوم الاثنين لاثنتي عشرة خلت من ربيع الأول، يكون عصيان حملة أسامة قد استمر أسبوعين من الزمن؟!.

وقد غضب الرسول ﷺ لذلك العصيان، والقتل والقتال في زعامة أسامة، فخرج وقد عصَّب على رأسه عصابة، وعليه قطيفة، ثم صعد المنبر، وقال ﷺ:

(١) الكامل في التاريخ ٣١٧/٢، ذكر أحداث سنة إحدى عشرة، تثبيت الإمامة، يعنى بن الحسين ص ٢٠ - ٢٠٠.

(٢) المائدة: ٣.

(٣) تاريخ الطبري ٤٣١/٢.

يا أيها الناس، فما مقالة بلغتني عن بعضكم، في تأميري أسامة بن زيد؟
والله لئن طعنتم في إمارة أسامة، لقد طعنتم في إمارة أبيه من قبل، وأيم الله، إن
كان للإمارة لخليقاً وإن إينه من بعده لخليق للإمارة.
وقد قالوا في أسامة: يستعمل هذا الغلام على المهاجرين والأنصار، وكان عمره
ثمان عشرة سنة، وقيل تسع عشرة سنة^(١).

وذكر الواقدي شيئاً غامضاً عن المخالفين لحملة أسامة فقال: وكان أشدهم قولاً
عياض ابن أبي ربيعة القائل: يستعمل هذا الغلام على المهاجرين الأولين^(٢).
وقال الشهرستاني: الخلاف الثاني في مرضه إنه قال: جهّزوا جيش أسامة، لعن
الله من تخلف عنه. فقال قوم: يجب علينا امتثال أمره، وأسامة قد برز من المدينة.
وقال قوم: قد اشتدّ مرض النبي ﷺ، فلا تسع قلوبنا مفارقتة والحالة هذه، فنصبر
حتى نصبر أي شيء يكون من أمره^(٣).

وكان النبي ﷺ قد رضي بلعن أبي بكر الفار من جيش أسامة إذ جاء:
قال أبو هريرة: «إن رجلاً شتم أبا بكر، والنبي ﷺ جالس فجعل النبي ﷺ
يعجب ويتسم»^(٤).

إذاً التخلّف عن حملة أسامة كان يعتمد على عذرين: الأول: التشكيك في قيادة
أسامة. والثاني: اشتداد مرض النبي ﷺ، وعدم قدرة الماصين على مفارقة
الرسول ﷺ؟! كما يدّعون.
أما الشق الأول، فقد أجاب عنه الرسول ﷺ، بتركيزه على قوة وقابلية أسامة،
وفعلًا أثبت ذلك في حربه هناك.

(١) تاريخ الطبري ١٨٨/٣، السيرة الحلبية ٢٠٧/٣.

(٢) منازي الواقدي ١١٨/٢.

(٣) الملل والنحل، الشهرستاني ٢٣/١ طبعة القاهرة، تحقيق محمد سيد كيلاني، تاريخ الطبري ١٨٨/٣ طبعة

الحسينية بمصر في حوادث سنة ١١ هجرية.

(٤) مسند أحمد بن حنبل ٤٣٦/٢.

وأما الشق الثاني، فقد اتفقوا وانحلت أركانه بلعن النبي ﷺ المتخلفين عن حملة أسامة، ولا يمكن أن يكون العاصي والملعون على لسان النبي ﷺ محباً له. وقد أثبتت النصوص الأوامر النبوية لأبي بكر وعمر بالانضمام في حملة أسامة^(١). وقال ابن سعد: إن سرية أسامة بن زيد بن حارثة إلى أهل أثني، وهي أرض السرات، ناحية البلقاء، فلما كان يوم الأربعاء بدأ برسول الله ﷺ المرض فحم وصعد.

فلما أصبح يوم الخميس عقد لأسامة لواء أبيه، ثم قال: أغز بسم الله، في سبيل الله، فقاتل من كفر بالله، فخرج وعسكر بالجرف، فلم يبق أحد من وجوه المهاجرين الأولين والأنصار إلا انتدب في تلك الغزوة، فيهم أبو بكر وعمر بن الخطاب وأبو عبيدة بن الجراح وسعد بن أبي وقاص وسعيد بن زيد وغيره. فتكلم قوم وقالوا: يستعمل هذا الغلام على المهاجرين الأولين. فغضب رسول الله ﷺ غضباً شديداً، فخرج وقد عصب على رأسه عصاة، فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أما بعد أيها الناس، فما مقالة بلغتني عن بعضكم، في إمارة أسامة، ولئن طعنتم في إمارة أسامة، لقد طعنتم في إمارة أبيه من قبله، وأيم الله إنه كان للإمارة خليفاً، وإن ابنه من بعده لخليق للأمارة^(٢).

وهناك أدلة أخرى تثبت وتبين، أن عمر وأبا بكر من جملة هؤلاء المعارضين لقيادة أسامة، إن لم يكونوا زعامتهم، إذ عاد أبو بكر وعمر وأبو عبيدة بن الجراح من الحملة إلى المدينة^(٣).

وإن أبا بكر والآخرين، الذين عصوا النبي ﷺ في أمره بحملة أسامة، هم ذاتهم

(١) الطبقات الكبرى، ابن سعد ٦٦/٤، المواهب اللدنية، القسطلاني ٣٥٩/١ ط. طار الكتب العلمية، بيروت.

السيرة النبوية، ابن دحلان ١٤٥/٢.

(٢) الطبقات الكبرى، ابن سعد ٢٤٩/٢، ٦٦/٤.

(٣) تثبيت الامامة ص ١٩.

الذين عصوا النبي ﷺ في رزيّة يوم الخميس. لما طلب النبي ﷺ كنفاً ودواة ليكتب كتاباً لن تضلُّ أمته من بعده.

قال عمر وأبو بكر وأتباعهم: لقد اشتدّ مرض النبي ﷺ أو قالوا: إنه يهجر (والعايض بالله) وعندكم كتاب الله، حسبنا كتاب الله^(١).

إذاً تلك المجموعة قد جاءت بحجّة وعذر لردّ أوامر النبي ﷺ في الذهاب للحرب والغزو، وفي جلب قرطاس ودواة لكتابة وصيّته. إذ قالت أولاً: قد اشتدّ مرض النبي ﷺ فلا تسع قلوبنا مفارقتة.

وقالوا ثانياً: قد اشتدّ مرض النبي ﷺ حسبنا كتاب الله. أو إن النبي ﷺ يهجر حسبنا كتاب الله.

ولا يمكن تقديم الأعداء الواهية لردّ كلام الرسول ﷺ، وتبرير عصيانه، لأنّ النبي ﷺ في حملة أسامة لعن المتخلفين عنها، وغضب لذلك غضباً شديداً، حتّى أنّه خرج مخاطباً المسلمين في مرضه، معصوب الرأس، دلالة على وجوب الأمر، لا عن المتخلفين عن الحملة^(٢).

وفي يوم الخميس غضب عليهم النبي ﷺ ثانية، وطردهم من بيته، فاجتمع في حقهم اللعن والطرّد النبوي من بيته ﷺ^(٣).

والدليل الثاني على أنّ أبا بكر وعمر من العاصين لحملة أسامة: هو ذهاب أبي بكر إلى زوجته في السنح^(٤)، بعد خطبة النبي ﷺ وغضبه وإلحاحه عليهم للخروج، ولعن المتخلفين عن الحملة.

(١) صحيح البخاري ٤/٤٩٠، صحيح مسلم ١١/٨٩.

(٢) شرح نهج البلاغة، المعتزلي ٦/٥٢.

(٣) الملل والنحل، الشهرستاني ٢٢/١، سنن البخاري ٤/٤٩٠ باب جوائز الوفد ح ١٢٢٩، سنن مسلم ١١/٨٩.

(٤) تاريخ الطبري ٢/٤٤١ ط. مؤسسة الأعلمي، كنز العمال ٧/٢٣٢ ط. مؤسسة الرسالة، أسد الغابة، ابن الأثير

وفعلًا لما مات النبي ﷺ، كان أبو بكر موجوداً في السنع عند زوجته، عاصياً أمر النبي ﷺ في الغزو. وقد التفت رجال الامويين إلى هذا فجعلوا لأبي بكر إذناً نبوياً بالذهاب إلى السنع، بعد خطبة النبي ﷺ وإلحاحه، في خروج المقاتلين، ولعن المتخلفين! (١)

ولا أدري كيف يعطيه النبي ﷺ إذناً بالذهاب إلى السنع بعد غضبه ولعنه المتخلفين عن الحملة. وأبو بكر جندي من جنود أسامة، وعدالة النبي ﷺ تأتي أن يسمح لواحد منهم بالذهاب إلى إحدى زوجاته، لأنه يومها وحصتها.. أليس كذلك؟

وأوجد بعض الأعراب عذراً آخر لأبي بكر لتبرير عصيانه لحملة أسامة يتمثل في طلب النبي ﷺ إليه البقاء في المدينة للصلاة بالناس وظاهر الأمر أن هذا التبرير من اختلاق الكتاب المتأخرين، وهو معارض للتبرير الأول، بالذهاب إلى السنع. فقد قال ابن دحلان: «فلا منافاة بين ما روي أن أبا بكر كان من ذلك الجيش، ومن روى أنه تخلف، لأنه كان من الجيش أولاً، ثم تخلف لما استثناءه ﷺ وأمره بالصلاة بالناس» (٢).

فلم يكتفِ ابن دحلان بتبرير قضية عصيان أبي بكر لحملة أسامة، فقال: إن تخلفه (أبا بكر) كان بأمر منه ﷺ، لأجل صلاته بالناس، وفيه إشارة إلى أنه خليفة بعده (٣).

إن أبا بكر لم يذهب إلى معسكر أسامة في الجرف، ولم يبق في المدينة عند النبي المريض ﷺ، بل ذهب إلى زوجته في السنع (خارج المدينة)!

وجوده في السنع ينفي قضية صلاته بالناس، ويؤكد عصيانه لحملة أسامة.

(١) الملل والنحل، الشهرستاني ٢٣/١.

(٢) السيرة النبوية، ابن دحلان ١٤٥/٢ ط. دار احياء التراث.

(٣) المصدر السابق.

ولولا مبعوث عمر لأبي بكر بموت الرسول ﷺ، لبي هناك مدة أطول.
وكتب أسامة إلى أبي بكر: اعلم أني ومن معي من المهاجرين والأنصار وجميع المسلمين ما رضيناك ولا وليناك، فاتق الله ربك وإذا قرأت كتابي هذا فاقدم إلى ديوانك الذي بعثك فيه النبي ﷺ ولا تعصه، وأن ترفع الحق إلى أهله فإنهم أحقُّ به منك^(١).
والدليل الثالث: إنَّ عمر بن الخطاب استمرَّ في معارضته لقيادة أسامة بن زيد تلك الحملة بعد تولي أبي بكر السلطة، بالرغم من الغضب النبوي الشديد، وتأكيده ﷺ على صلاحية أسامة للقيادة^{١٢}

إذ قال عمر بن الخطاب لأبي بكر: «إنَّ الأنصار أمروني أن أبلغك، وإنهم يطلبون اليك أن تولي رجلاً أقدم سناً من أسامة. فوثب أبو بكر، وكان جالساً فأخذ بلحية عمر، فقال له: ثكلتك أمك وعدمتك يا ابن الخطاب، إستعمله رسول الله ﷺ وتأمرني أن أنزعه»^(٢).

وهكذا توضَّح أنَّ مخالفة الجماعة لقيادة أسامة، لم تكن إلاَّ عذراً، الهدف منه البقاء في المدينة إلى ما بعد وفاة الرسول ﷺ للسيطرة على الحكم... وهؤلاء قد أدركوا قصد النبي ﷺ، وأهدافه في بيعة الغدير، وفي طلبه كتابة الوصية لعلي عليه السلام وأمره بإخلاء المدينة من وجوه المهاجرين والأنصار.

ولمَّا تمَّ لأبي بكر السيطرة على الحكم لم يبق موجب لمعارضة تلك الحملة وقيادتها^{١٣} وفعلاً سيرها أبو بكر إلى الشام بقيادة أسامة بن زيد.

الدليل الرابع: لم يرغب أبو بكر وعمر بالسير في تلك الحملة في زمن حكومة أبي بكر، فطلبوا إذنًا من أسامة بن زيد فأعطاهما، ولكن استمرَّ في مناداته بالأمير في مدة خلافتهما. أي استمرَّ في رغبتها السابقة في عصيان الانخراط في تلك الغزوة للتمكَّن من إدارة الحكومة.

(١) تبييت الامامة ص - ٢٠، يحيى بن الحسين بن القاسم اليمني المتوفى سنة ٢٩٨ هجرية.

(٢) تاريخ الطبري ٤٦٢/٢، تاريخ أبي القداء ٢٢٠/١.

وبذلك فقد ذهب أسامة بن زيد في حملته، دون مجموعة السقيفة وهم أبو بكر وعمر وعثمان وأبو سفيان وابن الجراح وابن عوف. فقد قال أبو بكر لأسامة: إن رأيت أن تعينني بعمر فافعل، فأذن له^(١).

حادثة يوم الاثنين وكتابة الوصية

قال ابن سعد في طبقاته: إن حادثة كتابة الوصية كانت يوم الاثنين وهو يوم موته ﷺ^(٢).

ولقد استمرَّ عصيان المخالفين لحملة أسامة مدَّة إسبوعين كما ذكر الواقدي، وفي هذه الفترة طلب النبي ﷺ من المسلمين بالتحاق بغزوة أسامة، فلم ينفع معهم؟ فخطب بهم ثانية ولعن العاصين منهم فلم ينفع ذلك؟ فطلب منهم في الثالثة المحجي بلوح ودواة ليكتب لهم كتاباً لن يضلُّوا بعده أبداً. فقالوا: النبي ﷺ يهجر، حسبنا كتاب الله؟!

إن تلك المجموعة العاصية لحملة أسامة، والملعونة من قبل النبي ﷺ^(٣)، هي التي منعت دفن النبي ﷺ ثلاثة أيام، وأسست السقيفة. وهاجمت بيت علي وفاطمة رضي الله عنهما، ونجحت في فرض خلافة دورية لقبائل قريش، دون بني هاشم والأنصار.

وذكر الشهرستاني في كتابه الملل والنحل: فأول تنازع وقع في مرضه عليه الصلاة والسلام، ما رواه الإمام أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري: «لما اشتدَّ بالنبي ﷺ مرضه الذي مات فيه، قال: اتنوني بدواة وقرطاس أكتب لكم كتاباً، لا

(١) الكامل في التاريخ لابن الأثير ٣٣٤/٢، تاريخ أبي الفداء ٢٢٠/١، تاريخ البقوي ١٢٧/٢.

(٢) الطبقات، ابن سعد ٣/٨.

(٣) الملل والنحل للشهرستاني ٢٣/١.

تضلُّوا بعده.

فقال عمر: إنَّ رسول الله ﷺ قد غلبه الوجع، حسبنا كتاب الله. وكثر اللغط، فقال النبي ﷺ: قوموا عني، لا ينبغي عندي التنازع. قال ابن عباس: الرزية ما حال بيننا وبين كتاب رسول الله ﷺ^(١).

وأخرج البخاري، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس ؓ أَنَّهُ قال: «يوم الخميس، وما يوم الخميس، ثم بكى حتى خضب دمه الحصباء، فقال: إشتدَّ برسول الله ﷺ وجعه يوم الخميس، فقال: اتوني بكتاب أكتب لكم كتاباً لن تضلُّوا بعده أبداً. فتنازعوا، ولا ينبغي عند نبي تنازع. فقالوا: هجر رسول الله. قال ﷺ: دُعوني فألذي أنا فيه خيرٌ ممَّا تدعونني إليه»^(٢).

وفي رواية قال عمر: إنَّ النبي ﷺ غلبه الوجع، وعندكم القرآن، فحسبنا كتاب الله، واختلف من في البيت واختصموا، فمنهم من يقول: قُربوا يكتب لكم رسول الله كتاباً، لن تضلُّوا بعده، ومنهم من يقول ما قاله عمر. فلمَّا أكثروا اللغط والأختلاف عند النبي، قال خاتم الأنبياء ﷺ: قوموا عني^(٣) أي أخرجهم ﷺ من بيته غاضباً عليهم.

عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: اشتكى النبي ﷺ يوم الخميس، فجعل يعني ابن عباس ييكي، ويقول: يوم الخميس وما يوم الخميس إشتدَّ بالنبي ﷺ وجعه، فقال: إتوني بدواة وصحيفة أكتب لكم كتاباً، لا تضلون بعده أبداً. فقال بعض من كان عنده:

(١) الملل والنحل للشهرستاني ٢٢/١.

(٢) صحيح البخاري ٤٩٠/٤ باب جوائز الوفاء، ح ١٢٢٩، صحيح مسلم ٨٩/١١، طبقات ابن سعد ٣٦/٢، المصباح المنير ٦٣٤.

(٣) صحيح البخاري باب قول المريض قوموا عني ٩/٧، صحيح مسلم، آخر كتاب الوصية ٧٥/٥، مسند الإمام أحمد ٣٥٦/٤ ح ٢٩٩٢.

إِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ لَيَهْجُرُ.

فقيل له: ألا نأتيك بما طلبت؟ قال ﷺ: أو بعد ماذا؟ قال: فلم يدعُ به^(١). وأخرج الإمام أحمد بن حنبل، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس أنه قال: يوم الخميس، وما يوم الخميس ثم نظرت إلى دموعه على خذيه تحدر، كأنها نظام اللؤلؤ. قال رسول الله ﷺ: إئتوني باللوح والدواة أو الكتف أكتب لكم كتاباً، لا تضلُّون بعده أبداً فقالوا: رسول الله يهجر^(٢).

بينما قال الله تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾^(٣) و﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ...﴾^(٤)

وذكر سبط بن الجوزي: ولما مات رسول الله ﷺ قال قبل وفاته بيسير: إئتوني بدواة وبياض، لأكتب لكم كتاباً، لا تختلفون فيه بعدي. فقال عمر: دهوا الرجل فإنه ليهجر^(٥).

واعترف عمر في أيام حكمه بمعارضته للرسول في يوم الخميس، قائلاً: إن رسول الله ﷺ أراد أن يذكره للأمر في مرضه، فصددته عنه الخ^(٦). أي أراد الرسول ﷺ أن يذكر الإمام علياً عليه السلام لأمر الخلافة. فكان اعتراف عمر واضحاً في أيام خلافته قائلاً بأن النبي أراد أن يصريح باسمه (علي عليه السلام) فنتعته!

وسألوا عمر: ماذا أراد أن يكتب ﷺ في يوم الخميس؟

(١) طبقات ابن سعد ٢/٢٤٢.

(٢) مسند أحمد بن حنبل ١/٣٥٥.

(٣) آل عمران: ١٣٢.

(٤) النساء: ٨٠.

(٥) تذكرة الخواص لسبط بن الجوزي ٦٢، وسر العالمين وكشف ما في الدارين لابي حامد الغزالي ٢٦، تاريخ

ابن الوردي ١/١٢٩.

(٦) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد ٣/١١٤.

قال عمر: تعيين الخليفة علي^(١).

فعمر فهم هدف النبي ﷺ بطلبه دواة وصحيفة، أنه يريد كتابة الوصية، وفهم من قوله: لاكتب كتاباً لن تضلوا بعده أبداً، ولاية علي بن أبي طالب ﷺ. لأن النبي ﷺ في غدير خم وعندما بايع علياً ﷺ ذكر ذلك النص: من كنت مولاه فهذا علي مولاه، اللهم والي من والاه، وعاد من عاداه، وانصر من نصره، وأخذل من خذله، إن تمسكتم به لن تضلوا بعده أبداً. وقال ﷺ أيضاً: «وإني تارك فيكم الثقلين، كتاب الله وعترتي أهل بيتي، ما إن تمسكتم بهما، لن تضلوا أبداً»^(٢).

فأصبح معروفاً تلازم أهل البيت ﷺ مع عدم الضلال، وتلازم علي ﷺ مع عدم الضلال. لذلك اعترف عمر لابن عباس قائلاً: أراد الرسول ﷺ أن يصرح باسمه في يوم الخميس، فنعتته^(٣).

وعمر الذي قال كلمة بهجر لرسول الله ﷺ في يوم الخميس كررها ثانية عند محاصرة طلحة لعثمان إذ كان بين عثمان وطلحة تلّاح في مسجد رسول الله ﷺ، فبلغ عمر فأتاهم وقد ذهب عثمان، فقال:

أفي مسجد رسول الله ﷺ، تقولان الهُجر وما لا يصلح من القول؟^(٤)
فجئنا طلحة على ركبتيه وقال: إني والله لأنا المظلوم المشتوم!
فقال: أفي مسجد رسول الله ﷺ تقولان الهُجر، وما لا يصلح من القول؟ ما أنت مني بناج.

فقال: الله الله يا أمير المؤمنين، فوالله إني لأنا المظلوم المشتوم.

(١) فتح الباري على صحيح البخاري، ابن حجر ١٣٢/٨.

(٢) مسند أحمد ٤/٢٨١، تفسير الفخر الرازي ٣/٦٣٦، الصواعق المبرقة، ابن حجر ٢٦، التنبيه والاضراف،

السعدي ٢٢١، صحيح الترمذي ٥/٦٢١.

(٣) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد ٣/١١٤.

(٤) تاريخ المدينة المنورة، ابن شعبة ١/٣٣.

فقالَتْ أمُّ سلمة من حَجَرْتها: والله إنَّ طَلْحَةَ هُوَ المَظْلُومُ المَشْتُومُ^(١).
الملاحظ من هذا النص أنَّ عمر أراد ضرب طَلْحَةَ بِدُرَّتِهِ لَأَنَّهُ هَجَرَ فِي المَسْجِدِ
وقال ما لا يليق به. فهل يليق بعمر الصحابي أن يقول للنبي محمد ﷺ يهجر وهو
يريد كتابة الوصية الإلهية للبشرية جمعاء؟
ولكن هل أوصى النبي ﷺ أم لا؟ الجواب أن الوصية واجبة على المسلمين وقد
أوصى الرسول قائلًا أني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي وقال على
مع القرآن والقرآن مع على لا يفترقان حتى يردا على المحوض يوم القيامة^(٢).

إمامة الصلاة في صبيحة يوم الإثنين

روى الزهري زيفاً: قال النبي ﷺ لعبد الله بن زمعة: مر الناس فليصلوا، فخرج
عبد الله بن زمعة فلتى عمر بن الخطاب، فقال: صل بالناس، فصلّى عمر بالناس،
فجهر بصوته فسمعه رسول الله. فقال: أليس هذا صوت عمر؟ قالوا: بلى يا رسول
الله، فقال: يا أباي الله ذلك والمؤمنون، ليُصَلَّ بالناس أبو بكر.
فقال عمر لعبد الله بن زمعة بشس ما صنعت، كنتُ أرى أن رسول الله ﷺ أمرك
أن تأمرني. قال: لا والله ما أمرني أن أمر أحداً^(٣).
ومن الأكاذيب عن عائشة: لما ثَقُلَ رسول الله ﷺ قال: مروا أبا بكر فليصل
بالناس. قالت: قلت: يا رسول الله إنَّ أبا بكر رجل رقيق، إذا قرأ القرآن لا يملك
دمعه فلو أمرت غير أبي بكر، قالت: والله ما بي إلّا كراهية أن يتشاءم الناس بأول
من يقوم مقام رسول الله ﷺ، قالت: فراجعتهُ مرتين أو ثلاثاً.

(١) تاريخ المدينة المنورة، ابن شعبة ٣٣/١.

(٢) الصواعق المحرقة لابن حجر ٧٥ وكشف الاستار عن زوائد البرار ٢٢١/٣ وتهذيب اللغة للزهري

١٧٩/٩.

(٣) طبقات ابن سعد ٢/٢١٥ - ٢٢٤، المغازي النبوية، الزهري ص ١٢٢.

فقال: ليصل بالناس أبو بكر، فإنكن صواحب يوسف^(١). ومن الزيف ما جاء عن أنس بن مالك: لما كان يوم الاثنين كشف رسول الله ﷺ ستر الحجرة، فرأى أبا بكر وهو يصلي بالناس، قال: فنظرتُ إلى وجهه كأنه ورقة مصحف، وهو يتبسم.

قال: وكيدنا أن نفتن في صلاتنا فرحاً برؤية رسول الله ﷺ فإذا أبو بكر دار ينكص، فأشار إليه النبي ﷺ أن كما أنت، ثم أرخى الستر فقبض من يومه ذلك^(٢). واعترفت أخيراً إذ «قالت عائشة خرج أبو بكر فوجد النبي ﷺ في نفسه خفة، فخرج يهادي بين رجلين كأني أنظر إلى رجله تخبطان من الوجد، فأراد أبو بكر أن يتأخر فأوماً إليه النبي ﷺ أن مكانك، ثم أتى به حتى جلس إلى جنبه، فكان النبي ﷺ يصلي وأبو بكر يصلي بصلاته والناس يصلون بصلاة أبي بكر»^(٣).

وهذه الرواية تثبت بأن النبي ﷺ لم يوصي بالصلاة لأبي بكر، لأن النبي ﷺ خرج إلى الصلاة بالرغم من مرضه الشديد منعاً لصلاة أبي بكر بالناس. أما ما قالته عائشة من أن النبي ﷺ كان يصلي بالناس وأبا بكر يصلي بصلاته والناس يصلون بصلاة أبي بكر فهذا يدل على إمامة رسول الله ﷺ للصلاة. بتحريف قليل منها.

لقد جاء حديث صلاة أبي بكر بدل النبي ﷺ في صبيحة يوم الاثنين عن طريق عائشة وأنس بن مالك. واختلفت الروايات مرة أن أبا بكر صلى بالناس ثلاثة أيام، ومرة أنه صلى بهم صلاة صبح يوم الاثنين (يوم وفاته). واختلاف الروايات دليل بطلانها، فقد قالوا لا حافظة للكذب.

ويرد الحديث أيضاً بأدلة أخرى منها: أن عائشة وفي سبيل السيطرة على ملك

(١) صحيح البخاري، فتح الباري ٨/١٤٠، مغازي الزهري ص ١٣٢.

(٢) أخرجه البخاري، فتح الباري ٨/١٤٣، مغازي الزهري ص ١٣٢.

(٣) البداية والنهاية، ابن كثير ٥/٢٥٣.

المسلمين لابن عمها طلحة أو لابن أختها عبد الله بن الزبير افتعلت حرب الجمل التي راح ضحيتها قريب من عشرين ألف مسلم فما كانت ستفعل في سبيل ملك أبيها فهل يصح مع هذا قبول حديثها في موضوع خلافة أبيها؟
لقد ردّت عائشة نفسها ذلك الحديث إذ قالت إن النبي ﷺ قد قال لها إنك صواحب يوسف.

ومن الطبيعي أن يقول لها النبي ﷺ ذلك لأنها احتالت وألحّت في قضية إمامة أبيها للصلاة صبيحة يوم الاثنين.

فالنبي ﷺ لم يكن ليتكلم بهذا الكلام الجارح إن لم تكن القضية خطيرة، والإحتيال في مسألة الخلافة من الأمور العظمى عند المسلمين.

وصواحب يوسف كما جاء في القرآن الكريم كن يلحن علي يوسف في نفسه ويمتنع يوسف منهن ويفر من حيلهن، حتى رغب في السجن هرباً من طلباتهن ومن أراد التوسّع فليراجع التفسير في هذا الموضوع. وعائشة نفسها روت حديث رسول الله ﷺ لها ولحفصة «إنك صواحب يوسف»^(١).

ورغم هذه الإهانة النبوية لعائشة وفشل مسعاها في الحصول على أمر نبوي أو إجازة نبوية بإمامة أبيها لصلاة صبيحة يوم الاثنين، فقد روت أمراً نبوياً بإمامة أبيها لصلاة صبيحة يوم الاثنين أي أنها ألحّت في هذا الموضوع كثيراً في حياة الرسول ﷺ وبعد مماته.

ثم نطقت عائشة بكثير من الأحاديث الصحيحة في أواخر أيام حياتها بعدما ساءت علاقتها بالحكم الأموي أثر قتلهم لأخيها عبد الرحمن، مبطلّة بذلك ما قالته من أحاديث بعد وفاة رسول الله ﷺ في سبيل إيصال أبيها إلى السلطة.

كقوله ﷺ: أنا سيد ولد آدم وعلي سيد العرب^(١). وأحب الناس إلى رسول الله ﷺ فاطمة ومن الرجال بعلمها^(٢).

ولقد صدر الأمر النبوي لأبي بكر بالذهاب في حملة أسامة فكيف يكون حاضراً في المدينة في صبيحة يوم الاثنين. وحضوره دلالة عصيانه أمر النبي ﷺ. وقد عصى أبو بكر وعمر الأمر النبوي بالانخراط في حملة أسامة في زمن حياة النبي ﷺ وبعد مماته.

فيكون حال أبي بكر بين أمرين إما أن يكون موجوداً في المدينة في صبيحة يوم الاثنين، وإما أن يكون قد ذهب إلى زوجته في السنع (خارج المدينة). وفي الحالتين يكون عاصياً للأمر النبوي بالذهاب في حملة أسامة. إذا كان أسامة في الجرف، وإذا كان عاصياً للأمر النبوي فكيف يعيته النبي ﷺ إماماً للصلاة بدلاً عنه؟

وإذا كان إماماً للصلاة بأمر نبوي فلماذا لم يبق في المدينة ليصلي بالناس بقية الأوقات؟ فقد كان أبو بكر في السنع عند موت النبي ﷺ؟^(٣) وبعد مماته. والمؤكد أن أبا بكر كان موجوداً في المدينة في صبيحة يوم الاثنين ثم ذهب إلى السنع معرضاً عن الأمر النبوي بالذهاب في حملة أسامة إلى الشام. فعندما مات النبي ﷺ أجمعت الأخبار على وجود أبي بكر في السنع، علماً بأن النبي ﷺ قد مات قبل صلاة ظهر يوم الاثنين.

وإذا كانت إمامة الصلاة دلالة على الخلافة العظمى فلماذا لا تكون إمامة علي بن أبي طالب عليه السلام للحج في السنة التاسعة دليلاً عليها؟

وهي تتضمن إمامة الصلاة وإمامة الحج وتبليغ سورة براءة، وإرجاع أبي بكر

(١) حلية الأولياء ٦٣/١، المستدرک الحاكم ١٢٤/٣، كنز العمال ٤٠٠/٦.

(٢) الرياض النضرة ٢/٢١٣، كنز العمال ٨٤/٦، صحيح الترمذي ٣١٩/٢.

(٣) تاريخ الطبري ٤٤١/٢، الكامل في التاريخ، ابن الأثير ٣٢٣/٢.

إلى المدينة، ووجهه وبكاؤه من نزول قرآن فيه.

أما أنس بن مالك الراوي الثاني للحديث فلقد كان منحرفاً عن إمام المتقين علي بن أبي طالب عليه السلام، وكان انحرافه إلى درجة أن امتنع من الشهادة مع سائر الصحابة في مسجد الكوفة بسماحه حديث رسول الله ﷺ؛ من كنت مولاه فهذا علي مولاه. فدعا عليه الإمام علي عليه السلام، فأصابه البرص^(١).

وكان أنس بن مالك مع أبي بكر وعمر في أحداث السقيفة وما بعدها لذلك عيَّنه أبو بكر والياً على البحرين^(٢) لأنه من حزبه، ثم طرده عمر.

ومن الطبيعي أن يكون هذا الرجل الممتنع عن ذكر قول الرسول ﷺ في القدير غير صالح للحديث خصوصاً في قضية سياسية تخص إمامة المسلمين.

وكان أنس بن مالك ساقى الخمر لأعضاء النادي في السنة الثامنة من عمره وكانت الخمر محرمة في الإسلام، وكان على رأس الذين يهناون بتلك الكؤوس أبو بكر بن أبي قحافة^(٣).

وقد غضب رسول الله ﷺ على أبي بكر وعمر لعودتهما إلى المدينة في يوم الاثنين وعصيانها أمره فقال لهما ولأتباعهما العاصين:

ألم أمر أن تنفذوا في جيش أسامة؟

فقالوا: بلى يا رسول الله ﷺ

قال رسول الله ﷺ: فلم تأخرتم عن أمري^(٤).

الدلائل والعبور

(١) المعارف، ابن قتيبة ٢٥١، الصواعق المحرقة ٧٧.

(٢) تاريخ الإسلام، الذهبي، عهد الخلفاء الراشدين ص ١٢١، تاريخ خليفة ص ١٢٣.

(٣) راجع موضوع نادي الخمر الشهير وموضوع حرمة الخمر في هذا الكتاب.

(٤) البحار، المجلسي ٣٠ / ٤٣٤، الأرشاد، المفيد ١ / ١٨٣.

قال تعالى في محكم كتابه الشريف:

﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصصِهِمْ لَعِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾^(١).
 هناك الكثير من الدلائل والعبر في بحثي حملة أسامة وحادثة يوم الخميس منها.
 إن العمر لا مدخل له في القيادة السياسية والعسكرية والدينية والاجتماعية وهذا
 واضح في تعيين الله تعالى لعلي عليه السلام خليفة للمسلمين في يوم الغدير وفي تعيينه ﷺ
 أسامة بن زيد أميراً لحملة الشام.

وفي الحادتين عائد المعارضون ذلك واستمروا في عنادهم إلى ما بعد وفاة رسول
 الله ﷺ.

والأفضلية في الإسلام قائمة على العلم والتقوى أما التعيين فهو لله ورسوله أولاً
 ثم للشعب ثانياً. وقد عين الله تعالى علياً عليه السلام في غدير خم إماماً وخليفة للأمة،
 وجعل رسول الله ﷺ أسامة بن زيد قائداً عسكرياً لحملة الشام.

وبعد ما منع أبو بكر وعمر وسائر رجال الحزب القرشي رسول الله ﷺ من
 كتابة وصيته في يوم الخميس وأنكرا بيعته لعلي عليه السلام في غدير خم منع الحزب القرشي
 أبا بكر من كتابة وصيته، وأقدم على قتله وجعله عبرة لمن اعتبر. وقد قتل الحزب
 القرشي عمر بن الخطاب وهو الحزب الذي كان ينادي في يوم الخميس بعد عمر:
 النبي هجر، يهجر.

أما عائشة فقد قبض لها الأمويون مروان بن الحكم بحاربها ويؤذيها ثم قتلها
 معاوية بن أبي سفيان^(٢).

لقد دبّ الخصام بين رجال الحزب القرشي فأصبحوا أعداءً متحاربين بعد أن
 كانوا إخواناً متحابين فقتل عمر وعثمان أبا بكر واستحوذاً على ملكه، ومكر عثمان

(١) يوسف ١١١.

(٢) راجع كتاب اغتيال الخليفة أبي بكر والسيدة عائشة.

والأمويون بعمر بن الخطاب فقتلوه شرّاً قتلة.

واحتال عثمان في قتل ولي عهده (بأمر عمر) عبد الرحمن بن عوف، وأفتت عائشة بإراقة دم عثمان وإخراجه من الدين قائلة: أقتلوا نعتلاً فقد كفر^(١). فأطاعها ابن عمها طلحة بن عبد الله فأقدم على ذبح عثمان انتقاماً لدم أبي بكر. وقد لاقى عثمان ما لا يحظر على بال حيث رفضه الناس وحاصروه وقتلوه وتركوه جثة هامدة على مزبلة المدينة ثلاثة أيام دون غسل ولا دفن. ونهض معاوية والأمويون للانتقام لمقتل ابن عمهم عثمان فقتلوا طلحة وعائشة ومحمداً وعبد الرحمن أولاد أبي بكر.

وهكذا تمزّقت تلك الطائفة وقتل بعضها بعضاً بعد أن كانوا عصبة متحدة في يوم العقبة وفي يوم الخميس وفي يوم الهجوم على بيت فاطمة بنت محمد ﷺ. وقد أخبر تعالى بقتل الناس بعضهم بعضاً قائلاً:

﴿أَوْ يُلْبِسَكُمْ شِيْعاً وَيَذِيقَ بَعْضُكُم بَأْسَ بَعْضٍ أَنْظُرْ كَيْفَ نَصْرُفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ﴾^(٢).

وقال رسول الله ﷺ: إنكم تزعمون أني آخركم موتاً، وإني أولكم ذهاباً ثم تأتون بعدي أقناداً يقتل بعضكم بعضاً.

فقالوا: يا رسول الله ﷺ ومعنا عقولنا ذلك اليوم؟

فقال رسول الله ﷺ: لا تنزع عقول أهل ذلك الزمان^(٣).

أما عن الرواية الأموية الكاذبة بتعيين رسول الله ﷺ لأبي بكر إماماً للصلاة في يوم الاثنين فيكني في كذبها المطالب التالية:

(١) تاريخ ابن الأثير ٢/٣٠٦، شرح النهج ١/٢٥٤، تاريخ المدينة ٤/١١٦٧.

(٢) الأنعام ٦٥.

(٣) سنن ابن ماجه ٢/١٣٠٩، كتاب الفتن، المروزي ٢٣، مسند الشاميين، الطبراني ٣/١٢٤، كنز العمال

١١٥/١١.

تعيين رسول الله ﷺ لعلي بن أبي طالب عليه السلام خليفة للمسلمين في غدير خم، أي قبل شهر من ذلك التاريخ ومبايعة أبي بكر وعمر والمسلمين له بالخلافة في ذلك اليوم.

قال أمير المؤمنين علي عليه السلام في حقه: والله لقد تقمصها ابن أبي قحافة^(١). وقالت فاطمة عليها السلام: ويحهم أني زحزحوها عن رواسي الرسالة وقواعد النبوة ومهبط الروح الأمين^(٢).

رغبة أبي بكر في الاستقالة من السلطة قائلاً: يبيت كل رجل معانقاً حليلته مسروراً بأهله وتركتوني وما أنا فيه، لا حاجة لي في بيعتكم، أقبلوني بيعتي^(٣). وأعلن أبو بكر مرة أخرى قبل مقتله عن ندمه على استلام سلطة مفسوبة^(٤).

(١) نهج البلاغة، الخطبة الشقشقية.

(٢) شرح النهج ١٦ / ٢٣٤، دلائل الإمامة، ابن جرير الطبري ٤٠ / ٤١، معاني الأخبار، الصدوق ٣٥٤، ٣٥٥.

كشف الغمة، الاربطي ١ / ٤٩٢، ٤٩٤.

(٣) الإمامة والسياسة، ابن قتيبة ١ / ١٤، أعلام النساء ٣ / ٣١٤.

(٤) لسان الميزان ٨ / ١٨٩ في ترجمة علوان، طبع دار المعرفة - بيروت.

الفصل الثالث

أعمال الحزب القرشي الخطيرة المخالفة للرسول ﷺ



قبل وبعد شهادته

بعد عودة النبي ﷺ من الحج ووصيته إلى علي عليه السلام في خطبة الوداع وفي خطبة الغدير أمر رجال الحزب القرشي بالانخراط في حملة أسامة، وعندها اشتدت الخصومة بين رسول الله ﷺ وبين المتحفزين للسيطرة على الحكم الرافضين وصيته ﷺ إلى علي عليه السلام.

فبرزت الخصومة واضحة بين رسول الله ﷺ من جهة وأبي بكر وعمر وعائشة وحفصة من جهة أخرى. فكانت آراء وأقوال وأعمال هؤلاء المعارضة لرسول الله ﷺ متمثلة بما يلي:

١ - رفض رجال الحزب القرشي الانضمام إلى صفوف جيش أسامة وعلى رأس هؤلاء أبو بكر وعمر، فذهب أبو بكر إلى السنع بعد أن سُم الرسول ﷺ، فبقى بجانب زوجته هناك، ولم يعد إلا بعد مقتل النبي ﷺ بالسم^(١). واستمر عصيان أبي بكر لحملة أسامة بعد شهادة رسول الله ﷺ فلم يذهب فيها لا قائداً ولا مأموراً رغم مطالبة أسامة له بذلك.

ورفض عمر الانضمام إلى حملة أسامة في زمن النبي ﷺ وفي زمن أبي بكر رغم الأمر النبوي له بذلك. بل إنه طالب أبا بكر بإقالة أسامة من منصبه وعصيان الأمر

(١) إذ أخبره بذلك مبعوث عمر إليه وهو سالم بن عبيد • كنز العمال ٧/٢٢٢ ط. مؤسسة الرسالة.

النبوي في تعيينه.

- لكنه استمر بمناداة أسامة بالأمير في زمن خلافة أبي بكر: إذ أخرج ابن كثير: كان عمر إذا لقيه (أسامة بن زيد) يقول: السلام عليك أيها الأمير^(١).
- ٢ - قال عمر وبقية رجال الحزب القرشي لرسول الله ﷺ في تلك الأيام إنه يهجر^(٢) وردّوا نظريته ﷺ المصريح بها: كتاب الله وعترتي أهل بيتي ﷺ وطرحوا نظريتهم: حسبنا كتاب الله^(٣).
- ٣ - طالبت أغلب نساء النبي ﷺ في يوم الخميس بإعطاء رسول الله ﷺ ورقة ودواة فقال عمر لمن: أسكتن^(٤).
- ٤ - أمرت عائشة أباهما على لسان النبي ﷺ بالصلاة في صبيحة يوم الاثنين فغضب الرسول ﷺ وجاء إلى الصلاة متكئاً على علي ﷺ وقم بن العباس فصلّى بالناس جماعة^(٥).
- ٥ - منع رجال الحزب القرشي الناس من دفن النبي ﷺ يومي الاثنين والثلاثاء بانتظار مجيء أبي بكر من السنع. فقال العباس بن عبد المطلب في ذلك عن جثمان النبي: إنّه ﷺ يأسن^(٦).
- ٦ - وبرز حقد وغضب رجال الحزب القرشي على رسول الله ﷺ في امتناعهم عن حضور مراسم غسله وتكفينه، وذهابهم بدلاً عن ذلك إلى السقيفة لإجراء مراسم البيعة لأبي بكر^(٧).

(١) التحفة اللطيفة، السخاوي، البداية والنهاية، ابن كثير ٧٢/٨، طبع مؤسسة التاريخ العربي - بيروت.

(٢) مسند أحمد بن حنبل ٣٢٥/١، سنن مسلم آخر الوصايا، أوائل الجزء الثاني.

(٣) الملل والنحل، الشهرستاني ٢٢/١.

(٤) منتخب كنز العمال، المتقي الهندي ١١٤/٣.

(٥) البداية والنهاية، ابن كثير ٢٥٣/٥، تاريخ الطبري ٤٣٩/٢، سيرة ابن هشام ١/٤ - ٣.

(٦) تاريخ الطبري ٤٤٣/٢، أنساب الأشراف ٥٦٨/١، ولم يأسن جثمان الرسول ﷺ رغم طول المدة.

(٧) مسند أحمد بن حنبل ٥٥/١، سنن البخاري ١١١/٤، تاريخ الطبري ٤٤٦/٢.

٧- وامتنع أبو عبيدة بن الجراح حفار قبور المهاجرين في المدينة عن حفر قبر رسول الله ﷺ، وذهب لإجراء مراسم السقيفة، فاضطر أهل البيت ﷺ لدعوة أبي طلحة حفار قبور الأنصار ليحفر قبراً للنبي محمد ﷺ^(١) وقد جاء عن النبي ﷺ قوله: «بيننا أنا قائم إذا زمرة حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بيني وبينهم، فقال لهم: هلم».

فقلت: أين؟

قال: إلى النار والله.

قلت: وما شأنهم؟

قال: إنهم ارتدوا بعدك على أدبارهم القهقري.

ثم إذا زمرة، حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بيني وبينهم فقال: هلم.

قلت: أين؟

قال: إلى النار والله.

قلت: ما شأنهم؟

قال: إنهم ارتدوا على أدبارهم القهقري، فلا أراه يخلص منهم إلا مثل همل النعم^(٢).

٨- وبعدما دُفِن رسول الله ﷺ في ليلة الأربعاء، هجم رجال الحزب القرشي على بيت فاطمة الزهراء بنت رسول الله ﷺ وكان الهجوم في يوم الأربعاء بعد

مراسم بيعة أبي بكر العامة وتسببت في مقتل فاطمة بنت محمد ﷺ وابنها محسن^(٣).

(١) تاريخ الطبري ٤/٥٢، أسد الغابة، ابن الأثير ٢/٣٣٣، الطبقات الكبرى، ابن سعد ٢/٢٩٤، ٢٩٨.

(٢) صحيح البخاري ٨/١٥٠، قال في لسان العرب ١١/٧١٠ وفي حديث الحوض: «فلا يخلص منهم إلا مثل همل النعم» همل: ضوال الإبل واحدها هامل، أي أن الناجي منهم قليل في قلة النعم الضالة»، صحيح مسلم ١/٢١٧ - ٢١٨ كتاب الطهارة، باب استحباب اطالة الغرة، صحيح الترمذي ٥/٣٢١، كتاب تفسير القرآن، باب تفسير سورة الأنبياء ص ٢٢، صحيح النسائي ٢/١٣٣، كتاب الافتتاح، باب قراءة بسم الله الرحمن الرحيم ص ٢١.

(٣) المقد الفريد ٤/٢٥٩، تاريخ أبي الفداء ١/١٥٦، تاريخ الطبري ٣/١٩٨.

وبذلك يتوضح اشتداد الصراع بين النبي ﷺ وبين الحزب القرشي إلى درجة يتوقع أن تنتهي بحمام دم. إذ لمن خاتم الأنبياء المتخلفين عن جيش أسامة وإتهمه المتخلفون بالجنون بأنه هجر وفعلاً انتهت باغتيالهم له ﷺ^(١).

غضب النبي ﷺ على رجال الحزب القرشي وأقواله فيهم

بعد اشتداد حدة الصراع بين النبي ﷺ وبين حزب قريش ردّ رسول الله ﷺ على أقوال وأعمال الحزب القرشي وعلى رأسهم أبو بكر وعمر وعائشة وحفصة بشدة بما يلي:

١ - لمن العصيين لحملة أسامة بن زيد إلى الشام^(٢).

٢ - ردّ رسول الله ﷺ على قولهم يهجر للنبي ورفضهم النظرية الإلهية : كتاب الله وعترتي أهل بيتي بقوله ﷺ لهم: إني من نساء النبي ﷺ وفاطمة^(٣) أفضل منكم^(٤) وذلك بعدما قال عمر له: أسكتن^(٥).

وأخرج مالك بن أنس قائلًا: «إن رسول الله ﷺ قال لشهداء أحد: هؤلاء أشهد عليهم.

فقال أبو بكر: ألسنا يا رسول الله إخوانهم، أسلمنا كما أسلموا، وجاهدنا كما جاهدوا؟

قال رسول الله ﷺ: بلى ولكن لا أدري ما تحدثون بعدي.

فبكى أبو بكر ثم قال: إنا لكاثنون بعدك؟^(٦)

وهذا من دلائل النبوة إذ أخبر الرسول ﷺ أبا بكر وصحبه بأنهم كاثنون بعده.

(١) راجع كتاب هل اغتيل النبي محمد ﷺ للمؤلف.

(٢) شرح نهج البلاغة، المعزلي ٥٢/٦.

(٣) كنز العمال، المتقي الهندي ١٣٨/٣.

(٤) منتخب كنز العمال، المتقي الهندي ١١٤/٣.

(٥) الموطأ، مالك بن أنس ص ٢٣٦، كتاب الجهاد، باب الشهداء في سبيل الله حديث ٩٩٥.

٣ - ولما كادت عائشة وحفصة رسول الله ﷺ في امرأته الجديدة زينب بنت أبي الجون نجحت الحطة فقالت المسكينة لخاتم الأنبياء ﷺ: أعوذ بالله منك وذلك في السنة التاسعة للهجرة.

فقال النبي ﷺ عن عائشة وحفصة: إنهن صواحب يوسف وكيدهن عظيم^(١).

٤ - ومرة ثانية قال خاتم الأنبياء ﷺ لعائشة وحفصة وسودة المشاركات لمر وصحبه في قولهن للنبي يهجر: إنكن صواحب يوسف^(٢) فشبّه رسول الله ﷺ عائشة بزيخا^(٣) التي أجبرت يوسف ﷺ على النكر فامتنع منها.

٥ - أخرج رسول الله ﷺ عمر وأصحابه من منزله في يوم الخميس قائلاً لهم: قوموا^(٤).

٦ - قال الرسول ﷺ لعائشة وحفصة في صبيحة يوم الاثنين يوم شهادته ردأ على دعوتها أبويها لإمامة الصلاة في المسجد النبوي: إنكن لصواحب يوسف^(٥). وأقبح النساء في حياة الأنبياء صواحب يوسف ﷺ.

٧ - تمى النبي ﷺ موت عائشة السريع قبل شهادته ﷺ اذ قالت عائشة: فتمنى رسول الله ﷺ موتي قائلاً: وددت أن ذلك يكون وأنا حي فأصلي عليك وأدفنك^(٦).

أي تمى النبي ﷺ موت عائشة السريع قبل دخولها في فتنه عمياء تتمثل في مشاركتها في قتله ﷺ، ومسيرها لمحاربة علي ﷺ في البصرة.

(١) طبقات ابن سعد ٨/١٤٥، دار صادر بيروت، البحار ٢٢/٢٠٩، فتح الباري على صحيح البخاري ٩/٢٩٤.

(٢) شرح التهج ٣/١١٤.

(٣) مجمع البحرين ٢/٥٨٣.

(٤) مستند أحمد بن حنبل ١/٣٢٥، صحيح مسلم في آخر الوصايا ١/٢٣٢، السقيفة والخلافة، أبو بكر الجوهري، صحيح البخاري، باب جوائز الوفد من كتاب الجهاد والسير ٢/١١٨.

(٥) تاريخ الطبري ٢/٤٣٩، سيرة ابن هشام ٤/٣٠١.

(٦) الطبقات الكبرى، ابن سعد ٢/٢٠٦.

٨- وقال النبي ﷺ عن مسكن عائشة: هاهنا الفتنة، هاهنا الفتنة، هاهنا الفتنة، من حيث يخرج قرن الشيطان^(١).

٩- وبعد ما سقوه السم وصف النبي ﷺ عملهم بالعمل الشيطاني^(٢).

١٠- وبعد مسمومية النبي ﷺ وقبل شهادته قالت عائشة: ذهب رسول الله ﷺ إلى البقيع ثم التفت إلي فقال: وبها لو تستطيع ما فعلت^(٣) وهذا النص واضح في إقدام عائشة على ارتكاب فعل خطير مشابه لفعلها في معركة الجمل، وما ذلك الفعل إلا إقدامها على سم رسول الله ﷺ لصالح أبيها وعصبته. وفسر رسول الله ﷺ ذلك بعدم سيطرتها على أهوائها. وإقدامها على جريمة عظيمة.

هل قتل رجال الحزب القرشي أحداً من المسلمين؟

وتسبب رجال الحزب القرشي في مقتل الكثير من الصحابة لاحقاً، من أمثال سعد بن عبادة وخالد بن سعيد بن العاص وأبي ذر وعبد الله بن مسعود^(٤)، دون سبب موجب ل ذلك، مثل ردّة بعد إسلام، وزنا بعد إحصان، وقتل نفس مؤمنة. وبعد اغتيال الحزب القرشي لرسول الله ﷺ وابنته فاطمة ؓ تقدموا لقتل بقية أفراد أهل البيت ؑ وحذف السنة النبوية من النواحي القرآنية والسياسية والعلمية وغيرها بقولهم: حسبنا كتاب الله، فنموا تدوين السنة النبوية وتفسير القرآن، بينما سمحوا لكعب الأحبار وتميم الداري بالوعظ الديني في مسجد

(١) صحيح البخاري ٩٢/٤، ١٧٤، ٢٠/٥، ٩٥/٨، صحيح مسلم ١٧٢/٨، سنن الترمذي ٢٥٧/٢.

(٢) البداية والنهاية، ابن كثير ٢٤٥/٥.

(٣) الطبقات، ابن سعد ٢٠٣/٢ طبعة دار صادر، بيروت.

(٤) أنساب الأشراف، المقد الفريد، ابن عبد ربه ٢٤٧/٤، السقيفة والخلافة، عبد الفتاح عبد المقصود ص ١٣، تاريخ أبي زرعة ص ١١١، أسد الغابة ٣٥٩/١، تاريخ دمشق، ترجمة أبي ذر، تاريخ أبي الفداء ٣٢٢/١.

الرسول ﷺ^(١).

ثم تحرك رجال الحزب القرشي لاغتتيال بعضهم البعض في سبيل الاستحواذ على السلطة والإستمرار فيها، فقتلوا أبا بكر وصاحبه عتاب بن أسيد الأموي، وطبيب العرب ابن كلداء الذي فضح الاغتتيال^(٢).

وقتل معاوية أشراف قريش دون استثناء منه لرجال بني أمية. فاغتال في هذا الطريق عبد الرحمن بن أبي بكر وعائشة وعبد الرحمن بن خالد بن الوليد وسعد بن أبي وقاص والحسن بن علي رضي الله عنهما، وزبيد بن أبيه^(٣).

سيرة السيدتين عائشة وحفصة

من المستحسن ذكر بعض أعمال عائشة وحفصة للتعرف على شخصيتهما:

١ - لقد ذكر البخاري اعتزال رسول الله ﷺ لنسائه^(٤) أي طلاق النبي ﷺ لعائشة وحفصة وسودة. وأكد مسلم في كتابه نزول هذه الآية في تلك الحادثة: «عَسَىٰ رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَنَّ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ، مُسْلِمَاتٍ مُّؤْمِنَاتٍ»^(٥) وكان النبي ﷺ قد طلق عائشة وحفصة وسودة ثم راجعهن^(٦).

(١) مجمع الزوائد عن الإمام أحمد ص ١٩٠، تاريخ أبي زرع ص ٣٣٥ ح ١٩١٥، الطبقات، ابن سعد ١٤٠/٥.

تاريخ ابن كثير ١٠٧/٨، تاريخ المدينة المنورة، عمر بن شبة ١٢/١.

(٢) اغتيال الخليفة أبي بكر والسيدة عائشة، المؤلف.

(٣) نظريات الخلفيتين، المؤلف ١٢٩/٢ - ١٥١، العقد الفريد، ابن عبد ربه ٢٤٧/٤، ٢٥٠، طبقات ابن سعد

١٩٨/٣، مروج الذهب، المسعودي ٣٠١/٢، ٤١٠، السقيفة والخلافة، عبد الفتاح عبد المقصود ص ١٣،

سنن البهقي ١٢٨/٩، مختصر تاريخ دمشق، ابن حساكر ٢٦/٨، ٢٤/٢٤، الكامل في التاريخ ٢٠٤/٣،

٢٥٣، البداية والنهاية، ابن كثير ٩٥، ٩٢/٨، تاريخ الطبري، أحداث معركة بدر، تاريخ العقوي ١٣٩/٢،

الإستيعاب ٣٩٣/٢، الإصابة ٣٠٦/٣، مقاتل الطالبين ص ٤٧، ٤٨، مستدرله الحاكم ٤٧٦/٣، أنساب

الأشراف، البلاذري ٥٨/٣ - ٦٠.

(٤) صحيح البخاري ٧٠/٦، طبعه دار الفكر - بيروت.

(٥) التحريم: ٥، صحيح مسلم ١٨٨/٤، ط، دار الفكر - بيروت.

(٦) المستدرله، الحاكم ١٦/٤ ح ٦٧٥٣، ٦٧٥٤، ٢٣٥١، ٢٣٥٢، طبع دار الكتب العلمية - بيروت.

مما يبين سوء أخلاقهن معه ﷺ وعدم حبهن له وإغضابهن له.

٢ - وكانت حفصة وعائشة قد تظاهرتا على رسول الله ﷺ^(١). فنزلت الآية المباركة فيها كما قال الرسول ﷺ:

«إِنْ تَوْبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةِ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ حَتَّى يَرْضَى رَبُّهُ إِنْ طَلَقْنِ أَنْ يَبَدِلَهُ إِزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ... ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتِ نُوحَ وَامْرَأَتِ لُوطَ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا...»^(٢)

وسأل ابن عباس عمر بن الخطاب عن المقصود بالآية فقال عمر: عائشة وحفصة.^(٣)

٣ - وكانت عائشة وحفصة تؤذيان رسول الله ﷺ حتى يظل يومه غضبان^(٤). فقال عمر بن الخطاب لحفصة: «لقد علمتِ إن رسول الله ﷺ لا يحبك»^(٥).

واعتراف البخاري ومسلم بذلك، يعني أن خبر أذاهما لرسول الله ﷺ وغضبه عليهما قد انتشر بين الناس وتواتر الخبر.

٤ - وهما اللتان صوّرتا رسول الله ﷺ بالشيطان نعوذ بالله من ذلك، يوم قالتا للمليكة (زوجته الجديدة): قولي لرسول الله ﷺ: أعوذ بالله منك، فإنه يحب ذلك. فقالت المسكينة تلك العبارة لرسول الله ﷺ فطلقها^(٦). ثم ماتت المسكينة كمدأ.

(١) صحيح البخاري ٦١/٦، طبعة دار الفكر - بيروت.

(٢) التحرير: ٤٠، ٤١/٦٦، ١٠ تفسير التلمبي، الآية، تفسير ابن كثير ٦٣٤/٤، صحيح البخاري ١٣٦/٣.

(٣) صحيح البخاري ٣٦/٢، وجاء في تفسير التلمبي وتفسير الكشاف أن صالح المؤمنين هو علي بن أبي طالب عليه السلام، الطرائف ص ٢٤.

(٤) صحيح البخاري ٦١/٦، طبقات ابن سعد، المتوفى سنة ٨٢٣، ٥٦/٨.

(٥) صحيح مسلم ١٨٨/٤.

(٦) طبقات ابن سعد ١٤٥/٨، المعبر ص ٩٤ - ٩٥، المستدرک، الحاكم ٣٧/٤، الإستهباب ٧٠٣/٢، الإصابة ٥٢٠/٢ في ترجمة نعمان بن أبي الجون، تاريخ يعقوبي باب أزواج النبي ﷺ.

وكانت المتعوزة بالله سبحانه من الرسول ﷺ بتعليم عائشة وحفصة أكثر من واحدة^(١) إذ قالت اسماء بنت النعمان للنبي ﷺ: أعوذ بالله منك.

فقال: آمين عائذة بالله؛ إلحقي بأهلك^(٢).

٥ - وشككت عائشة في نسب إبراهيم ابن الرسول ﷺ^(٣).

٦ - وخالفت عائشة وحفصة رسول الله ﷺ في مرضه وأرادت كل واحدة

منها أن تدعو أباه لإمامة صلاة الجماعة فقال لها رسول الله ﷺ:

إنك صواحب يوسف^(٤). وقال رسول الله ﷺ أيضاً هذه الجملة لعائشة

وحفصة سابقاً يوم خدعن إحدى زوجاته بالتعوذ منه^(٥)

٧ - وخالفت عائشة قول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ

تَبَرُّجَ الْبَاجِلِيَّةِ الْأُولَى﴾^(٦)

وأمر رسول الله ﷺ في الامتناع عن محاربة علي بن أبي طالب ؓ فحاربت في

معركة الجمل، وأرادت حفصة الاشتراك في ذلك فنعها أخوها عبد الله^(٧).

وكانت زبيدة زوجة هارون الرشيد أفضل من عائشة فقد جاء:

«لما قُتِلَ محمد الأمين دخل إلى السيدة زبيدة أمه أحد خدمها، وقال لها: ما

يجلسك وقد قُتِلَ أمير المؤمنين؟

فقالت: ويلك ماذا أصنع؟

(١) راجع موضوع زوجات النبي ﷺ في هذا الكتاب.

(٢) الطبقات، ابن سعد ١٤٥/٨، المحبر ص ٩٤ - ٩٥.

(٣) المستدرک، الحاكم ٤٢/٤، طبعة دار الكتب العلمية - بيروت، وراجع موضوع زوجات النبي ﷺ في هذا الكتاب.

(٤) تاريخ الطبري ٤٣٩/٢، سيرة ابن هشام ٣٠١/٤.

(٥) راجع موضوع زوجات النبي ﷺ في هذا الكتاب طبقات ابن سعد ٨ / ١٤٥، البحار ٢٢ / ٢٠٩.

(٦) الأحزاب: ٣٣.

(٧) شرح نهج البلاغة، المعتزلي ٨٠/٢، تاريخ الطبري ٤٧٧/٣، معجم البلدان ٣٦٢/٢، ٧٨/٢ - ٧٩، الروض

المسطار ص ٢٠٦، تطهير الجنان، ابن حجر، بهامش الصواعق المحرقة ص ١٠٨.

قال: تخرجين فتطلين بتأره، كما خرجت عائشة تطلب بدم عثمان.
فقلت: إخصاً لا أم لك، ما للنساء وطلب الثأر ومنازلة الرجال؟ ثم أمرت بشيائها
فسودت، ولبست مسحاً من شعر»^(١).

٨ - ووصف النبي ﷺ عائشة بالشیطان وجندي الشیطان: إذ قال رسول
الله ﷺ لعائشة يوماً: أفأخذك شيطانك^(٢).

وروى البخاري: «قام النبي ﷺ خطيباً فأشار نحو مسكن عائشة فقال:
ها هنا الفتنة، ها هنا الفتنة، ها هنا الفتنة. من حيث يطلع قرن الشيطان»^(٣).
وقال الرسول ﷺ لَمَنْ سَقَاهُ الدَّوَاءَ (السم) في بيت عائشة: إنيها من الشيطان^(٤).
٩ - واستمرت عائشة في مخالفتها رسول الله ﷺ فبينما قال الرسول: الولد
للغرائس وللعاهر الحجر كتبت عائشة لزياد بن أبيه: «زياد بن أبي سفيان»^(٥).
١٠ - وفرحت عائشة وحفصة بمقتل أمير المؤمنين علي عليه السلام^(٦) وصي رسول
الله ﷺ.

١١ - وبينما قال الرسول ﷺ: الحسن والحسين سيذا شباب أهل الجنة^(٧). منعت
عائشة مع مروان بن الحكم من دفن الحسن عليه السلام مع جدّه ﷺ^(٨).
فتكون عائشة وحفصة قد اغضبتا رسول الله ﷺ وخالفته فطلقها، وكذبتا

(١) مروج الذهب ٢/٣٢٧.

(٢) مسند أحمد ٦/٢٢١.

(٣) فتح الباري في شرح صحيح البخاري ٦/٢٤٣ حديث ٣١٠٤ ط. دار الريان، صحيح البخاري ٤/٩٢،
١٧٤، ٢٠/٥، ٨/٩٥، صحيح مسلم ٨/١٧٢، سنن الترمذي ٢/٢٥٧.

(٤) البداية والنهاية، ابن كثير ٥/٢٤٥.

(٥) مختصر تاريخ دمشق، ابن عساكر ٩/٧٨.

(٦) مقاتل الطالبين، أبو الفرج الأصفهاني ص ٤٣.

(٧) الكامل في التاريخ، ابن الأثير ٢/١٠، سنن الترمذي ٢/٣٠٦، مسند أحمد ٣/٦٢، ٨٢، الحلية، أبو
نعيم ٥/٧١، تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي ٩/٢٣١، ٢٣٢.

(٨) مختصر تاريخ دمشق، ابن عساكر ٧/٤٥، تاريخ أبي الفداء ٢/٢٥٥، تاريخ يعقوبي ٢/٢٢٥.

عليه في الحديث.

١٢ - ومن يفعل هذه الأفعال يكون من السهل عليه ارتكاب جريمة أخرى، وهذا ما يؤيد إقدامها على قتل رسول البشرية ﷺ لتهيئة الأرضية لحكومة أبيها. وأصدرت فتوى بقتل عثمان بن عفان. وتسيبت في مقتل عشرين ألف مسلم في معركة الجمل، وقتلت ٦٠٠ رجل في البصرة^(١) وسعت لقتل الخليفة علي بن أبي طالب عليه السلام في معركة الجمل.

١٣ - ويدعم ذلك الروايات الصحيحة في اشتراكها في قتل رسول الله ﷺ^(٢). ومثلاً أغتيل رجال الاغتيال كمحمد بن مسلمة^(٣)، فقد أغتيلت عائشة بيد معاوية بن أبي سفيان^(٤).

وأفعال حفصة أيضاً تؤيد الروايات الصحيحة في اشتراكها في قتل رسول الله ﷺ^(٥). فهي امرأة خشنه الطباع مع رسول الله ﷺ ومع سائر الناس. وبينما تمتعت عائشة وحفصة في ظل خلافة أبيهما بأفضل معيشة دنيوية، في ظل خيرات البلدان المفتوحة، ابتلت فاطمة بنت محمد ﷺ بالحزن والحمرمان والاغتيال فني عمرها تعرضت للجوع والحمرمان في حصار قريش لشعب أبي طالب وتعرضت للظلم في ظل حكم أبي جهل وأبي سفيان ثم تعرضت للقتل في زمن حكم أبي بكر وعمر فقالت:

صُبَّتْ عَلَيَّ مَصَائِبُ لَوْ أَنَّهَا صُبَّتْ عَلَى الْأَيَّامِ صَرْنُ لِبَالٍ^(٦)

(١) المنتظم، ابن الجوزي ٥ / ٨٥

(٢) تفسير العياشي ١ / ٢٠٠، البحار، المجلسي ٥١٦ / ٢٢، ٢١ / ٢٨.

(٣) الإحصاء، ابن حجر ٣ / ٣٨٤.

(٤) الصراط المستقيم باب ٤٦ / ١٢، اغتيال الخليفة أبي بكر والسيدة عائشة.

(٥) المصدر السابق.

(٦) ذكره النابلسي في ثلاثيات مسند أحمد ٢ / ٤٨٩، والديار بكري في تاريخ الغميس ٢ / ١٧٣، والعلامة ابن

وكان رسول الله ﷺ قد هيأها لاستقبال المضلات والمظالم وذلك من علامات النبوة له ﷺ إذ قال لها: يا فاطمة اصبري على مرارة الدنيا لنعيم الآخرة غداً، فنزلت الآية الكريمة: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾^(١)

وتختلف عائشة عن خديجة اختلافاً منهجياً إذ كانت شديدة الأخلاق حادة الطبع عنيفة المجابهة، وتحاول الاستفادة من شدتها في حل القضايا المعضلة عندها. قالت أم سلمة: إستيقظ رسول الله ﷺ ذات ليلة وهو يقول: لا إله إلا الله ما فُتح الليلة من الخزان؟ لا إله إلا الله ما أنزل الليلة من الفتن؟ من يوقظ صواحب الحجر، يريد به أزواجه... يا رب كاسية في الدنيا عارية في الآخرة^(٢). في إشارة منه لنسائه المخالفات له! حديث رسول الله ﷺ هنا عام في الفتنة، وإن منبعا مسكن عائشة، فهل يقصد في ذلك اشتراكها في قتله ﷺ، كما جاء في الرواية أم يقصد اشتراكها في دعم مشروع السقيفة واغصاب الخلافة، أم تحركها الواسع لرفض النقل الثاني بعد القرآن أي أهل البيت، أم افتعالها معركة الجمل للمطالبة بدم عثمان وهي التي قتلتها، أم هو ﷺ يقصد بمحديته المذكور مجموع تلك الفتن وغيرها التي صنعتها أم المؤمنين عائشة، أو اشتركت في حياتها.

وكانت لحفصة وعائشة منزلة مشهودة في الشدة والقسوة في التعامل مع رسول الله ﷺ، فنزلت في حقهما آيات قرآنية تشهد على ذلك، كما ذكرنا في هذا الموضوع إلا أن منزلة عائشة أم المؤمنين كانت أشد بحيث أشار رسول الله ﷺ إلى منزلها بأنه دار الفتنة ثلاث مرات.

— سيد الناس في عيون الأئمة ٢/٣٤٠، والسهودي في وفاة الوفا ٢/٤٤٣، والتهاني في الأنوار المحمدية ص ٥٩٣.

(١) الضحى ٥. كنز العمال ١٢/٤٢٢.

(٢) صحيح البخاري، كتاب اللباس ٣٣/٤، صحيح الترمذي (الجامع ٤/٤٨٨)، ومسنند أحمد (الفتح ٣٢/٣٤).

ولم تؤثر طول مدة الرفقة مع رسول الله ﷺ في عائشة والبالغة عقداً من الزمان، فقد بقيت شديدة قاسية لا ترحم من تبغض ولا تتوانى في الدفاع عمن تحب.

ومنطقها منطق أهل الجاهلية كما قال الشاعر:

لا يسألون أخاهم حين يندبهم في الثائبات على ما قال برهانا
فالجاهلي كان يحب ويبغض طبقاً لعصبيته، ويثأر لها بكل السبل المتاحة، ولا يتوانى عن حمل السلاح وطى المسافات الطويلة في سبيل غاياته وغايات قبيلته. طبعاً كان ذلك من أعمال وصفات الرجال دون النساء إلا ما شذّ ونذر، ولقد فعلت أم المؤمنين عائشة ما عجزت عنه النساء في الجاهلية والإسلام.

قال تعالى في كتابه الشريف:

﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى...﴾^(١)

فألقت عصاها واستقرّ بها النوى كما قرّ هيناً بالإياب المسافر
وسجدت شكراً لله تعالى^(٢).

وسمّت خادمها باسم عبد الرحمن؛ حباً وكرامة لعبد الرحمن بن ملجم الخارجي، الذي قتل الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام. روي عن مسروق أنّه قال: دخلت على عائشة فجلست إليها فحدثتني واستدعت غلاماً لها أسود يقال له عبد الرحمن، فجاء حتى وقف، فقالت: يا مسروق أتدري لم سمّيته عبد الرحمن؟ فقلت: لا.

قالت: حباً منّي لعبد الرحمن بن ملجم^(٣).

هذا في الوقت الذي روت فيه عائشة في أواخر أيام حياتها في الدنيا أنّ رسول

(١) الأحزاب: ٣٣.

(٢) مقاتل الطالبيين، أبو الفرج الأصفهاني ص ٤٣.

(٣) كتاب الشافي ١٥٨/٤، الجمل، المفيد ص ٨٤.

الله ﷺ قال: أنا سيد ولد آدم وعلي سيد العرب^(١).

أي أنها كانت تعرف ذلك وتكتمه عن الناس لمعارضتها الخليفة علي بن أبي طالب عليه السلام.

وقد امتنع الإمام علي عليه السلام عن إثارة حفيظتها وإغضابها في أيام خلافته، إذ لم يجر طلبها في عدم قتل المشاركين لها في حرب الجمل، والمختفين في بيتها في البصرة، ثم أكرمها وأعزّها وأرجعها إلى بيتها في المدينة المنورة، بصحبة أخيها محمد بن أبي بكر، احتراماً منه لرسول الله ﷺ.

وقد روت عائشة أن النبي ﷺ طلب من نساءه أثناء مرضه العلاج في بيتها، إلا أنها كذّبت ذلك لاحقاً بقولها: ثم رجعت ﷺ إلى بيت ميمونة، فاشتدّ وجعه^(٢). وكانت عائشة قد تمارضت عندما شكى رسول الله ﷺ مرضه، فقالت: وارأساه.

فقال رسول الله ﷺ: بل أنا وارأساه.

قالت عائشة: فتمنى رسول الله ﷺ موتي قائلاً: وددت أن ذلك يكون وأنا حي فاصلي عليك وأدفنيك^(٣).

ورفعت عائشة صوتها على صوت رسول الله ﷺ فضر بها أبوها^(٤).

وكسرت إناء أم سلمة الذي قدمت فيه طعاماً لرسول الله ﷺ^(٥).

ثم منعت عائشة مع مروان من دفن سبط النبي ﷺ الحسن بن علي عليه السلام مع جده

(١) مستدرک الصحيحین، الحاكم ١٢٤/٣، كنز العمال ٤٠٠/٦، الرياض النضرة ١٧٧/٢، ١٩٣، ذخائر المتقى ص ٧٧، حلية الأولياء ٦٣/١، تاريخ بغداد ٨٩/١١، مجمع الزوائد ١٣١/٩.

(٢) الطبقات، ابن سعد ٢٠٦/٢.

(٣) الطبقات، ابن سعد ٢٠٦/٢.

(٤) تفسير القرطبي ١٦٦/١٨، كنز العمال ١١٦/٧.

(٥) صحيح النسائي باب الغيرة ١٥٩/٢.

رسول الله ﷺ، بعد أن سمَّته جعدة بنت الأشعث^(١).

وعن الفتنة قال رسول الله ﷺ: سألت ربي ثلاثاً فأعطاني اثنتين ومنعني واحدة، سألت ربي أن لا يهلك أمتي بسنة فأعطانيها، وسألته أن لا يهلك أمتي بالغرور فأعطانيها، وسألته أن لا يجعل بأسهم بينهم فتنة - وفي رواية - وسألته أن لا يلبسهم شيعاً فأبى علي^(٢).

وروى أسامة بن زيد: أشرف النبي ﷺ على أطم^(٣). من أطام المدينة ثم قال: هل ترون ما أرى؟ إني لأرى مواقع الفتن خلال بيوتكم كمواقع القطر^(٤).

مقتل جُنِّي في مسجد النبي ﷺ

كانت أم المؤمنين عائشة تتوسل بالقوة لحل المضلات وتضرب بيد من حديد كل من يخالف منهجها وأهدافها كائناتاً من كان، والبعض يتوسل بالصفح والعفو لحل المشكلات.

لذلك تصادمت مع رسول الله ﷺ ومع علي^(٥) ومع فاطمة^(٦) ومع غيرهم فرحموها استناداً إلى منهجهم في إدارة الأحداث، وقياساً على تعاملها هذا لم تكن تتصور أن علياً^(٧) سيتعامل معها بلطف عال بعد معركة الجمل، لسجلها الخطير في معارضة أهل البيت^(٨) ومحاولاتها في تحطيم اطروحاتهم.

أما عن علاقة السيدة عائشة مع سائر الناس في رواية «كان جانٌ يطلع على عائشة، فخرَّجت عليه مرةً بعد مرةً فأبى إلا أن يظهر، فعدت عليه بمديدة فقتلته. فأُتيت في منامها، فقيل لها: أقتلت فلاناً وقد شهد بدرأ، وكان لا يطلع عليك لا

(١) مختصر تاريخ دمشق، ابن حساكر ٤٥/٧.

(٢) صحيح مسلم، كتاب الفتن ١٨/١٤، ومسنند أحمد (الفتح ٢٢/٢١٥) وكنز العمال ١١/٢٢١، ١١/٢٢٢.

(٣) الأطم: القصر أو الحصن.

(٤) صحيح البخاري، كتاب الحج ٣٢٢٢/١، صحيح مسلم ١٨/٧.

حاسراً ولا متجردة، إلا أنه كان يسمع حديث رسول الله ﷺ، فأخذ منها ما تقدّم وما تأخر، فذكرت ذلك لأبيها. فقال: تصدّقي بأثني عشر ألف دينته^(١).

بعد قراءة هذه الرواية نفهم أنّ عائشة قد قتلت شخصاً مسلماً، قد اشترك في معركة بدر إلى جنب رسول الله ﷺ.

ولكن يد السياسة قد حرّفت الخبر فقد نسخته جاناً بعد أن كان إنسياً؛ إذ لا يعقل قتل عائشة لفرد من الجن بيديها الضعيفتين! وهل يمكن قتل الجان؟ وكان الحزب القرشي قد تعود منذ الجاهلية إلقاء مسؤولية الأحداث على الجن، للهروب من تبعات الأمور ومخاطرها.

فقد قتل كفار قريش طالب بن أبي طالب في معركة بدر لخالفته المشاركة في قتال رسول واتهموا الجن بقتله^(٢).

ولما قُتل محمد بن مسلمة (مأمور عمر الحاص) سعد بن عباد في الشام سارعت السلطة لاتهام الجن بذلك. وأقدمت عائشة على 'تسطير شعر تأييداً لذلك'^(٣).

قد قتلنا سيد الخزرج سعد بن عباد

ورمسيناه بسهمين فلم نُخطِ فؤاده^(٤)

والسؤال المفروض هو: من هو الصحابي المشارك في معركة بدر الذي قتلته عائشة بيديها؟

لقد كان منزل عائشة بجانب المسجد النبوي والحادثة وقعت في ذلك المكان، والمسلمون يزورون المسجد النبوي للصلاة فيه ليلاً ونهاراً، لكننا لا نعلم هوية الصحابي المقتول! وقد يكون الحجاب بن المنذر المعارض لأبيها الذي مات في ظروف مشكوكة في ذلك التاريخ.

(١) سير أعلام النبلاء، الذهبي ١٩٦/٢، ١٩٨/٢، تذكرة الحفاظ، الذهبي ٢٩/١.

(٢) السيرة العلية ١٥٤، تاريخ الطبري ١٤٤/٢.

(٣) تاريخ الإسلام، الذهبي ١٤٩/٣، أنساب الأشراف، البلاذري، العقد الفريد، ابن عبد ربه ٢٤٧/٤.

(٤) تاريخ الإسلام، الذهبي ١٤٩/٣، طبقات ابن سعد ٤٥٨/٣.

لقد عارض زعياً الأنصار سعد بن عبادَةَ والحباب بن المنذر بيعة أبي بكر في السقيفة وكانا من أصحاب العقبة وحملتا رايات الأنصار في حروب المسلمين. وقد أئذرها عمر بن الخطاب بالقتل في السقيفة بعدما وطأ الحزب القرشي جسم سعد ابن عبادَةَ وكسر أنف الحباب وملأ فمه بالتراب^(١).
وفعلًا وفي عمر بن الخطاب بقوله فحاهما من سجل المسلمين بمساعدة أعوانه! والسؤال المفروض هو من قتل ذلك الصحابي وكيف؟
هل قتلته عائشة في المسجد النبوي أثناء سجوده؟ أم كان القاتل عمر، وهل حصل ذلك الصحابي على أسرار خطيرة أوجبت على عائشة قتله أم قُتل بمعارضته لبيعة السقيفة؟

أو قُتل للسببين المذكورين.
وكانت عائشة تميز للرجال الدخول عليها بعد إرسالهم للرضاعة من أختها أم كلثوم بنت أبي بكر بهذه الفتوى الغريبة^(٢).
وفي تلك الفترة حرّفت السلطة حديث الإفك النازل في تبرئة ساحة مارية القبطية إلى عائشة.
ورغم تصدّقها عن دية الصحابي المقتول لكنها لم تتصدق عنّ تسببت في قتلهم في معركة الجمل، وغيرها وكان المغيرة بن شعبة قد قال لها: أنتِ قتلتِ عثمان^(٣).

النبي ﷺ يتمنى موت امرأة

جاء في رواية عن عائشة قولها: «دخل عليّ رسول الله ﷺ وهو يصدع، وأنا أشتكي رأسي فقلت وارساء، فقال: بل أنا والله يا عائشة وارساء».

(١) الإمامة والسياسة ٨ / ١

(٢) المجموع، النووي ١٨ / ٢١٢، المعنى لابن قدامة ٩ / ٢٠١.

(٣) المقد الفريد، ابن عبد ربه الأندلسي ٤ / ٢٧٧.

ثم قال: وما عليك لو متُّ قبلي فوليت أمرك، وصليت عليك وواريتك؟
 فقلت: والله إني لأحسب لو كان ذلك لقد خلوت ببعض نساك في بيتي من آخر
 النهار، فضحك رسول الله ﷺ، ثم تمادى به وجهه فاستمرَّ به»^(١).
 وقال رسول الله ﷺ: «ذاك (موتك) لو كان وأنا حي فأستغفر لك وأدعوك.
 فقالت: وانكليه! والله إني لأظنك تحب موتي، ولو كان ذلك لظلمت آخر يومك
 معرساً ببعض أزواجك»^(٢).
 لقد أدركت وعرفت عائشة من قول الرسول ﷺ المذكور كرهه لها وحبه لموتها
 العاجل فدهشت وصرخت. ولقد تمسَّى النبي ﷺ موتها لمعرفة بالفتن التي
 ستخوضها من بعده والفتن التي تصنعها. ولم تصغ عائشة لقوله ولم تتمنَّ ما تمناه لها،
 بل رفضت عرضه ودعائه وأمنيته. وشككت في نواياه ﷺ فجعلتها نوايا دنيوية
 هدفها الرغبة في الزواج بنساء آخر وفي غرفتها!
 وكان الأجدر بها أن توافق على رغبته ﷺ لتنال شفاعته في الآخرة ودعائه
 بالمغفرة في الدنيا.

من غير نسبه وصفته ؟

لقد غير الرواة الأمويون والقصاصون كل ما استطاعوا تغييره ومن ذلك لون
 الصحابة وأصلهم وعبوديتهم. فقد كان عمر بن الخطاب عبداً حبشياً أسود اللون
 من عبيد الوليد بن المغيرة المخزومي فجعلوه حراً ومن ولد إسماعيل عليه السلام وأبيض
 اللون!! وهذا الزيف المتعمد يفقد القارئ الثقة بأولئك الكتاب والرواة.
 وكانت صهاك جدة عمر زنجية وكان نفيل جده زنجياً من الحبشة، وكانا من عبيد
 عبد المطلب بن هاشم، وكانت حنتمة أم عمر ممن عثر عليها هشام بن المغيرة

(١) السيرة النبوية، ابن كثير الدمشقي ٤٤٦/٤، البداية والنهاية، ابن كثير ٢٤٤/٥.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الأحكام رقم ٥ ج ٩/١٩٠.

المخزومي وربّاهَا^(١) فأصبح عمر عبداً للوليد بن المغيرة المخزومي.
فقد جاء أنّ عمر بن الخطاب كان عسيفاً (عبداً) للوليد بن المغيرة المخزومي^(٢).
وقال ابن حجر العسقلاني عن عمر بن الخطاب: كان أعسر يسراً طويلاً آدم
شديد الأدمة^(٣) (أي أسود اللون). وقال سفيان الثوري: كان عمر رجلاً آدم^(٤).
وأقرّ الواقدي بزنجيته قائلاً: إنّ سمرته إنما جاءت من أكل الزيت عام الرمادة^(٥).
فأراد الواقدي أن يبعد أصله الحبشي الزنجي عن أذهان الناس، لكنّه لم يعذر
بلاّ الحبشي بأنّه أصبح أسود اللون من أكله الزيت في عام الرمادة!
لكن أتباع الخط القرشي الكارهين للون الأسود قالوا: كان عمر أبيض^(٦).
وكان القرشيون يكرهون اللون الأسود لدلالته على العبودية والنسب الأفريقي
فكانت هند بنت عتبة مغيلة تحب السود من الرجال وكلها ولدت أسود قتلتها^(٧).
وكان أبو بكر وأبوه أبو قحافة من عبيد الحبشة واسم أبي بكر عتيق .
وكان أسود اللون فقد ذكروه في جملة السودان فقال ابن الجوزي في كتاب عيون
الأثر: «إن السودان: أسامة بن زيد وأبو بكر وسالم مولى أبي حذيفة وبلال بن
رباح»^(٨).
وسمّي عتيق لأنّه أعتق من العبودية، فجاء: «قال جبير بن مطعم بن عدي لعمري

(١) راجع شرح نهج البلاغة، المعتزلي ١٠٢/٣، تهذيب اللغة ١٢٢/٨، تاج المروس، الزبيدي ١٣/١٨٨،

النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير ٣٣٨/٣، مثالب العرب، الكلبي ص ١٠٣.

(٢) أقرب الموارد، مادة عسف.

(٣) تهذيب التهذيب، ابن حجر ٣٨٦/٧.

(٤) المصدر السابق.

(٥) المصدر السابق.

(٦) المصدر السابق.

(٧) الطراف، ابن طاووس ٥٠١، تذكرة الخواص، سبط بن الجوزي ٢٠٣، الندير ١٠ / ١٧٠.

(٨) عيون الأثر، ابن سيد الناس ص ٤٤٩، وقد حذف الناشرون ذلك في الطبقات الجديدة.

وحشي: «إن أنت قتلت حمزة عم محمد بعلمي طعيمة بن عدي فأنت عتيق»^(١)، فعتيق هو كل من يُعتَق.

وكان أولاد أبي قحافة هم: عتيق وعُتيق ومُعتق، وهذه أسماء المُعتقين من العبودية.

واعترف الشاعر عمير بن الأهلب الضبي المشارك في جيش عائشة في معركة الجمل بعبودية أبي بكر قائلاً:

أطعنا بني تيم بن مرة شقوة وهل تيم إلا أعبد وإماء^(٢)
لذلك قال أبو سفيان عن حكم أبي بكر: ما بال هذا الأمر في أقل قريش مكانة
وأذلها ذلة^(٣). أي أذلاء بالعبودية.

وقال قيس بن سعد بن عبادة لأبي بكر: ليس عندك حسب كريم^(٤).
وقال عمر لابن بكر: والهاء على ضئيل بني تيم^(٥). والضئيل هو العبد.
وكان أبو قحافة من عبيد عبد الله بن جدعان التيمي وعمله النداء على طعامه
فجاء في حق ابن جدعان من الشعر:

له داح بمكة مشمعل وآخر فوق دارته ينادي
فالمشمعل هو سفيان بن عبد الأسد والآخر هو أبو قحافة والإثنان من عبيد عبد
الله بن جدعان. قال هشام بن الكلبي: كانت أم سفيان بن عبد الأسد أمة لابن
جدعان^(٦). فأُم سفيان وأم عتيق من عبيد عبد الله بن جدعان.

(١) السيرة الحلبية، الحلبي ٢/٢١٧.

(٢) تاريخ الطبري ٣/٥٣١.

(٣) أخرجه الحاكم وصححه الذهبي، تاريخ الخلفاء، السيوطي ص ٦٦.

(٤) البحار ٢٩/١٦٧.

(٥) شرح النهج، المعتزلي ٢/٣١-٣٤.

(٦) مثالب العرب، هشام بن الكلبي ص ١٣٩، طبعة دار الهدى للتراث - بيروت، معجم البلدان، الحموي

٢/٤٢٤، ٥/١٨٥، السيرة النبوية، ابن كثير ١/١١٧.

وكان ابن جدعان أكبر تاجر للعبيد والإماء في مكة وصاحب أكبر دار لتوليد وبيع الأطفال، فقد كان يملك العشرات من الإماء اللواتي يعرضهن على الرجال فيحملن منهم ثم يبيع الأطفال من آبائهم أو من الغرباء^(١).

وكان الزنا في الجاهلية عملاً عادياً وخاصة للإماء فيقع عشرات من الرجال على الأمة الواحدة مقابل دفعهم المال للمالكها، ثم يبيع المالك وليدها لمن شاء من الرجال أو يعطيه لأحد عبيده العاملين في خدمته فينسب إليه.

وبعد ذكرنا لتلك النصوص نفهم أن أبا بكر كان من العبيد السود، والعبيد السود في الأصل جاءوا إلى مكة من الحبشة، ولأنه أعتق في بني تميم فقد أصبح أبا بكر التيمي.

وغير رجال البلاط وأتباع الهوى لونه فأصبح أبو بكر أبيض وعربي وهو أسود وحشي. متناسين نظرة الإسلام إلى اللون والقومية في عدم الفرق عنده! بقوله تعالى:

﴿إِنْ أَكْرَمَكُمْ حِنَّدَ اللَّهِ أَتَقَاكُمْ﴾^(٢) ولم يقل أبيضكم وقرشكم.

وكان لقمان الحكيم من السودان^(٣).

وكانت عائشة أيضاً سوداء اللون مثل أبيها، لكن الرواة المنصفون! جعلوها بيضاء اللون بل شقراء!

جاء في مصنفات الشيخ المفيد^(٤)؛ وفي تاريخ يحيى بن معين:

«سمعت يحيى يقول: قال عباد: قلنا لسهيل بن ذكوان: هل رأيت عائشة أم

المؤمنين؟

(١) المصدر السابق.

(٢) العجرات: ١٣.

(٣) اعلام النبلاء، الذهبي ٣٥٥/١.

(٤) مصنفات الشيخ المفيد ٣٦٩/١ في الحاشية.

قال: نعم.

قلنا: صفها.

قال: كانت سوداء^(١).

وقال البخاري صاحب كتاب صحيح البخاري: «كانت عائشة أدماء»^(٢).

وجاء في كتابي ابن حبان والذهبي: حدثتنا عائشة وكانت سوداء^(٣).

وقال ابن حجر العسقلاني: «إنها كانت أدماء (أي سوداء)»^(٤).

وقال ابن حجر العسقلاني أيضا: «بوجهها أثر جدري»^(٥).

فتكون عائشة سوداء في وجهها أثر جدري.

وكان عثمان بن عفان أسود اللون وبوجهه أثر جدري وكذلك كان يزيد بن

معاوية^(٦).

وسميت بالحمراء في حديث الحوَّاب لأنها كانت سوداء مشربة بالحمرة، مثلما

جاء في وصف الشريان:

هو شجر عضاء الجبال تُعمل منه القسي، وقوسه جيدة سوداء مشربة بالحمرة^(٧).

وسمي الهنود الحمرة في قارة أمريكا الشمالية بالهنود الحمرة.

وذكر أن النبي ﷺ قال: يا حميرا^(٨).

ويتأسف المسلم للتغيرات الحاصلة في كتب السيرة والحديث بحيث تصبغ

(١) مصنفات الشيخ المفيد ١/٣٦٩، تاريخ يحيى بن معين ٣/٥٠٩.

(٢) التاريخ الكبير، البخاري ٤/١٠٤.

(٣) المجروحون، محمد بن حبان التميمي ١/٣٥٢، ميزان الاعتدال، شمس الدين الذهبي ٢/٢٤٢، ٢٤٣.

(٤) لسان الميزان، ابن حجر العسقلاني ٢/١٢٤، ٣/١٢٥، ٤/١٢٥ طبعة مجلس دائرة المعارف النظامية في الهند.

(٥) لسان الميزان، ابن حجر العسقلاني ٤/١٣٦، طبعة حيدر آباد - الهند.

(٦) تاريخ أبي الفداء ١/٢٦٧.

(٧) تاريخ المدينة المنورة، ابن شبة ٤/١٢٣٢.

(٨) الدرجات الرفيعة ١٥.

السوداء شقراء ويصبح الكذاب موثقاً وبالعكس.

ولأن بلال الحبشي الأسود من المعارضين للنظام فقد أبقوه على صفته أسود وحبشي، عقوبة له! بينما أصبح الرؤساء من البيض والعرب! ولأن أبا بكر الحاكم الأول للمسلمين فقد حوِّله الأمويون إلى أبيض وعربي، وأول من أسلم، وأقرب رجل للنبي ﷺ، وجعلوا عائشة أقرب امرأة للنبي ﷺ، ولأن عمر أصبح الحاكم الثاني، فقد منحوه مرتبة المقرَّب الثاني عند النبي ﷺ وهكذا!!

وهذا أمر طبيعي عند الحكومات في العالم فكل رجل يعارض الحكومة تتهمه بسبيل من الصفات البذيئة المنبوذة وبمجرد سقوط الزعيم وأصحابه تمتع الحكومة الجديدة الرؤساء السابقين بالنعوت السيئة وهكذا!!! أما الصفات الراقية الحميدة فتحتكرها السلطات لأفرادها وزعيمها وتسبغهم بها ليلاً ونهاراً وهي منهم بريئة.

مَنْ قَتَلَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ؟

قال الرسول ﷺ: «ما منّا إلا مسموم أو مقتول»^(١).
 وقال رسول الله ﷺ أيضاً: ما من نبي أو وصي إلا شهيد^(٢).
 وقال الله تعالى عن اليهود الذين قتلوا رسله:
 ﴿بِمَا نَقَضْتُمْ مِيثَاقَهُمْ وَكَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ...﴾^(٣)
 وقال رسول الله ﷺ لأصحابه: لتحدون حدو اليهود والنصارى حدو القذة
 بالقذة فلوا دخلوا جحر ضب لدخلتموه^(٤).
 وفعلاً سار الحزب القرشي على خطى اليهود الذين قتلوا يحيى وهارون عليهما السلام
 وغيرهم وقتلوا رسول الله ﷺ وأولاده.
 ويسأل الكثير كيف قُتل رسول الله ؟
 جاء في روايتي البخاري ومسلم عن عائشة: «للدنأ^(٥) رسول الله ﷺ في
 مرضه، فجعل يشير إلينا أن لا تلدون في. قلنا: كراهية المريض الدواء.

(١) كفاية الأثر للخرازي القمي ص ١٦٢، وسائل الشيعة ٢/١٤، ١٨/١٤، البحار المجلدي ١/٤٥، من لا يحضره الفقيه ٤، ١٧، اعلام الوری ص ٣٤٩، تاريخ الغيبة الصغرى ص ٢٣٠.
 (٢) بصائر الدرجات ص ١٤٨، بحار الأنوار ١٧/٤٠٥، ٤٠/١٣٩.
 (٣) النساء ١٥٥.
 (٤) تفسير العياشي ٢/٤، تفسير ابن كثير ٢/١٤٨.
 (٥) صحيح البخاري بشرح السندی ٣/٩٥، صحيح البخاری ٧/١٧، ٨/٤٠، صحيح مسلم ٧/١٩٨، ٢٤.

فقال ﷺ: لا يبق في البيت أحد إلا لد، وأنا أنظر إلا عمي العباس فإنه لم يشهدكم^(١).

ومن الأسئلة الخطيرة المطروحة هنا: من قتل رسول الله ﷺ؟
جاء عن عبد الصمد بن بشير عن أبي عبد الله (الصادق) عليه السلام: «اتدرون مات النبي ﷺ أو قُتل إن الله يقول: ﴿أَفَانِ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ﴾»^(٢) فسم قبل الموت إنها ستمناه^(٣).

وتشير هذه الرواية إلى أن عائشة وحفصة سقناه السم وقتلناه.
وجاء في رواية: عائشة وحفصة سقناه (سماً)^(٤).
وقال المجلسي: «يحتمل أن يكون كلا السمين دخيلين في شهادته»^(٥).
ويقصد المجلسي بالسَّمين سم خبير والسم الثاني الذي سقوه في أواخر أيامه في الدنيا.

وقد ذكرنا في بحث سم خبير في هذا الكتاب أن السم الثاني هو الذي قتله، ولا أثر للسم الأول في ذلك لأن السم الأول كان في سنة ٧ هجرية في فتح خيبر بينما قُتل الرسول ﷺ في سنة ١١ هجرية.

وثانياً أن النبي ﷺ عَرَفَ بمسومية الطعام في خيبر بواسطة جبرئيل فلم يأكله. وفي الحادثة الثانية جرَّعوا النبي ﷺ السم في منامه، فدخل في جوفه وقتله! وذكرت عائشة بعد سم النبي أنه ﷺ قال لها: «ويحها لو تستطيع ما فعلت»^(٦).

(١) صحيح البخاري ١٧/٧، ٤٠/٨، صحيح مسلم ٢٤/٧، ١٩٤.

(٢) النساء: ١٤٤.

(٣) تفسير العياشي ١/٢٠٠، البحار، المجلسي ٥١٦/٢٢، ٢١/٢٨.

(٤) البحار، المجلسي ٥١٦/٢٢.

(٥) البحار، المجلسي ٥١٦/٢٢، وقد ذكرنا أن سم خبير كان قديماً قبل خمس سنوات، وكان النبي ﷺ لم يأكل طعام خبير.

(٦) الطبقات، ابن سعد ٢٠٣/٢ طبعة دار صادر، بيروت.

وهذا اعتراف من النبي ﷺ ومن عائشة بأنها ارتكبت فعلاً شنيعاً بحق رسول الله ﷺ.

وجاء في رواية في البحار باجتماع الأربعة على سمّه^(١)؛ وهم أبو بكر وعمر وعائشة وحفصة.

جاء عن الامام أبي عبد الله الصادق عليه السلام^(٢): «لا يقتل الأنبياء وأولاد الأنبياء إلا أولاد الزنا»^(٣).

امتناع البعض عن المشاركة في مراسم جثمان النبي ﷺ

بعدما قبض رسول الله جاء أت يسمعون حسه ولا يرون شخصه فقال: السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله في الله عزاء من كل مصيبة و... والسلام عليكم. قال علي عليه السلام: هل تدرون من هذا؟ قالوا: لا. قال: انه الخضر عليه السلام^(٤).

وأوصى رسول الله ﷺ علياً أن يغسله فقال علي عليه السلام: أخشى أن لا أطيع ذلك فقال ﷺ: انك ستعان من الملائكة ومات رسول الله ﷺ في حجر علي بن أبي طالب عليه السلام في بيت فاطمة وغسله علي عليه السلام لوحده^(٥). وأمر النبي ﷺ بدفنه في المكان الذي يموت فيه فدفن في بيت فاطمة عليه السلام.

وبعدما استشهد الرسول ﷺ منع عمر وعثمان وابن الجراح وأتباعهم من الأعراب دفن جثمان الرسول ﷺ في يومي الاثنين والثلاثاء بحجة عدم موته، وفي

(١) البحار، المجلسي ٢٢/٢٣٩، ٢٤٦ طبعة دار احياء التراث العربي، بيروت. وتفسير علي بن إبراهيم القمي.

(٢) والصادق عليه السلام من ذرية رسول الله ﷺ ومن ناحية الام ينتسب إلى القاسم بن محمد بن أبي حذيفة ولا ينتسب إلى القاسم بن محمد بن أبي بكر.

(٣) العلل ص ٣١، البحار، المجلسي ٢٧/٢٤٠، كامل الزيارة ص ٧٨، قصص الأنبياء (مخطوط).

(٤) مجمع الزوائد لابن حجر الهيثمي ٩/٣٥٠ والكافي للكليني ٣/٢٢١.

(٥) طبقات ابن سعد ٢/ ٢٧٧ ط. دار صادر بيروت، مختصر تاريخ دمشق ٢/ ٣٨٢، ٣٩٣ دلائل النبوة،

البهقي ٧/ ٢٤٣ ط دار الكتب العلمية - بيروت.

يوم الثلاثاء عصرا جاء أبو بكر من السنع، فسمحوا لبني هاشم بغسل ودفن الرسول ﷺ ليشغلوهم ويذهبوا هم لاغتصاب الخلافة الإلهية، فلم يشتركوا في مراسم جهازه، وتأخر دفنه ﷺ إلى ليلة الأربعاء^(١).

ولقد ابتعد الحزب القرشي عن المشاركة في مراسم تشييع خاتم الأنبياء ﷺ وذهبوا إلى سقيفة بني ساعدة لانتخاب فرد من أفرادهم خليفة للمسلمين. فلم يحضر أبو بكر وعمر غسل النبي ﷺ وتشيعه والصلاة عليه ودفنه! والدليل:

قال ابن أبي شيبة: «كان أبو بكر وعمر في الأنصار ولم يحضرا جنازة النبي ﷺ»^(٢).

وحتى عائشة لم تحضر مراسم غسل ودفن النبي ﷺ بغيابها يومين! فقد قالت: «والله ما علمنا بدفن رسول الله ﷺ حتى سمعت صوت المساحي من آخر الليل ليلة الأربعاء»^(٣).

لذا فقد قال ﷺ: إذا أصيب أحدكم بمصيبة فليذكر مصيبتَه بي فإنها أعظم المصائب^(٤).

وقد أثبتت أمهات الكتب الإسلامية ابتعاد هؤلاء عن حضور مراسم دفن رسول البشرية.

ويكاد الإنسان المسلم ينفطر فؤاده وتخمد نبضات قلبه لسماع هذا الخبر، فكيف يتمتع بعض الصحابة عن حضور مراسم دفن النبي ﷺ وهم يعلنون إسلامهم ويظهرون إيمانهم.

(١) الطبقات ٢/ ٢٧٣، طبعة دار صادر - بيروت.

(٢) المصنف، ابن أبي شيبة، باب المغازي، خلافة أبي بكر.

(٣) مسند أحمد بن حنبل ٦/ ٢٦، سنن البيهقي ٣/ ٤٠٩، مختصر تاريخ دمشق ٢/ ٣٨٢، ٣٩٣.

(٤) الطبقات ٢/ ٢٧٥.

والمدهش في الأمر أن الجماعة التي قالت لرسول الله ﷺ يهجر في يوم شهادته هي نفسها التي ادعت عدم موته! وتسببت في تأخير دفن جثمان النبي ﷺ وإهانة مقامه الشريف. وقد افتعلت ذلك لتهيئة الأرضية لمشروع السقيفة واشغال بني هاشم بجهاز الرسول ﷺ.

وأعجب من ذلك امتناع حفار قبور المهاجرين عن حفر قبر رسول الله ﷺ: إذ ذهب أبو عبيدة بن الجراح إلى السقيفة لوضع حجر الأساس لخلافة قريش لرسول الله ﷺ على أن يكون هو ثالث الخلفاء^(١).... يا للمصيبة.

ولما امتنع ابن الجراح عن ذلك اضطر بنو هاشم لدعوة حفار قبور الأنصار أبي طلحة زيد بن سهل ليحفر قبراً للنبي محمد ﷺ!!^(٢)

وقد كان ابن الجراح من دهاة قريش المتربصين للوصول إلى سدة رئاسة المسلمين وقد ذكره المغيرة بن شعبه قائلاً: داهيتا قريش أبو بكر وأبو عبيدة بن الجراح^(٣).

وكان المسلمون يسمون كلا من المغيرة وعمر بن العاص بالداهية. ولما قتل المغيرة بن شعبه مسلماً في حصار الطائف مكراً قال صحابي عنه: إنه داهية ولما كذب أحد المنافقين معجزة المطر في حملة تبوك قال عبارة بن حزم عنه: إن في رحلي لداهية^(٤).

وبعد اطلاعنا على ترك الحزب القرشي لمراسم جهاز النبي ﷺ نقول: إنَّ العداء بين الحزب القرشي ورسول الله ﷺ لم يتوقف بل استمر واستفحل

(١) تاريخ الطبري ٤٥٢/٢ طبعة مؤسسة الأعلمي - بيروت، الطبقات ٢/ ٢٩٨.

(٢) تاريخ الطبري ٤٥٢/٢، أسد الغابة ٢/ ٢٨٩، تاريخ ابن الأثير ٢/ ٣٣٢ الطبقات ٢/ ٢٩٤، الروض الأنف ٥٥٩/٧.

(٣) تهذيب الكمال، المزي ٣٦٤/٩.

(٤) مغازي الذهبي: ٦٤١، تاريخ ابن الأثير ٢/ ٢٨٠، تاريخ الطبري ٢/ ٣٧١.

وأفضل مصداق لذلك حادثة العقبة، وحادثة الامتناع عن الالتحاق بمحملة أسامة، وحادثة يوم الخميس، وحادثة منع دفن جثمان النبي ﷺ، وحادثة الامتناع عن المشاركة في مراسم دفنه. ونظرية رفض ثقل أهل البيت بقولهم: حسبنا كتاب الله، وحادثة منع تدوين حديثه ﷺ.

والذين حضروا مراسم الصلاة على النبي ﷺ ودفنوه مجموعة كبيرة من المسلمين على رأسهم بنو هاشم، فقد جاء عن زيد بن أرقم: «لولا أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه وغيره من بني هاشم اشتغلوا بدفن النبي ﷺ وبحزنهم فجلسوا في منازلهم ما طمع فيها من طمع»^(١).

أين دفن النبي ﷺ في غرفة عائشة أم في غرفة فاطمة ؟

أمر النبي ﷺ أن يدفن في المكان الذي يموت فيه. ويذكر أن حجرات أزواج رسول الله ﷺ كانت في قبلة المسجد^(٢) فنها رأى رسول الله ﷺ أبا بكر قد وقف في مقام إمام الجماعة فخرج وأزاحه عن مكانه وصلى هو ﷺ إماماً بالمسلمين^(٣). والغرفة التي دُفن فيها النبي ﷺ هي غرفة فاطمة رضي الله عنها التي مات فيها رسول الله ﷺ في حجر علي بن أبي طالب رضي الله عنه. فأصبحت قبراً ومزاراً له ﷺ إذ قال من حج فزار قبري بعد وفاتي كان كمن زارني في حياتي . ولم تكن عائشة في غرفة فاطمة رضي الله عنها التي دفن فيها الرسول بل سمعت صوت المساحي من غرفتها كما قالت^(٤).

ثم دفنت الدولة فيها أبا بكر وعمر. ومنع الأمويون دفن الحسن رضي الله عنه فيها تاراً

(١) الفتوح، ابن أعمم ١٢/١ طبع دار الكتب العلمية - بيروت.

(٢) البحار ٢٨ / ١٢٦.

(٣) تاريخ الطبري ٤٣٩٢. سيرة ابن هشام ٣٠١ / ٤.

(٤) مسند أحمد بن حنبل ٢٦/٦، سنن البيهقي ٤٠٩/٣، مختصر تاريخ دمشق ٢ / ٣٨٢، ٣٩٣.

لرفض الناس دفن عثمان الأموي فيها.

ولم تدفن عائشة فيها لأنها غرفة فاطمة ؓ وليس غرفتها ثم زينت الدولة الأموية ملكية غرفة فاطمة ؓ التي دفن فيها رسول الله ﷺ لصالح عائشة، لبيان موت النبي ﷺ في حجرها.

في حين صحّحت عائشة في أواخر أيام حياتها موت رسول الله ﷺ في حجر علي بن أبي طالب ؓ أي في غرفة فاطمة ؓ^(١).

وبعد مقتل رسول الله جرت بين فاطمة وعائشة ابلاغات وحديث يسوغ الصدور امتنع المعتزلي عن ذكره^(٢).

متى ارتحلت فاطمة ؓ ؟

لقد قتل رجال الحزب القرشي الكثير من الناس بوسائل مختلفة وعلى رأس تلك الوسائل الاغتيال: فقد هجم عمر وأتباعه بأمر أبي بكر على بيت فاطمة ؓ، بعد يوم واحد على دفن رسول الله ﷺ، فضبط عمر باب بيت علي ؓ على فاطمة ؓ المسترة خلف الباب، ودخلوا بيتها عنوة دون إذنها^(٣).

فاغتالوا فاطمة ؓ بعد اغتيالهم لأبيها ؓ فقد ماتت بعد فترة وجيزة من ذلك الحادث قال اليعقوبي: إنها عاشت بعد أبيها ثلاثين، أو خمسة وثلاثين يوماً، وهذا أقل ما قيل في مدة بقائها بعد أبيها^(٤).

وقالوا: عاشت أربعين يوماً.

(١) مجمع الزوائد ١ / ٢٩٣ / ٨ / ٢٩٧، فتح الباري ٨ / ١٠٦، كتاب السنة، عمر بن أبي حاصم، الذرية القاهرة، الدلاوي ٩١، المعجم الكبير، الطبراني ١٢ / ١١٠، ٢٤ / ١٤٥، مناقب، الخوارزمي ٣٠٦، طبقات ابن سعد، ترجمة الإمام الحسن ؓ ٨٩، مناقب الإمام علي ؓ ابن الدمشقي ١ / ١٠٩، كشف الغطاء، الصجلوني ٢ / ٤١٨، ينابيع المودة، الحنفي القندوزي ٢ / ٢٢٩.

(٢) شرح النهج، المعتزلي ١٤ / ٢٣.

(٣) أنساب الأشراف ١ / ٥٨٦، اعلام النساء ٤ / ١١٤، مروج الذهب، المسعودي ٣ / ٧٧ طبع دار الهجرة.

(٤) تاريخ اليعقوبي ٢ / ١١٥.

وقول ثالث خمسة وسبعين يوماً وهو الأشهر. والرابع خمسة وتسعين يوماً وهو الأقوى^(١).

وقال الإمام الصادق عليه السلام: إنها قبضت في جمادى الآخرة يوم الثلاثاء لثلاث خلون منه سنة إحدى عشرة من الهجرة^(٢).

وامتنعت سيدة العالمين من التحدث إلى أبي بكر وعمر وعائشة وحفصة من يوم قُتل أبوها إلى أن ماتت^(٣).

(١) تاريخ البقوي ٢ / ١١٥، وأيام البكاء على مقتل فاطمة عليها السلام والمسماة بالفاطميات تقام في:

الفاطمية الأولى: ٩ ربيع الثاني برواية شهادتها بعد مرور ٤٠ يوماً أثر شهادة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

الفاطمية الثانية: ١٥ جمادى الأول برواية شهادتها بعد مرور ٧٥ يوماً أثر شهادة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

الفاطمية الثالثة: ٣ جمادى الثاني برواية الإمام الصادق عليه السلام بشهادتها بعد مرور ثلاثة أشهر على شهادة رسول الله.

(٢) دلائل النبوة، الطبري ص ٤٥.

(٣) صحيح البخاري، باب فرض الخمس ١٧٧/٥، تاريخ الطبري ٢٠٢/٣، الامامة والسياسة ١٤/١، اعلام

النساء ٣١٤/٣، صحيح مسلم ص ١٢٥٩.

الباب الرابع:

من مواضيع السيرة

الفصل الاول

من اخلاق وصفات

واعمال النبي ﷺ



أخلاق رسول الله ﷺ

يتكلم بعض المغفلين على الانبياء ومنهم يوسف عليه السلام متهمين إياه بالرغبة في ارتكاب الزنا في قوله تعالى «وهم بها»^(١).

كان رسول الله ﷺ لا يجلس ولا يقوم إلا على ذكر، وإذا انتهى إلى القوم جلس حيث ينتهي به المجلس ويأمر بذلك، ويعطي كل جلسائه نصيبه حتى لا يحسب جلسيه أن أحداً أكرم عليه منه، ومن جالسه أو قامه لحاجة صابره حتى يكون هو المنصرف عنه، ومن سأله حاجة لم يرده إلا بها أو بميسور من القول قد وسع الناس بسطه وخلقه فصار لهم أباً.

وصاروا عنده في الحق متقاربين يتفاضلون فيه بالتقوى، متواضعين يوقرون الكبير ويرحمون الصغير ويرفدون ذا الحاجة ويرحمون الغريب.

وكان رسول الله ﷺ دائم البشر سهل الخلق، لين الجانب، ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب ولا فحاش ولا عتاب ولا مداح يتغافل عما لا يشتهي قد ترك نفسه من ثلاث المراء والإكثار في الكلام وما لا يعنيه.

(١) ولقد تعرضت شخصياً لهذه الفتنة في اليابان إذ تزيت المرأة المحصنة التي كنت في بيتها بحضور ابنتها الصغرى ولم أعلم بخروج زوجها فاعلقت باب غرفتي وامتنعت منها بالعناية الإلهية ثم طلبت مني كتباً ذلك جهلاً منها وحمافة فهرت من البيت .

وترك الناس من ثلاث، كان لا يذم أحداً ولا يعيّرهُ، ولا يطلب عورته، ولا يتكلم إلا فيما يرجو ثوابه، إذا تكلم أطرق جلساؤه كأنما على رؤوسهم الطير ونصتوا له حتى يفرغ، وإذا سكت تكلموا لا يتنازعون عنده الحديث، ولا يقبل الثناء إلا من مكافئ، ولا يقطع على أحد حديثه حتى يجوزه فيقطعه بانتهاء أو قيام. وكان سكوته ﷺ على أربع: الحلم والحذر والتقرير والتفكير.

ولقد دخل رسول الله ﷺ المسجد وعليه ثوب نجراني غليظ الضفّة فأثاءه أعرابي من خلفه فأخذ بجانب رداءه فاجتذبه حتى أثرت الضفة في صفحة عنق رسول الله ﷺ فقال:

يا محمد أعطنا من مال الله عزّ وجلّ الذي عندك، فتبسم رسول الله ﷺ وأمر له^(١).

وقالت عائشة: ما رأيت رسول الله ﷺ ضرب خادماً له ولا امرأة قط، ولا ضرب بيده شيئاً إلا أن يجاهد في سبيل الله عزّ وجلّ، ولا نيل منه شيء قط فينتقم من صاحبه إلا أن يكون لله، فإن كان لله انتقم^(٢). فوصفه الله تعالى بأسمى وصف:

﴿وَأَنْتَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾^(٣)

ولم يكن لرسول الله ﷺ اسم في مكة غير الصدوق الأمين^(٤). وكان رسول الله ﷺ لا يتكلف في أموره يأكل على الأرض، ويجلس ويمشي في الأسواق، ويلبس العباءة، ويجالس المساكين ويقعد القرفصاء ويتوسّد يده ويقول: إنما أنا عبدٌ آكل كما يأكل العبد وأشرب كما يشرب العبد^(٥).

(١) مختصر تاريخ ابن عساکر ٨٠/٢، ٨١.

(٢) المصدر السابق.

(٣) سورة القلم ٤.

(٤) عيون الأثر ٦٩/١، البدء والتاريخ، الهلبي ٤٦/٢.

(٥) العقد الفريد، ابن عبد ربه ٢٣٧/٤.

وكان رسول الله ﷺ فرداً مثل سائر الناس لا يتميز عليهم برئاسة، ولا يتكبر عليهم بنبوته ولا يشمخ عليهم بنسب.

بينما تلاحظ أغلب الناس سابقاً ولاحقاً يترفعون على سائر الأئمة بعلومهم ومناصبهم وأنسابهم وأموالهم الوضيعة.

فقد دخل رجل على النبي ﷺ وأصحابه فلم يعرفه ﷺ لعدم تميزه عنهم بمجلس سام ولباس فاخر وحرس زاجر مما اضطره للقول: أيكم محمد؟ فقالوا له: هذا الرجل الأبيض المتكى^(١).

وقد وصف جعفر بن أبي طالب الرجل الجاهلي خير وصف لتوضح رسالة الأخلاق التي قادها رسول الله ﷺ إذ قال لملك الحبشة:

«كنا قوماً أهل جاهلية نعبد الأصنام ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش ونقطع الأرحام، ونسيء الجوار، ويأكل القوي منا الضعيف.

فكنا على ذلك حتى بعث الله تعالى إلينا رسولاً منا عرف نسبه وصدقه وأمانته، وعفافه فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان، وأمرنا بصدق الحديث وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وحسن الجوار، والكف عن المحارم والدماء، ونهانا عن الفواحش، وقول الزور، وأكل مال اليتيم، وقذف المحصنة...»^(٢).

وقد وصفه محمد بن إسحاق قائلاً:

كان أعظمهم خُلُقاً وأكرمهم مخالطة وأحسنهم جواراً، وأعظمهم خُلُقاً وأصدقهم حديثاً، وأعظمهم أمانة، وأبعدهم من الفحش والأخلاق التي تدنس الرجال تنزهاً وتكرماً، حتى ما كان اسمه في قومه إلا الأمين لما جمع الله عز وجل فيه من الأمور الصالحة^(٣).

(١) فتح الباري ١/١٣٩ - ١٤١، تاريخ الطبري ٢/٣٨٤، البداية والنهاية ٥/٦٠.

(٢) البداية والنهاية ٣/٧٣ - ٧٤، تاريخ الخميس ١/٢٦٠.

(٣) سيرة ابن اسحاق ٧٨، دلائل النبوة، البيهقي ١/٩٠.

وما دعاه أحد من أصحابه ولا من أهل بيته إلا قال لييك^(١).
 وكان أشدَّ حياءَ من العذراء في خدرها^(٢).
 وقال النبي ﷺ: إفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصلّوا بالليل والناس نيام،
 تدخلوا الجنة بسلام^(٣).

وصفات رسول الله ﷺ الحميدة توجب علينا معرفتها وأتباعها، فهو لا يضحك
 إلا نادراً بل يتبسم حتى قالوا ما كان أحد أكثر تبسماً من رسول الله ﷺ.
 وكان ﷺ يخرن لسانه إلا فيما يعنيه ويؤلفهم ولا ينفّرهم، ويكرم كريم كل قوم
 ويؤليه عليهم ويحذر الناس ويحترز منهم، ويتفقد أصحابه ويحسن الحسن ويقويه
 ويقبح القبيح ويوهنه، وكان لا يقوم ولا يجلس إلا على ذكر فكان دائم البشر سهل
 الخلق لين الجانب ليس بعتاب ولا مدّاح وكان ينام على الحصير فيؤثر في جنبه.
 وكان النبي ﷺ يبدأ من لقيه بالسلام متواصل الأحران دائم الفكرة لا يتكلم في
 غير حاجة طویل السكوت لا يغضب لنفسه ولا ينتصر لها.
 ودعا خاتم الأنبياء إلى الخير والصلاح والعدل قائلاً: النظافة من الإيمان. ومن
 أخلاق الأنبياء التنظف^(٤).

وأحسنوا مجاورة النعم وموجبات النعم قالها الله تعالى:
**﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا صُلُوبَهُمْ بِرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ
 وَالْأَرْضِ﴾**^(٥).

وقال زعيم الحضارة الانسانية ﷺ: لا تستعن بنعمه على معاصيه^(٦).

(١) تفسير القمير الرازي ٣٠ / ٨١ الدر المنثور ٨ / ٢٤٣، اسباب النزول للواحيدي ٢٩٣.

(٢) صحيح مسلم ٤ / ٤٨٨، صحيح البخاري ٣ / ١٣٠٦.

(٣) المستدرک، الحاكم ٣ / ١٤، سنن ابن ماجه ١ / ٤٢٣، مسند أحمد ٦ / ٦٣١.

(٤) البحار ٧٨ / ٣٣٥.

(٥) الأعراف ٩٦.

(٦) البحار ٧٧ / ١٩.

وإنَّ الله تعالى يحب أن يرى أثر نعمته على عبده^(١) كما قال تعالى:
﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾^(٢).

ومن نصب نفسه للناس إماماً فليبدأ بتعليم نفسه قبل تعليم غيره، وليكن تأديبه بسيرته قبل تأديبه بلسانه، ومعلم نفسه ومؤدبها أحق بالإجلال من معلم الناس ومؤدبهم^(٣).

وأعون شيء على صلاح النفس القناعة، ومن لم يهذب نفسه لم يستفيع بالعقل. وكيف ينصح غيره من يغش نفسه، وآفة النفس الوله بالدنيا.

وما أقبح بالإنسان أن يكون ذا وجهين، والمنافق من إذا وعد أخلف وإذا فعل أساء وإذا قال كذب وإذا ائتمن خان، وإذا رزق طاش^(٤).

ومن علامات المنافق قساوة القلب والإصرار على الذنب والمحرص على الدنيا وإذا خاصم فجر^(٥).

والمنافقون لا يقربون المساجد إلا هجراً ولا يأتون الصلاة إلا دبراً مستكبرين لا يألفون ولا يؤلفون خشب بالليل سخب بالنهار.

وأمر رسول الله ﷺ باتباع الجنائز وعبادة المريض وتسميت العاطس ونصرة المظلوم وإجابة الداعي وإيرار القسم^(٦).

وقال رسول الله ﷺ: من سمع فاحشة فأفشأها فهو كمن أتاها ومن سمع خيراً فأفشأه فهو كمن عمله.

(١) سنن الترمذي ١٠ / ٢٥٩.

(٢) الضحى ١١.

(٣) نهج البلاغة حكم ٧٣.

(٤) البحار ٧٢ / ٢٠٧.

(٥) البحار ٧٢ / ١٧٦.

(٦) البحار ٧٦ / ٣٤٠.

وإذا أويت إلى فراشك فانظر ما كسبت في يومك وإذكر أنك ميت وأن لك معاداً^(١).

وتهاذوا تحابوا فإنها تذهب الضغائن^(٢).

وإن الله تعالى يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه، وكفى بالمرء عبياً أن يعرف من الناس ما يجهل من نفسه. ومن ستر أخاه في فاحشة رآها عليه ستره الله في الدنيا والآخرة^(٣) وقد قال تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾

وإياك وما يعتذر منه، وأحب لأخيك ما تحب لنفسك^(٤) وبالمواعظ تنجلي الغفلة، وكرم الدنيا الغنى وكرم الآخرة التقوى وقال الله تعالى:

﴿إِنْ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ اتِّقَاكُمْ﴾^(٥)

﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً﴾^(٦).

واحذر كل عمل يعمل في السر ويستحق منه في العلانية^(٧).

ومن غشنا ليس منا وليس في ديننا غش ولا يحل لأحد أن يتصرف في مال غيره بغير إذنه^(٨).

وقال رسول الله ﷺ: إياك والغضب فأوله جنون وآخره ندم^(٩).

وإياك وحب الدنيا فإنها رأس كل خطيئة^(١٠) وأهل الدنيا من كثر أكله وضحه

(١) البحار ٧٦ / ١٧٩.

(٢) الكافي ٥ / ١٤٤.

(٣) كنز ٤٤١٥٤.

(٤) البحار ٧٣ / ١٦٨.

(٥) العجرات ١٣.

(٦) الطلاق ٢.

(٧) نهج البلاغة كتاب ٦٩.

(٨) وسائل الشيعة ج ١٧ / ٣٠٩.

(٩) البحار ٧٣ / ٢٦٦.

(١٠) البحار ٧٣ / ٧٦.

ونومه وغضبه، يحمدون أنفسهم بما لا يفعلون ويدعون بما ليس لهم ويتكلمون بما يتمنون، ويذكرون مساويء الناس ويخفون حسناتهم^(١).

فالنبي محمد ﷺ زعيم الحضارة وأبوها في هذه الدنيا، والناس عالة عليه أخذوا ذلك منه من سيرته الصادقة ومن أفعاله الناطقة فكان نموذجاً في الأخلاق وقدوة في السيرة.

قال كاتب قصّة الحضارة ول ديورانت في وصف الحضارة إنها الرقّة في المعاملة. وكان محمد ﷺ رقيقاً في كلامه وحركاته وسكناته فهو أس الأساس في أخلاق الإنسانية. وقد حذره الله تعالى من الخشونة في المعاملة قائلاً:

﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا حَلِيظًا لَفُتِنُوا مِنْ حَوْلِكَ﴾^(٢)

زهده وكرمہ ﷺ

قال ﷺ عَرَّضَ عَلَيَّ رَبِّي بِطَحَاءِ مَكَّةَ ذَهَبًا فَقُلْتُ: لَا يَا رَبُّ لَكِنْ أَجُوعُ يَوْمًا وَأَشْبِعُ يَوْمًا، فَإِذَا شَبِعْتُ حَمْدُكَ وَشُكْرُكَ وَإِذَا جُعْتُ تَضَرَّعْتُ إِلَيْكَ وَدَعَوْتُكَ^(٣). ولم يتخذ رسول الله ﷺ من شيء زوجين ولا قيصين ولا ردايين ولا إزارين ولا من النعال^(٤).

فكان لا يدخر شيئاً، وما شيع رسول الله ﷺ وأهله ثلاثة أيام تباعاً من خبز حنطة حتى فارق الدنيا.

وكان يظل اليوم يتلوى ما يجد دقلاً يملأ به بطنه وكان كثيراً ما يشد على بطنه حجراً^(٥).

(١) البحار ٧٧ / ٢٤.

(٢) آل عمران ١٥٩.

(٣) الوفاء باحوال المصطفى: ٤٢٠ - ٤٧٩، عيون الأثر ٤١٣ - ٤١٦.

(٤) الوفاء باحوال المصطفى: ٤٨٠، عيون الأثر ٤١٣ - ٤١٦.

(٥) الوفاء باحوال المصطفى: ٤٨٦، عيون الأثر ٣١٤ - ٤١٦.

ومات رسول الله ﷺ ودرعه مرهونه عند يهودي بثلاثين صاعاً من شعير! ^(١)
وما شيع آل محمد من طعام ثلاثة أيام حتى قبض ﷺ ^(٢).
وقال الرسول ﷺ: مالي وما للدنيا، ما أنا في الدنيا إلا كراكب استظل تحت
شجرة ثم راح وتركها ^(٣). وكان فراش رسول الله ﷺ من آدم وحشوه من ليف ^(٤).
وقال ﷺ: إذا رأيتم صاحب الحاجة يطلبها فارفدوه.
وأفضل الأعمال اطعام الطعام وأطياب الكلام ^(٥). والعلم بالله والفقه في الدين
وإدخال السرور على المؤمنين ^(٦).

الاطباع الخشنة

وكان أبو سفيان وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان متطبعين بالخشونة والبخل في
الأفعال والأقوال. فقد جاء رجل إلى النبي ﷺ فسأله أن يعطيه فقال النبي ﷺ ما
عندي شيء ولكن استقرض حتى يأتينا شيء فنعطيك. فقال عمر يا رسول الله هذا
اعطيته ما عندك فما كلفك ما لا تقدر عليه فكره النبي ﷺ قول عمر حتى عُرف في
وجهه فقال رجل من الأنصار يا رسول الله أنفق ولا تخف من ذي العرش إقلالا
فتبسم رسول الله ﷺ حتى عُرف البشر في وجهه ثم قال بهذا امرت.

وقال عمر لرسول الحضارة والأخلاق إنه يهجر. والمجموعة الخشنة خالفت
رسول الله ﷺ في العقائد والفقه والأخلاق ولما أرادت السيطرة على الحكم
بانقلاب عسكري لاحظت مخالفة الأنصار لمنهجها وتأثرهم بالاخلاق النبوية

(١) صحيح البخاري ١٠٨٣ / ٣، سنن الترمذي ٥١٩ / ٣، سنن النسائي ٣٨ / ٤.

(٢) صحيح مسلم ٤٨٤ / ٥، صحيح البخاري ٢٠٥٥ / ٥، مسند أحمد ٥٨٢ / ٣.

(٣) سنن الترمذي ٥٠٨ / ٤، سنن ابن ماجه ١٣٧٦ / ٢، مسند أحمد ٤٩٦ / ١.

(٤) سنن أبي داود ٧١ / ٤، صحيح البخاري ٣٣٧٢ / ٥، سنن الترمذي ٢٠٨ / ٤، وأدم يعني جلد.

(٥) البحار ٣١٣ / ٧١.

(٦) البحار ٣١٣ / ٧٤.

فاعتمدوا على الأعراب الساكنين خارج المدينة وعلى رأسهم قبيلة أسلم فأدخلوهم المدينة ورغبوهم بالأموال فامتلات سكك المدينة بهم ولما رآهم عمر قال: ما هو الآن رأيت أسلم حتى أيقنت بالنصر^(١).

وفي السقيفة رفض زعيم الأنصار ذلك المنهج الخشن في الاستيلاء على الخلافة فهجم عليه الأعراب ووطأوا جسمه بأرجلهم الفظة. ولما احتج الحباب بن المنذر على هذا المنهج الأعرابي المخالف لمنهج الحضارة هجم عليه الأعراب وكسروا أنفه وملأوا فمه بالتراب ووعدوه عمر بالقتل وفعلاً قتل عمر بن الخطاب سعد بن عباد والحباب بن المنذر المعارضين للأخلاق الجاهلية في الحكم والسياسة.

ولما هجم بعصبته على بيت فاطمة بنت محمد ﷺ وجمع الحطاب على بيتها لاحراقها واولادها وزوجها قالوا له: إن في البيت فاطمة قال عمر: وإن^(٢) ولم تحضر عائشة جنازة فاطمة ﷺ وأظهرت مرضاً ونقل إلى علي ﷺ كلام يدل على سرورها^(٣).

وأحرق عمر بن الخطاب كتب البشرية الموجودة عند الفرس والروم والقبط بعد استيلاء المسلمين على العراق والشام ومصر^(٤). وظهر خشونة لم يفعلها انسان قط . وأصدر عثمان ابن عفان أمراً بضرب عبدالله بن مسعود في مسجد النبي ﷺ فهجموا عليه وكسروا ضلعه وقتلوه، وذنبه أنه أشكل على توزيع الخليفة للأموال في صفوف أفراد عشيرته^(٥).

ولما أشكل عمار بن ياسر على توزيع عثمان للأموال في أفراد قبيلته قام إليه عثمان

(١) تاريخ الطبري ٢ / ٤٥٨.

(٢) صحيح البخاري باب جوائز الوفد من كتاب الجهاد والسير ٢ / ١١٨، الامامة والسياسة ١٢، تاريخ الخميس ١ / ١٨٨.

(٣) شرح النهج ٩ / ١٩٨ ط. دار احياء التراث بيروت.

(٤) كشف الظنون ١ / ٤٤٦، تاريخ ابن خلدون ١ / ٣٢، فهرست ابن النديم ٣٣٤، تاريخ التمدن الإسلامي ٣ / ٤٢.

(٥) تاريخ اليعقوبي ٢ / ١٦٢.

بنفسه فضربه بيده ورفسه برجله حتى فشق بطنه^(١).
وقد رفس أبو سفيان قبر حمزة قائلاً: إِنَّ الأمر الذي كنت تقاتلنا عليه بالأمس
قد ملكناه اليوم^(٢) ولاكت زوجته كبد حمزة.
وكان الصراع الحضاري بين أتباع الأخلاق وأتباع الجهل مستمراً فقد منع
معاوية بن أبي سفيان الماء عن جيش الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام لقتلهم عطشاً كما
فعل أبو جهل بالمسلمين في معركة بدر.
ولما استولى أمير المؤمنين عليه السلام على الماء سمح لجيش معاوية بالشرب منه لأن
الدين والمدنية والإنسانية تفرض عليه التعامل مع الناس بأخلاق فاضلة^(٣)
ولكن أصحاب المنهج الجاهلي أصروا على غيهم مرة أخرى بمنعهم الماء عن
الحسين بن علي عليه السلام وأهل بيته وأنصاره في كربلاء وقتلهم عطشاً^(٤).
ورغم الأخلاق العالية التي مارسها الحسن بن علي عليه السلام مع معاوية بتنازله عن
الحكم لصالحه تنكر معاوية لوثيقة الصلح واغتال الحسن عليه السلام
وهجمت عائشة والأمويون على جنازته بالسهام^(٥) ومنعوه من أن يدفن مع
جده في غرفة أمه فاطمة عليها السلام ولسان حال يزيد بن معاوية:
لا خبر جاء ولا وحي نزل^(٦).
واستمرت حالة الصراع بين أتباع الحضارة وأتباع الجهل وكثيراً ما ينتصر
أتباع الجهل بقسوتهم ومكرهم وبطشهم.
ومنذ القدم إلى يومنا هذا يتلبس أتباع الجهل بلباس المدنية ويتشدقون

(١) تاريخ الطبري ٣ / ٤٤٠.

(٢) النزاع والتخاصم ٨٤.

(٣) صفين ١٦٠. تاريخ أبي مخنف ١ / ١٥٩.

(٤) الاخبار الطوال ٢٤٨.

(٥) شرح النهج ١٦ / ١٤. تذكرة الخواص، سبط ابن الجوزي ١٩٣. مقال الطالبين ٧٤ ز

(٦) الانوار القدسية ١٣٠.

بأحاديث الأنبياء ولأن والدته حكيم بن حزام قد شاركت في معركة بدر مع ابنها دفاعاً عن الجاهلية والوثنية فقد منحها القرشيون وسام الولادة في جوف الكعبة واستمرت وابنها في محاربة الإسلام رغم تكريم رسول الله ﷺ بإطلاق سراحها^(١) بعد معركة بدر.

هل كان النبي الأُمِّي يقرأ ويكتب؟

لقد كثر الاختلاف في أمية الرسول ﷺ فمنهم من ذهب إلى أميته ﷺ بالاعتماد على الكتاب والسنة ومنهم من ذهب إلى قدرته على القراءة والكتابة بالاعتماد على الكتاب والسنة أيضاً!! فكيف ذلك؟

ذكر القرآن الكريم أمية النبي ﷺ قبل البعثة فلم يلتفت البعض إلى ذلك الفرق. قال الله تعالى:

﴿وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذا لارتاب المبطلون﴾^(٢). وكلمة تتلو في الآية تخص الكتب المقدسة والكتب العادية أي أنك لم تتلو التوراة والإنجيل من قبل ولم تكتبها بيمينك. أي أنه ﷺ لا يحسن الكتابة قبل البعثة ثم تعلمها من جبرئيل بعد النبوة. والمبطلون يرتابون بما كان قبل البعثة لا بعدها.

فحرم الله تعالى عليه الكتابة وقول الشعر تأكيداً لحجته وبيانا لمعجزته وحتى الكفار لم يتهموه بأنه يحسن القراءة والكتابة قبل البعثة بنص القرآن:

﴿وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيل﴾^(٣) أي اكتتبها آخرون ويقرأون له، ولم يتهموه بالقراءة والكتابة وكان أهل الجاهلية لا يحسنون القراءة والكتابة سوى أفراد قليلين بعد أن اجتمع ثلاثة نفر من طيء فوضعوا الخط

(١) راجع موضوعي ولادة علي في جوف الكعبة ومعركة بدر في هذا الكتاب.

(٢) المتكوير ٤٨.

(٣) الفرقان ٥.

وقاسوا هجاء العربية على هجاء السريانية فتعلمه قوم من أهل الأنبار ثم تعلمه أهل الحيرة ثم تعلمه منهم أهل مكة^(١).

وما بعد عصر الرسالة اختلفوا أيضاً في أنه ﷺ هل كان يقرأ ويكتب أم يقرأ فقط.

ورواية قراءة النبي ﷺ لرسالة العباس له قبل معركة أحد في مصدر أنه ﷺ قرأها^(٢) وفي مصدر قرأها أبي بن كعب^(٣).

وقال الكثير إنه ﷺ كان يقرأ ويكتب بعد البعثة النبوية ومن هؤلاء العلماء المرتضى، والشعبي.

وفي عصر الرسالة ليس عندنا دليل على أن النبي ﷺ كتب رسالة بيده والقرائن والدلائل تؤيد ذلك أما قراءته لرسالة ما فختلف فيه.

ففي صلح الحديبية كان كاتب الوثيقة علي بن أبي طالب واختلف في نحو عبارة رسول الله ﷺ من الوثيقة بعد طلب الكفار ذلك هل النبي ﷺ قرأها ومحاها أم علي بن أبي طالب أشار إليها ومحاها النبي ﷺ^(٤).

وليس عندنا فرصة أكثر هنا لإشباع التوق والتطلع الموجود عند القارئ العزيز. وجاء أن النبي ﷺ هو الذي كتب في تلك الصحيفة محمد بن عبد الله^(٥).

ولقد ذكر البعض دون دراية أمة النبي ﷺ بمعنى عدم معرفته بالقراءة والكتابة بعد البعثة النبوية في حين قال الإمام علي الرضا عليه السلام: «كذبوا عليهم لعنة الله أنى يكون ذلك ويقول الله عز وجل في كتابه:

(١) فتوح البلدان، البلاذري ص ٥٨٠، ط، دار النهضة - مصر، مقدمة ابن خلدون.

(٢) البحار ١٦ / ١٣٢.

(٣) سيرة زيني دحلان ١ / ٢٢٩ ط. دار المعرفة - بيروت.

(٤) تاريخ الجعفي ١ / ٥٤.

(٥) تاريخ ابن خلدون ٢ / ٤٤٨.

«هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة»^(١) فالأُمِّي هو الذي لم يطلع على المتون السامية القديمة ولم يتبع الديانتين المسيحية أو اليهودية .

فكيف كان يعلمهم ما لا يحسن، والله لقد كان رسول الله ﷺ يقرأ ويكتب بانتين وسبعين لساناً، وإنما سمي الأمي لأنه من أهل مكة، ومكة من أمّهات القرى. وذلك قول الله في كتابه «لتنذر أم القرى ومن حولها»^(٢). وأطلق القرآن كلمة الأميين على العرب قبل الإسلام لعدم اطلاعهم على الكتب المقدسة.

وكانت أول آية قرآنية نزلت على رسول الله ﷺ هي:
«اقرأ باسم ربك الذي خلق»^(٣) وهي دلالة على قدرة النبي محمد ﷺ على القراءة بنفسه فقرأ رسول الله ﷺ ما أنزله الله تعالى.

وقد ألح الحزب القرشي في وصم رسول الله ﷺ بالأمية، ووصف أفراد أمثال ابن العاص ومعاوية بالقدرة على القراءة والكتابة! للنيل من النبي ﷺ وكيف يكون علي بن أبي طالب عليه السلام (تلميذه) قادراً على القراءة والكتابة وأستاذه صاحب مدينة العلم غير متمكن منها! وهل القراءة والكتابة صعبة إلى هذه الدرجة الخطيرة! وقد قال تعالى: العلم نور يقذفه الله في قلب من يريد.

ولما كان كل كلام مخالف للقرآن باطلاً فتثبت عندها حقيقة ما ورد في الآيات القرآنية أعلاه.

وجاء بأنه لما أراد عيسى عليه السلام بعث حواريه لدول العالم آنذاك دعا الله تعالى فأصبحوا وكل رجل منهم يتكلم بلغة القوم الذين وُجِّه إليهم^(٤).

(١) الجمعة ٢.

(٢) الأنعام ٩٢، معاني الأخبار، الصدوق ٥٣، البحار ١٢٨/٦.

(٣) الملق ١.

(٤) الروض الأنف ٧/٤٦٦.

واهتمام رسول الله ﷺ بالقراءة والكتابة كان إلى درجة إعلانه عن إطلاق سراح كل أسير من أسرى معركة بدر مقابل تعليمه عشرة مسلمين القراءة والكتابة^(١). فهل يعلم النبي ﷺ الناس القراءة والكتابة ويترك نفسه أمياً دونهم؟ ويدعي الفريق الأول أن الحكمة في أمية رسول الله ﷺ واستمرارها إبراز معجزة القرآن الكريم ونفي الادعاء الجاهلي بكتابة القرآن من قبل النبي ﷺ. وقد استمر هذا الادعاء إلى نهاية حياة رسول الله ﷺ.

ويدعي الفريق الثاني انتهاء أمية رسول الله ﷺ بالبعثة النبوية ﴿اقرأ باسم ربك﴾.

تظهر معجزة إلهية أخرى تتمثل في تعلمه القراءة دون معلم. وعلى كلا المنحنيين فإن المعجزة القرآنية بيّنة واضحة لا يرتقي الإنس والجن لكتابة نظير لها. والمعجزة القرآنية لا تعتمد على أمية النبي ﷺ بل تركز على البلاغة والإحاطة الغيبية بالأحداث والقدرة العلمية الإلهية. ويتوضح عندها أحقية الرأي الثاني.

أخبار النبي ﷺ عن المغيبات

وأخبر ﷺ عن مقتل أمية بن خلف، وفعلاً قُتل في معركة بدر^(٢).
وأخبر النبي ﷺ بقتله أبي بن خلف^(٣). وفعلاً قتله رسول الله ﷺ في معركة أحد، ولما قال الكفار له: ما أجزعك إنما هو خدش، فذكر لهم قول رسول الله ﷺ: أنا أقتل أبياً^(٤).
وأخبر رسول الله ﷺ بفتح خيبر على يد علي بن أبي طالب قائلاً:

(١) سند أحمد ١/ ٢٤٧. تاريخ الخميس ١/ ٣٩٥.

(٢) سنن البخاري ٦٦ كتاب المناقب ٢٥، باب علامات النبوة في الإسلام ٩٢٩/٦ ح ٣٦٣٢ دلائل النبوة، البيهقي ٣/ ٢٦٦، سند أحمد ١/ ٤٠٠.

(٣) المغازي، الواقدي ١/ ٢٥٠، المستدرک، الحاكم ٢/ ٣٢٧، دلائل النبوة ٢/ ٢٥٨.

(٤) السيرة النبوية، ابن هشام ٣/ ١٦٦، الطبقات، ابن سعد ٢/ ٤٦، عيون الأثر، ابن سيد الناس ٢/ ١٥.

لأعطين الراية غداً رجلاً يفتح الله على يديه، يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله، فأعطاهها رسول الله ﷺ إلى علي بن أبي طالب ﷺ ففتح الله تعالى عليه^(١).

وأخبر بمقتله في السنة الحادية عشرة قائلاً لفاطمة ﷺ: إن جبرئيل كان يعارضني بالقرآن كل سنة وأنه عارضني العام مرتين ولا أراه إلا حضر أجلي، وإنك أول أهل بيتي لحوقاً بي^(٢) فقتل في ذلك العام.

وأخبر رسول الله ﷺ بغدر الأمة بعلي ﷺ من بعده، فقال ﷺ: عهد إلي النبي ﷺ أن الأمة ستغدر بي من بعده^(٣).

وأخبر رسول الله ﷺ بقتال الزبير لعلي ﷺ قائلاً للزبير: لتقاتلنه وأنت ظالم له ثم لينصرك عليك^(٤).

أخبر رسول الله ﷺ بالكثير من الأحداث المستقبلية التي أدهشت الناس مثل فتح الحيرة قائلاً: مثلت لي الحيرة كأنيا ب الكلاب وإنكم ستفتحنها^(٥).

وأخبر رسول الله ﷺ بفتح المدائن عاصمة الفرس قائلاً: لتفتحن عصابة من المسلمين كنوز كسرى التي في القصر الأبيض^(٦).

وأخبر رسول الله ﷺ بفتح مصر قائلاً: إنكم ستفتحنون مصر^(٧).

(١) صحيح البخاري، كتاب الجهاد، باب فضل من أسلم على يديه رجل ١٤٤/٦ ح ٣٠٠٩، صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل علي بن أبي طالب ﷺ ١٨٧٢/٤ ح ٢٤٠٦، مستد أحمد ٣٣٣/٥، حلية الاولياء، أبو نعيم ٦٢/١، التمهيد، ابن عبد البر ٢١٨/٢.

(٢) صحيح البخاري، كتاب المناقب ٦٢٨/٦ ح ٣٦٢٤، صحيح مسلم، فضائل الصحابة ١٩٠٥/٤، مستد أحمد ٢٨٢/٦، ٢٨٣.

(٣) الكنى والاسماء، الدواليبي ١٠٤/١، مستد الزوار ٢٠٣/٢، المستدرك ١٤٠/٣.

(٤) مصنف ابن أبي شيبة ٣٨٣/١٥ ح ١٩٦٧٣، لسان الميزان ٢٩٥/٣، التاريخ الكبير البخاري ٦٤/٦.

(٥) صحيح ابن حبان ص ٤١٩، مجمع الزوائد ٢١٢/٦، دلائل النبوة، البيهقي ٣٢٦/٦.

(٦) صحيح مسلم، كتاب الفتن ٢٢٣٧/٤ ح ٢٩١٩، مستد أحمد ١٠٠/٥ - ١٠٣، صحيح ابن حبان ٢٤٣/٨.

(٧) صحيح مسلم، فضائل الصحابة ١٩٧٠/٤ ح ٢٥٤٣، مشكل الآثار، الطحاوي ١٠٢/٢.

وأخبر ﷺ بمقتل عمار بن ياسر بيد الفئة الباغية^(١).
 وأخبر بخروج الخوارج قائلاً: تخرج طائفة من أمتي يرقون من الدين يقتلهم
 علي بن أبي طالب ﷺ ثلاث مرّات^(٢).
 ورأى رسول الله ﷺ بني أمية على منبره فسأه ذلك فقال تعالى «وما جعلنا
 الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس»^(٣).

من وضع التاريخ الهجري للمسلمين؟

كان للروم والفرس تاريخ يسرون عليه في حياتهم السياسية والاقتصادية
 والاجتماعية وغيرها، وقد اختلط العرب بهم وعرفوا منهم ذلك وأهميته في حياة
 الأمم.

وتأريخ الروم يبدأ من زمن الاسكندر وتأريخ الفرس يبدأ من تأريخ زعامة كل
 ملك لهم.

وكانت العرب لها تأريخ للأحداث يبدأ بأخر واقعة مهمة عندهم فأرخوا بوفاة
 كعب جد النبي ﷺ وأرخوا بعام الفيل، فقالوا بولادة الرسول ﷺ في عام الفيل
 ولهم شهر لبداية السنة ألا وهو شهر محرم. ثم اتبع العرب حادثة وفاة عبد المطلب.
 والله سبحانه وتعالى العالم بالأحداث وتأريخها لا يمكن أن ينزل رسالته الخاتمة
 دون تأريخ لها. وكان النبي محمد ﷺ بما عرف من تكامل عقلي وذهني وعملي
 أدرك أهمية ذلك الأمر في حياة الأمم وتقدمها. لكنه لم يعين بداية السنة الجديدة
 وهو في مكة حيث صراعه الدامي والعنيف مع طغاة قريش على تبليغ الدين
 الإسلامي فأخذ بشهر محرم منتظرا للامر الالهى.

(١) صحيح البخاري ١ / ١٧٢، مسند أحمد ٣ / ٥١٦.

(٢) ميزان الاعتدال ٣ / ٢٦٠، لسان الميزان ٤ / ٣٦٢، صحيح مسلم ٢ / ٤٤٢.

(٣) الإسراء ٢٠.

وبعد ما هاجر إلى المدينة كان في ذهنه ضرورة التأريخ الجديد لدولته الفتية في الشهر والسنة. وقد وصل رسول الله ﷺ من مكة إلى المدينة في اليوم الأول من ربيع الأول، فأمره الله تعالى بواسطة جبريل^(١) أن يكون ذلك اليوم وذلك الشهر بداية للتقويم الجديد للتأريخ^(٢).

فسار رسول الله ﷺ على الأمر الإلهي ورتب التأريخ الهجري للمسلمين مبتدئاً بالهجرة المباركة إلى المدينة المنورة. وجعل شهر ربيع الأول أول شهور السنة الهجرية. قال الطبري: لما قدم رسول الله ﷺ المدينة في شهر ربيع الأول أمر بالتأريخ^(٣). وقال الحاكم: وقدم رسول الله ﷺ المدينة في شهر ربيع الأول^(٤). وكان التأريخ في السنة التي قدم فيها رسول الله ﷺ المدينة وفيها ولد عبد الله بن الزبير^(٥).

وقال ابن سعد: قدم رسول الله ﷺ المدينة حين هاجر من مكة يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة مضت من شهر شهر ربيع الأول وهو المجمع عليه، وروى بعضهم أنه قدم لليلتين خلتا من شهر ربيع الأول^(٦).

وقال اليعقوبي: قدم رسول الله ﷺ المدينة يوم الاثنين ثمان خلون من شهر ربيع الأول^(٧).

قال السيد علي خان: إن التأريخ كان من زمن النبي ﷺ وهو خلاف المشهور من أن التأريخ بالهجرة إنما وضعه عمر بن الخطاب^(٨).

(١) البحار ٥٥ / ٣٥١.

(٢) البداية والنهاية ٤ / ٩٤، ١٠٧، ٨٢٠٧ البحار ٥٨ / ٨٣٤٩ تاريخ الطبري ٢ / ٣٨٨، البحار ٤٠ / ٣١٨.

تاريخ الغيمس ١ / ٣٣٨.

(٣) تاريخ الطبري ٢ / ١١٠.

(٤) المستدرك ٢ / ٦٢٦.

(٥) المستدرك ٣ / ١٣، ١٤.

(٦) طبقات ابن سعد ٦ / ٢، سيرة ابن هشام ٢ / ٣٤١.

(٧) تاريخ اليعقوبي ٢ / ٤١.

(٨) الدرجات الرفيعة ٢٠٧.

وهناك مئات الروايات الدالة على ثبوت التأريخ الهجري في زمن رسول الله ﷺ وزمن أبي بكر أي لم يدونه عمر .

ويتأسف المسلم عند معرفته بوصول النبي ﷺ إلى المدينة في شهر ربيع الأول، في حين تاريخنا الهجري يبدأ بشهر محرم.

فأراد عمر وطغاة قريش ارجاع التأريخ الى المنهج الجاهلي ومخالفة الامر الالهي في جعل شهر ربيع الاول بداية للسنة الاسلامية .

فلما سأل عمر الصحابة عن زمن بداية السنة الجديدة قال علي ﷺ هجرة رسول الله ﷺ إلى المدينة^(١) أي متابعة محمد ﷺ في تعيينه بداية السنة الهجرية كبداية للتأريخ الإسلامي. وكانت بداية السنة عند عرب الجاهلية تبدأ بمحرم فانتخب عمر ذلك^(٢).

وقد أعاد عمر أيضاً مقام إبراهيم ﷺ إلى ما كان عليه في الجاهلية^(٣) ارضاء لطغاة مكة ومخالفة لمنهج ابراهيم ﷺ واسماعيل ﷺ وسيد الرسل ﷺ .

قال الطبري: وفي أيام عمر أراد البعض أن يكون التأريخ من مبعثه وأراد البعض أن يكون من هجرته وأراد آخرون من وفاته^(٤).

فنفهم من ذلك أن التأريخ الهجري وضعه رسول الله ﷺ وبدايته الأولى من ربيع الأول وقدمه عمر بن الخطاب شهرين ليبدأ بالمحرم وهو بداية السنة عند عرب الجاهلية.

وكان عمر بأعماله تلك يثير حفيظة المؤمنين ويرضي عرب الجاهلية.

(١) شرح النهج ١٢ / ٧٤، تاريخ ابن الاثير ١ / ١٠، البداية والنهاية ٧ / ٧٣، ٧٤، البحار ٥٨ / ٣٤٩، المستدرک، الحاكم ٣ / ١٤.

(٢) السيرة النبوية، ابن كثير ٢ / ٢٨٨، البداية والنهاية ٣ / ٩٤، ٢٠٦، ٢٠٧.

(٣) طبقات ابن سعد، ٣ / ٢٠٤ ترجمة عمر بن الخطاب.

(٤) تاريخ الطبري ٢ / ١١١.

وما ذكرناه عن دعوة علي بن أبي طالب ﷺ للأخذ بمبدأ التأريخ الهجري ينم عن وجود احتجاج من قبله على الأخذ بالتأريخ الجاهلي.

وفي محاولة من رجال الحزب القرشي لطمر تلك القضية وإخفائها فقد ادعوا أنَّ أول من وضع التأريخ الهجري هو عمر بن الخطاب.

وفي رأيهم أن ذلك فيه فوائد عديدة منها محو مناقب رسول الله ﷺ وتكثير فضائل عمر. وإسدال الستار على ما فعله عمر من الأخذ ببداية الشهر الجاهلي وترك الأخذ ببداية التأريخ الإسلامي.

لقد جعل عمر شهر المحرم بداية للسنة فأرضى عرب الجاهلية وأبقى سنة هجرة رسول الله ﷺ إلى المدينة بداية للتأريخ الهجري إرضاءً للمسلمين بضبط ونصيحة الإمام علي ﷺ^(١).

لذا لم يكن عمر واضعاً للتأريخ الهجري حتى يكون له منقبة وما فعله يتمثل في محوه شهر ربيع الأول من بداية السنة الهجرية وأخذه بشهر محرم بداية السنة عند أهل الجاهلية.

وبتقديم عمر للسنة الهجرية شهرين من الزمن فقد أثر ذلك على تعيين الناس لسني الاحداث في كتب الحديث والسيرة.

الدلائل والعبر

كانت أعراب الجاهلية التي أسلمت لها مطالبيها مثل إيعاد مقام إبراهيم ﷺ عن الكعبة وجعل شهر محرم بداية للسنة. وتفضيل قريش على سائر الناس وفصل موسم الحج عن موسم العمرة مثلما كان الامر في الجاهلية.

أما رسول الله ﷺ فلم يستجب لها واستجاب لها أبو بكر بعض الشيء ثم فتح

عمر ذلك الباب أكثر مما فتحه أبو بكر وضاعف تلك الاستجابة عثمان بن عفان.
فكان عثمان أحب لقريش من عمر وكان عمر أحب لها من أبي بكر، وتبعاً لهذا
فقد خسر عثمان المؤمنين وتعرض لثورة عارمة أودت بحياته.
وكان الخط الجاهلي يأخذ فضائل رسول الله ﷺ ويلصقها بغيره حقداً عليه
ولكن الله تعالى فضحهم في أفعالهم تلك.

ومن أفعالهم المخزية إرجاع فضيلة وضع التأريخ الهجري إلى عمر الخطاب
مدعين عدم وجود تأريخ للمسلمين في زمن رسول الله ﷺ وزمن أبي بكر.
وكيف تبقى دولة رسول الله ﷺ عشر سنوات في المدينة دون تأريخ في حين كان
عرب الجاهلية يسيرون على تأريخ عام الفيل، ثم تأريخ وفاة عبد المطلب.
فرسول الله ﷺ ملزم بالسير على هذه الواقعة أو باتباع حادثة جديدة أما أنه
ينكر التأريخ الجاهلي ولا يقترح تأريخاً جديداً فهذه من الطامات الكبرى التي
حاول أعداء الإسلام إلصاقها برسول الله ﷺ! للنيل منه ومن المسلمين.
والمنكر في هذا الموضوع اتباع معظم العلماء والكتاب هذا الأمر رادّين فضيلة
وضع التأريخ الهجري لعمر!

ومطالب قادة مكة الكثيرة هي التي دفعتم لاعتقال سيد الرسل وأبي بكر.
والسؤال المطروح هنا هو هل كانت لقريش مطالب أخرى من الأحكام؟
الجواب في المواضيع القادمة.

الفصل الثاني

كتابة المغازي



القارئ والمحقق في موضوع غزوات الرسول ﷺ، يجد بأن يد التحريف قد لعبت بالأحداث فأضافت مواضع وألفاظاً وحذفت أخرى لأموّر مذهبية وقبلية ودينية وغيرها. ولكنّ النابه من الناس ينتبه إلى صدق الأحاديث من كذبها. كان المسلمون في زمن النبي ﷺ قد تعودوا على الصدق والصراحة وطلب المغفرة والتوبة.

وكان معاوية معروفاً بأوامره بتحريف السيرة والحديث وإيجاد مناقب كاذبة لكبار الصحابة ومحو مناقب أهل البيت ﷺ فحاول أن يحوكل حقيقة في السيرة النبوية الشريفة، وأن يقضي على صراحة العرب البدوية. وحرف النساخ السيرة تحريفاً منكراً.

ثم جاء الناشرون في العصر الحديث فساد الكثير منهم على خطى معاوية بن أبي سفيان. فلقد لاحظنا فرقا واضحا بين الطبقات من زيادة ونقصان وتحريف وكأنا هؤلاء يريدون أن يكتبوا السيرة مثلما تهوى نفوسهم.

فثلما يكتب رواة الأساطير، من وضع اسم بطلم في سطور المحاربين، وحذف اسمه من سطور المنهزمين أو حذف اسمه ووضع كلمة فلان فقد فعل الرواة ذلك. وكان عروة بن الزبير وابن شهاب الزهري من اللذين ينالون جوائز بنى أمية

فيفترون الحديث النبوي والروايات في صالح بني أمية وانصارهم وفي ضرر أهل البيت واتباعهم ومن جملة هؤلاء الكاذبين انس بن مالك والمغيرة بن شعبة وعمر بن العاص وعبد الله بن عمر وعبد الله بن عمرو بن العاص .
ومن ضمن الأكاذيب والأراجيف التي نشرها الحزب الأموي للدفاع عن نهج معاوية، وليس حباً بأبي بكر وعمر، ما قاله ابن حزم:
فولّى المنهزمون لا يلوي أحدٌ على أحدٍ فناداهم رسول الله ﷺ فلم يرجعوا، وثبت مع رسول الله ﷺ عشرة فقط من أصحابه وآل بيته وكان أحدُهم عمرُ بن الخطاب^(١).

وكانَ عمر يعرف بما ستخطّه اليد الأموية من تحريف الحقائق، يوم صرّح بفراره مراراً، صراحة بدوية دون خوف من أحد^(٢).
وكان عمر معروفاً بالصراحة فلقد صرّح بفراره وفرار أبي بكر من أرض المعركة في أحد قائلًا: إني رأيت أبا هذا جاء يوم أحد، وأنا وأبو بكر قد تحدّثنا أنَّ رسول الله قُتِل.
فقال: يا أبا بكر يا عمر مالي أراكما جالسين؟ إن كان رسول الله قُتِل فإنَّ الله حيٌّ لا يموت^(٣).

حامل لواء النبي ﷺ في مغازيه؟

لقد شارك علي عليه السلام في كلِّ المعارك التي خاضها رسول الله ﷺ حاملاً لواء الإسلام. ولم ينهمز في حرب قط وخلفه رسول الله ﷺ على المدينة في حرب تبوك^(٤).

(١) جوامع السيرة لابن حزم ٢٣٨.

(٢) راجع مواضع الفزوات في هذا الكتاب.

(٣) حياة محمد ﷺ، محمد حسين هيكل، لباب الآداب ١٧٩.

(٤) في حملة تبوك طلب النبي ﷺ من علي عليه السلام البقاء في المدينة لحمايتها من المنافقين وقال له: ألا ترضى أن تكون مئبى بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي.

وجاء في كتاب مستدرك الحاكم: عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال:
لعلي بن أبي طالب ﷺ أربع ما هن لأحد: هو أول عربي واعجمي صلى مع رسول
الله ﷺ، وهو صاحب لوائه في كل زحف، وهو الذي ثبت معه يوم الميهراس^(١) وفر
الناس، وهو الذي أدخله قبره^(٢).

وعن مالك بن دينار قال: سألت سعيد بن جبير وإخوانه من القراء: من كان
حامل راية رسول الله ﷺ؟
قال: كان حاملها علي ﷺ.

وفي نص آخر: أنه لما سأل مالك سعيد بن جبير عن ذلك غضب سعيد، فشكاه
مالك إلى إخوانه من القراء فعرفوه: أنه خائف من المجاج، فعادوسأله فقال: كان
حاملها علي، هكذا ﷺ سمعت من عبد الله بن عباس^(٣).

وقال ابن عباس: كان علي ﷺ أخذ راية رسول الله يوم بدر. قال الحاكم: وفي
المشاهد كلها^(٤).

وعن علي ﷺ أنه قال: كُبرت يده يوم أحد، فسقط اللواء من يده، فقال رسول
الله ﷺ: دعوه في يده اليسرى، فإنه صاحب لوائي في الدنيا والآخرة^(٥).

وعن ثعلبة بن أبي مالك قال: كان سعد بن عبادة صاحب راية رسول الله في
المواطن كلها، فإذا كان وقت القتال أخذها علي بن أبي طالب ﷺ^(٦).

وذكر ابن هشام وابن الأثير وابن كثير: وفي معركة أحد نادى أبو سعد بن أبي

(١) يوم أحد والميهراس ماء قرب أحد.

(٢) مستدرك الحاكم ١١١/٣، مناقب الخوارزمي ٢٢/٢٢، وتلخيصه للذهبي بهامشه، تيسير المطالب ٤٩،
ارشاد المفيد ٤٨.

(٣) مستدرك الحاكم ١٣٧/٣، ذخائر العقبين ٧٥.

(٤) ذخائر العقبين ٧٥.

(٥) تاريخ الخميس ٤٣٤/١.

(٦) أسد الغابة ٢٠/٤، أنساب الأشراف ١٠٦/٢.

طلحة صاحب لواء المشركين علياً عليه السلام؛ أن هل لك يا أبا القضم في البراز من حاجة؟ قال: نعم. فبرزوا بين الصّفين، فاختلفا ضربتين، فضربه عليٌ فصرعه، ثم انصرف عنه ولم يُجهزْ عليه، فقال له أصحابه: أفلا تجهزت عليه؟

فقال: إنه استقبلني بعورته، ففطنتني عنه الرحم، وعرفت أن الله عزّ وجلّ قد قتله. وجاء أن أبا سعد بن أبي طلحة خرج بين الصّفين، فنادى: أنا قاصمٌ من يبارز برازاً، فلم يخرج إليه أحدٌ. فقال: يا أصحاب محمد، زعمتم أن قتلاكم في الجنة، وأن قتلانا في النار، كذبتم واللّات، لو تعلمون ذلك حقّاً لخرج إليّ بعضكم.

فخرج إليه علي بن أبي طالب عليه السلام فاختلفا ضربتين، فضربه عليٌ فقتله. وذكر السهيلي برواية الكشي في تفسيره عن سعد: لما كفّ عنه علي طعنته في حنجرته فدلج لسانه إليّ كما يصنع الكلب ثم مات ^(١).

إن أبا سعد بن أبي طلحة هو أوّل من كشف (من أبطال قريش) عورته أمام علي بن أبي طالب عليه السلام طلباً للشفقة عليه بعد مصرعه، والظاهر أنه تعلم ذلك من أفعال رفاقه في معركة بدر، إذ قتل علي عليه السلام نصف قتلى المشركين.

وبعد ما عُرف علي عليه السلام بذلك شرع أبطال قريش في كشف عوراتهم أمام علي عليه السلام طلباً للشفقة وعلى رأس هؤلاء عمرو بن عبد ود العامري وعمرو بن العاص وبسر بن أرطاة ^(٢).

وكان علي عليه السلام حامل لواء رسول الله ﷺ وقاتل أصحاب الوية المشركين، فذكر ابن هشام في سيرته: وانكفاً علينا القوم بعد أن اصبنا أصحاب اللواء في أحد، حتى ما يدنو معه أحدٌ من القوم ^(٣).

(١) سيرة ابن هشام ٧٨/٣، الكامل في التاريخ ١٥٢/٢، تاريخ الطبري ١٩٤/٢، السيرة العلوية ٢٢٢/٢.

السيرة النبوية، ابن كثير ٣٩/٣.

(٢) البداية والنهاية، ابن كثير ١٢٢/٤.

(٣) سيرة ابن هشام ٨٢/٣، الكامل في التاريخ، ابن الأثير ص ١٥٤.

وذكر الطبري ذلك في تاريخه قائلاً: لما قتل علي بن أبي طالب أصحاب الألوية... قال جبريل:

لَا سَيْفَ إِلَّا ذُو الْفَقَارِ وَلَا لَتَى إِلَّا صَلي^(١)

وذكر ابن الأثير في تاريخه ذلك الأمر عن أبي رافع^(٢).

وذكر المؤرخون والرواة حمل علي عليه السلام للواء الإسلام في معارك النبي ﷺ^(٣).

وقضى علي بن أبي طالب على حامل راية الكفار في حنين^(٤).

وقال ابن اسحاق: وقد قتل علي بن أبي طالب طلحة بن أبي طلحة، وهو يحمل لواء قریش، والحكم بن اخنس بن شريق بن حميد بن زهير، وأبا أمية بن أبي حذيفة بن أبي المغيرة.

ومر سعد بن أبي وقاص برجل يشتم علياً، والناس حوله في المدينة، فوقف عليه وقال: يا هذا: على ما تشتم علي بن أبي طالب؟

الم يكن أول من أسلم؟ ألم يكن أول من صلي مع رسول الله؟ ألم يكن أزهد الناس؟ ألم يكن أعلم الناس؟ وذكر حق قال: ألم يكن صاحب راية رسول الله في غزواته^(٥).

وقد قتل أبطال العرب مع رسول الله ﷺ من أمثال عمرو بن عبد ود العامري وبطل اليهود الحارث ومرحب وبطل الشام في معركة صفين حريث^(٦) وفر منه معاوية وابن العاص وعبيد الله بن عمر وبسر بن أرطاة^(٧).

(١) تاريخ الطبري ١٩٧/٢.

(٢) الكامل في التاريخ، ابن الأثير ١٥٤/١.

(٣) السيرة النبوية، ابن كثير ٢٢٧/٣، ٣٥١، مستدرك الحاكم ٣ / ١٣٠ طبعة دار الكتب العلمية - بيروت.

(٤) تاريخ الخميني ١٠٢/٢.

(٥) مستدرك الحاكم ٥٠٠/٣، حياة الصحابة ٥١٤/٢.

(٦) الأخبار الطوال، أحمد بن داود الدينوري ص ١٧٥.

(٧) المصدر السابق ص ١٧٦، ١٧٥.

وقال علي عليه السلام: أنا الصديق الأكبر لا يقولها بعدي إلا كاذب^(١).

لماذا لم يقتل القرشيون عمر في أحد والخندق؟

كانت قريش تعرف نوايا عمر المعارضة للرسول ﷺ فأرسلوه لقتله في مكة! واستمرت قريش في حبها لعمر أثناء حروبها مع المسلمين ويوم السقيفة وما بعد ذلك، لماذا؟ ولم يقتل سعيد بن العاص عمر في معركة بدر^(٢)

وترك خالد بن الوليد قتل عمر في معركة أحد، بالرغم من أن خالدًا كان في كتيبة خشناء، وعمر بن الخطاب فارًا لوحده، إذ قال خالد:

«رأيت عمر بن الخطاب رحمه الله حين جالوا وأنهموا يوم أحد وما معه أحد، وإني لفي كتيبة خشناء، فما عرفه منهم أحد غيري، فنكبت عنه، وخشيت إن أغريت به من معي، أن يصمدوا له^(٣)».

فخالد يقتل المهاجر والأنصاري ويترك عمر لماذا؟ وفي معركة الخندق تمكن ضرار بن الخطاب (الفهري) من قتل عمر بن الخطاب (العدوي) إلا أنه تركه، إذ قال الواقدي:

وحمل ضرار بن الخطاب الفهري على عمر بن الخطاب بالرمح، حتى إذا وجد عمر مس الرمح رَقَمَه عنه، وقال: هذه نعمة مشكورة، فاحفظها يا ابن الخطاب، إني قد كنتُ حلفتُ لا تمكّني يداي من رجل من قريش أبداً^(٤).

لقد اضيف إلى الرواية مقطعاً لم يكن موجوداً فيها وهو قوله: «قد كنت حلفت لا تمكّني يداي من رجل من قريش أبداً» لا يجاد عذر في سبب امتناع ضرار عن قتل

(١) مستدرك الحاكم ٣/ ١٢١.

(٢) الارشاد ١/ ٧٦.

(٣) مغازي الواقدي ١/ ٢٣٧.

(٤) مغازي الواقدي ١/ ٤٧١.

عمر، إذ جاء في الرواية: «حمل ضرار بن الخطاب وهبيرة بن أبي وهب على علي (القرشي) كرم الله وجهه فاقبل علي عليه السلام، فأتا ضرار فولى هارباً ولم يثبت، وأما هبيرة فثبت، ثم القى درعه وهرب، وكان فارس قريش وشاعرها. فمها أراداً قتل علي القرشي عليه السلام، وای قريشي مخلص في الإسلام والبقاء على جواسيس قريش في جيش رسول الله ﷺ.

وذكر ابن ضرار بن الخطاب: لما هرب ضرار تبعه عمر بن الخطاب، وصار يشتد في أثره، ففكر ضرار راجعاً وحمل على عمر بالرمح ليطعنه ثم امسك وقال: يا عمر هذه نعمة مشكورة اثبتها عليك، ويد لي عندك غير مجزئ بها فاحفظها، ثم رفعها عنه، وقال له: ما كنت لأقتلك يا ابن الخطاب.

ووقع له مع عمر مثل ذلك في أحد فانه التقى معه فضرب عمر بالقناة، ثم رفعها عنه، وقال له: ما كنت لأقتلك يا ابن الخطاب»^(١).

ولا يتصور أحد بأن ضرار بن الخطاب أخ لعمر بن الخطاب، بل هو ضرار بن الخطاب بن مرداس بن كثير بن عمرو بن سفيان بن محارب بن فهر القرشي الفهري. وذكر ابن عساكر تكرر فارس قريش ضرار الفهري من قتل عمر فلم يقتله إذ قال: وكان ضرار بن الخطاب فارس قريش وشاعريهم، وحضر معهم المشاهد كلها، فكان يقاتل أشد القتال، ويمرّض المشركين بشعره، وهو قتل عمرو بن معاذ أخا سعد بن معاذ يوم أحد، وقال حين قتله: لا تعد من رجل زوّجك من الحور العين.

وكان يقول: زوّجت عشرة من أصحاب محمد ﷺ، وأدرك عمر بن الخطاب فضربه بالقناة، ثم رفعها عنه، وقال: يا ابن الخطاب، إنها نعمة مشكورة، والله ما كنت لأقتلك.

وهو الذي نظر يوم أحد إلى خلاء الجبل من الرماة، فأعلم خالد بن الوليد، فكراً جليماً بمن معها، حتى قتلوا من بقي من الرماة على الجبل، ثم دخلوا عسكر المسلمين من ورائهم.

وقال ضرار: زوّجت يومئذ (في معركة أحد) أحد عشر منكم من المحور العين^(١) أي ان قريش الجاهلية لا تريد قتل عمر لمعرفتهم بحاله وأهدافه.

فأحبّ عمرُ ضراراً، فعندما كان في طريق مكّة في زمن حكمه، قال عبد الرحمن لرباح غثنا.

فقال له عمر: إن كنت آخذاً فعليك بشعر ضرار بن الخطاب^(٢).

ووجدت في كتب الإصابة، والإستيعاب وتاريخ دمشق ما يخالف ما ذكره الواقدي، بأن ضراراً لم يقتل عمر، لأنه خَلَفَ أن لا يقتل قرشياً؟! ففي الحقيقة انه قتل مسلمين من قريش.

إذ ذكر ابن حجر قول ابن عساكر قائلاً: «وهو أي ضرار الذي ادّعى قتل عشرة من أصحاب النبي ﷺ حيث قال: «زوّجت عشرة من أصحاب النبي بالمحور العين»^(٣).

وقال ضرار بن الخطاب الفهري لأبي بكر لاحقاً: نحن كنّا لقريش خيراً منكم، أدخلناهم الجنة، وأوردتموهم النار^(٤).

وهذا اعتراف منه بقتل مهاجرين مسلمين من قريش، وادعاؤه ارسالهم إلى الجنة بيده، وبفضل منه تجاههم؟! في حين قتل المهاجرون رجالاً من قريش

(١) مختصر تاريخ ابن عساكر لابن منظور ١١/١٥٦، ١٥٧ طبعة دار الفكر، مفازي الواقدي وطبقات الشعراء لابن سلام ٦٣، وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ١٤/٢١٤ عن الواقدي والبلاذري وابن اسحاق. وكانت هذه يبدأ عند عمر كافأه بها حين إستخلف، فراجع طبقات الشعراء ٦٣، والبدایة والنهاية ١٠٧/٣ عن ابن هشام.

(٢) الإصابة، ابن حجر ٢/٢٠٩.

(٣) الإصابة لابن حجر ٢/٢٠٩.

(٤) الإستيعاب بإمام الإصابة لابن عبد البر الأندلسي ٢/٢١٠، الإصابة لابن حجر المسقلاني ٢/٢١٠.

فأرسلوهم إلى النار.

ولاحظنا في الرواية هجوم ضرار بن الخطاب وهبيرة لقتل علي بن أبي طالب القرشي فلم يفلحوا! ولقد كانت الحرب بين المسلمين والكفار حرب حياة وموت يقتل فيها المحارب أعداءه من أي فئة وقبيلة كانوا!

فقد قال أبو سفيان في رسالة للنبي ﷺ بعد معركة الخندق: «لقد سرت إليك في جمع وأنا أريد أن لا أعود إليك أبداً حتى استأصلكم»^(١).

وبعد إسلام قريش في فتح مكة قهراً، أسلم ضرار بن الخطاب، لكنه بقي محلاً لشرب الخمر إلى أن مات، محتجاً بآية:

﴿ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا، إذا ما اتَّقَوْا وآمنوا وعلِمُوا الصالحات﴾^(٢)

وبعد إسلامه في فتح مكة استمر في شرب الخمر مثل عمر إلى أن مات عليها. ومثل هذه الميتة مات وحشي قاتل حمزة إذ ما زال يحد في الخمر إلى أن مات والأصح أنه مات في حمص في بركة خمر!^(٣)

وكان ضرار بن الخطاب القهري من القساء الجبارين فقد اعترف بقتله عشرة من المؤمنين^(٤). وتشهد الحوادث بقتل خالد وضرار للكثير من المسلمين القرشيين دون رحمة (عدا عمر)!

ولم يحدّثنا الواقدي في المغازي بقتل عمر بن الخطاب لرجل من مشركي قريش. بل ذكر قائلاً بأن سيف عمر لم يستخدم في الحروب:

«قال ابن عمر كان سيف عمر فيه فضة أربع مائة درهم، وقد أخذ معاوية سيف

(١) السيرة العلية ٣٣١/٢.

(٢) السيرة العلية ٣٣١/٢.

(٣) مختصر تاريخ ابن عساكر ٢٦/٢٥٨ - ٢٦٦، ط. دار الفكر - دمشق.

(٤) الإصابة، ابن حجر ٢٠٩/٢.

عمر، ولم يستعمله أيضاً^(١).

إذن لم يستخدم عمر سيفه في الحرب، وقد اشترك في حرب بدر فقط، وانهمز في المعارك الأخرى!

ولا أدري كيف حدث هذا فهم لم يقتلوا عمر، وعمر لم يقتل شخصاً منهم. إذ لم يقدم سعيد بن العاص و خالد بن الوليد وضرار بن الخطاب على قتل عمر، حينما تمكنا منه في أرض المعركة. مما يبين معرفتهم باسلامه الصوري المزيف! وأقدم عمر بن الخطاب وأبو بكر على مدح قتلى بدر المشركين بعد شربهما الخمر قائلين:

وكائن بالقلب قلب بدر^(٢) من الفتيان والعرب الكرام
أبو عذني ابن كبة^(٣) أن سنجيا وكيف حياة أصداء وهام
أبعجز أن يرء الموت عني وينشروني إذا بليت عظامي
ألا من مبلغ الرحمن عني بأنني تارك شهر الصيام^(٤)
وأثناء الحديث بين عمر وابن معديكرب البطل المعروف، عرض^(٥) الأخير بهزائم عمر من طرف خفي.

وظاهر الأمر أن فراره في الحروب كان معروفاً، ذكره خالد بن الوليد وابن معديكرب وآخرون، وصرح به عمر نفسه. فقد سأل عمر من عمرو بن معديكرب عن السلاح، فأخبره بما عرف، حتى بلغ السيف، فقال: هنالك قارعتك أمك عن نكلها.

(١) كنز العمال ٦/٦٩٤ ح ١٧٤٤٨.

(٢) قلب بدر هو المكان الذي دفن فيه الرسول ﷺ قتلى بدر المشركين.

(٣) ابن كبة: كان كمار قريش يكنون النبي ﷺ ابن كبة ١٢

(٤) المستطرف ٢/٢٦٠، جامع البيان ٢/٢١١، تفسير الطبري في تفسير آية لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى

٢/٢٠٣ و ٢١١.

(٥) عرض تريضاً والتريض ضد التصريح من القول.

فعلاه عمر بالدرّة، وقال: بل أُمُّكَ قارعتك عن ثكلها، والله إني لأهمُّ أن أقطع لسانك.

فقال عمرو: المحمّن أضرعتني لك اليوم، وخرج من عنده وهو يقول:

اتوعدني كأنك ذو رُعيّين	بانعم عيشة أو ذو نُواس
فكم قد كان قبلك من ملك	عظيم ظاهر الجبروت قاس
فأصبح أهله بادوا وأمسى	يُتَقَلُّ من أناس في أناس
للا يفورك ملكك كلُّ ملك	يصير مذلة بعد الشماس

فاعتذر عمر إليه^(١).

والشيء الملفت للنظر في معركة أحد، أن أبا بكر كان من الفارين كما اعترف هو نفسه^(٢).

وقد فرّ أبو بكر وعمر من حملة الشام بقيادة أسامة التي أمر بها النبي ﷺ، في حياته وبعد مماته.

ثم اتهم عمرو بن سعيد بن العاص الأموي عمر بن الخطاب بالفرار من حملة الشام، وعيَّره بذلك أمام المسلمين^(٣).

وسائل سرية

وبعد هزيمة الكفار في معركة بدر، حاول عبد الرحمن بن عوف حماية أمية بن خلف، الطاغية المعروف، وانتقاده من يد المسلمين، وسبب ذلك وجود كتابات خطية بينها، وظاهر تلك الخطابات كونها سرّية. إذ جاء عن إبراهيم بن عبد الرحمن بن

(١) مروج الذهب، المسعودي ٣٢٦/٢.

(٢) طبقات ابن سعد ١٥٥/٣، السيرة النبوية لابن كثير ٥٨/٣، كنز العمال ٢٦٨/١٠، تاريخ الخميس

٤٣١/١، حياة الصحابة ٢٧٢/١، البداية والنهاية ٢٩/٤.

(٣) تاريخ اليعقوبي ١٢٧/٢، ١٢٣، طبعة ليدن، تاريخ الطبري ٣٣٥/٢.

عوف عن أبيه: كاتبت أمية بن خلف كتابة في أن يحفظني في صاغيتي بكّة، واحفظه في صاغيته^(١) في المدينة.

فلما بلغ أسم عبد الرحمن، قال: لا أعرف الرحمن كاتبني باسمك الذي كان فكاتبته عبد عمرو، فلما كان يوم بدر خرجت لأحرزه في شعب، حتى يأمن الناس، فرأيت بلالاً مولى أبي بكر، فأقبل حتى وقف على مجلس الأنصار.

فقال: يا معشر الأنصار أمية بن خلف لا نجوت أن نجا، فخرج مع نفر. قال عبد الرحمن فلما خشيت أن يدركونا خلّفت لهم ابنه اشغلهم به فقتلوه، ثم أتوا حتى لحقونا، وكان أمية رجلاً ثقیلاً^(٢).

ولقد نادى بلال: يا أنصار الله رأس الكفر أمية بن خلف، لا نجوت أن نجا^(٣). وعهود ابن عوف لابن خلف مخالفة لبندوبيعة المسلمين للنبي في عدم اجارة الكافرين واموالهم ولكن ابن عوف عاهد أمية بن خلف سراً في ذلك!

وروى إبراهيم بن عبد الرحمن أيضاً أن رجلاً قال لأبيه: قد جئت لأمر، وقد رأيت أعجب منه، هل جاءكم إلّا ما جاءنا، أم هل علمتم إلّا ما علمنا؟ قال عبد الرحمن: لم يأتنا إلّا ما قد جاءكم، ولم نعلم إلّا ما علمتم؛ قلت: فما لنا نزهدي الدنيا وترغبون فيها، ونخف في الجهاد وتتشاغلون عنه! وانتم سلفنا وخيارنا وأصحاب نبينا ﷺ؟

قال عبد الرحمن: لم يأتنا إلّا ما جاءكم، ولم نعلم إلّا ما علمتم، ولكنّا بلينا بالضراء فصبرنا، وبلينا بالشراء فلم نصبر^(٤). وهذا اتهام صارخ لابن عوف بفراره وصحبه من الزحف والغزو بعد فضح علاقته السرية مع أمية بن خلف. وصحبه هم

(١) الصاغية: هم الذين يسيلون إليك في حوائجهم. القاموس.

(٢) مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر ٧٦/٤، طبعة دار الفكر، دمشق.

(٣) البداية والنهاية، ابن كثير ٣٥٠/٣ ط. دار احياء التراث.

(٤) المصدر السابق ٧٧/٤.

عمر وعثمان ومعاوية وابن الجراح والمغيرة .
وقد جعل عمر بن الخطاب عبدالرحمن بن عوف خليفة بعد عثمان بن عفان
لسجله، المحافل بالخدمات لقريش! وهو أحد أعضاء العقبة في حملة تبوك^(١).

نظرة رسول الله ﷺ إلى الفتوحات

لو عدنا إلى زمن النبي ﷺ الذي حكم عشر سنوات في مدينة يثرب لوجدنا
أن الانتصارات في زمنه كانت أعظم وأهم وأخطر من الفتوحات اللاحقة . لأن
النبي ﷺ في المدينة قد بدأ أولاً بتأسيس الدولة الإسلامية ونشر الإسلام بين
أفرادها.

وكانت قبائل العرب واليهود المحيطة بالمدينة والساکنة فيها تحيك المؤامرات
للقضاء على الإسلام.

فكانت هجمات قريش وغيرها على المدينة للقضاء على نور الإسلام مستمرة،
واشدّ هذه الهجمات خطورة هجمة الاحزاب. وبعد فشل هذه الهجمات استمرّ
الجيش الإسلامي في الجهاد.

ونلاحظ في مسيرة الرسول ﷺ أنه بالرغم من الإمكانات الضعيفة في المدينة
وجود اليهود والمنافقين فيها فقد تحرك نحو الغزو. فكانت نظرية النبي ﷺ الهجوم
خير وسيلة للدفاع.

ففي السنة الثانية للهجرة تحرّك النبي ﷺ وأتباعه للسيطرة على قافلة قريش
التجارية. ولم تكن قريش تتصوّر أن النبي ﷺ سيتحول إلى الهجوم عليها بهذه
السرعة المخاطفة هذا أولاً.

وثانياً إنها لم تتصوّر إمكانية إنتصار جيش النبي ﷺ عليها.

(١) راجع موضوع العقبة في هذا الكتاب لبتفتح ذهنك وتجلي الغبرة عن بصيرتك بأن الاشتراك في حملة
العقبة أحد شروط الخلافة عند قريش وهي متوفرة في أبي بكر وعمر وعثمان وعبدالرحمن ومعاوية.

لذلك لما ذكرت عاتكة منامها من وقوع صخرة من جبل أبي قبيس وتناثرها في منازل مكة، أدرك أبو جهل تفسير هذا المنام، بانتصار جيش النبي ﷺ وانتشار القتلى في دور قريش. فلم يصدق حصول ذلك بهذه السرعة المذهلة.

فأقدم النبي ﷺ لم تثبت في المدينة، والمنافقون أقوياء فيها، وعلى رأسهم ابن أبي، وكان يهود بني قريظة، وبني قينقاع، وبني النضير في أوج قوتهم. وكان جواسيس قريش قد هاجروا مع المهاجرين!

ولكن النبي ﷺ أوجد نظرية جديدة، تتمثل في الهجوم، ثم الهجوم دون مراعاة لصيف أو شتاء أو كثرة مشاكل وقوة عدو، بالتوكل على الله تعالى.

فما أن انتصر النبي ﷺ في السنة الثانية في بدر حتى غزا يهود بني قينقاع وانتصر عليهم. وهكذا حقق الجيش الإسلامي الفتي الذي لا يتجاوز الثلاثمائة مقاتل انتصارين على جبهتين في سنة واحدة! جبهة الكفار وجبهة اليهود. ثم غزا النبي ﷺ غزوة السويق.

وفي السنة الثالثة غزا المسلمون غزوة قرارة الكدر وغزوة غطفان وغزوة بني سليم وسرية القردة وغزوة احد. وبالرغم من خسارة المسلمين في معركة أحد لم يتوقف النبي ﷺ عن الجهاد، فكانت غزوة حمراء الاسد وسرية أبي سلمة.

وفي السنة الرابعة كانت غزوة بدر معونة، وغزوة الرجيع، وغزوة بني النضير، وغزوة بدر الموعد، وسرية ابن عتيك.

وفي السنة الخامسة الهجرية كانت غزوة ذات الرقاع، وغزوة دومة الجندل، وغزوة المريسيع، وحرب الخندق (الاحزاب). وفي هذه السنة كانت غزوة بني قريظة.

وفي السنة السادسة للهجرة كانت سرية عبد الله بن انيس، وغزوة القرطاء، وغزوة بني لحيان، وغزوة الغابة، وسرية عكاشة بن محصن، وسرية أبي عبيدة إلى

ذي القصة، وسريته زيد بن حارثة، وسريته علي بن أبي طالب عليه السلام إلى بني سعد في فذك.

ثم كانت سريته زيد بن حارثة إلى أم قرفة، وسريته عبد الله بن رواحة، وسريته كرز بن جابر، ثم غزوة الحديبية.

واستمرت غزوات النبي ﷺ وسراياه، ففي السنة السابعة كانت غزوة خيبر، وسريته بني عبد بن ثعلبة، وغزوة القضية.

وفي السنة الثامنة للهجرة كانت سريته غالب بن عبد الله بالكديد، وسريته كعب بن عمير إلى ذات أطلاق، وسريته شجاع بن وهب إلى أرض بني عامر، وسريته إلى خثعم بنباله.

وفي السنة الثامنة للهجرة كانت غزوة مؤتة، وهي أول غزوة إلى الشام، خارج أرض الجزيرة العربية.

ولم تقف مصيبة مؤتة في طريق الغزو والجهاد، فكانت غزوة ذات السلاسل، بالرغم من الوجوه التي استشهدت في معركة مؤتة، من مثل جعفر بن أبي طالب وزيد بن حارثة وعبد الله بن رواحة، ثم سريته خضرة وأميرها أبو قتادة.

وفي السنة الثامنة كانت غزوة فتح مكة ذلك الفتح المبين. ثم تبعها غزوة بني جذيمة، ثم غزوة حنين، ثم سريته بني كلاب وسريته علقمة بن مجزز وسريته علي بن أبي طالب عليه السلام إلى الفليس. وكانت خطة النبي ﷺ في الغزو انه لا يغزو غزوة الا ورى بغيرها، لئلا تذهب الأخبار بانه يريد كذا وكذا.

وفي السنة التاسعة للهجرة كانت غزوة تبوك، فغزاها رسول الله ﷺ في حر شديد^(١). وهذه الغزوة مثل غزوة مؤتة إلى الشام. لكن النبي ﷺ انتصر فيها وخاف الروم محاربتة.

(١) مغازي الواقدي ٢/٩٩٠. مغازي الذهبي باب سرايا النبي ﷺ.

ثم أعقب ذلك غزوة أكيدر بن عبد الملك بدومة الجندل.
وفي السنة العاشرة للهجرة كانت غزوة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام إلى اليمن،
وفي السنة الحادية عشرة جهّز النبي ﷺ حملة أسامة بن زيد إلى الشام.
وبذلك يكون الرسول ﷺ جهّز ثلاثة جيوش إلى الشام في السنوات الثامنة
والثامنة والحادية عشرة. وقاد جيش السنة التاسعة (تبوك) بنفسه.

إذن حارب النبي ﷺ داخل الجزيرة العربية وخارجها، وهو الذي وضع حجر
الأساس للجهاد الداخلي والخارجي. وبالرغم من كل المصاعب جهّز النبي ﷺ
ثلاث حملات إلى بلاد الروم (الشام). فيكون النبي ﷺ في مدة قصيرة قد فتح
جزيرة العرب، وأرسل جيوشه إلى خارجها.

وبهذا يتوضّح أنّ نظرية الغزو والجهاد قد أسسها الرسول ﷺ وقادها بنفسه،
فتعوّد المسلمون على هذا الانتدفاع والاستبسال لطلب الأجر والثواب.
وهذا الانتدفاع البطولي لم تقف أمامه جيوش كسرى وجحافل هرقل ولم تصدّه
جبال إيران ولا مضيق الاندلس.

فالجهاد والغزو الذي دعا إليه الله في محكم كتابه وحديث رسوله هو الذي علّم
المسلمين الحرب في سبيل الله لفتح البلدان الأخرى ونشر راية الإسلام.

فلم تقف أمام جيوش المسلمين فيلة رستم، ولا الأعداد الهائلة من جنده، فتلك
الجيوش الموحّدة التي تعوّدت على الحرب، بقلّة العدد والعدة، والاعتماد على نصر
الله، والركون إلى الإيمان، والتوسل بالشهادة، لم تلتفت وراءها، بل صوّبت وجوهاها
إلى الأمام لفتح الحصون تمهيداً لفتح القلوب بنور الإسلام.

وبلغت تلك الجيوش حدّاً من التوكل على الله سبحانه والاحتفاء بالتقوى، أنّها
كانت تنتصر على الأعداء في جبهات القتال ضد الكفر حتى في زمن ملوك بني أميّة
البعيدين عن التقوى!

ثم انخرفت نظرة السلطة إلى الغزو. قال عبد الله بن عامر: رأيي لك يا امير المؤمنين (عثمان) أن تأمرهم بجهاد يشغلهم عنك، وأن تجترهم في المغازي، حتى يذُلُّوا لك، فلا تكون همة احدهم الا نفسه، وما هو فيه من دبر دابته وقل فروته^(١). فهدف الغزو هنا إذلال الناس واشغالهم وليس الفتح الإسلامي ونشر الدين.

وبينما كانت جيوش الموحدين تستبسل في جبهات القتال في الهند والأندلس، كان الوليد بن يزيد يقضي ليله في الغناء والسكر مع بطانته الفاسدة حتى بلغ الأمر حدا من التدهور ان قتلت السلطة الأموية موسى بن نصير فاتح الأندلس مع أبنائه، كي تسلب منه الشهرة والفخر، وتبقى صاحبة ذلك!

وأصبح هدف الملك المال وليس الإسلام، إذ اخبر احد الولاة هشام بن عبد الملك بقلّة الموارد المالية في بلاده.

فقال له هشام: احلب الدر فإن انقطع احلب الدم! وأعاد هشام المجزية على من أسلم من أهل السغد فكفرت السغد وبخاري^(٢). ولما ضعفت بعض الموارد المالية بسبب تحول الكفار نحو الإسلام قرّرت السلطة الاموية أخذ المجزية منهم ولو أسلموا!

وقد جاء في القرآن الكريم آيات كثيرة تحث على الجهاد والغزو:

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾^(٣)

﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾^(٤)

كما قال النبي ﷺ أحاديث كثيرة تحث على الغزو والجهاد، وشارك بنفسه

(١) تجارب الامم، مسكوية ٢٧٣/٨.

(٢) تاريخ الطبري ٣٩٨/٥، ٣٩٩.

(٣) الانفال: ٧٤.

(٤) المنكوت: ٦٩.

في حروب الجهاد والفتح، فكان هذا أكبر دليل على تشجيعه لذلك.
ولقد غزا النبي ﷺ بنفسه وقيادته ثمان وعشرين غزوة!! ولما بلغ النبي ﷺ
واحداً وستين سنة قاد غزوة تبوك.

الولاية في عهد النبي ﷺ

لقد ولَّى النبي ﷺ ثلاثة من أبناء سعيد بن العاص بن أمية وهم أبان وخالد
وعمر (الذين استشهدوا في خلافة أبي بكر) ^(١) حكاما على الولايات الإسلامية .
وكان رسول الله ﷺ قد استعمل عمرو بن سعيد على خيبر ووادي القرى وتيماء
وقبض النبي ﷺ وهو يليها له ^(٢).
وولَّى النبي ﷺ العلاء بن الحضرمي على البحرين ^(٣) وولى الأرقم بن أبي
الأرقم على ولاية ^(٤).

وكان خالد بن سعيد على اليمن وأبان بن سعيد على البحرين ^(٥).
في حين لم يوافق عمر على أمر أبي بكر بإرسال خالد بن سعيد أميراً على فرقة
من جيوش المسلمين الذاهبة إلى الشام، فأطاعه أبو بكر.
فلم يعين أبو بكر واحداً من هؤلاء السابقين إلى الإسلام، لنصرتهم علي بن أبي
طالب ﷺ ودعوتهم إلى بيعته. فلم يبايع خالد لأبي بكر إلا بعد ستة أشهر من ذلك.
وتمثلت بيعته في إقدام أبي بكر على مسح يد خالد بيده! وعيَّن أبو بكر بدلاً عنهم
الطلقاء من بني أمية مثل عتاب بن أسيد ويزيد بن أبي سفيان وعتبة بن أبي
سفيان! ^(٦)

(١) مختصر تاريخ ابن عساكر ٢١١/١٩.

(٢) تيماء: بليد في أطراف الشام، بين الشام ووادي القرى على طريق حاج الشام، معجم البلدان ٦٧/٢.

(٣) أسد الغابة ٧/٤.

(٤) أعلام النبلاء ٤٨٠ / ٢.

(٥) البحرين: اسم جامع لبلاد على ساحل البحر بين البصرة وعمان، معجم البلدان ٣٤٦/١.

(٦) راجع كتاب نظريات الخليفتين موضوع أولاد أبي سفيان.

وعلي بن أبي طالب عليه السلام لم يبايع أبابكر بالخلافة وبعد ستة أشهر زاره أبو بكر إلى بيته مع جماعة ومسحوا يد أبي بكر بيده فاعتبرها أبو بكر بيعة له .
وبينا أرسلت الدولة الصحابة المخلصين إلى ساحات الجهاد فاستشهدوا واغتالت آخرين إحتفظت بالمؤيدين لها من أمثال ابن عوف وعثمان بن عفان والحكم بن أبي العاص وأبي سفيان وأولاده (معاوية وعتبة وعنبسة) وزيد بن ثابت ومحمد بن مسلمة وعمر بن الخطاب وعبد الله بن سلام في المدينة.
لذلك عيّر عمرو بن سعيد بن العاص عمر بن الخطاب بالجبن لامتناعه عن الالتحاق بحملة أسامة في زمن أبي بكر^(١).

الدلائل والعبر

تختلف مغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم الانسانية عن مغازي المخالفين لمنهجه من الطغاة والعتاة والمردة في أخلاقها واهدافها، فنيته فتح البلدان لله تعالى وتعاليمه السامية وشريعته السمحاء، وانقاذ الشعوب من الإستعباد، والديانات البالية والطقوس الفانية.

ففاية النبي صلى الله عليه وسلم نشر الحضارة في ربوع البلدان لا امتصاص خيراتها واستغلالها كما فعلت وتفعل حكومات الدنيا.
وهذا هو الفرق الجوهرى بين المنطق النبوي والمنطق الجاهلي، ومع الأسف كانت وما زالت نظرة الناس إلى الفتوحات في سعتها، وغنائمها فتقاس عندئذٍ فتروح المسلمين للاندلس والهند بفتوح المغول للصين وروسيا وإيطاليا.

(١) تاريخ اليعقوبي ١٣٣/٢ طبعة لندن.

ويراجع لذلك طبقات ابن سعد ١٠٠/٤، الإجابة ٣٠٠/٤، طبقات خليفة ٢٩٨/١١، وتاريخ خليفة ١٠٤/٧٢، سيرة ابن اسحاق ٢٠٩، جمهرة ابن حزم ٨٠، وسيرة ابن هشام ٣٦٠/٢ تاريخ أبي زرعة ٢١٧/١.

في حين كان هدف المغول تحطيم الحضارات وجمع الأموال واشباع الشهوات وارضاء نفوسهم السادية بالقتل واراقة الدماء!

ان المغازي تختلف اختلافاً أصولياً في هدفها واخلاقتها ومغازي النبي ﷺ هدفها اصلاح الأنسان، وتهذيب نفسه، ورفع تمدنه وثقافته ووعيه ليصبح نموذجاً للخلق الراقى.

فأصبحت حقوق سكان البلدان المفتوحة في اليمن وعمان والبحرين متساوية مع سكان المدينة وسمحت الدولة بالحرريات لأهل الديانات السماوية، وأسقطت كل الفروق اللونية والقومية وغيرها تحت مظلة ﴿إِنْ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ اتِّقَاكُمْ﴾ فأصبح سلمان الفارسي وبلال الحبشي الاسود في المرتبة الاولى من الصحابة المقربين.

واعطت الدولة فرص التعليم وادارة الولايات بصورة متساوية ووفرت الأمن للجميع وحافظت على كرامة الناس واحترامهم ودحرت المنتفعين والظالمين تحت ظل العدالة الاسلامية.

فتفجرت طاقات أفراد الأمة وازدهرت مؤسسات الدولة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية، فعرف الناس الفرق بين الحكم الجاهلي والحكم الاسلامي. فرفع رسول الله ﷺ عرب الجاهلية من أسفل طبقات الهاوية الى أعلى الدرجات الراقية في فترة وجيزة.

ولما مات رسول الله ﷺ وأعاد عثمان بن عفان الاحكام القرشية الجاهلية ثار عليه المسلمون وقتلوه، وهي اول ثورة اسلامية عارمة هدفها الاصلاح والعدالة.

ولما نجح معاوية في التسلط على مقاليد الحكم مع بقية افراد بني أمية تطوّرت الفتوحات الاسلامية ولكن فقدت بريقها الاسلامي فقد قال هشام بن عبد الملك لواليه على الهند:

تكلتلك أمك احلب الدر فإن انقطع احلب الدم، وأصدر أمراً يأخذ الجزية من

المشركين ولو اسلموا فكفر معظم المسلمين الهنود.
وأفعال الملوك المسلمين الظالمة بحق شعوبهم وشعوب العالم نابع من سيرتهم على
الخطى الجاهلية وتكرهم للتحاليم الاسلامية.
فتعرض الاسلام نفسه لهجمة غادرة من قبلهم، تمثلت في تشكيكهم بالدين
ومهاجمتهم لخاتم النبيين.
ولم يفصل الكثير من الناس بين الاسلام وبين ملوك المسلمين فتعرض الدين
المحمدي لهجمة شرسة من قبل الأعداء المتخذين أفعال الطغاة ذريعة لهجومهم.
ولا يدرك الكثير الأثر العظيم لسيرة سيد المرسلين في تقوية المسلمين ويكفي
لادراك ذلك انه ﷺ انتشل عرب شبه الجزيرة العرب من جهيم الجاهلية الى جنة
الاسلام، فرفرت رايات العدالة والانسانية والمساواة والأمان في ارض المسلمين.
فأصبح الاعرابي الشرس القاتل لابنته والغازي لجيرانه وابناء عمه معطياً
للخمس والزكاة ومحامياً عن المظلوم وأنيقاً في المعاملة والتصرف.
فصعد العرب سلم الحضارة مرتبة بعد اخرى مع رسول الله ﷺ ثم بدأوا بنزولها
بعد مقتله ﷺ درجة بعد اخرى الى قاع السقوط! وهذه عبرة لنا في ضرورة التمسك
بالدين لصعود درجات العلى والابتعاد عن السقوط والهزيمة.
ان قدرة رسول الله ﷺ الاخلاقية والحضارية تتجسد في انفاذه أجهل أمة على
سطح المعمورة نقلة نوعية ودفعها الى ساحة الحرية والعدالة والانسانية.

الفصل الثالث

القرآن الكريم



الاجابات الغيبية في القرآن

جاء في القرآن الكريم اجابات عن الحوادث الغيبية
﴿تلك من انباء الغيب نوحيها اليك، ما كنت تعلمها انت ولا قومك من
قبل هذا﴾^(١).

﴿ذلك من انباء الغيب نوحيه إليك﴾^(٢).
ومن اخباراته تعالى انتصار المسلمين في معركة بدر الكبرى^(٣) وكذلك انتصار
النصارى على الجوس بقوله تعالى:
﴿الم غلبت الروم في ادنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع
سنين﴾^(٤)

ورغم هذا فقد ترك اغلب الناس القرآن وأهل البيت إذ جاء:
﴿ان قومي اتخذوا هذا القرآن مهجوراً﴾^(٥).
وجاء بان للقرآن ظاهراً وباطناً فقد قال رسول الله ﷺ: له ظهر وبطن فظاهره

(١) سورة هود ٤٩.

(٢) آل عمران: ٤٤.

(٣) البيان الغوثي ٨١ - ٨٤.

(٤) سورة الروم ١.

(٥) الفرقان ٣٠.

حكم وباطنه علم، لا تحصى عجائبه، ولا يشبع منه علماءه^(١).
وقال عبدالله بن مسعود الصحابي الكبير الشأن: إنَّ القرآن نزل على سبعة
أحرف ما منها حرف إلَّا وله ظهر وبطن وإن علي بن أبي طالب عليه السلام عنده علم
الظاهر والباطن^(٢).

المحكم والمتشابه

جاء في الكتاب العزيز ﴿مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ
مُتَشَابِهَاتٌ، فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ
وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾^(٣)

ومنذ البعثة النبوية وإلى اليوم يحاول الحائدون عن الحق والملاحدة المجري خلف
المتشابه من القرآن وتفسيره وفق أهوائهم.

وقد قال رسول الله ﷺ: إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي^(٤).
وقد فسر محمد بن عبد الله عبيد أهل البيت عليه السلام المحكم والمتشابه فيه مما يفسر حاجة
الثقل الواحد للآخر فهما ركنان لا ينفصلان.

التأويل

وجاء في القرآن الكريم حول التأويل:

﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ
رَبِّنَا﴾^(٥)

(١) كنز العمال ١٨٦/٢، حياة الصحابة ٤٥٦/٣.

(٢) مصابيح السنة ١٧٦/١، مجمع الزوائد ١٥٢/٧، تاريخ ابن عساكر، ترجمة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام.

٢٥/٣، اسمى المناقب ٨٢، حلية الاولياء ٦٥/١، الاتقان ١٨٧/٢.

(٣) آل عمران ٧.

(٤) صحيح مسلم ٢٢/٥ ح ٢٤٠٨ والدر المختار ٣٤٧/٧.

(٥) آل عمران ٧.

والراسخون في العلم هم محمد وأهل بيته الكرام عليهم السلام، ويبين ذلك حاجة القرآن إلى تفسير أهل البيت عليهم السلام.

فالآيات المحكمات هنّ أم الكتاب ومقابلها المتشابهات التي يتردد معناها بين معنى وآخر، يرجع إلى محكمات الكتاب فتعين معناها فتصير الآية المتشابهة عند ذلك محكمة بواسطة الآية المحكمة^(١).

ف قوله تعالى: ﴿الرحمن على العرش استوى﴾^(٢)

يشبه المراد منه على السامع أول ما يسمعه، فإذا رجع إلى قوله تعالى:

﴿ليس كمثله شيء﴾^(٣)

استقر الذهن على أنّ المراد به التسلط على الملك والإحاطة على الخلق دون التمكن والاعتماد على المكان المستلزم للتجسم المستحيل على الله سبحانه.

ومن قصص التأويل سيرة موسى عليه السلام مع الخضر عليه السلام إذ قال الخضر:

﴿سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبراً﴾:

﴿أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر فاردت أن أهيّأها وكانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْباً، وأما الغلام فكان أبواه مؤمنين فغصبنا أن نُرهقَهُمَا طُغْيَاناً وَكُفْراً، فاردنا أن يُبدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْراً مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رَحِمًا، وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة، وكان تحته كنز لهما، وكان أبوهما صالحاً﴾^(٤).

ولولا تأويل الخضر عليه السلام لحكم موسى عليه السلام عليه بارتكاب جريمتين شنيعتين.

(١) راجع تفسير الطباطبائي ٣٣/٢.

(٢) طه ٥.

(٣) الشورى ١١.

(٤) الكهف ٧٨ - ٨٢.

توك البعض للثقلين

لقد ترك أغلب الناس الثقلين وتوجهوا نحو الدنيا. إذ قال أهل السقيفة لرسول الله ﷺ في مرضه: حسبنا كتاب الله رداً على قوله بالثقلين^(١). أي رفضوا ثقل أهل البيت ﷺ نظرياً

ونفذوا ذلك عملياً إذ قتلوا رسول الله ﷺ وفاطمة ﷺ وخلعوا علياً ﷺ وأولاده من الخلافة الذين نصّ عليهم رسول الله ﷺ باسم الأئمة الإثنا عشر. ثم تركوا القرآن الكريم الثقل الثاني إذ جاء قوله تعالى:

﴿إِنْ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾^(٢) فرفضوا نسخ القرآن في زمن أبي بكر وعمر وعثمان ومنعوا تفسيره ليصبح مهجوراً.

وقد أجبر حذيفة بن اليمان عثمان على نسخ القرآن فنسخه فتحطمت نظرية الحزب القرشي في منع نسخ القرآن والسعي لتحريفه مثلما حرّف اليهود التوراة. ثم اظهر الحجاج والوليد بن يزيد الأموي علناً معارضتهما للقرآن الكريم^(٣) إذ قرأ الوليد قوله تعالى:

﴿وَأَسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ مِنْ وَرَأَيْهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَى مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ﴾^(٤)

فدعا بالمصحف فنصبه غرضاً للنشاب، وأقبل يرميه وهو يقول:

أتوعد كل جبار عنيد فهأنذا جبار عنيد
إذا ما جئت بك يوم حشر فقل يارب خرقني الوليد^(٥)

(١) صحيح البخاري ١ / ٣٧.

(٢) الفرقان ٣٠.

(٣) مستدرک الحاكم ٣ / ٦٤٢ طبع دار الكتب العلمية - بيروت.

(٤) سورة إبراهيم ١٥، ١٦.

(٥) مروج الذهب ٢ / ١٩٩ - ٢٠٠، الكامل، ابن الأثير ٥ / ٢٩٠، الأغاني ٦ / ١٢٥، الجوهر في سير الملوك والخلفاء والصلوات ٧٩.

وأعلن كفره قائلاً:

تسلَّب بالخلافة هاشمي بلا وحي آتاه ولا كتاب^(١)
وقد قال علي عليه السلام في بني أمية: والله لا يزالون حتى لا يدعوا لله حراماً إلا
استحلوه ولا عقداً إلا حلوه وحتى لا يبق بين مدر ولا وبر إلا دخله ظلمهم^(٢).

الثقل الثاني في القرآن والسنة

لقد ذكر الله تعالى في كتابه مناقب أهل البيت عليه السلام في مواطن عديدة منها:
﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾^(٣)
وقد نصَّ العلماء على أنَّها نزلت في أهل البيت محمد وعلي وفاطمة والحسن
والحسين عليه السلام، والذين أيَّدوا نزولها في هؤلاء من علماء السنة:
الطبري في تفسيره ج ١٤/١٠٩. والآلوسي في تفسيره روح المعاني ١٤/١٣٤.
والقرطبي في تفسيره ١١/٢٧٢. والتستري في تفسيره إحقاق الحق ٣/٤٨٢. وابن
كثير في تفسيره ٢/٥٧٠. والحاكم في تفسيره شواهد التنزيل ١/٣٣٤. والإمام
التعلي في تفسيره لهذه الآية.
وجاء أيضاً: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ
تَطْهِيراً﴾^(٤).

فالآية في حق أهل البيت محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين، نزلت في بيت أم
سلمة، عندما كان هؤلاء الخمسة تحت الكساء، وسميت الآية بآية التطهير.
ولما أرادت أم سلمة الدخول معهم تحت الكساء، رفض النبي صلى الله عليه وآله ذلك وقال:

(١) مروج الذهب، المسعودي ٢/٢٠٠.

(٢) شرح النهج، المازلي ٧/٧٨.

(٣) سورة النحل، ٤٣، وسورة الأنبياء، ٧.

(٤) الاحزاب، ٣٣.

أنتِ عليّ خير، ومصادر السنّة التي سلّمت وأيّدت نزولها في محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام هي:

- ١- خصائص الإمام النسائي / ٤٩. ٢- مسلم في صحيحه باب فضائل أهل البيت ٣٦٨/٢. ٣- صحيح الترمذي ٣٠/٥. ٤- مسند الإمام أحمد بن حنبل ٣٣٠/١. ٥- تلخيص الذهبي. ٦- الصواعق المحرقة لابن حجر ٨٥. ٧- الإِسْتِيعَاب لابن عبد البر ٣ / ٣٧. ٨- تفسير القرطبي ١٤ / ١٨٢. ٩- أحكام القرآن لابن عربي ٢ / ١٦٦. ١٠- مستدرک الحاكم ٣ / ١٢٣. ١١- اسباب النزول للواحدي ٢٠٣. ١٢- منتخب كنز العمال ٥ / ٩٦. ١٣- البخاري في التاريخ الكبير ١ / ٦٩. ١٤- تفسير الفخر الرازي ٢ / ٧٠٠. ١٥- السيرة الحلبية ٣ / ٢١٢. ١٦- أسد الغابة لابن الأثير ٢ / ١٢. ١٧- تفسير الطبري ٢٢ / ٦. ١٨- تاريخ ابن عساكر ١ / ١٨٥. ١٩- تفسير الكشاف للزمخشري ١ / ١٩٣. ٢٠- مناقب الخوارزمي، ٢٣. ٢١- السيرة الدحلانية ٣ / ٣٢٩. ٢٢- تفسير ابن كثير ٣ / ٤٨٣. ٢٣- العقد الفريد لابن عبد ربه ٤ / ٣١١. ٢٤- مصابيح السنّة للبغوي ٢ / ٢٧٨. ٢٥- الدر المنثور للسيوطي ٥ / ١٩٨.

وقد قال الفخر الرازي: إن الآية تدلُّ على أنَّ هؤلاء الخمسة محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين مطهَّرون من الذنوب الصغيرة والكبيرة.^(١)

وهناك الكثير من المفسرين والحفاظ والمؤرخين والعلماء من أهل السنّة، ممَّن لم نذكرهم هنا قد ذكروا نزول الآية في محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين خاصّة.^(٢)

ولم تدع عائشة ولا حفصة ولا أم سلمة بأنّها من أهل البيت عليهم السلام، بل على العكس من ذلك ذكرت عائشة وأم سلمة بأنّ الآية نزلت في حق محمد وعلي

(١) تفسير الرازي ٢ / ٧٠٠.

(٢) راجع كتاب الغدير للعلامة الأميني في هذا الباب.

وفاطمة والحسن والحسين. ثم جاء بعض الرواة والحفظة فالصقوا نساء النبي ﷺ بأهل بيته: حقدًا عليهم وحسدًا لهم!

والآية الثالثة التي أجمعوا على نزولها في أهل البيت ﷺ هي:
﴿قُلْ تَعَالَوْا نَدْعُوا أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ ^(١)

وآية المباهلة معروفة بين المسلمين بيوم المباهلة بين المسلمين والنصارى وخوف النصارى من المباهلة بعد مجيء محمد ﷺ وعلي ﷺ وفاطمة والحسن والحسين.

وعن أبي مسعود الأنصاري أنه قال: أتانا رسول الله ﷺ ونحن في مجلس سعد بن عُبادة، فقال له بشير بن سعد: أمرنا الله عز وجل أن نصلي عليك، فكيف نصلي عليك؟ فسكت رسول الله ﷺ حتى قمنا أنه لم يسأله. فقال قولوا اللهم صل على محمد وآل محمد، كما صليت على إبراهيم، وبارك على محمد وآل محمد، كما باركت على إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد.

ولما كان يوم أحد شج رسول الله ﷺ في وجهه، وكسرت رباعيته، فقام رسول الله ﷺ يومئذ رافعاً يديه يقول:

إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى اشْتَدَّ غَضَبُهُ عَلَى الْيَهُودِ أَنْ قَالُوا: عَزِيرُ ابْنِ اللَّهِ، واشْتَدَّ غَضَبُهُ عَلَى النَّصَارَى أَنْ قَالُوا: الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ، وَإِنَّ اللَّهَ اشْتَدَّ غَضَبُهُ عَلَى مَنْ أَرَأَقَ دَمِي، وَأَذَانِي فِي عَتْرَتِي ^(٢).

وقد ذكر النبي ﷺ أحاديث في فضل أهل البيت ﷺ منها قوله ﷺ: أهل بيتي مثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق ^(٣).

(١) آل عمران ٦١.

(٢) كنز العمال ٤٣٥/١٠ حديث ٣٠٠٥٠.

(٣) كنز العمال ٢١٦/٦، مستدرک الصحيحین ٣٤٢/٢، المعجم الكبير للطبراني ٢٧/١٢ ح ١٢٣٨٨ الصواعق المحرقة، ابن حجر ص ١٨٦.

وقال الرسول ﷺ: نحن أهل البيت لا يقاس بنا أحد^(١).

هل كان القرآن مدوناً في زمن النبي ﷺ ؟

لقد اهتم الرسول ﷺ بقضية جمع القرآن الكريم في حياته، وأهتم بها الإمام علي عليه السلام من بعده. فبعد موت الرسول ﷺ وقضية السقيفة قال الإمام علي عليه السلام: بأنه قد حصر جهوده في قضية جمع القرآن الكريم. وقد أكمله وأتمه فكان أول قرآن كامل وصحيح عند المسلمين^(٢).

وسعى عبد الله بن عباس وعبد الله بن مسعود وأبي بن كعب في جمع القرآن الكريم أيضاً. فعرف في تلك الفترة الزمنية قرآن الإمام علي عليه السلام وقرآن ابن عباس وقرآن ابن مسعود. وبعد حرب اليمامة ونجاح الدولة في القضاء على المعارضة السياسية هدأت الأوضاع في جزيرة العرب ولم تقدم الدولة على نسخ القرآن.

هناك شواهد كثيرة على تدوين القرآن الكريم في زمن النبي ﷺ، إذ وصلت لنا أدلة بوجود مصحف علي عليه السلام ومصحف عبد الله بن عباس ومصحف عبد الله بن مسعود

في رواية عن عبد الله بن الزبير «بعثني (أي عثمان) إلى عائشة فجمعت بالمصاحف التي كتب فيها رسول الله ﷺ القرآن فعرضناها عليها حتى قوّمناها^(٣). وذكر عمر بن شبة في تاريخ المدينة:

«أن عثمان بن عفان كتب إلى الامصار أما بعد فإن نفراً من أهل الأمصار اجتمعوا عندي فتدارسوا القرآن، فاختلفوا اختلافاً شديداً، فقال بعضهم قرأت

(١) كنوز الحقائق ص ١٥٣، الرياض النضرة ٢/٢٠٨.

(٢) كنز العمال ١٣/١٢٧، مصنف ابن أبي شيبة ٧/١٩٧، مصنف عبد الرزاق ٥/٤٥٠، أنساب الأشراف ١/٥٨٧، التسهيل، ابن جزى ١/٦٠، وذكره أبو نعيم في الحلية.

(٣) تاريخ المدينة المنورة ٣/٩٩١.

على حرف أبي الدرداء، وقال بعضهم قرأت على حرف عبد الله بن مسعود.
وقال بعضهم قرأت على حرف عبد الله بن قيس، فلما سمعت اختلافهم في القرآن
ورأيت أمراً منكراً، فاشفقت على هذه الأمة من اختلافهم في القرآن، وخشيت أن
يختلفوا في دينهم بعد ذهاب من بقي من أصحاب رسول الله ﷺ الذين قرأوا
القرآن على عهده وسمعوه من فيه، كما اختلفت النصارى في الإنجيل بعد ذهاب
عيسى بن مريم، وأحببت أن تتدارك من ذلك.

فأرسلت إلى عائشة أم المؤمنين أن ترسل لي بالأدم الذي فيه القرآن الذي كتب
عن فم رسول الله ﷺ حين أوحاه الله إلى جبريل، وأوحاه جبريل إلى محمد
وأنزله عليه، وإذا القرآن غص، فامرت زيد بن ثابت أن يقوم على ذلك. ولم أفرغ
لذلك من أجل أمور الناس والقضاء بين الناس، وكان زيد بن ثابت أحفظنا للقرآن،
ثم دعوت نقرأ من كتاب أهل المدينة وذوي عقولهم، منهم نافع بن طريف، وعبد الله
بن الوليد الخزاعي، وعبد الرحمن بن أبي لبابة، فأمرتهم أن ينسخوا من ذلك الأدم
أربعة مصاحف وأن يتحفظوا»^(١).

وقال ابن جزري: كان القرآن على عهد رسول الله ﷺ متفرقاً في الصحف وفي
صدور الرجال، فلما توفي رسول الله ﷺ قعد علي بن أبي طالب عليه السلام في بيته فجمعه
على ترتيب نزوله، ولو وجد مصحفه لكان فيه علم كبير، ولكنه لم يوجد»^(٢).

وذكر الشيرازي في نزول القرآن وأبو يوسف يعقوب في تفسيره في قوله تعالى:
﴿لَا تَحْرُكْ بِهِ لِسَانَكَ﴾ قال ضمن الله محمداً أن يجمع القرآن بعد رسول الله علي بن
أبي طالب، قال ابن عباس: فجمع الله القرآن في قلب علي عليه السلام وجمعه علي عليه السلام بعد
موت رسول الله بستة أشهر»^(٣).

(١) تاريخ المدينة المنورة ٩٩٧/٣.

(٢) التمهيد، ابن جزري ٦/١.

(٣) مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب ٣١٩/١.

وذكر الكثير من العلماء والحفاظ جمع علي بن أبي طالب عليه السلام للقرآن الكريم منهم:
أبو العلاء العطار والموفق خطيب خوارزم في كتابيهما، والخطيب في الأربعين
بالاسناد عن السدي وأبو نعيم في الحلية.

وجاء في كتاب كنز العمال: عن محمد بن سيرين قال: لما توفي النبي صلى الله عليه وآله وسلم أقسم
علي عليه السلام أن لا يرتدي برداء إلا إلى الجمعة حتى يجمع القرآن في مصحف^(١).
وروى ابن أبي شيبة في مصنفه ١٩٧/٧ قول الإمام علي عليه السلام:
« جعلت علي أن لا أرتدي إلا إلى الصلاة حتى أجمعه للناس، فقال أبو بكر: نعم
ما رأيت »^(٢).

وجاء في أخبار أهل البيت: أنه (علي عليه السلام) آلى أن لا يضع رداءه على عاتقه إلا
للصلاة حتى يؤلف القرآن ويجمعه، فانقطع عنهم مدة إلى أن جمعه، ثم
خرج إليهم في إزار يحمله وهم مجتمعون في المسجد، فانكروا مصيره بعد
انقطاع مع النبي، فقالوا: لأمر ما جاء أبو الحسن؟

فلما توسطهم وضع الكتاب بينهم، ثم قال: إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: إني مخلف
فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا: كتاب الله وعترتي أهل بيتي، وهذا الكتاب وأنا
العترة، فقام إليه عمر، فقال له: إن يكن عندك قرآن فعندنا مثله، فلا حاجة لنا فيكما،
فحمل عليه السلام الكتاب وعاد به، بعد أن ألزمهم الحجّة^(٣).

وعن سليم بن قيس الهلالي: « سمعت علي بن أبي طالب عليه السلام يقول: ما نزلت على
رسول الله آية من القرآن إلا أقرأنيها وأملأها علي فاكبتها بخطي »^(٤).

(١) كنز العمال، المتقي الهندي ١٢٧/١٣.

(٢) كنز العمال ٥٨٨/٢، الإستيعاب ٩٧٤/٣، ورواه عبد الرزاق في مصنفه ٤٥٠/٥، أنساب الأشراف
٥٨٧/١.

(٣) راجع الاحتجاج، الطبرسي ٢٥٥/١، البحار، المجلسي ٤٢/٩٦-٤٣، تفسير نور الثقلين ٢٢٦/٥.

(٤) تفسير العياشي ٢٥٣/١.

وحاول عمر في أيام سلطته أخذ قرآن علي منه لإتلافه فامتنع علي^(١) ولو أتلفه
لأصبح القرآن مثل الحديث في عصرنا الحاضر ومثل توراة اليهود!

منع الدولة لتدوين القرآن

وأول من أظهر اطروحة الحزب القرشي في القرآن والحديث كان أبو بكر فهو
الذي امتنع من نسخ القرآن الكريم. ثم سار عمر على ذلك المنهج فلم ينسخ القرآن
الكريم في مدة حكمها.

وامتنع أبو بكر عن تدوين الحديث النبوي، واحرق ما دُون منه، ومنع ذكر
الحديث بين المسلمين. ثم طَبَّقَ عمر بن الخطاب ذلك المنهج بمذافيره.^(٢)

أخرج المتقي الهندي، عن يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب أنه قال: أراد عمر بن
الخطاب أن يجمع القرآن فقام في الناس فقال: من تلقى من رسول الله ﷺ شيئاً من
القرآن فليأتنا به، وكانوا كتبوا ذلك في الصحف، والألواح، والعصب، وكان لا يقبل
من أحد شيئاً حتى يشهد شهيدان، فقتل وهو يجمع ذلك إليه.^(٣)

أي مضت ثلاث عشرة سنة من حكم أبي بكر وعمر ولم يجمع القرآن
الكريم!!^(٤)

والصحيح ان قرآن علي عليه السلام موجود ولم يرغب أبو بكر وعمر في نسخه وتكثيره
بين المسلمين!

وقد قال الله سبحانه في محكم كتابه الشريف:

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾^(٥)

(١) السقيفة، سليم بن قيس ٢٣٧.

(٢) راجع موضوع الحديث النبوي في هذا الكتاب.

(٣) منتخب كنز العمال ٤٥/٢.

(٤) راجع موضوع تدوين القرآن في هذا الكتاب.

(٥) الحجر، ٩.

وإذا كان القرآن مكتوباً فلماذا ذكروا جمع أبي بكر وعمر وعثمان للقرآن وتشكيلها اللجان في ذلك؟

الواقع ان الروايات التي ذكرت جمع هؤلاء للقرآن كُتبت في الزمن الأموي وهدف الدولة من ذلك عدة أمور:

- ١- محاولة إنكار وجود مصاحف مدونة ومكتوبة في زمن النبي ﷺ.
- ٢- إعطاء فضيلة للخلفاء في إقدامهم على جمع القرآن توازي فضيلة علي عليه السلام في جمعه للقرآن في زمن النبي ﷺ.
- ودعوى الأمويين تلك فشلت بعد امتناع أبي بكر وعمر من استنساخ القرآن طيلة ثلاث عشرة سنة حكما فيها البلاد، بدأت من سنة ١١ هجرية وانتهت في سنة ٢٤ هجرية.

٣- إيجاد عذر واهي للمعارضين لذكر السنة النبوية بحجة خوفهم من اختلاط الحديث بالقرآن!

وقد بان زيف هذا الدليل بامتناع الخليفتين الأول والثاني من تدوين القرآن والسنة ولو كان هناك خوف واقعي في قلبيهما لنسخا القرآن الموجود فعلا آنذاك ودونا السنة النبوية.

وعدم نسخها للقرآن الكريم وعدم تدوينها السنة النبوية يثبت رغبتهما في ادامة ذلك.

والذي يؤكد هذا المنحى إقدام الخليفتين على إحراق الحديث المدون في زمن النبي ﷺ

فبعد مقتله عليه السلام منع الصحابة من ذكر الحديث وسجنا الصحابة في مدينة الرسول ﷺ.

ومن الطبيعي أن تكون عملية منع تدوين القرآن والسنة بداية للفتنة الدينية

العظمى التي وقع فيها اليهود والنصارى.

وهذه القضية يدركها كل إنسان عاقل فهل خفيت تلك المسألة على أبي بكر وعمر؟ بينما قال عثمان لاحقاً: اشفت على هذه الأمة من اختلافهم في القرآن^(١).

لقد ذكرنا بأن الحديث النبوي ﷺ الداعي لنشر وتدوين السنة النبوية قد ذكره عمر وباقي الصحابة وهو: ليلغ الشاهد منكم الغائب^(٢).

والأخطر من ذلك أن عمر بن الخطاب أقدم على تزييف القرآن الصحيح المدون في زمن النبي ﷺ والمعروف بمصحف علي عليه السلام بذكر آيات كثيرة بدعوى أنها من القرآن الكريم، وإنكاره حقيقة آيات أخرى مدونة فعلاً^(٣).

ولو استمر عمر بن الخطاب في حكومته لمنع نسخ القرآن، وثبتت دعواه في زيادته ونقصانه، واستمر منع تفسيره وتدوينه ومنع تدوين وذكر السنة النبوية. وبكلمة أخرى ضياع تراث الثقلين!

ولحدثت في المسلمين فاجعة تشابه فاجعة أهل الكتاب ولكن الله سبحانه وتعالى قال في محكم كتابه الشريف ﴿إِنَّا نَحْنُ الذَّكْرُ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾^(٤)

وعندما لمس الناس خطورة فعل أبي بكر وعمر في عدم نسخها للقرآن الكريم وعدم جمعها له على قراءة واحدة اوجد عبد الله بن الزبير عذراً قائلاً:

كان عمر قد هم أن يجمع المصاحف فيجعلها على قراءة واحدة فطعن طعنته التي مات فيها^(٥).

لقد ذكروا هذا العذر بعد مقتل عمر على يد أبي لؤلؤة وذكروا بأن عمر نوى أيضاً أن يكلم المغيرة في أمر أبي لؤلؤة لكنه طعن!

(١) تاريخ المدينة المنورة ٩٩٧/٣.

(٢) تفسير الصافي ١/ ٢٠٤ واعجاز القرآن للباقلاوي ١٣٢.

(٣) راجع ذلك في موضوعه الخاص في هذا الفصل.

(٤) العنبر: ٩.

(٥) تاريخ المدينة المنورة ٩٩٠/٣.

ولم يطلع أحد على نوايا عمر، وما تلك إلا ظنون وحجج كتبت بعد مقتله ليس لها حقيقة.

ولم يهتم رجال الحزب القرشي بالقرآن وعدم اهتمام الوليد بن يزيد بن عبد الملك بالقرآن يبين نظرة الحزب إلى كلام الله تعالى، إذ استفتح الوليد بالقرآن فقرأ ﴿وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ، مِنْ وَرَائِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ﴾ فدعا بالمصحف فنصبه غرضاً للنشأ وأقبل يرميه وهو يقول:
أَسْوَءُ كُلِّ جَبَّارٍ صَنِيدٍ فَمَا أَنَا ذَاكَ جَبَّارٍ صَنِيدٍ
إِذَا مَا جِئْتَ رَبِّكَ يَوْمَ حَشَرٍ فَقُلْ يَا رَبِّ خَرَقَنِي الْوَلِيدُ^(١)

من أجبر الدولة على تدوين القرآن؟

وتشير النصوص إلى فعالية حذيفة بن اليمان في توحيد نسخ القرآن الكريم في زمن عثمان مما يبين أوامر الإمام علي عليه السلام في هذا المجال لأن حذيفة بن اليمان كان تلميذاً مطيعاً لعلي عليه السلام كما كان لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم^(٢). إذ ضغط على عثمان وأجبره على نسخ القرآن فنسخه^(٣). وإن قرآن عمر كان مجموعاً بواسطة زيد بن ثابت ووضع عند حفصة دون رغبة باستنساخه. ولما ضغط المسلمون على عثمان بقيادة حذيفة بن اليمان رضى عثمان لهذا ووافق على استنساخ القرآن الكريم فتأسست لجنة فيها زيد بن ثابت وسعيد بن العاص وحذيفة وآخرون. ولم تأخذ اللجنة بقرآن حفصة، لذلك لما ماتت حفصة في زمن دولة معاوية أسرع مروان بن الحكم (والي المدينة) إلى الحصول على قرآن حفصة لاتلافه، وفعلوا نقذ ذلك^(٤). وذكر ابن شهاب عن خارجة

(١) مروج الذهب، السعدي ٢/٢٦٦.

(٢) راجع تاريخ المدينة المنورة، عمر بن شبة ٣/٩٩٨.

(٣) البحار ٨٩ / ٧٦ والسنن الكبرى للبيهقي ٢ / ٤١ وفتح الباري ٩ / ١٤.

(٤) رواء الطبراني ورجال الصالحين، مجمع الزوائد، الهيثمي ١٥٦٧.

بن زيد بن ثابت قال: لما ماتت حفصة أرسل مروان إلى عبد الله بن عمر بعزيمة، فأعطاه إياها ففعلها غسلًا، وجاء فشققها ومزقها^(١). وكان هذا القرآن الصحيح مطبوعاً بقراءة علي بن أبي طالب عليه السلام فأخذها عنه عليه السلام عاصم فجاء: «عن حفص، عن عاصم، عن أبي عبد الرحمن قوله: لم أخالف علياً في شيء من قراءته، وكنت أجمع حروف علي عليه السلام، فأتيت بها زيداً في المواسم بالمدينة فما اختلفنا إلا في التابوت، كان زيد يقرأ بالهاء وعلي عليه السلام بالتاء»^(٢). وقرأنا الحالي فيه كلمة التابوت بقراءة علي عليه السلام لا بقراءة زيد بن ثابت. ولأن زيد بن ثابت من أصل يهودي وأعماله مشكوكة فقد ذكر ابن عساكر بأن عبد الله بن مسعود كان يكره استنساخ القرآن بواسطة زيد بن ثابت^(٣).

اعتقاد الحزب القرشي بنقص القرآن

أخرج البخاري وغيره عن عمر بن الخطاب أنه قال - وهو على المنبر - إن الله بعث محمداً بالحق نبياً، وأنزل عليه الكتاب فكان مما أنزل آية الرجم، فقرأناها، وعقلناها، ووعيناها. رجم رسول الله ﷺ ورجمنا بعده فأخشى إن طال بالناس زمان أن يقول قائل: ما نجد آية الرجم في كتاب الله، فيضلّ بترك فريضة أنزلها الله والرجم في كتاب الله حق على من زنى إذا أحصن من الرجال والنساء. ثم إننا كنا نقرأ فيما يقرأ في كتاب الله، ألا ترغبوا عن آبائكم فإنه كفر بكم أن ترغبوا عن آبائكم»^(٤).

وقال عمر: كنّا نقرأ: ألا ترغبوا عن آبائكم فإنه كفر بكم. ثم قال لزيد بن ثابت:

(١) تاريخ المدينة المنورة ١٠٠٣/٣.

(٢) سير أعلام النبلاء، الذهبي ٤٢٦/٢.

(٣) مختصر تاريخ دمشق ١٤ / ٥٧.

(٤) صحيح البخاري ٤٣/١٠، الاتقان لابي عبيد ٤٢/٢.

أكذلك؟ قال: نعم^(١).

وهكذا اثبت صحيح البخاري بأنَّ عمر وزيد بن ثابت كانا يقولان بنقص القرآن الكريم، وهو من اسباب عدم رغبتها بنسخ القرآن الكريم. وفعلًا لم ينسخ القرآن في زمن أبي بكر وعمر.

والادلة على اعتقاد عمر بن الخطاب بتحريف القرآن قوله لعمر: أوليس كنّا نقرأ من كتاب الله؟ أن انتفاءكم من آباءكم كفر بكم.

فقال: بلى.

ثم قال عمر: أوليس كنّا نقرأ الولد للفراش وللماهر الحجر، فيما فقدنا من كتاب الله.

فقال أبي: بلى^(٢).

ومن هذا يتبين أنَّ عمر اعتقد بنقص آية [أَلَا تَرْتَبُوا عَنْ آبَائِكُمْ فَإِنَّهُ كَفَرَكُمْ أَنْ تَرْتَبُوا عَنْ آبَائِكُمْ] من القرآن الكريم.

«وأخرج مسلم عن أبي الأسود عن أبيه أنه قال: بعث أبو موسى الاشعري إلى قراء أهل البصرة فدخل عليه ثلاثمائة رجل قد قرأوا القرآن فقال:

أنتم خيار أهل البصرة، وقراءهم، ولا يطولن عليكم الأمد فتقسوا قلوبكم، كما قست قلوب من كان من قبلكم وإنا كنا نقرأ سورة كنا نشبهها في الطول والشدة ببراءة فنسيتها غير أني قد حفظت منها: [لو كان لابن آدم واديان من مال لا يفتني وادياً ثالثاً، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب]. وكنا نقرأ سورة نشبهها بإحدى المسبحات فنسيتها، غير أني حفظت منها: [يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون فتكتب شهادة في أعناقكم فتسألون عنها يوم القيامة]

(١) الدر المنثور ١/١٠٦، يزيد بن ثابت اليهودي السابق مدوّن القرآن عند أبي بكر وعمر وعثمان يؤمن بنقص القرآن الكريم.

(٢) الدر المنثور في التفسير بالمأثور ١/١٠٦، كنز العمال ٢/٥٦٧ ح ١٥٣٧٢.

نَجْتزى بما أوردناه وهو كاف هنا لبيان كيف تفعل الرواية حتى في الكتاب الأول للمسلمين وهو القرآن الكريم! ولا ندرى كيف تذهب هذه الروايات التي تنصح بأن القرآن فيه نقص، وتحمل مثل هذه المطاعن مع قول الله سبحانه:

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾^(١) وأيها تصدق؟!^(٢)

قال الاشعري بنقص القرآن للقرآء فحرفهم عن الدين فأصبحوا خوارج لذا انتخبوه ممثلاً لهم في معركة صفين .

وذكر السيوطي عن ابن عباس أنه قال: أمر عمر بن الخطاب منادياً فنادى: أن الصلاة جامعة، ثم صعد المنبر فحمد وأثنى عليه، ثم قال: يا أيها الناس لا تجزعن من آية الرجم إنما نزلت في كتاب الله وقرأناها، ولكنها ذهبت في قرآن كثير ذهب مع محمد، وآية ذلك أن النبي ﷺ قد رجم، وإن أبا بكر قد رجم، ورجمت بعدهما، وأنه سيحيي من هذه الأمة من يكذبون بالرجم^(٣).

وأخرج الإمام احمد، عن ابن عباس أنه قال: خطبنا عمر فحمد الله تعالى، وأثنى عليه فذكر الرجم فقال: لا تخدعن عنه، فإنه حد من حدود الله تعالى. إلا أن رسول الله ﷺ، قد رجم، ورجمنا بعده، ولولا أن يقول قائل: زاد عمر في كتاب الله عز وجل ما ليس منه لكتبته في ناحية من المصحف^(٤).

وقال الشيخ محمد أنور: [فأخشى إن طال بالناس زمان أن يقول قائل: والله ما نجد آية من كتاب الله... إلخ] وأراد عمر أن يكتبها في المصحف!

فإن قلت: إنها إن كانت من كتاب الله، وجبت أن تكتب، وإلا وجب أن لا تكتب. فما معنى قول عمر؟

(١) الحجر، ٩.

(٢) أضواء على السنة المحمدية، محمود أبو رية ٢٥٦.

(٣) الدر المنثور ١٧٩/٥.

(٤) مستند الإمام أحمد ٢٣/١ وأخرجه النسائي.

قلت: أخرج المحافظ عنه: لكتبها في آخر القرآن^(١).
وجاء في تفسير الدر المنثور للسيوطي عن حذيفة أنه قال: قال لي عمر بن الخطاب: كم تعدون سورة الاحزاب.
قلت: ثنتين أو ثلاث وسبعين.

قال عمر: إن كانت لتقارب سورة البقرة^(٢) وكان فيها الرجم^(٣).
وقال عمر لعبد الرحمن بن عوف: ألم نجد فيما أنزل علينا: «أن جاهدوا كما جاهدتم أول مرة»؟ فإننا لم نجدها.

قال: أسقط فيما اسقط من القرآن^(٤). إذا ابن عوف يؤمن ايضاً بنقص القرآن! وهو شرط من شروط الخليفة فجعله عمر ولياً للمهد بعد عثمان لكن عثمان والأمويين قتلوه لصالح معاوية ابن أبي سفيان المؤمن بنقص القرآن والمعتقد بضرورة حذف أهل البيت ﷺ عقائدياً وسياسياً ايضاً.

وأخرج الشيخ عبد الرحمن السيوطي عن ابن عمر أنه قال: ليقولن أحدكم قد أخذت القرآن كله، وما يدريك ما كله؟ قد ذهب منه قرآن كثير، ولكن ليقول: قد أخذت منه ما ظهر^(٥). فالتحق عبد الله بن عمر بركب القائلين بنقص القرآن! ولا يمانه بذلك فقد رشحه أبو موسى الاشعري للخلافة في قضية التحكيم المعروفة.

إذن اعتقد عمر بأن القرآن تنقصه ما يلي:

آية الرجم.

آية: أن لا ترغبوا عن آبائكم فإنه كفر بكم.

آية: أن جاهدوا كما جاهدتم أول مرة.

(١) فيض الباري على صحيح البخاري ٤/٤٥٣.

(٢) اي ٢٨٦ آية ١١.

(٣) الدر المنثور ٥/١٨٠.

(٤) كنز العمال للمتقي الهندي ٢/٥٦٧.

(٥) الدر المنثور ٢/٢٩٨، تفسير روح المعاني للأغوسي ١/٢٥.

آية: إِنَّ اتِّفَاؤَكُمْ مِنْ آبَائِكُمْ كُفْرٌ بِكُمْ.

آية: الولد للفراش وللماهر الحجر.

آية الشبغ والشيخة.

وفي سورة الأحزاب توجد ثلاث وسبعون آية. بينما اعتقد عمر بأنّها في حجم سورة البقرة أي مائتان وست وثمانون آية، أي أن عمر يؤمن بنقص سورة الأحزاب لمائتين وثلاث عشرة آية!! وبذلك يظهر لنا أن عمر من المعتقدين بنقص القرآن الكريم.

ومن المعتقدين بنقص القرآن عائشة :

قالت لأُم المؤمنين زينب بنت جحش ابنة عمّة النبي ﷺ بعد مقتل النبي ﷺ: يقال إِنَّ عندكم شيئاً من كتاب الله عز وجل لم تظهِروه؟

فقالت زينب: لو كنتم محمد ﷺ ممّا أنزل الله عز وجل عليه لكنتم هذه الآية: ﴿وَإِذْ يَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ﴾^(١).

فتكون النتيجة: أن نظرية عمر في الثقلين القرآن وأهل البيت ﷺ تتمثل في الإيمان بنقص القرآن الكريم، وحذف أهل البيت ﷺ فأين وصية النبي ﷺ في الثقلين؟ بقوله ﷺ: إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي^(٢).

صحة القرآن الكريم

والمسلمون اليوم من سنة وشيعة متفقون على صحة القرآن الكريم الموجود بين أيدينا بلا نقص ولا زيادة ولا تحريف. ولا يعني هذا أنه لا يوجد سابقاً بعض العلماء منهم ممن يقول بخلاف ذلك، بل أنه يوجد علماء سابقون عندهم ممن يقول بنقص القرآن وتحريفه إلا أن العلماء الآخرين وهم الأغلبية قد تغلب قولهم وانتصر عند

(١) الأحزاب ٣٧، مختصر تاريخ دمشق، ابن حساكر ٢ / ٢٧٣.

(٢) صحيح مسلم ٢٢ / ٥ و٢٤٠٨ والدر المنثور ٧ / ٣٤٩.

الطائفتين والحمد لله^(١).

وفي أيامنا هذه لم نسمع بعالم مسلم سني أو شيعي يتبع من يقول بتحريف أو نقص أو زيادة في الكتاب الكريم.

إذن المسلمون اليوم متفقون على صحة القرآن الكريم وأنه بلا زيادة ولا نقصان. وسوف نجد في هذا الموضوع أن ممن كان يقول بنقص القرآن عمر بن الخطاب إلا أن جمهور المسلمين خالفوه في ذلك. وأيده أبو موسى الأشعري وعبد الله بن عمر وزيد بن ثابت وابن عوف.

وقد احتج عالم الأزهر محمود أبو رية على القول بنقص القرآن قائلاً:
«ولم يقف فعل الرواية عند ذلك بل تمادت إلى ما هو أخطر من ذلك، حتى زعمت أن في القرآن نقصاً ولحناً، وغير ذلك مما أورد في كتب السنة، ولو شئنا أن نأتي به كله هنا لطال الكلام—ولكننا نكتفي بمثالين مما قالوه في نقص القرآن، ولم تأت بها من كتب السنة العامة، بل مما حمله الصحيحان، ورواه الشيخان: البخاري، ومسلم^(٢)».

وجهة نظر الدولة في تفسير القرآن

والمعروف عن عمر عدم رغبته في تفسير القرآن الكريم. واصراره في معاقبة كل من يسأل عن ذلك. فعن قرظة بن كعب قال: خرجنا نريد العراق، فشيئ معنا عمر بن الخطاب إلى صرار، فتوصلاً ثم قال: أتدرون لم مشيت معكم؟ قالوا: نعم نحن أصحاب رسول الله مشيت معنا.
قال: إنكم تأتون أهل قرية لهم دوي بالقرآن كدوي النحل، فلا تصدّوهم

(١) صحيح البخاري ٤٣/١٠، أضواء على السنة النبوية، أبو رية ص ٢٥٦، الإيضاح، الفضل بن شاذان ١١٣.

١١٤.

(٢) أضواء على السنة المحمدية. محمود أبو رية ٢٥٦.

بالأحاديث، جرّدوا القرآن وأقلّوا الرواية عن رسول الله ﷺ إمضوا وأنا شريككم. فلما قدم قرظة قالوا: حدّثنا. قال: نهانا عمر بن الخطاب..^(١)
ليصبح القرآن كتاباً بلا تفسير اي بلا معنى فنشأت طائفة قرّاء القرآن المعروفة بالخوارج وهؤلاء القراء اجبروا الامام عليا على التحكيم بتمثيل الاشعري في صفين^(٢).

وأراد ابن حبان (أبو حاتم) أن يعذر عمر لأنه وجد الفتق كبيراً فقال: «لم يكن عمر بن الخطاب وقد فعل يتهم الصحابة بالتقول على النبي ﷺ ولا ردهم عن تبليغ ما سمعوا من رسول الله. وقد علم أنه ﷺ قال: ليلغ الشاهد منكم الغائب وأنه لا يحل لهم كتابان ما سمعوا من رسول الله ﷺ. ولكنه علم ما يكون بعده من القول على رسول الله ﷺ لأنه ﷺ قال: إن الله تبارك وتعالى نزل الحق على لسان عمر وقلبه. وقال ﷺ: إن يكن في هذه الأمة محدّثون فعمر منهم. فعمر من الثقات المتقين الذين شهدوا الوحي والتنزيل فأنكر عليهم كثرة الرواية عن النبي ﷺ»^(٣).
ويذكر أن حديث نزول الحق على لسان عمر وقلبه باطل لكون رواته من الكذبة (أبو هريرة وعبد الله بن عمر العمري ويحيى بن سعيد وجهم بن أبي الجهم ومخالف لأقوال عمر وتصريحاته وهو القائل: كل الناس أفهم منك يا عمر حتى النساء المخدرات^(٤)). ومسألة كون عمر ممن شهد الوحي والتنزيل لا تنفي حاجة الناس إلى تفسير وحديث.

والمسألة الثانية هي افتقار ابن حبان للرد المناسب والمنطقي في الموضوع، فذهب بعيداً للإستناد على قضية خيالية لأثبات القضية الأولى.

(١) كتاب المجروحين ١ / ٣٦.

(٢) صفين ٥٠٣.

(٣) كتاب المجروحين لابن حبان ١ / ٣٣.

(٤) ميزان الاعتدال للذهبي، تهذيب التهذيب ١٠ / ٤٨٩.

فحديث ان عمر رجل محدث ليس له أساس من الصعّة فهو وحديث: «لو كان نبي بعدي لكان عمر» قالته المؤسسة السياسية الأموية. إذ دعا معاوية إلى ذكر مناقب نبوية في الخلفاء الثلاثة الأوائل فكثرت الأحاديث في هذا المجال. قال ابن عرفة: إن أكثر الأحاديث الموضوعة في فضائل الصحابة إفتعلت في أيام بني أمية تقريباً إليهم بما يظنون أنهم يرغبون به أنوف بني هاشم^(١).

وبينا أيّد ابن حبان حديث وجوب تبليغ الشاهد للغائب. وصحّح حديث عدم حلية كتمان ما سمعوا من رسول الله ﷺ احتار كيف يخرج من هذا المأزق المخرج، فسوّر له خياله ان يرفع عمر إلى درجة الأنبياء والمحدثين الذين ينسخون ما ثبته نبي البشرية؟

وإذا كان النبي ﷺ قد جاء بأحكام جديدة نسخت بعض أحكام الديانات السابقة، فهل أراد ابن حبان أن يقول: إن عمر المحدّث قد نسخ ما جاء به الرسول ﷺ في وجوب تبليغ الشاهد للغائب. فهل هو نبي بعد نبي؟...! وإذا قال ابن حبان: أن غايته ليست كذلك (وكانت كذلك) بل أراد أن عمر قد أدرك مخاطر مستقبلية لكتابة الحديث فنع كتابته.

فهذا يعني أن عمر يعرف علوم الغيب للمستقبل. والنبي ﷺ الموحى إليه من السماء لا يدرك ذلك؟!

إذن التفسيران مرفوضان في منع عمر لكتابة وذكر الحديث. ولا يبقى إلا تفسير واحد وهو الصحيح. وذلك التفسير يتمثل في إثبات عمر لنظريته، ونظريّة قريش المتمثلة في حسبنا كتاب الله المجرّد بلا تفسير.

وقد منع عمر ورفاقه الحديث النبوي وردّوه في زمن النبي ﷺ إذ قالوا في يوم الخميس: إنّه ﷺ بهجر، حسبنا كتاب الله^(٢).

(١) فجر الإسلام، أحمد أمين ٢١٣.

(٢) صحيح البخاري باب جوائز الوفد من كتاب الجهاد والسير ١١٨ / ٢.

إذن نظريّة منع نشر الحديث النبوي ومنع كتابته قد قالها عمر ورفاقه في أيام حياة النبي ﷺ، ولا علاقة لها بتخوّف عمر وأبي بكر وعثمان من اختلاط الحديث بالقرآن الكريم! أليس كذلك؟

فالنبي ﷺ قال: إئتوني بورقة ودواة لأكتب لكم كتاباً لن تضلّوا بعده أبداً. فقال عمر: حسبنا كتاب الله.

وقال عمر النبي ﷺ يهجر وقال أتباع عمر: القول ما قال عمر^(١). فالموكد هناك أمران، أمر نبوي بكتابة الحديث ونشره وأمر قرشي بمنع كتابته ومنع نشره.

وبذلك تكون عملية إجماع التبريرات لأعمال عمر وأصحابه في هذا المجال ليس لها معنى ولا موضع؛ لأنّها أقوال ضدّ معتقدات عمر ورفاقه.

فإنّ عمر لمّا منع من كتابة الوصيّة، لم يخف من إختلاط الوصيّة بالقرآن بل رفضها وقال: حسبنا كتاب الله، فلم يبرر عمله أمام النبي ﷺ بما ذكره.

ذكر السيوطي في تفسيره والبيهقي في شعب الإيمان والخطيب، والحاكم وصحّحه عن أنس، أن عمر قرأ على المنبر:

﴿فَأَنْبَتَا فِيهَا حَبًّا وَجَبًّا وَقَضَبًا﴾ [إلى قوله] وأبأ^(٢).

قال: كل هذا قد عرفناه. فما الأب؟ ثمّ رفض [رفع] عصا كانت في يده.

فقال: هذا لعمر الله هو التكلف، فما عليك أن لا تدري ما الأب. إتبّعوا ما بُيّن هداه من الكتاب فاعملوا به، وما لم تعرفوه، فكلوه إلى ربه^(٣).

وأخرج السيوطي، أن رجلاً سأل عمر عن قوله: وفاكهة وأبا، فلمّا رآهم يقولون أقبل عليهم بالدرة.

(١) صحيح البخاري، باب قول المريض قوموا عني ٩/٧، صحيح مسلم، آخر الكتاب.

(٢) عبس، ٢٧-٣١.

(٣) الدر المنثور ٦/٣١٧.

ثم قال السيوطي: قرأ عمر: ﴿وفاكهة وأبا﴾ فقال: هذه الفاكهة فقد عرفناها، فما الأب؟ ثم قال مه نهينا عن التكلف.

وأخرج ابن راهوية في مسنده عن محمد بن المنتشر قال: قال رجل لعمر بن الخطاب: اني لأعرف أشد آية في كتاب الله، فأهوى عمر فضربه بالدرّة وقال: مالك نقيت عنها،

فانصرف حتّى كان الغد قال له عمر: الآية التي ذكرت بالامس. فقال:

﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءاً يُجْزَ بِهِ﴾^(١) فما متّأ أحد يعمل سوءاً إلّا جزئ به.

فقال عمر: لبثنا حين نزلت ما ينفعنا طعام ولا شراب حتّى أنزل الله بعد ذلك ورخص وقال:

﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءاً أَوْ يَكْلِمِ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُوراً رَحِيماً﴾^(٢)

وقال ابن أبي الحديد: وكان عمر لا يهتم بتفسير القرآن، فيهمل ما لا يعرفه، ويعاقب من يسأل عما لا يعرف. وفي لفظ الطبري كان عمر يقول: جرّدوا القرآن ولا تفسروه، وأقلّوا الرواية عن رسول الله وأنا شريككم^(٣).

وكان عمر لا يعرف الكثير من معاني القرآن ويمنع من معرفتها، فقد جاءه رجل فقال: يا أمير المؤمنين ما الجوار الكنس؟

فطعن عمر بخصرة معه في عمامة الرجل فألقاها بيده عن رأسه فقال: أهروري؟ والذي نفس عمر بيده لو وجدتكم مخلوقاً لأنحيت القمل عن رأسك^(٤).

وإن رجلاً يقال له صبيغ قدم المدينة فجعل يسأل عن متشابه القرآن، فأرسل إليه عمر وقد أعدّ له عراجين النخيل فقال: من انت؟

(١) النساء: ١٢٣.

(٢) الدر المنثور ٢/٢٢٧، النساء: ١١٠.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ٣/١٢٠.

(٤) كنز العمال ٢٢٩/١ نقلاً عن الكنى للحاكم، الدر المنثور ٦/٣٢١.

قال: انا عبد الله صبيغ.

فأخذ عمر عرجوناً من تلك العراجين فضربه فقال: انا عبد الله عمر، فجعل له ضرباً حتى دمي رأسه، وترك ظهره ودبره، ثم تركه حتى برأ فدعا به ليعود له. قال صبيغ: إن كنت تريد قتلي فاقتلني قتلاً جميلاً، وإن كنت تريد ان تدأويني، فقد والله برئت، فأذن له إلى أرضه، وكتب إلى أبي موسى الأشعري: ان لا يجالسه احد من المسلمين!!

أي ان عمر لا يسمح بالسؤال عن تفسير الآيات وفهم معانيها ونظريته تتمثل في تجريد القرآن الكريم. ليصبح القرآن مهجوراً، كما أخبر الله تعالى في كتابه الشريف

ولكن في القرآن ناسخاً ومنسوخاً وفيه خاص وعام فالخاص كقوله تعالى:

﴿وَأَمْرًا مُؤْمِنَةً إِنْ وَجَبَتْ نَفْسًا لِلنَّبِيِّ﴾^(١)

والعام مثل قوله تعالى: ﴿أَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾^(٢) وفيه المحكم والمستشابه والمطلق والمقيد.

فكيف يفهم المسلم هذه الآيات ان سار على نظرية عمر في تجريد القرآن الكريم عن التفسير!!؟

وقالوا إن عمر حسر عن ذراعيه، فلم يزل يجلده، حتى سقطت عمامته. فقال: والذي نفس عمر بيده لو وجدت ك مخلوقاً لضربت رأسك، ألبسوه ثياباً وأحملوه على قتب، وأخرجوه حتى تقدموا به بلاده. ثم ليقم خطيب ثم يقول: إن صبيغاً يستغنى العلم فأخطأه.

فلم يزل وضيعاً في قومه حتى هلك (وكان سيد قومه)^(٣). فذهب ضحية مخالفة

(١) الاحزاب: ٥.

(٢) النمل: ٢٣.

(٣) كنز العمال حديث ٤١٦٦، المصاحف لابن الانبار ونصر المقدسي في الحجة.

قريش للقرآن وشهيداً في حفظ كتاب الله.

فكل تلك العقوبة لصبيغ جاءت بسبب سؤاله عن تفسير القرآن؟
ولا أدري كيف يعاقب عمر كل سائل عن تفسير آية قرآنية، وفي زمن
النبي ﷺ رشح نفسه كمقاتل على تأويل القرآن.
إذ جاء في مسند أحمد عن رسول الله ﷺ قوله: إِنَّ مِنْكُمْ مَنْ يقاتل على تأويله،
كما قاتلت على تنزيله فقام أبو بكر وعمر.

فقال ﷺ: لا ولكن خاصف النعل، وعلي يخفض نعله^(١).
وكانت علوم عمر بالقرآن قليلة وقد اعترف بذلك إذ خطب الناس فقال: من
أراد أن يسأل عن القرآن فليأت أبي بن كعب.
ومن أراد أن يسأل عن الحلال والحرام فليأت معاذ بن جبل، ومن أراد أن يسأل
عن المال فليأتني؛ فإن الله تعالى جعلني خازناً^(٢).

وفي حديث آخر: ومن أراد أن يسأل عن الفرائض فليأت زيد بن ثابت^(٣).
لقد عمل عمر مع صبيغ أكثر مما يفعله المسلمون مع الزاني غير المحصن، وهذا
يبيِّن شدة مخالفة عمر لتفسير القرآن!

وبعد عقوبة عمر لصبيغ في المدينة والبصرة هل يجرؤ رجل على السؤال عن
تفسير آية من القرآن؟ وقد عرف الناس عقوبة ذلك.
وجاء رجل من اليهود إلى عمر فقال: يا أمير المؤمنين: إنكم تقرأون آية في
كتابكم، لو علينا معشر اليهود نزلت لا اتخذنا ذلك اليوم عيداً.

قال: أي آية هي؟

قال قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ، وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾

(١) مسند أحمد بن حنبل ٣/٣٣.

(٢) مستدرک الحاكم ٣/٢٧١.

(٣) المصدر السابق ٢٧٢.

فقال عمر: والله إنِّي لأعلم اليوم الذي نزلت فيه على رسول الله ﷺ والساعة التي نزلت فيها على رسول الله ﷺ عشية عرفة في يوم الجمعة^(١). أي بعد ما قال النبي ﷺ هناك: إنِّي تركت فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي وإن الأمة من قریش من هاشم^(٢).

صحيح أن الآية نزلت في أواخر أيام النبي ﷺ ولكنها لم تنزل في عرفة، بل نزلت في يوم الغدير ١٨ / ذي الحجة سنة ١١ هجرية، والذين أئدوا نزول هذه الآية في غدير خم يوم تنصيب الإمام علي عليه السلام هم:

الفخر الرازي في تفسيره الكبير ٥٠ / ٢، وابن عساكر في تاريخ دمشق ٨٦ / ٢، والمحافظ أبو نعيم في كتابه نزول القرآن ٨٦، والشهرستاني في الملل والنحل ٧٠، والحموني في كتابه فرائد السمطين ١ / ١٥٨، والخطيب البغدادي في تاريخ بغداد ٨ / ٢٩٠، والسيوطي في تفسيره الدر المنثور ٢ / ٢٥٩، وابن كثير الدمشقي في البداية والنهاية ٥ / ٢١٣، والآلوسي في تفسير روح المعاني ٦ / ٦١، وهناك علماء آخرون ذكروا ذلك، ولكن اكتفينا بذكر هؤلاء.

وعلى الروایتين تكون الآية نازلة في حق أهل البيت ﷺ الذين جعلهم الله تعالى ركناً بعد الركن القرآني.

والتفسير الصحيح يبين العقائد الإلهية والشرائع السماوية الحقّة، وهذا ما ترفضه اليهود وكفار قریش.

اختلاف القراءة يؤدي إلى اختلاف الأمة

جاء في النصوص ما يلي: مرَّ عمر بن الخطاب برجل وهو يقرأ:

(١) صحيح البخاري ١٨٦ / ٥، المائدة: ٣، تفسير ابن كثير ٢ / ٢٣.

(٢) شرح النهج ٩ / ٨٤، ينابيع المودة، الحنفي القندوزي ٢ / ٥٣٣، الخصال ٢٠٧، مسند أحمد ٣ / ١٤.

المعجم الكبير، الطبراني ١٨٦ / ٥، صحيح الترمذي ٥ / ٣٢٨.

﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ

يُحْسِنُونَ﴾^(١)

فوقف عمر فقال: إنصرف، فأنصرف الرجل. فقال: من أقرأك هذا؟

قال: أقرأنيها: أبي بن كعب. قال: فإنتلق إليه، فإنتلقا إليه.

فقال يا أبا المنذر: أخبرني هذا أنك أقرأته هذه الآية. قال: صدق. تلقيتها من في

رسول الله ﷺ.

قال عمر: أنت تلقيتها من محمد ﷺ؟ قال: نعم.

فقال في الثالثة، وهو غضبان.

نعم: والله لقد أنزلها الله على جبريل، وأنزل جبرئيل على قلب محمد، ولم يستأمر

فيها ابن الخطاب، ولا أبا.

فخرج عمر راقعاً يديه وهو يقول: الله أكبر، الله أكبر^(٢).

وأخرج أبو عبيد في فضائله... عن خرشة بن الحر أنه قال: رأى عمر بن الخطاب

لوحاً مكتوباً فيه:

﴿إِذَا تُدْعَى لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾^(٣)

فقال: مَنْ أَمَلُ عليك هذا؟ قلت: أبي. قال: لقد توفي رسول الله وما نقرأ هذه

الآية التي في سورة الجمعة إلا: [فامضوا إلى ذكر الله]^(٤).

وقرأ أبي بن كعب: (ولا تقربوا الزنى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا)^(٥)

فذكر ذلك لعمر فأتاه فسأله عنها.

(١) التوبة، ١١.

(٢) كنز العمال للمتقي الهندي ٦٠٥/٢.

(٣) الجمعة، ٩.

(٤) صحيح البخاري مشكول ٢٠١/٣، والآية التي ذكرها عمر لا صفة لها.

(٥) الإسراء، ٣٢.

فقال: أخذتها من في رسول الله ﷺ^(١).

وأخرج ابن شبة في تاريخ المدينة المنورة أن أعرابياً قرأ:

﴿مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأُولِيَانِ﴾^(٢)

فقال عمر: كذبت.

فقال أبي: بل أنت أكذب.

فقال له رجل: أتكذب أمير المؤمنين.

فقال: أنا أشدّ تعظيماً لأمر المؤمنين منكم، ولكنّي أكذبه في تصديق الله، ولا أصدقه في تكذيب الله. فقال عمر: صدق^(٣).

وعن عمر بن الخطاب سمعت هشام بن حكيم يقرأ سورة الفرقان - في الصلاة على غير ما أقرأها. وكان رسول الله ﷺ أقرأنيها، فأخذت بثوبه فذهبت به إلى رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله. إني سمعته يقرأ سورة الفرقان على غير ما أقرأتها، فقرأ القراءة التي سمعتها منه.

وقال (أبي) لعمر: إنّه كان يلهيني القرآن، ويلهيك الصفق بالأسواق^(٤).

وجاء في تاريخ القرآن الكريم: «وأما هم تلقوه عن رسول الله ﷺ مشافهة وسماعاً كلمة كلمة وآية آية وسورة سورة، بالقراءات التي تدخل في معنى حديث أن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرأوا ما تيسر منه.

ولقد وصل إلينا القرآن المجيد من رسول الله ﷺ بالتواتر القطعي والاسناد الصحيح عن الثقات العدول والعلماء الفحول طبقة بعد طبقة، فالقراءات مأخوذة عن النبي ﷺ مشافهة وسماعاً، وليست مستخرجة من رسم المصحف، بل الرسم

(١) كنز العمال ٥٦٨/٢، رقم الحديث ٤٧٤٤.

(٢) المائدة: ١٠٧.

(٣) تاريخ المدينة المنورة ٧٠٩/٢.

(٤) كنز العمال للمتقي الهندي.

تابع لها مبني عليها، وأي دليل أعظم على هذا مما وقع لعمر بن الخطاب مع هشام بن حكيم، حينما سمعه يقرأ سورة الفرقان على حروف كثيرة لا يعرفها عمر^(١).
وأراد الراوي الأموي أن يعذر عمر، لكنه زاد في الطين بله؛ إذ قال: قرأ رجل عند عمر فغير عليه.

فقال: قرأت على رسول الله ﷺ فلم يغير عليّ قال: فاجتمعا عند النبي ﷺ.
قال: فقرأ الرجل على النبي ﷺ فقال له: قد أحسنت.
قال: كأن عمر وجد من ذلك،

فقال النبي ﷺ: يا عمر إن القرآن كله صواب ما لم يجعل عذاباً مغفرة أو مغفرة عذاباً^(٢). وهذا الحديث كاذب يسمع للناس بالتقول على القرآن الكريم كيف شاؤوا.
وروى البخاري عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال: أقراني جبرئيل على حرف فراجعته فلم أزل أستزيده ويزيدني حتى إنتهى إلى سبعة أحرف.
وذكروا أنه ﷺ قال: أقراني جبرئيل على حرف، فراجعته فلم أزل أستزيده ويزيدني، حتى إنتهى إلى سبعة أحرف^(٣).

وقال عمر بن الخطاب: سمعت هشام بن حكيم بن حزام يقرأ سورة الفرقان على غير ما أقرؤها، وكان رسول الله ﷺ أقرانيها وكدت أن أعجل عليه ثم أمهلته حتى إنصرف، ثم لببته بردائه فجئت به رسول الله ﷺ فقلت: إني سمعت هذا يقرأ على غير ما أقرأنتها فقال لي: أرسله ثم قال له إقرأ: فقرأ، قال ﷺ: هكذا أنزلت.
ثم قال لي: أقرأ فقرأت فقال ﷺ: هكذا أنزلت أن القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرأوا منه ما تيسر^(٤).

(١) تاريخ القرآن الكريم ١٢٣.

(٢) مسند أحمد بن حنبل ٣٠/٤، ورواه الهيثمي في مجمع الزوائد ١٥٠/٧.

(٣) سنن البخاري ١٠٠/٦.

(٤) سنن البخاري ٩٠/٣، الدر المنثور ٦٢/٥، تاريخ القرآن الكريم ٧٧.

وذكر ابو الفرج ابن الجوزي: (ولا زلت استشكل هذا الحديث - أي حديث ان هذا القرآن نزل على سبعة أحرف الخ - وافكر فيه وأمعن النظر من نحو نيف وثلاثين سنة حتى فتح الله عليّ بما يمكن أن يكون صواباً إن شاء الله تعالى، وذلك اني تتبعت القراءات صحيحها وضعيفها وشاذّها فإذا هي يرجع إختلافها إلى سبعة أوجه^(١)). وقال الكليني في الكافي: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إن الناس يقولون: إن القرآن نزل على سبعة أحرف فقال: كذبوا أعداء الله، ولكنّه نزل على حرف واحد من عند الواحد^(٢).

وجاء ايضاً: «وفي أخبارنا أن السبعة أحرف ليست هي القراءة بل هي أنواع التركيب من الأمر والنهي والقصص وغيرها^(٣)».

وذكر أحمد بن حنبل وأبو يعلى وابن بطّة في مصنفاتهم أنه قرأ رجلان ثلاثين آية من الاحقاف فاختلفا في قراءتهما، فقال ابن مسعود: هذا الخلاف ما أقرؤه، فذهبت بها إلى النبي ﷺ فغضب وعلي عنده، فقال علي عليه السلام: رسول الله ﷺ يأمركم أن تقرأوا كما علمتم.

فيظهر بان رسول الله ﷺ يأمرهم باتباع ما تعلموه وترك القراءات الأخرى. وترجع قراءة نافع وابن كثير وأبو عمرو إلى ابن عباس، وابن عباس قرأ على علي بن أبي طالب عليه السلام.

وقالوا: أفصح القراءات قراءة عاصم. وأخذ عاصم ذلك من أبي عبد الرحمن السلمي، وقرأ السلمي القرآن كلّهُ على علي بن أبي طالب عليه السلام.

وقال ابن مسعود ما رأيت احداً أقرأ من علي بن أبي طالب عليه السلام. ويرجع الكسائي وحزمة إلى قراءة علي بن أبي طالب عليه السلام.

(١) تاريخ القرآن الكريم ٨٧

(٢) الكافي، الكليني ٢/٦٣٠.

(٣) مسالك الإلهام ١/٤٢٩.

وهناك روايات تؤيد روايات أهل البيت عليهم السلام منها: أخرج ابن جرير والحاكم عن النبي ﷺ قوله: كان الكتاب الأول ينزل من باب واحد، على حرف واحد ونزل القرآن من سبعة أبواب على سبعة أحرف زاجر وأمر وحلال وحرام ومحكم ومتشابه وأمثال، فأجلّوا حلاله وحرّموا حرامه، وإفعلوا ما أمرتم به، وانتهوا عما نهيت عنه، وإعتبروا بأمثاله، وإعملوا بمحكمه، وآمنوا بمتشابهه، وقولوا آمنا به كل من عند ربنا^(١).

وجاء في كتاب بصائر الدرجات عن زرارة عن أبي جعفر عليه السلام قوله: تفسير القرآن على سبعة أحرف منه ما كان ومنه ما لم يكن^(٢). وعن الحسن لما قدم أبو موسى الأشعري البصرة كتب إليه عمر يقرأ الناس القرآن؟

فكتب إليه بعدة ناس قرأوا القرآن فحمد الله عمر. ثم كتب إليه في العام القابل بعدة هي أكثر من العدة الأولى. ثم كتب إليه في العام الثالث. فكتب إليه عمر يحمد الله على ذلك، وقال: إن بني إسرائيل إنما هلكت حين كثرت قراؤهم^(٣). أي فرح البعض هلاك الأمة! وقد أدرك عمر (وهو أحد دهاة العرب) وصرّح بأن اختلاف القراءات يؤدي إلى اختلاف الأمة وهلاكها!

هل نزل قرآن وفق رغبات بعض وليس وفق حكمة الله تعالى؟

وقد بلغت الجرأة والوقاحة بالأمويين وأعوانهم إلى الاعتداء على الساحة الألهية، فصوروا بعض القرآن نازلاً وفق آراء عمر ورغباته، ومن هذه الأحاديث الكاذبة:

(١) الدر المنثور ٦/٢.

(٢) بصائر الدرجات ١٩٦.

(٣) كنز العمال ٢٦٨/١٠ حديث ٢٩٤٠٣.

كان عمر يرى الرأي فينزل القرآن^(١).

وأخرج ابن عساكر حديثاً كاذباً جاء فيه: إنَّ في القرآن لرأياً من رأي عمر^(٢) وأخرج عن ابن عمر مرفوعاً: ما قال الناس في شيء وقال فيه عمر إلا جاء القرآن بنحو ما يقول عمر.

ومن الأكاذيب وافق عمر ربه في أحد وعشرين موضعاً^(٣).
وذكروا وقوف الله سبحانه إلى جنب عمر عطفًا النبي ﷺ: لما أكثر رسول الله عليه الصلاة والسلام من الإستغفار لقوم، قال عمر سواء عليهم، فأنزل الله ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ﴾^(٤)

ولما إستشار عليه الصلاة والسلام الصحابة في الخروج إلى بدر، أشار عمر بالخروج، فنزلت:

﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ﴾^(٥)

وقوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجَبْرِيلَ﴾^(٦)

أخرجه ابن جرير وغيره من طرق عديدة وأقربها للموافقة ما أخرجه ابن أبي حاتم عن عبد الرحمن بن أبي ليلى أن يهودياً لقي عمر، فقال: إنَّ جبرئيل الذي يذكره صاحبكم عدو لنا.

فقال له عمر: من كان عدوًّا لله وملائكته ورسله وجبرئيل وميكائيل فإنَّ الله عدو للكافرين، فنزلت على لسان عمر!

(١) السيوطي في كتابه تاريخ الخلفاء ١٢٢.

(٢) كنز العمال ١٢ / ٦ ح ٣٥٢٧٣.

(٣) فضائل الامامين، أبو عبد الله الشيباني وكنز العمال ١٢ / ٦٠٠ ح ٣٥٨٧٥.

(٤) البقرة ٦.

(٥) الأنفال، ٥.

(٦) البقرة، ٩٧.

أي عمر يقول والله ينطق على لسانه والعياذ بالله من سكرة ونشوة وكفر بني أمية وطلقاء مكة واليهود الذين رفعوا بعضاً إلى أعلى مما يتصور حقداً على أعدائهم وحباً لهم.

ومن جملة ما أوردوه من موضوعات رثّة وبالية في رفع عمر على باقي البشرية ومنهم النبي ﷺ أنهم ذكروا موضوع الاستئذان في الدخول، وذلك أنه دخل عليه غلامه، وكان نائماً، فقال عمر: اللهم حرّم الدخول.

فنزلت آية الاستئذان!^(١)

إذاً لولا رغبة عمر لبقّي الأمر مباحاً، وعلى هذه الحال يكون الأمر على رأي الامويين: عمر يقول ويرى، والله تعالى يردده، والنبي ﷺ يبلغنا والعياذ بالله تعالى.

ومن أعاجيب الحديث الكاذب: إختصم رجلان الى النبي ﷺ ففضى بينهما، فقال الذي قضى عليه: رُدُّنا إلى عمر بن الخطاب، فأتينا إليه.

فقال الرجل: قضى لي رسول الله عليه الصلاة والسلام على هذا، فقال: رُدُّنا إلى عمر، فقال: أكذلك؟

قال: نعم،

فقال عمر: مكانكما حتى أخرج إليكما، فخرج إليهما مشتملاً على سيفه، فضرب الذي قال: رُدُّنا إلى عمر فقتله، وأدبر الآخر،

فقال: يا رسول الله، قتلَ عمرُ والله صاحبي.

فقال: ما كنت أظن أن يجترئ عمر على قتل مؤمن، فأنزل الله.

﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾^(٢)

فأهدر دم الرجل وبرئ عمر من قتله!

(١) تاريخ الخلفاء للسيوطي ١٢٤.

(٢) النساء، ٦٥.

في هذه الرواية أراد الراوى رفع مكانة البعض وبيان رفض قسم من المسلمين أحكام النبي ﷺ في الدعاوى.

ولم يعرف عمر بالقضاء والمعروف عنه الصفتى في الأسواق مشغولاً في البيع والشراء.

فتصور واضح الرواية أن عمر حكم بكفر ذلك الرجل وحلية دمه، والنبي ﷺ أفتى بكونه مؤمناً وعدم حلية دمه...

فخطأ الله تعالى النبي ﷺ، وصحح فعل عمر بعدم إيمان ذلك الرجل، وأنزل تعالى:

﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾

بينما جاء في تفسير الكشاف حول الآية ما يلي: قيل نزلت في شأن المنافق اليهودي، وقيل: في شأن الزبير وحاطب بن أبي بلتعة وذلك أنها اختصما إلى رسول الله ﷺ في شراج من الحرمة كانا يسقيان بها النخل.

فقال ﷺ: اسق يا زبير ثم أرسل الماء إلى جارك، فغضب حاطب وقال: لانه كان ابن عمّتك؟

فتغيّر وجه رسول الله ﷺ، ثم قال: اسق يا زبير ثم احبس الماء حتى يرجع الى الجدر واستوف حقلك، ثم أرسله إلى جارك.

فكان ﷺ قد أشار على الزبير برأي فيه السعة له ولخصمه، فلمّا احفظ (أغضب) رسول الله ﷺ استوعب للزبير حقه في صريح الحكم.

ثم خرجا فرّاً على المقداد، فقال: لمن كان القضاء؟ فقال الأنصاري: قضى لابن عمّته، ولوى شدقه، فظن يهودي كان مع المقداد فقال: قاتل الله هؤلاء، يشهدون أنه رسول الله ﷺ ثم يتهمونهم في قضاء يقضى بينهم، وأيم الله، لقد أذنبنا ذنباً مرة في حياة موسى، فدعانا الى التوبة منه. اقتلوا أنفسكم، ففعلنا فبلغ قتلانا سبعين ألفاً في طاعة

ربُّنا حتَّىٰ رَضِيَ عَنَّا...^(١)

وقال المسعودي: لما أصبح عمر قاضي أبي بكر مكث سنة لا يختلف إليه أحد^(٢). ومن الذين أيدوا نزول القرآن وفق رغبات عمر النووي. إذ ذكر في التهذيب: نزل القرآن بموافقة (عمر) في أسرى بدر وفي الحجاب وفي مقام إبراهيم، وفي تحريم الخمر، وحديثها في السنن ومستدرك الحاكم أنه قال:

اللهم بين لنا في الخمر بياناً شافياً، فأنزل الله تحريمها^(٣).

في حين قال محمد الأبهسي المحلي المتوفى سنة ٨٥٠ هجرية قد أنزل الله في الخمر ثلاث آيات: الأولى في قوله:

﴿يَسْأَلُونَكَ مِنَ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ﴾.

فكان من المسلمين من شارب ومن تارك، إلى أن شرب رجل فدخل في الصلاة فهجر فنزل قوله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ﴾^(٤)

فشربها من شربها من المسلمين وتركها من تركها، حتَّى شربها عمر فأخذ بلحي بغير وشجَّ به رأس عبد الرحمن بن عوف، ثمَّ قعد ينوح على 'قتل' بدر بشعر الأسود بن يعفر، وهو يقول:

وكائن بالقلب قلب بدر	من الفتيان والعرب الكرام
أبو هدني أين كبشه ان سنحيا	وكيف حياة أصداء وهام
أبعجز أن يردَّ الموت حتَّى	وينشرني إذا بليت عظامي

(١) تفسير الكشاف، جاد الله الزمخشري ٥٣٠/١.

(٢) التنبيه والاشراف، المسعودي ٢٥٤، تاريخ الطبري ٦١٧/٢، المنتظم، ابن الجوزي ٧٠/٤.

(٣) تاريخ الخلفاء للوسطي ص ١٢٢.

(٤) النساء، ٤٣.

أَلَا مِنْ مَّبْلُغٍ الرَّحْمَنُ عَنِّي بِأَنِّي تَارِكُ شَهْرِ الصِّيَامِ
فَلَقُلْ لِلَّهِ يَسْمَعُنِي شَرَابِي وَقُلْ لِلَّهِ يَسْمَعُنِي طَعَامِي
فَبَلَغَ ذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَخَرَجَ مَغْضَباً يَجْرُ رِداءه فَرَفَعَ شَيْئاً كَانَ فِي يَدِهِ
فَضْرَبَهُ.

فَقَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ غَضَبِهِ، وَغَضَبِ رَسُولِهِ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى:
﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْمَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ
وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُتَعْتَهُونَ﴾
فَقَالَ عُمَرُ: إِنْتِهَيْنَا، إِنْتِهَيْنَا^(١).

وَذَكَرَ مُحَمَّدُ بْنُ جَرِيرٍ الطَّبْرِيُّ: «فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ:
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا
تَقُولُونَ﴾»^(٢)

فَشَرِبَهَا مِنْ شَرِبِهَا مِنْهُمْ، وَجَعَلُوا يَتَّقُونَهَا عِنْدَ الصَّلَاةِ، حَتَّى شَرِبَهَا فِيمَا زَعَمَ رَجُلٌ
فَجَعَلَ يَنْوَحُ عَلَى قَتْلِي بَدْرٍ وَقَالُوا هَا أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ لَذَاكَانَتْ عَائِشَةُ تَدْعُو عَلَى
الصَّحَابَةِ الرَّائِينَ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ. وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ:

تَحْيَ بِالسَّلَامَةِ أُمَّ حَمْرٍ وَهَلْ لَكَ بَعْدَ وَهْطِكَ مِنْ سَلَامٍ
ذُرَيْبِي أَصْطَبِ بِكَراً فَبَأْنِي رَأَيْتُ الْمَوْتَ نَقَبَ عَنْ هِشَامٍ
وَوَدَّ بَنُو الْمَغِيرَةِ لَوْ فَدَوْهُ بِأَلْفٍ مِنْ رَجَالٍ أَوْ سَوَامٍ
كَأَنِّي بِالطُّوِيِّ طَوِيٍّ بِدَرٍ مِنَ الشَّيْزِيِّ يَكْلُلُ بِالسَّامِ
كَأَنِّي بِالطُّوِيِّ طَوِيٍّ بِدَرٍ مِنَ الْفَتَيَانِ وَالْحَلَلِ الْكَرَامِ^(٣)
فَغَيَّرَ النَّوَوِيُّ مَنْزِلَةَ عُمَرَ مِنْ شَارِبٍ لِلْخَمْرِ إِلَى سَائِلٍ عَنْهَا! بَيْنَمَا اسْتَمَرَ عُمَرُ فِي

(١) المسطرف ٢/ ٢٦٠، تاريخ المدينة المنورة لابن شبة ٣/ ٨٦٣.

(٢) النساء، ٤٣.

(٣) جامع البيان ٢/ ٢١١ والبخار ٣٠/ ٦٦٣ وفيض القدير للمتاوي ١/ ١١٧ وتفسير الطبري ٢/ ٤٩٢.

شرب الخمر بعد حادثة القليب^(١)

وكرر عمر استمراره في شرب الخمر بقوله انا نشربها لنقطع بها لحوم الابل^(٢)

(١) راجع موضوع تحريم الخمر في هذا الكتاب.

(٢) السنن الكبرى ٨ / ٢٩٩ وكنز العمال ٣ / ١٠٩.

الفصل الرابع
الحديث النبوي



حث النبي ﷺ على حفظ الحديث وتدوينه

حث النبي ﷺ على طلب العلم وتعلم الكتابة وتبينت رغبته ﷺ بعد معركة بدر إذ جاء بأمر عجيب لم تعرفه البشرية الا وهو مطالبة الأسرى الفقراء بتعليم كل واحد منهم عشرة من اطفال المسلمين القراءة والكتابة مقابل اطلاق سراحهم^(١).

ودعا رسول الله ﷺ إلى نشر الحديث وحفظه وتدوينه:

جاء في كتاب البخاري (حول تدوين الحديث) عن النبي ﷺ قوله: اللهم اشهد فليبلغ الشاهد الغائب قرب مبلغ أوعى من سامع^(٢).

وجاء أيضاً عنه ﷺ: فإنه رب مبلغ يبلغه الى من هو أوعى له^(٣).

وفي سنن مسلم قال ﷺ: ألا ليبلغ الشاهد الغائب (مرتين) قرب مبلغ هو أوعى من سامع^(٤).

وجاء في مسند أحمد قوله ﷺ: ألا إن ربي داعي، وإنه سألني هل بلغت عبادي؟ وأنا قائل له: رب قد بلغتهم. ألا فليبلغ الشاهد منكم الغائب^(٥).

(١) وسائل الشيعة ٢ / ١٣٤.

(٢) صحيح البخاري ٣٤/١، باب ليبلغ العلم الشاهد الغائب.

(٣) صحيح البخاري ٩١/٨.

(٤) صحيح مسلم ١٠٨/٥، سنن ابن ماجه ٨٥/١ - ٨٦، الترمذي ١٥٢/٢، مستدرک الحاكم ١٧٤/٣، سنن

البيهقي ١٤٠/٥، وسنن النسائي ٢٠٦/٥.

(٥) مسند أحمد ٨٣/١.

وأخرج الحاكم في تاريخه بالاسناد إلى أبي بكر عن رسول الله ﷺ قوله: «من كتب عني علماً أو حديثاً لم يزل يكتب له الأجر ما بقي ذلك العلم أو الحديث»^(١). وكان عبد الله بن عمرو يكتب أحاديث النبي ﷺ في حياته، فمنهته قریش وقالوا: أكتب كل ما يقول، وهو بشر يقول في الرضا والغضب، وأنه (عبد الله) أخبر النبي ﷺ بذلك. فقال ﷺ له:

أكتب فوالذي نفسي بيده ما خرج منه إلا الحق، وأشار إلى فقه الشريف، وهناك روايات بتقييد العلم وكتابته عن الصحابة الاجلاء أوجب فيها النبي ﷺ على الشاهد ان يبلغ الغائب وأحاديث من حفظ أربعين حديثاً^(٢). والملاحظ لكتب السيرة والمحدث يجد أن النبي ﷺ كان يدعوهم إلى كتابة الحديث^(٣) مثل قوله ﷺ: من كتب عني علماً أو حديثاً لم يزل يكتب له الأجر ما بقي العلم أو الحديث^(٤).

وبسبب منع تدوين الحديث لم ينقل عن الصحابة كتاب إلا عن سعد بن عباد إذ نقل عنه الشافعي في مسنده^(٥).

بينما قال النبي ﷺ: من حفظ من أمتي أربعين حديثاً من سنّي أدخلته يوم القيامة في شفاعتي^(٦).

وقال ﷺ: من حفظ من أمتي أربعين حديثاً بعثه الله يوم القيامة فقيهاً عالماً^(٧).

(١) أخرجه عماد الدين بن كثير في مستدرك الحديث عن الحاكم أبي عبد الله النيسابوري، ورواه القاضي أبو إمامة الأحوص ابن الفضل الغلابي، وهو الحديث ٤٨٤٥ صفحة ٢٣٧ / الجزء الخامس في كنز العمال.

(٢) تفسير المنار لرشد رضا ١٠/٧٦٦، ١٩/٥١١.

(٣) كنز العمال ٥/٢٠٠-٢١٢، ٢٤٠، ٢٤٣، والمستدرک ١/٨٧-١٠٠.

(٤) تاريخ الخلفاء، السيوطي ص ٩٣.

(٥) كما في ترتيب المسند ٢/١٧٩.

(٦) كنز العمال ١٠/١٥٨، حديث ٢٨٨١٧.

(٧) كنز العمال ١٠/١٥٨، حديث ٢٨٨١٨، تاريخ الخلفاء، السيوطي، باب أحاديث أبي بكر.

وقال ﷺ: من تعلم أربعين حديثاً ابتغاء رحمة الله تعالى، ليُعلم به أمّي في حلالهم وحرامهم حشره الله يوم القيامة عالماً^(١).

وقال علي عليه السلام: إذا كتبت الحديث فاكتبوه باسناده ثم دعا ﷺ إلى رواية الحديث إضافة إلى تدوينه^(٢).

وعن الزهري عن عروة أنّ عمر بن الخطاب أراد أن يكتب السنن، فاستفتى أصحاب رسول الله في ذلك، فأشاروا عليه أن يكتبها ويستخار عمر الله فيها شهراً. ثم أصبح يوماً وقد عزم الله له فقال: إني كنت أريد أن أكتب السنن وإني ذكرت قوماً كانوا قبلكم كتبوا كتباً فأكتبوا عليها وتركوا كتاب الله، وإني والله لا أشوب كتاب الله بشيء أبداً^(٣).

نلاحظ في هذا النص أنّ أصحاب النبي ﷺ قد طلبوا منه كتابة الحديث، وذكرنا في الموضوع السابق طلب النبي ﷺ تدوين الحديث وتبليغه وحفظه، ورغم هذا فقد عارض عمر تدوين الحديث وتبليغه!

وواضح أنّ عدم كتابة الحديث يؤدي إلى اختلاف الأمة. وهو ما يريده الحزب القرشي.

الحزبان اليهودي والقرشي يحاربان الحديث النبوي

ذكر عمر أنّ اليهود قد تركوا كتاب الله واهتموا بالكتب التي كتبوها. والحقيقة أن اليهود لم يهتموا بأحاديث الأنبياء، ولو اهتموا بها وساروا على نهجها الصحيح لما انحرفوا عن الدين.

(١) كنز العمال ١٠/١٦٤، حديث ٢٨٨٥٣.

(٢) كنز العمال ١٠/١٢٩ عن الحاكم، تهذيب العلم ٩١، نور الإبهار ١٢٢، سنن الدارمي ١/١٣٠، تاريخ

اليقوي ٢/٢٢٧، تاريخ بغداد ٦/٣٩٩.

(٣) كنز العمال ١٠/ح ٢٩٤٧٤.

بل انهم لم يكتبوا الأحاديث النبوية، وحرّفوا كتبهم السماوية وتركوا أوصياء الله. وسار على خطاهم رجال السقيفة.

والملاحظ لسيرة أهل الكتاب، يفهم أن أنحرافهم قد جاء من منعهم كتابة الحديث النبوي، وتحريف الكتب السماوية. وأبو بكر وعمر وعثمان وباقي الصحابة يدركون ذلك! ولم نجد في كتب اليهود انهم ساروا على آراء الأوصياء، بل ترك أتباع النبي سليمان ﷺ وصيهم آصف بن برخيا.

وترك أتباع النبي موسى ﷺ وصيهم يوشع بن نون.

وبذلك يكون أصحاب سليمان وموسى ﷺ قد تركوا الوصي والحديث النبوي، وهكذا فعل المسلمون بعد النبي ﷺ بتركهم الوصي (علياً) ﷺ والحديث النبوي، ولقد قال النبي ﷺ: لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ مِنْ قَبْلِكُمْ شِرّاً شَبِيراً^(١)

لقد أمر النبي ﷺ بقول الحديث قائلاً: حَدِّثُوا عَنِّي وَلَا حَرَجَ^(٢).

فغيرت الدولة ذلك إلى حَدِّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا حَرَجَ^(٣).

وروا زيفاً قوله ﷺ لكعب الأحبار: اقرأ التوراة آناه الليل والنهار^(٤) بدل اقرأ القرآن آناه الليل والنهار.

وبعد منع أبي بكر وعمر الناس من كتابة الحديث النبوي انتشرت أحاديث كعب وتميم الداري باسم الأحاديث النبوية لان عمر سمح لها فقط بالوعظ في المسجد النبوي!.

لقد كانت نظرية الحزب القرشي تتمثل في عدم كتابة الحديث النبوي ومخالفة النبي ﷺ والصحابة.

(١) الاقتصاد للطوسي ٢١٣ ومسنّد أحمد ٨٤ / ٣

(٢) كنز العمال ١٠ / ١٢٨، صحيح مسلم ٨ / ٢٢٩، تقييد العلم ٣١ - ٣٥، ٧٨.

(٣) صحيح البخاري ٢ / ١٦٥، سنن أبي داود ٣ / ٣٢٢.

(٤) غريب الحديث ٤ / ٢٦٢، جامع بيان العلم ٥٣ / ٢.

ومات عمر ولم ينسخ كتاب الله أيضاً، فأبقى المسلمين دون كتاب ودون حديث، والكتاب دون تفسير وبعده قراءات، والحديث النبوي ممنوع تدوينه والنطق به، وأهل البيت عليهم السلام محذوفون بنظرية حسبنا كتاب الله!! وكانت نظرية اليهود متفقة مع الحزب القرشي في عدم كتابة الحديث النبوي. وسار أبو بكر وعمر على تلك النظرية القائلة بأن النبي صلى الله عليه وآله يغضب ويرضى فكيف تكتبون عنه^(١) وتلك النظرية معارضة لنظرية الله تعالى في رسوله. إذ قال:

﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيِي يُوحَى﴾

فالملاحظ أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله قد أشاروا على عمر بكتابة السنن دون مخالف منهم لهذا. ورأي الصحابة يبين أن النبي صلى الله عليه وآله هو الذي دعا إلى كتابة السنن النبوية.

فاذا كان النبي صلى الله عليه وآله وأصحابه يدعون إلى كتابة السنن لأهميتها فلماذا خالف عمر والحزب القرشي ذلك؟

إن نظرية الحزب القرشي تتمثل في حسبنا كتاب الله، وهذه النظرية تتضمن هذا المعنى أي منع تدوين الحديث النبوي.

لذلك دعا عمر إلى عدم كتابة الحديث النبوي الشريف، وحبس الصحابة في المدينة كي لا ينتشروا في الدول المختلفة فينتشر معهم الحديث النبوي.

قال أبو هريرة: ما كان أحد منا يقول على عهد عمر بن الخطاب: قال رسول الله صلى الله عليه وآله إلا سبيل ظهره دماً^(٢).

وذهب عمر لأبعد من ذلك في معتقده يوم أحرق الحديث النبوي الشريف، المكتوب على جلود الحيوانات والاخشاب^(٣). وهذه خسارة لا تعوّض للتراث الإسلامي.

(١) تفسير المنار، (محمد رشيد رضا ١٠/٧٦٦، ١٩/٥١١).

(٢) مختصر تاريخ ابن حساكر ١١/٣.

(٣) كنز العمال ٥/٢٣٩.

المصادر

حرف الالف

- ١ - أنساب الأشراف، احمد بن يحيى بن جابر البلاذري، تحقيق المحمودى مؤسسة الأعلمي بيروت.
- ٢ - الأخبار الموفقيات، الزبير بن بكار، المتوفى سنة ٢٥٦ هجرية طبع سنة ١٤١٦ هجرية وزارة الثقافة - بغداد.
- ٣ - الايضاح، الفضل بن شاذان النيسابوري، المتوفى سنة ٢٦٠ هجرية. مؤسسة الأعلمي - بيروت.
- ٤ - الإمامة والسياسة، ابن قتيبة عبد الله بن مسلم الدينورى المتوفى سنة ٢٧٦ هجرية ، شركة الحلبي - مصر.
- ٥ - الاخبار الطوال، أحمد بن داود الدينوري المتوفى سنة ٢٨٢ هجرية - وزارة الثقافة والأرشاد - مصر.
- ٦ - اثبات الوصية، على بن الحسين بن علي المسعودي، المطبعة الحيدرية - النجف الأشرف.
- ٧ - اضواء على السنة المحمدية، محمود ابورية مؤسسة انصارىان ١٤١٦ هـ ١٩٩٥ م.
- ٨ - الطبقات الكبرى، ابن سعد، المتوفى سنة ٢٣٠ هجرية دار صادر - بيروت.
- ٩ - الإصابة، احمد بن على بن حجر العسقلاني، المتوفى سنة ٨٥٢ هجرية دار احياء التراث العربي - بيروت.

١٠ - أسد الغابة، ابن الأثير على بن محمد الجزري، المتوفى سنة ٦٣٠ هجرية دار احياء التراث العربي - بيروت.

١١ - الامالي، ابو جعفر محمد بن الحسن الطوسي، المتوفى سنة ٤٦٠ هجرية. مؤسسة النشر الاسلامي، قم.

١٢ - الامالي، المفيد، منشورات النشر الاسلامي، قم.

١٣ - الإمام الحسين عليه السلام، عبد الله العلايلي، الشريف الرضي، قم.

١٤ - الاموال - ابو عبيد القاسم بن سلام المتوفى سنة ٢٢٤ هجرية. دار الكتب العلمية

١٥ - الاخبار الموفقيات - الزبير بن بكار - منشورات الشريف الرضي - قم

١٦ - اطراف مسند الإمام أحمد، ابن حجر العسقلاني، دار ابن كثير، بيروت.

١٧ - الاختصاص، المفيد محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادى المتوفى سنة ٤١٣ هجرية، منشورات جماعة المدرسين، قم.

١٨ - ارشاد القلوب - ابو محمد الحسن بن محمد الديلمي - منشورات الشريف الرضي - قم

١٩ - الاحتجاج، لابي منصور احمد بن على الطبرسي، دار الاسوة، قم.

٢٠ - الارشاد. محمد بن محمد النعمان العكبري البغدادى المتوفى سنة ٤١٣ هجرية. مؤسسة آل البيت، قم

حرف الباء

٢١ - البداية والنهاية، ابن كثير، اسماعيل بن كثير الدمشقي المتوفى سنة ٧٧٤ هجرية مؤسسة التاريخ العربي بيروت.

٢٢ - البدء والتاريخ، احمد بن سهل البلخي، المتوفى سنة ٣٢٢ هجرية. دار الكتب العلمية، بيروت.

٢٣ - بحار الانوار، محمد باقر المجلسي، المتوفى سنة ١١١١ هجرية. مؤسسة الوفاء، بيروت.

٢٤ - البيان والتبيين، الجاحظ، دار صعب، بيروت.

٢٥ - بلاغات النساء لاحمد بن أبي طاهر طيفور المتوفى سنة ٢٨٠ هجرية. المطبعة الحيدرية - قم

حرف التاء

٢٦ - تاريخ الامم والملوك لابي جعفر محمد بن جرير الطبري، المتوفى سنة ٣١٠ هجرية مؤسسة الأعلمي - بيروت.

٢٧ - تاريخ أبي الفداء اسماعيل بن علي ، دار الكتب العلمية - بيروت.

٢٨ - تفسير القرآن العظيم، ابن كثير أبي الفداء اسماعيل الدمشقي المتوفى سنة ٧٧٤ هجرية ، دار احياء التراث العربي - بيروت.

٢٩ - تاريخ المدينة المنورة، عمر بن شبة الثميري المتوفى سنة ٢٦٢ هجرية طبعة السعودية.

٣٠ - تاريخ أبي زرعة الدمشقي، عبد الرحمن بن عمرو النصري، المتوفى سنة ٢٨١ هجرية دار الكتب العلمية - بيروت.

٣١ - تاريخ الخلفاء، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، المتوفى سنة ٩١١ هجرية. الدار المتحدة - مصر.

٣٢ - تاريخ اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر، المتوفى سنة ٢٩٢ هجرية دار صادر - بيروت ١٣٧٥هـ.

٣٣ - تاريخ خليفة بن خياط، خليفة بن خياط العصفري، المتوفى سنة ٢٠٤ هجرية دار الكتب العلمية - بيروت.

٣٤ - التنبيه والاشراف، علي بن الحسين المسعودي، المتوفى سنة ٣٤٥ هجرية دار صادر

- القاهرة.

٣٥ - تاريخ مختصر الدول، ابن العبري غريغوريوس الملطي المتوفى سنة ٦٨٥ هجرية طبع مؤسسة نشر الثقافة الاسلامية - قم.

٣٦ - تنبيه الخواطر ونزهة النواظر، ورام بن أبي نؤاس المالكي، دار التعارف - بيروت.

٣٧ - تثبيت الامامة، يحيى بن الحسين بن القاسم المتوفى سنة ٢٩٨ هجرية، دار السجاد، بيروت.

٣٨ - تفسير الميزان، محمد حسين الطباطبائي، مؤسسة اسماعيليان، الطبعة الثانية قم.

٣٩ - تفسير التبيان، ابو جعفر محمد بن الحسن الطوسي، مكتب الاعلام الاسلامي - قم.

٤٠ - تفسير مجمع البيان، لابي على الفضل بن الحسن الطبرسي، المتوفى سنة ٥٤٨ هجرية المكتبة العلمية - طهران.

٤١ - تقريب المعارف، لابي الصلاح تقي بن نجم الحلبي، المتوفى سنة ٤٤٧ هجرية. طبع قم.

٤٢ - تاريخ بغداد، ابوبكر احمد بن علي الخطيب البغدادي، المتوفى سنة ٤٦٣ هجرية دار الكتب العلمية، بيروت.

٤٣ - تفسير الآلوسي، محمود البغدادي المتوفى سنة ١٢٧٠ هجرية. دار احياء التراث العربي، بيروت.

٤٤ - تنوير الحوالك في شرح موطأ مالك، جلال الدين السيوطي، دار الفكر - بيروت.

٤٥ - تاريخ الإسلام، محمد بن أحمد الذهبي، المتوفى سنة ٧٤٨ هجرية دار الكتاب العربي.

٤٦ - تفسير الفخر الرازي - دار احياء التراث العربي - بيروت.

٤٧ - تاريخ ابن الوردي، زين الدين بن عمر المتوفى سنة ٧٤٩ هجرية دار الكتب العلمية - بيروت.

٤٨ - تفسير الكشف، الزمخشري، مكتب الاعلام الاسلامي ١٤١٤ هـ.

٤٩ - تاريخ الخميس لحسين بن محمد بن الحسن الدياربري - دار صادر بيروت.

حرف الجيم

- ٥٠ - الجرح والتعديل، عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي، المتوفى سنة ٣٢٧ هجرية. دار احياء التراث العربي - بيروت.
- ٥١ - الجمل، المفيد محمد بن العكبري، مكتبة الداوري، طهران.
- ٥٢ - جمهرة أنساب العرب، علي بن احمد بن حزم، المتوفى سنة ٤٥٦ هجرية. دار الكتب العلمية، بيروت.
- ٥٣ - جمل من أنساب الاشراف، احمد بن يحيى البلاذري، المتوفى سنة ٢٧٩ هجرية دار الفكر، بيروت - لبنان.

حرف الحاء

- ٥٤ - حياة الصحابة، محمد يوسف الكاندهلوي، دار الكتب العلمية، بيروت.
- ٥٥ - حياة محمد، محمد حسين هيكل، طبع مصر.
- ٥٦ - حديث الافك - جعفر مرتضى - دار التعارف - بيروت
- ٥٧ - حياة الحيوان الكبرى، محمد بن موسى الدميري، المتوفى سنة ٨٠٨ هجرية. منشورات الشريف الرضي - قم.

حرف الخاء

- ٥٨ - الخصال، محمد بن علي ابن بابويه القمي الصدوق، المتوفى سنة ٣٨١ هجرية. منشورات النشر الإسلامي، قم.

حرف الدال

- ٥٩ - دلائل النبوة، احمد بن حسين البيهقي، المتوفى سنة ٤٥٨ هجرية دار الكتب العلمية بيروت.
- ٦٠ - دلائل الصدق، محمد حسن المظفر، دار المعلم، القاهرة.

٦١ - الدرجات الرفيعة. علي خان الشيرازي. مؤسسة الوفاء - بيروت

حرف الراء

٦٢ - رجال الطوسي، ابو جعفر محمد بن الحسن المتوفى سنة ٤٦٠ هجرية. المكتبة الحيدرية، النجف.

٦٣ - الرد على المتمصّب العنيد، ابن الجوزي، تحقيق المحمودي.

٦٤ - رجال الكشي، تحقيق مهدي الرجائي. مؤسسة آل البيت - قم.

٦٥ - رجال السيد بحر العلوم، محمد مهدي بحر العلوم. منشورات الصادق، طهران.

٦٦ - الروض الأنف، عبد الرحمن السهيلي المتوفى سنة ٥٨١ هجرية. دار احياء التراث العربي - بيروت.

حرف السين

٦٧ - السيرة الحلبيّة، علي بن برهان الدين الحلبي الشافعي، المتوفى سنة ١٠٤٤ هجرية دار احياء التراث العربي - بيروت.

٦٨ - سيرة ابن اسحاق، محمد بن اسحاق بن يسار، المتوفى سنة ١٥١ هجرية دار الفكر بيروت

٦٩ - السيرة النبوية، أحمد زيني دحلان، المتوفى سنة ١٣٠٤ هجرية دار احياء التراث العربي بيروت.

٧٠ - سيرة ابن هشام لابن مجاهد عبد الملك بن هشام، شركة الحلبي - مصر ١٣٥٥ هـ. ١٩٣٦ م.

٧١ - سيرة المصطفى، معروف الحسني، دار القلم، بيروت.

٧٢ - السيرة النبوية، عيون الأثر، محمد ابن سيد الناس، المتوفى سنة ٧٣٤ هجرية. مؤسسة عز الدين، بيروت.

٧٣- السيرة النبوية، أبو حاتم محمد بن أحمد التميمي، المتوفى سنة ٣٥٩ هجرية دار الكتب العلمية، بيروت.

٧٤- السقيفة وفدك، الجوهرى، مكتبة ناصر خسرو، طهران.

٧٥- سفينة البحار - عباس القمي - دار الاسوة - قم

٧٦- كتاب سليم بن قيس الهلالي، تحقيق الأنصاري - نشر الهادي - قم.

حرف الشين

٧٧- شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد المعتزلي، دار الحلبي وشركاه، مصر، وطبعة دار الفكر، بيروت.

حرف الصاد

٧٨- صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج النيسابوري المتوفى سنة ٢٦١ هجرية تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي. دار احياء التراث العربي - بيروت.

٧٩- صحيح النسائي، مكتب التربية العربي لدول الخليج ١٤٠٨ هـ.

٨٠- صحيح الترمذي، مكتب التربية العربي لدول الخليج ١٤٠٨ هـ.

٨١- صحيح أبي داود، مكتب التربية العربي لدول الخليج ١٤٠٩ هـ.

٨٢- صحيح ابن ماجه، مكتب التربية العربي لدول الخليج ١٤٠٨ هـ.

٨٣- صحيح البخاري، محمد بن اسماعيل بن ابراهيم المتوفى سنة ٢٥٦ هجرية دار القلم - بيروت.

٨٤- الصحيح من سيرة النبي الاعظم، جعفر مرتضى، دار السيرة، بيروت.

حرف العين

- ٨٥ - العقد الفريد، ابن عبد ربه، دار احياء التراث العربي بيروت.
- ٨٦ - عمر بن الخطاب الفاروق القائد، محمود شيت خطاب، دار مكتبة الحياة - بيروت.
- ٨٧ - عبقرية عمر، عباس محمود العقاد، دار الهلال.
- ٨٨ - عيون الاخبار - عبد الله بن مسلم ابن قتيبة الدينوري المتوفى سنة ٢٧٦ هجرية. دار الكتب المصرية - القاهرة ١٩٢٥ م.

حرف الفين

- ٨٩ - الفارات، ابراهيم بن محمد بن سعيد ابن هلال الثقفي، دار الكتاب الإسلامي، ايران.

حرف الفاء

- ٩٠ - الفتوح، ابن اعثم، احمد بن اعثم الكوفي المتوفى سنة ٣١٤ هجرية دار الكتب العلمية.
- ٩١ - الفاروق عمر، محمد حسنين هيكل، دار المعارف - مصر، ط. الخامسة.
- ٩٢ - فتح الباري، احمد بن على بن حجر العسقلاني، المتوفى سنة ٨٥٢ هجرية. دار الكتب العلمية، بيروت.
- ٩٣ - فتوح الشام، محمد بن عمر الواقدي، المتوفى سنة ٢٠٧ هجرية. دار الكتب العلمية، بيروت.

حرف القاف

- ٩٤ - قصص العرب، جاد الحق والبجاوي ومحمد أبو الفضل، دار احياء الكتب العربية.

حرف الكاف

٩٥ - الكامل في التاريخ، ابن الأثير على بن أبي الكرم الشيباني، دار بيروت ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م.

٩٦ - فتوح البلدان، أحمد بن يحيى البلاذري، تحقيق رضوان محمد رضوان دار الكتب العلمية - بيروت.

٩٧ - الكافي، أبي جعفر محمد بن يعقوب بن اسحاق الكليني، المتوفى سنة ٣٢٩ هجرية دار الكتب العلمية، طهران.

حرف اللام

٩٨ - لسان الميزان، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، المتوفى سنة ٨٥٢ هجرية دار الفكر - بيروت.

٩٩ - لسان العرب، ابن منظور محمد بن مكرم، مطبعة ادب الحوزة ١٤٠٥ هـ.

حرف الميم

١٠٠ - المعارف، لابي محمد عبد الله بن مسلم ابن قتيبة، دار الثقافة - مصر.

١٠١ - مروج الذهب، علي بن الحسين المسعودي، دار الأندلس بيروت.

١٠٢ - مقاتل الطالبين، أبو الفرج الأصفهاني، المتوفى سنة ٣٥٦ هجرية الطبعة الثانية المكتبة الحيدرية - النجف.

١٠٣ - مختصر تاريخ دمشق، ابن عساكر، لمحمد بن مكرم (ابن منظور) دار الفكر - دمشق.

١٠٤ - ميزان الاعتدال، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، المتوفى سنة ٧٤٨ هجرية دار المعرفة - بيروت.

١٠٥ - المغازي، محمد بن عمر الواقدي المتوفى سنة ٢١٢ هجرية طبع دار المعرفة الاسلامية ١٤٠٥ هجرية.

١٠٦ - مناقب أمير المؤمنين عمر، محمد بن الجوزي، دار الكتب العلمية - بيروت.

١٠٧ - المنتظم، أبو الفرج بن الجوزي، المتوفى سنة ٥٩٧ هجرية. دار الكتب العلمية - بيروت.

١٠٨ - المثالب، هشام ابن الكلبي، دار الهدى للتراث - بيروت.

١٠٩ - من لا يحضره الفقيه، لابي جعفر محمد بن علي ابن بابويه القمي الصدوق، نشر الإمام المهدي عليه السلام - قم.

١١٠ - مرآة العقول، محمد باقر المجلسي، دار الكتب العلمية - طهران.

١١١ - معاني الاخبار، ابو جعفر محمد بن علي الصدوق، المتوفى سنة ٣٨١ هجرية مؤسسة النشر الإسلامي، قم.

١١٢ - المستدرک، الحاكم محمد بن عبد الله النيسابوري المتوفى سنة ٤٠٥ هجرية، دار الكتب العلمية - بيروت.

١١٣ - مقتل الحسين عليه السلام، الموفق بن أحمد المكي الخوارزمي، المتوفى سنة ٥٦٨ هجرية. دار انوار الهدى، قم.

١١٤ - المناقب، الموفق بن احمد الخوارزمي، المتوفى سنة ٥٦٨ هجرية. مؤسسة النشر الإسلامي - قم.

١١٥ - معجم البلدان، أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي، المتوفى سنة ٦٢٦ هجرية. دار الكتب العلمية، بيروت.

١١٦ - المحلى، علي بن احمد بن سعيد بن حزم الأندلسي - طبع دار الفكر.

١١٧ - معجم الادباء، ياقوت بن عبد الله الحموي، المتوفى سنة ٦٢٦ هجرية. دار التراث العربي، بيروت.

١١٨ - المعجم الكبير، ابو القاسم سليمان بن احمد الطبراني، المتوفى سنة ٣٦٠ هجرية دار احياء التراث العربي، بيروت.

١١٩ - معجم رجال الحديث، ابو القاسم الموسوي الخوئي، مركز نشر آثار الشيعة، قم.

- ١٢٠ - الملل والنحل، الشهرستاني، المكتبة الانجلو مصرية - القاهرة.
- ١٢١ - مرآة الجنان لعبد الله بن اسعد بن علي الياضي المتوفى سنة ٧٦٨ هجرية دار الكتب العلمية.
- ١٢٢ - مشكل الآثار لاحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي. المتوفى سنة ٣٢١ هجرية. دائرة المعارف. الهند طبعة ١٣٣٣ هجرية.

حرف النون

- ١٢٣ - نوادر المخطوطات - عبد السلام هارون - دار الجيل - بيروت.
- ١٢٤ - النسب، لابي عبيد القاسم بن سلام، المتوفى سنة ٢٢٤ هجرية دار الفكر، بيروت.

حرف الواو

- ١٢٥ - وقعة صفين، نصر بن مزاحم المنقري، المتوفى سنة ٢١٢ هجرية. مكتبة المرعشي النجفي، قم ١٤١٨ هـ.
- ١٢٦ - وفيات الأعيان، احمد بن محمد بن ابراهيم ابن خلكان، المتوفى سنة ٦٨١ هجرية دار الكتب العلمية، بيروت.
- ١٢٧ - وسائل الشيعة، محمد بن الحسن الحر العاملي، المتوفى سنة ١١٠٤ هجرية. دار احياء التراث العربي، بيروت.
- ١٢٨ - وقعة الطف - لابي مخنف لوط بن يحيى - مؤسسة النشر الاسلامي - قم.
- ١٢٩ - الوفا بأحوال المصطفى لابي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي المتوفى سنة ٥٩٧ هجرية. دار الكتب العلمية.

حرف الياء

- ١٣٠ - ينابيع المودة، سليمان بن ابراهيم القندوزي الحنفي، الشريف الرضي، قم.

فهرس محتوى الجزء الثانى

٥	الفصل الرابع: صلح الحديبية
٧	التوجه للحديبية
٩	رغبة قريش فى الحرب
١٠	ممثلو قريش
١١	الايات الباهرة
١٢	سبب بيعة الرضوان
١٨	بطلب من ذهب عثمان إلى مكة ؟
٢٣	بيعة الرضوان
٢٤	إعتراض على بنود صلح الحديبية
٢٨	شروط الصلح
٣٢	من عرض على قتل سفير قريش ؟
٣٥	حصول فرج للمستضعفين
٣٨	غضب الحزب القرشي لمديح النبي ﷺ فى الحديبية
٣٩	الدلائل والعبر
٤٣	الفصل الخامس: معركة خيبر